

الجمعية التاريخية

حمص - سورية

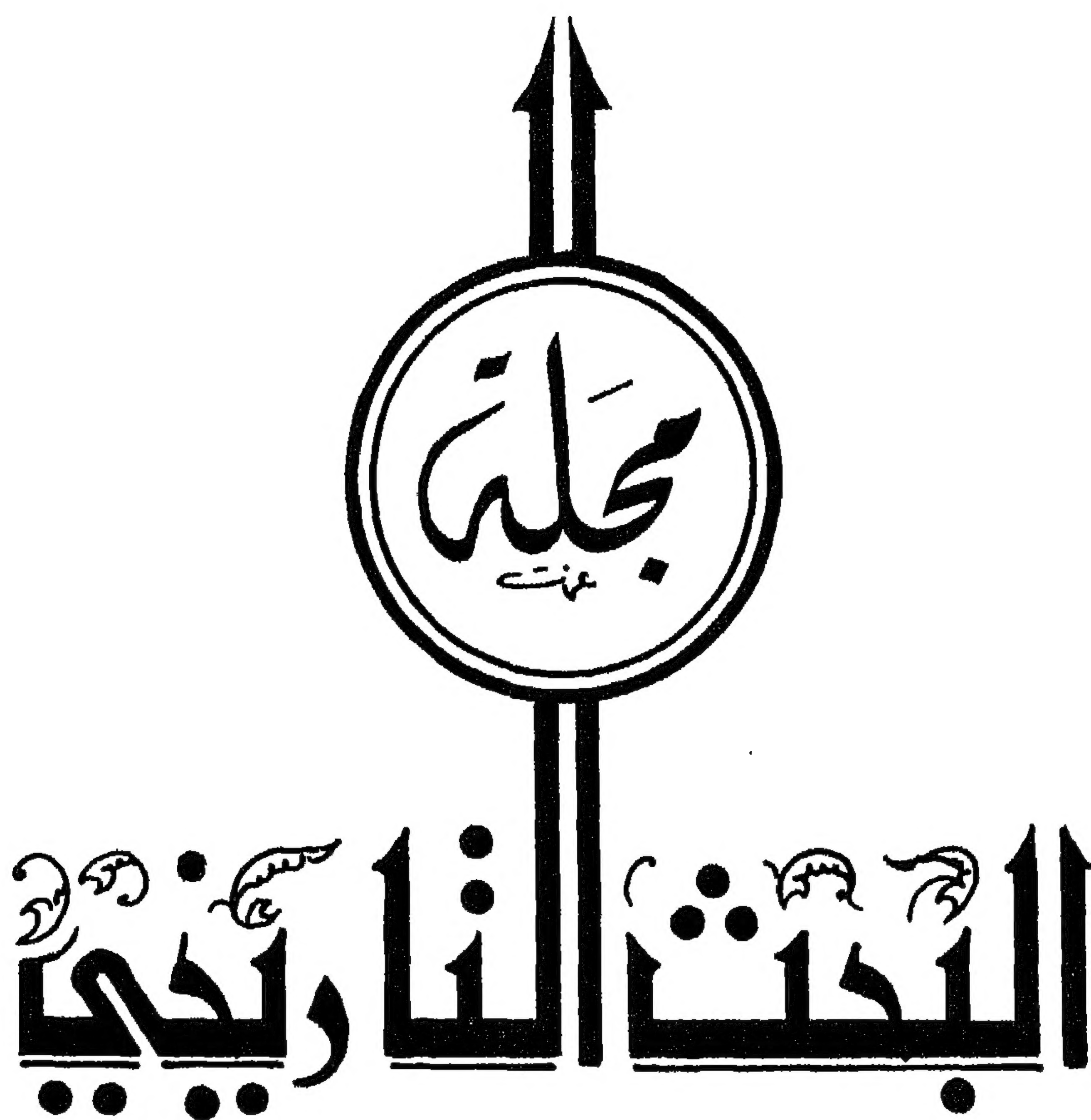
مجلة

البحث التاريخي



الشبيبة

للدراسات والنشر والتوزيع
دمشق - سورية



مجلة البحث التاريخي
تصدر عن الجمعية التاريخية بحمص

العدد الثالث ذوالحجة ١٤٠٤ هـ الملوك ١٩٨٤ م

المدير المسؤول رئيس التحرير
محمد عبد الصمد الشاطر أسعد خالد الحسين

هيئة التحرير

جميلة عازار	عبد الواحد السباعي
سمير عبد الصمد	فيصل شيخاني
عبد الله بنهاري	محمد علي الترك
عبد الحفيظ شما	منذر محمودي

صمم الغلاف الفنان الدكتور عبد المنان شما

عنوان الجمعية:

حصص - الجمعية التاريخية - شارع عبد الحميد الدروبي ٢٦٣٨٠

ملاحظات :

- البحوث والمقالات التي ينشرها الكتاب في هذه
المجلة تعبر عن آرائهم الشخصية .
- ترتيب مواد العدد يخضع لاعتبارات فنية فقط .
- المراسلات باسم المدير المسؤول - حميد - الجمعية التاريخية

مقالات العدد الثالث لمجلة البحث العلمي

- (١) - شامبليون وحل رموز الكتابة الهيروغليفية
٧
الاستاذ محمود عمر السباعي
- (٢) - معرواد اليقظة العربية (المناضل محب الدين الخطيب)
٢٥
الدكتورة سهيلة ياسين الريماني
- (٣) - تطور المؤسسات الحموية في حركة النهضة خلال الربع الاول
٤٠
من القرن العشرين الاستاذ عدنان قيطاز
- (٤) - صومعة حمص
٦٧
الاستاذ محمد ماجد الموصلي
- (٥) - اكتشاف مدينة آز والميتاني
٧٢
الاستاذ محمد الخولي
- (٦) - دراسة في كتاب الحداثق الغناء في اخبار النساء
٨٥
الاستاذة سكيمة الشهابي
- (٧) - معركة قسادهش
٩٩
الدكتور شاكر مطلق
- (٨) - القاضي أبو الوليد الباجي
١١٥
الاستاذ محمد كمال لطف
- (٩) - اليقظة العربية في سوريا في القرن التاسع عشر
١٢٨
الدكتورة تغريد الهاشمي
- (١٠) - متحف أفاميا
١٤٤
الاستاذ عبد الرزاق زقزوق

- قَـرِـم -

بكل سرور نقدم العدد الثالث من مجلة البحث التاريخي ضمن أطواره الجديد بعد مضي وقت غير قصير على إصدار العدد الثاني ويعلم الله بأن هذا التأخر لم تكن دوافعه الإهمال أو عدم الاكتراث لاسمح الله وإنما كان لعوامل تفوق طاقتنا بكثير ، ولأجل لعرضها أو حصرها في مثل هذا الحيز ، وحسبي في هذه العجالة الإشارة إليها إشارة عاجلة فماذا أقول ؟ هل أتحدث عن ظروف العمل الصعبة التي يعاني منها أعضاء هيئة التحرير فليس للمجلة متفرغ واحد يرعى شؤونها ، أم أتحدث عن الظروف المادية الصعبة التي مرت بها الجمعية أم عن صعوبة الحصول على البحث التاريخي ضمن الظروف المشار إليها ، أيهم القارئ الكريم أن يحيط بذلك كله ؟

لا أعتقد ذلك ممكناً أو مطلوباً الآن ، وإنما هي إشارة اعتذار لاختوتنا الكرام ولا أقول لهم كلمات قليلة أيضاً ، نأمل من الجميع دعم المجهد المتواضع الذي أريد منه خدمة كاملة لتراث هذه الأمة مشيراً بصورة خاصة إلى الزملاء الكتاب المتعاملين مع الكلمة والحرف آملين أن يزودوا المجلة بما آتاهم الله من فضله وسيكون ذلك موضع تقدير وشكر من مختلف الوجوه . وفي هذا العدد من مجلة البحث التاريخي سيجد القارئ الكريم الكثير من المقالات الجديدة والشيقة بقلم أساتذة مختصين لهم خبرة وتعمق في مجال اختصاصهم وهو آياتهم التاريخية فنرجو أن يجد الجميع الفائدة المرجوة . والله تسأل العون والرشاد وهو من وراء القصد .

المدير المسـؤول

محمد عبد الصمد الشاطر

شامبليون وحل رموز الكتابة الهيروغليفية الأستاذ محمود عمر السباعي

في منتصف العام (١٧٩٠) كان صاحب مكتبة يدعى (جاك شامبوليون) من مواليد (فيجاك) في مقاطعة غويبين () الفرنسية (١) يسعى لمعالجة امرأته المشلولة التي يئس من شفاهاكل الأطباء، فاستعان آخرالامربساحريدعى (جاكو) كمايفعل سكان (غويبين) الذين يؤمنون بالخوارق والمعجزات لتمسكهم الشديد بكاثوليكيتههم .

أنامالساحرالمريضة على سريرمن العشب المحترق ، وسقاهاخمرا ساخنة، وأعلن ، مباشرة ، نبوءة أدهشت العائلة :

وهي أن المرأة ستلد صبيا ينال قدرا كبيرا من الشهرة .

وبعد ثلاثة أيام نهضت المرأة المريضة من فراشها ، وفي الساعة الثانية من صباح الثالث والعشرين من كانون الاول عام (١٧٩٠) ولد (جـسـاك فرانسوا شامبوليون) الذي سيحل فيما بعد رموز اللغة الهيروغليفية ، وتحققت النبوءتان : ولادة الصبي وشهرته فيما بعد ،

ان الطبيب الذي فحص الطفل ، أكد بدهشة ، أصابته بمرض (القرنية الصفراء) (٢) وهي علامة مميزة لدى الشرقيين ، كما كان لون وجه الطفل غامقا بشكل غريب ، وكان يشبه الزيتون ، كما كانت تقاطيع وجهه شرقية بشكل واضح ، وبعد عشرين سنة من ذلك الوقت كان جميع الناس يدعون له (المصري) .

كان (جاك فرانسوا) ابن الثورة ، في ايلول عام (١٧٩٢) أعلن انت (فيجاك) الجمهورية وفي نيسان عام (١٧٩٣) بدأ الارهاب ، وكان منزل عائلة (شامبليون) على بعد ثلاثين خطوة من (ساحة الاسلحة) التي اطلق اسمه عليها بعد ذلك (ساحة شامبوليون) حيث زرعت شجرة الحرية .

-
- (١) - مقاطعة في الجنوب الغربي من فرانسة بين الكتلة المركزية والمحيط الاطلسي .
- (٢) - مرض ناتج عن سوء التغذية ونقص فيتامين (آ) .

الاصوات الاولى التي لامست أذنيه كانت أغنية (الكارماينسول) ١
وبكاء التعساء الذين جاؤا يرجون والده أن يحميهم من غضب الجماهير
وكان فيهم كاهن أصبح أول معلم لشومبوليون .

في السنة الخامسة من عمره ، بدأ شامبوليون يمارس حل الرموز
لأول مرة في حياته : أي تعلم أن يقرأ وحده تماما : بمقارنة
مقطع حفظه غيبامع نصفه ، وفي السابعة من عمره لفظ الكلمة السحرية
(مصر) (EGYPTE) في إحدى قصص الحان التي قرأها .

لقد كان شامبوليون تلميذا سيثافي مدينة (فيجاك) لذلك فإن
أخاه الأكبر الذي كان يهتم بالأشياء به إلى مدينة (غرينوبل) عام (١٨٠١)
ليشرف على تربيته ، وعندما بلغ (فرانسوا) الصغير الحادية عشرة من
عمره كان يعرف اللغة اليونانية معرفة جيدة وكذلك اللغة اللاتينية ، وبدأ
بدراسة (العبرية) فأحدث فيها تقدما ملحوظا ، وفي السنة نفسها لقي الصغير
فرانسوا العالم الكبير (فورييه) وهو فيزيائي ورياضي مشهور أسهم بالحملة
الفرنسية على مصر وكان أمين سر المجمع العلمي في القاهرة ثم أصبح وزيرا
للعديل بعد عودة الحملة إلى فرنسا ، وعضوا نشيطا في المجمع العلمي وعندما
عين محافظا لمنطقة (الابرز) استقر في مدينة (غرينوبل) وجمع حوله
فورا النخبة الفكرية في المدينة ، وفي إحدى زيارته للمدارس التقى
بفرانسوا وتناول الحديث معه وأصغى إليه بانتباه ثم دعاه إلى منزله
وأطلعته على مجموعته الثرية ، وتأمل الصبي العتيدي دهشة لأول مرة
أوراق البردي المصفرة والنقوش الهيروغليفية على قطع من الحجارة وسأل
الصبي بكل بساطة (فورييه) (هل يمكن قراءة هذا كله؟؟؟) فهز فورييه
رأسه بالنفي ، فأجاب الصبي (أما أنا فأسف ذلك بعد عدة سنوات
عندما أصبح كبيرا . . .) .

وفي السنة الثالثة عشر من عمره ، بدأ يتعلم العربية والسريانية
والكلدانية ثم القبطية (٢) .

-
- (١) - أغنية راقصة انتشرت أثناء الثورة الفرنسية .
(٢) - القبط كلمة أصبحت تطلق على سكان مصر القداماء بعد اعتناقهم
المسيحية وهي محرفة عن اليونانية .

وهكذا نرى أن كل أعمال شامبوليون ودراساته وأفكاره كانت تتعلق من قريب أو بعيد، بمصر القديمة ، وتعلم الهيروغليفية على أمل أن تقوده إلى رموز الكتابة الهيروغليفية ، كان يجمع ويعنف كل ما يجده ، وفي صيف عام (١٨٠٧) وكان في السابعة عشرة من عمره رسم أول مصورتاريخي لمصر ، أول مصورتاريخي لامبراطورية الفراعنة .

كان العمل جزئيا جدا لان تحقيقه في ذلك العصر، كان يعتمد على مقاطع من التوراة وعلى نهوض لاتينية وعربية وعبرية وما يماثلها من نهوض اللغة القبطية التي كانت لاتزال مستعملة في مصر العليا (المصرية) في القرن السابع عشر الميلادي ، وهي اللغة الوحيدة التي يمكن أن تساعد على فهم مصر القديمة .

وفي الوقت نفسه ، كان شامبوليون يجمع مواد كتاب ، وقرر أن يذهب إلى باريس ، ولكن أكاديمية (غرينوبل) طلبت منه أطروحة فقدمها إليها بعنوان (مصر تحت حكم الفراعنة) .

في الأول من أيلول عام (١٨٠٧) مثل أمام لجنة الأكاديمية فتي مراهقا نحيلًا وطويلا ، وذا جمال مرضي كما يظهر على بواكير البالغين ، وعرض أطروحة جريئة صاغها صياغة منطقية ومقنعة وبأسلوب رفيع ، كان العمل عظيمًا جدا وانتخب الفتى الشاب بالاجماع عضوا في الأكاديمية ، فنهض رئيسها (رينودون Renowdon) وعانقه قائلا ((اذا كانت الأكاديمية قد قبلتك في عدد أعضائها ، على مغرسك فلانها قدرت ما قمت به من أجل العلم ، وزيادة على ذلك ، فقد اعتمدت على ما يمكن أن تفعله في المستقبل وهي مقتنعة بأنك ستحقق آمالك وانيك ستذكر اليوم الذي جعلت كتبك اسمك على كل شفة ولسان ، وهذا ما حملها على تشجيعك)) .

لقد أصبح التلميذ (شامبوليون) بين عشية وضحاها عضوا في الأكاديمية وفتح أمامه فصل جديد من حياته .

كان عليه أن يذهب إلى باريس ، فرآها مدينة عظيمة ، هي قلب أوروبا حيث تلتقي التيارات الفكرية والسياسية ، وحيث تكون كل المغامرات ممكنة فيها ، واستغرقت رحلته إلى باريس سبعين ساعة ، مع أخيه ، قضاها في العربة المهتزة مستسلما إلى أحلامه : كانت أوراق البردي المصفرة تتراقص أمام عينيه ، وتهمس له باثني عشرة لغة مختلفة وتتزاخم حوله أحجار مغطاة

بالنقوش الهيروغليفية ، وكان قد تعرف على نسخة من حجر رشيد ، رآها لأول مرة عندما كان يودع (فورييه) وكانت نقوشه لا تبرح ذاكرته .
وبينما كان في هذه الاحلام والروى سمعه أخوه يقول بصوت عال (سأحل رموز الهيروغليفية وأنا متأكد من ذلك) .

وهناك في تلك المدينة المفعمة بالمغريات ، غرق (شامبليون) في دراساته وانصرف عن كل مباحج المدينة فكان يقضي أوقاته كلها في المكتبات ويهرول من مؤسسة علمية إلى أخرى ، وينفذ ما كان علماء (غرونوبل) يطلبونه منه في رسائلهم ، ودرس السنسكريتية والعربية والفارسية ووجد وقتا يكتب فيه إلى أخيه ليرسل إليه كتابا في قواعد اللغة الهيمنية ليتسلى به .

كما تعمق في دراسة اللغة العربية وأدرك سر عبقريتها ، وخلال عام واحد أصبحت اللغة القبطية مألوفة لديه ، وكتب يقول : أتحدث إلى نفسي باللغة القبطية ذلك لأنه كتب مذكراته الشخصية بالقبطية التي أتقنها قرأة وكتابة .

في هذه الاثناء ، كانت أمور شامبليون المالية تسير من سيئ إلى أسوأ ، وبدون الاعانة التي كان يرسلها أخوه إليه شهريا ، كان يمكن أن يموت جوعا . وتلك الاعانة كانت ثمانية عشر فرنكا في الشهر ، وكان يسكن قرب اللوفر في غرفة بائسة ولا يتمكن حتى من دفع إيجارها الشهري ، فأرسل إلى أخيه يستغيث به ، وبدأ فكره يتشوش ، ولقد ذعر عندما أجابه أخوه بأن عليه أن يرهن مكتبته ، أن لم يقتصد في نفقاته ، وكيف يقتصد وقد بلي حذاؤه ورثت ثيابه ، حتى أصبح يخجل من الظهور أمام الناس وفي خلال هذه الازمة أعلن الامبراطور (نابليون الأول عام ١٨٠٨) مرسوما بالتعبئة العامة لكل الرجال بدءا من سن السادسة عشرة وكما شومبليون يجن من ذلك ، إلا أن أخاه ، الذي كان سكرتيرا خاصا لنابليون ، وأصدقاءه من العلماء أسرعوا لنجده ، فاعفي من التجنيد لينصرف إلى أعماله العلمية ، كما قدموا له مساعدة مالية ، وبينما كان الشعب الفرنسي ينتشي بأخبار المعارك الظافرة لنابليون ، كما كان شامبليون يجد نشوته في دراسة اللغات الميتة .

إن الهم الذي كان لا يفارقه ، والذي أنساه ، أحيانا ، احتمال

سحبته الى الخدمة العسكرية ، كان حجر رشيد المشهور ، ولم يجرؤ على الاقتراب من حل رموزه قبل استعداده الكافي وتسلحه بعلوم عصره .
ومع ذلك فقد خانه ضميره ، عندما شاهد نسخة حديثة من حجر رشيد منفذة في لندن واكتفى بالمقارنة بين الحجروبين ورقة (بردي) ونجح من النظرة الاولى ، بأن يجد القيمة الحقيقية لمجموعة من الحروف .
وبينما كان يخطو الخطوة الاولى ، في هذه السبيل ، لامحاً النجاح والمجد وقع عليه نبال كالمصاعقة ، كان شامبوليون مستعداً لتحمل التعب والحرمان والجوع ليتابع طريقه بكل شجاعة ، ولكن هذا النبال أفقده هو أبداً ليس لفقدانه كل ما عمله سابقاً ولكن لتبخر أحلامه فيما كان ينتظره في المستقبل من مجد وشهره : هذا الخبر هو :

((لقد حلت رموز اللغة الهيروغليفية)) . .

كان شامبوليون يقوم بزيارة (الكوليج دو فرانس) عندما التقى بأحد أصدقائه الذي نقل اليه الخبر وهو مضطرب ، واذ أفقد ذهبت جهوده وكل ما لقيه من تعب وحرمان أدراج الرياح ، قال له صديقه : لقد صدمت من ذلك قليل مؤلف (الكسندر لونوار) وهو بعنوان (الشرح الجديد) وهو كتّيب الكتابة الهيروغليفية كلها .

فهدأ شامبوليون قائلاً : يمكن اذن أن أشتريه ، وانطلق مسرعاً ووضع بيد مرتجفة ثمن الكتاب على الطاولة المغبرة لمصاحب المكتبة ، ولم يكسب يبيع منه الا نسخاً قليلة ، وحمل الكتيب وعاد مسرعاً الى غرفته وألقى بنفسه على الارض العتيقة وبدأ يقرأه .

كانت صاحبة البيت الارملة (ميكران MECRAN) في المطبخ ، وفجأة اهتزت الاواني على رفوفها بسبب ضجة هائلة صادرة عن الغرفة التي يقطنها شامبوليون ، فاصغت مرتاعة ثم اندفعت نحو الغرفة وفتحت بابها واذا نظرها يقع على شامبوليون مستلقياً على الارض وعضلاته مسترخية ، ويخرج من فمه أهواً غريبة مفهومة وكان يضحك بشكل هستيري .

كان في يده كتاب (لانوار) وعندما أحس بوجود المرأة قال لها تعالي وانظري انه يدعي حل رموز اللغة الهيروغليفية ، ولكن محاولته ليست الاحماقات واختراعات وخليطاً من التخيلات والمحاولات العلمية المساء استخداماً ، فزال روع المرأة وعادت الى مطبخها ، تدعي اللسان

أن يثبت عليه عقله ————— . . .

كانت العدمة رهيبة ، ولم تبرح ذاكرته قط ، وكان يضطرب على أريكته بصورة محمومة وهو يجهل أنه لا يزال أمامه اثنتا عشرة سنة أخرى ليصل إلى هدفه : حل رموز اللغة الهيروغليفية .

في العاشر من تموز (١٨٠٩) عين شامبليون استاذ التاريخ في جامعة (غرينوبل) وكان في التاسعة عشرة من عمره ، وهذا ما أشارت إليه السابقيين وجعله عرضة لحسد هم ومضايقاتهم ، ولكنه تابع عمله بإرادة قوية لتحقيق المهمة التي نذر لها حياته ، فكان في كل يوم يتعمق في دراسة أسرار مصر التي استحوذت على تفكيره كله ، فكتب مقالات متعددة وأرسل معلومات إلى العلماء الأجانب وأجهد نفسه في تعليم طلابه وبخاصة الضعفاء منهم واستمر في العمل لاتمام قاموسه القبطي مما أوهن صحته وأنهك أعصابه فكتب في كانون الأول (١٨١٦) وفي كل يوم يزداد قاموسي سمنا ومؤلفه يزداد نحافة وهزالا . . . وكان يشكو من وهوله إلى الصفحة (١٠٦٩) دون أن ينتهي مؤلفه بعد .

بعد زوال حكم نابليون نهائيا ونفيه إلى جزيرة (القديسة هيلانة) حيث كانت مثواه الأخير ، انتقم منه الملكيون لتأييده لنابليون فسرحوه من الوظيفة مدة سنة ونصف .

ومع ذلك تابع عمله بكل همة ونشاط ثم نراه في عام (١٨٢١) يغادر المدينة التي كان طالبا فيها ثم أكاديميا ويهجرها إلى باريس وبعد سنة من العمل الدؤوب نشر كتابا صغيرا بعنوان (رسالة إلى السيد داسيه (١) (Dacier) تتعلق بالابجدية الهيروغليفية المصرية) وهذه الرسالة تحتوي على المبادئ الأساسية لحل رموز الهيروغليفية وجعلت هذه الرسالة اسمه مشهورا لدى هؤلاء الذين كانوا حتى ذلك الوقت ، عاجزين عن الإجابة عن أسئلة غير قابلة للحل ، في نظرهم ، فوجدوا في رسالته الأجوبة الصحيحة وعادوا إلى الاهتمام بأسرار الأهرامات والغازات المعابد . وقبل أن نتعرض للطريقة التي اتبعها شامبليون في حل رموز الهيروغليفية لابد لنا من الكلام عن حجر رشيد الذي كثرت الإشارة إليه في هذه المحاضرة .

(١) — عالم ومترجم فرنسي عاش (١٧٤٢ — ١٨٣٣) .

آ- اكتشاف الحجر : من اكتشاف حجر رشيد ؟؟

يقال أن (دو هوبتول DehautpauLe) هو الذي اكتشف حجر رشيد ولكن هذا لم يكن الأمر السلاح الهندسة ، رئيس من اكتشافه ، وبالاستناد الى مصادر أخرى ، أن الذي اكتشف الحجر هو (بوشارد Bocchard) ولكن هذا لم يكن الا الضابط الذي كان يشرف على اعمال ترميم وتحصين خرائط خلفه (قاينباي) والتي اثبتتها (نابوليون) على المصور الذي منع لممسر باسم قلعة (جوليان) وتقع على بعد (٧٥٠٠) متر الى الشمال الغربي من مدينة رشيد الواقعة على النيل ، كلف (بوشارد) بنقله الى القاهرة حيث وضع في المجمع العلمي الذي أسس حديثا فيها .

الحقيقة أن جنديا مغمورا هو الذي اكتشف الحجر عندما اصطدم فأسسه بعقبة ثم عرف قيمة ما اكتشفه وأخبر رؤسائه .

وبعد وصول الحجر الى القاهرة أصبح محطا لاهتمام من مجموعة العلماء الذين جلبهم نابليون مع حملته الى مصر ، وقد أحاطه نابليون بنفسه باهتمام بالغ وفضول عظيم لمحتويات النصوص المنحوتة عليه وأمر أيضا بأن يؤخذ عدد من النسخ الحجر لتوزيعها على الدراسين في أوروبا واستدعي مواطنان مشهوران بمهارتهما في النقش على الحجر وهما (مارييل) و (غالان) من باريس الى القاهرة لصنع النسخ المطلوبة والخطبة التي اتبعوها كانت تتم بتغطية الحجر بحبر الطباعة ثم لهنق الورق فوقه وتمرار اسطوانات مطاطية عليه بضغط كاف ، ثم يرفع الورق وعليه النقوش المطبوعة وقد ارسلت نسخ عديدة ، صنعت بهذه الطريقة الى عدد من العلماء ذوي الشهرة الفائقة في عدد من الدول الاوربية ، وفي خريف (١٨٠٠) أخذ الجنرال (دوكا) (Duga) نسختين الى باريس حيث وضعهما تحت عناية المواطن (دوتيل) (Dutheil) عضوا المجمع العلمي الوطني في باريس .

٢- وصول الحجر الى انكلتسره :

بعد نجاح العمليات العسكرية الانكليزية في مصر ربيع (١٨٠٢) وقعت معاهدة استسلام القوات الفرنسية ، ونصت المادة السادسة عشرة منها على أن حجر رشيد وغيره من اللقى الاثرية المصرية المهمة ، تسلم الى الجنرال الانكليزي (هيتشسون HUTHISON) في نهاية آب من العام نفسه

وارسلت بعض تلك الاشار الهامة حالاً على ظهر السفن البريطانية ، ولكن حجر رشيد لم يغادر مصر حتى نهاية العام ، والسبب في ذلك أنه بعد أن أخذت النسخ الورقية عن الحجر ، نقل من القاهرة الى بيت الجنرال الفرنسي (مينو Menou) في الاسكندرية حيث حفظ مغطى بعدة طبقات من القماش .

في ايلول (١٨٠١) طلب الميجر جنرال (توتر Turner) الحجر بموجب المعاهدة المذكورة سابقاً ، ولكن نظراً لوجود الحجر في بيت الجنرال (مينو) كان ينظر اليه على أنه ملك خاص به ، لا يدخل في نهوض المعاهدة ، ولذلك أصبح التنازل عنه من قبل الافرنسيين مقترناً ببعض المهوبات . وفي الشهر التالي حصل الميجر جنرال (توتر) على ملكية الحجر وأخذه معه ، على سفينة بريطانية وصلت الى (بورتسماوث) في شباط عام (١٨٠٢) وفي (١١) من آذار وضع في مقر جمعية العاديات في لندن ، حيث بقي عدة شهور ، خضعت النقوش الموجودة عليه لفحوص دقيقة من قبل الباحثين والمختمين باليونانية .

وفي تموز ، صنع رئيس الجمعية أربعة نماذج من (الجبس) للحجر وزعمها على جامعات : اوكسفورد ، وكامبردج ، وادغبرة ، ودبلن ، كما صنع نسخاً جيدة من النص اليوناني المحفورة على الحجر ووزعها على كـل الجامعات الكبرى والمكتبات والجامع العلمية ، والاكاديميات والجمعيات العلمية في أوروبا .

وفي نهاية العام نقل الحجر من مقر جمعية العاديات الى (المتحف البريطاني) حيث عرض للناس كافة وحيث لا يزال موجوداً الى الان .

— وصف الحجر —

حجر رشيد ، في وضعه الحالي ، بلاطة لمضلع غير منتظم من البازلت الاسود الصلب ، يبلغ طوله (٣٠ ر ١١٤) سنتم وعرضه (٢٩ ر ٧٢) سنتم وسمكه (٩٤ ر ٢٧) سنتم ، وقمته اليسرى ، وزاويته اليمنى عند القاعدة غير كاملتين ولا يمكن القول كم نقص الحجر عما كان عليه في الاصل ، ولكن استناداً الى النسب الموجودة بين أبعاد النصوص ، كما هي عليه الان ، يمكن أن نفترض أنه عندما كان كاملاً كان طوله يزيد على (٤٨ ر ٣٠) سنتم عما هو عليه الان ، والنهاية العليا للحجر يحتمل أنها كانت مستديرة ، وإذا حكمنا من شكل

البلاطات ذات النقش النافرة التي تعود الى عهد البطالمة ، فان أعلى القسم المستدير ، يحتوي على صورة قرص الشمس المجنح للاله (هوروس) في أدفو معلق عليه شعبانان ، أحدهما يحمل تاج الجنوب والاخر تاج الشمال وتحت قرص الشمس المجنح ، ربما كان هناك نقش آخر يمثل الملك واقفا مع الملكة وبحضور مجموعة من الالهة ، تشبه تلك التي توجد على إحدى النسخ المذكورة في أسفل حجر رشيد ، وهذه التزيينات المنقوشة يمكن أن تكون مرتفعة حوالي (١٨٠) سنتم وذلك عندما كان الحجر كاملا ومثبتا على قاعدة جميلة قرب تمثال الملك الذي نقش الحجر على شرفه .

كتبت النصوص الموجودة على حجر رشيد ، بلغتين ، اللغة المصرية واللغة اليونانية وتتضمن الكتابة المصرية نهيين : أولهما كتب بالهيروغليفية بهورتها القديمة التي كانت تستعمل ، تقريبا ، منذ عهد السلالات الأولى في كل الوثائق والحالات الاحتفالية التي كان مسموحا للشعب أن يطلع عليها .

والنص الثاني بالكتابة الديموطيقية : أي الكتابة المألوفة والمختصرة والمعدلة عن الكتابة الهيروغليفية : أي الشكل المتداول من الكتابة الهيروغليفية التي كانت مستعملة في عهد البطالمة .

أما النص اليوناني ، أسفل الحجر ، فكان في اللغة اليونانية العادية . يحتوي النص الهيروغليفى على أربعة عشر سطرا فقط ، وهذه الاسطر تترجم السطور الثمانية والعشرين الأخيرة من النص اليوناني ، أما النص الديموطيقى فيتألف من اثنين وثلاثين سطرا ، الأربعة عشر الأولى منها ناقصة فسيبدأياتها ويتضمن النص اليوناني أربعة وخمسين سطرا ، الستة والعشرون الأخيرة منها ناقصة في نهاياتها ، وجزء كبير من السطور الناقصة في النص الهيروغليفى أمكن الحصول عليها من سلسلة اكتشفت في (دمنهور) في الدلتا عام (١٨٩٨) هيرموبوليس بارفا) والموجودة الآن في المتحف المصري في القاهرة تحت رقم (٥٥٧٦) ومن نسخة المرسوم الملكي المنحوت على جدران معبد في جزيرة (الفيلة) (١) .

(١) - موقعها في النيل وراء سد اسوان ، ولفظ الفيلة ترجمة صريحة لاسمها المصري (آبو) وسميت بذلك لكثرة ما كان يرد اليها من العاج من قلب افريقية ، واسمها العربي (أنس الوجود) وفيها آثار مصرية قديمة وكثيرة .

كان أول من قرأ النص اليوناني في مصر أحد ضباط نابوليون يتقن اليونانية ، وابتدأ فوراً بترجمته ، وكان يتضمن اظهار السـولاء والخضوع من قبل كهنة (ممفيس) الى الملك (بطليموس الخامس) ابيفانوس (٢٠٣-١٨٠) ق.م وشكره على ما قدمه اليهم والى الشعب من منح وعطاءات واعفاءات من الضرائب ، وتخصيص الاوقات للمعابد .

بعد وصول النسخ الفرنسية المأخوذة على الورق ، كما ذكرنا ، وتوزيع نسخ ورقية منه على الجامعات الانكليزية والهيئات العلمية في أوربـة انصرف العلماء الى دراسة نقوشه محاولين فك رموز النص الهيروغليفي أما النص الاخر فكان في اللغة القبطية ويمكن فهمه .

لقد بذلت محاولات كثيرة منذ القديم ، لحل رموز الكتابة الهيروغليفية فهيرودوت واسترايون وديودوروس ، جابوا انحاء مصر ، وتكلموا عن الكتابة الهيروغليفية ككتابة تهويرية لا يمكن فهمها وقال مثل ذلك (هورايولون) في القرن الرابع ق.م منذ وصول نسخ (حجر رشيد) الورقية الى أوربـة ، انصرف كبار علماء ومفكري العصر الى هذه المهمة في فرنسا وفي المانية وايطالية والسويد ، وانكلترا (استنادا الى النص الاصلي) ولكن محاولاتهم ذهبت كلها ادراج الرياح وكان الخطأ الاساسي الذي حال دون الوصول الى الهدف هو اعتقاد الباحثين أن الكتابة الهيروغليفية هي كتابة تهويرية كما أكد ذلك (هورايولون) المذكور .

وكان لابد لكشف السر من ثورة كوبرنيكية حقيقية : فكرة تنير فجأة الظلمات بقطعها الملة مع الماضي ، والابتعاد نهائيا عن (هورايولون) وأضرابه .



كتابة رمزية مصرية ، تشبه اللغز ، تعود الى نهاية الالف الرابع ق.م نشأت عنها الكتابة الهيروغليفية ، كما يقال ، حلت رموزها منذ خمس وثلاثين عاما فقط فقصر (هوروس) يرمز الى الملك الذي استولى على بلد سوري وقهره (الشكل البيضوي مع رأس سوري) لحية على شكل قرن ، يجلس الملك على سست

زهرات من البلونس وهي تعني ستة الاف أسير وتحت الصورة توجد سنارة هيسد السمك ، وهي تدل على اسم البلد ، وتحتها مستطيل فيه خطوط متموجة يدل على أن البلد يقع على ساحل البحر ، والاشارتان معاً تعنيان اسم سورية .

لقد سلك شامبوليون هذا الطريق ولا يستطيع العلماء حتى الآن أن يحزموا من أين أنت لشامبوليون فكرة أن العوز الهير و غليفي ، على حجر رشيد ، هي أحرف لكل منها صوته الخاص ، أي (فونيمات) كما يقول علماء اللغات واستخرج من ذلك فرضية الأولى : (إذا لم تكن هذه الاشارات كتابة ابجدية فهي ، مع ذلك ، تمثل أصواتاً) ومن هنا ابتعد شامبوليون عن أفكار (هورايولون) وزالت القضية الأساسية ، ولم يهمل الى هذه النتيجة إلا بعد جهود مضنية ومعوبات جمة تغلب عليها بالصبر وقوة الإرادة .

لقد أدرك شامبوليون أن هناك نظاماً لهذه الرموز الهير و غليفيية وأمكنه أن يتابع الفرضية الثانية التي كان يعتقد بها منذ زمن طويل وهي : ((لكي تعرف يجب أن تبدأ باسماء الملوك)) .

ولماذا أسماء الملوك ؟؟؟ لان أسماء الملوك أسماء اعلام وهذه تلفظ تقريبا اللفظ نفسه في كافة اللغات ، ولكن كتابتها تختلف بين لغة وأخرى هذه الفكرة تبدولنا اليوم سهلة وطبيعية ، ولكنها في ذلك الوقت كانت دفقة ذكاء أو ومضة الهام لعقل شامبوليون وذكائه ...

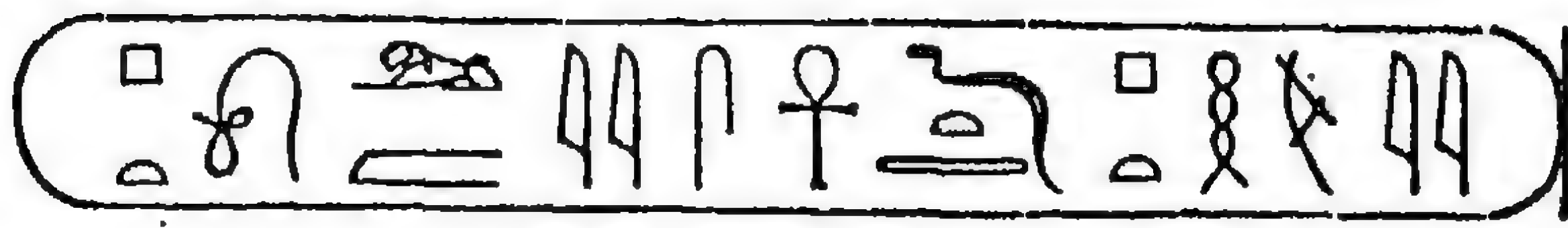
ان النقش الموجود على حجر رشيد يتضمن شكر كهنة (ممفيس) للملك (بطليموس أبيفانوس) كما ذكرنا سابقا والنص اليوناني على الحجر والمعروف لغة ومعنى يقدم الدقة كلها في الموضوع .

في النص الهير و غليفي وفي المكان الذي يذكر فيه اسم الملك توجد مجموعة من الاشارات محاطة بخط بيضوي ، اطلق عليه فيما بعد باللفسات الاجنبية اللفظ *Caractères* أوليس من الطبيعي الافتراض بان الاشارات داخل الشكل البيضوي ولنسمه منذ الآن (خرطوشة) يمكن أن يكون اسم الملك ، في حجر رشيد وحسب النص اليوناني المفهوم لم يرد الا اسم ملك واحد هو (بطليموس) وعند ما هف شامبوليون أحرف الاسم (بطليموس) تحت ما يقابله في النص الهير و غليفي ، عثر على ثماني اشارات هير و غليفيية لكل منها صوته الخاص ، أي ثمانية حروف .

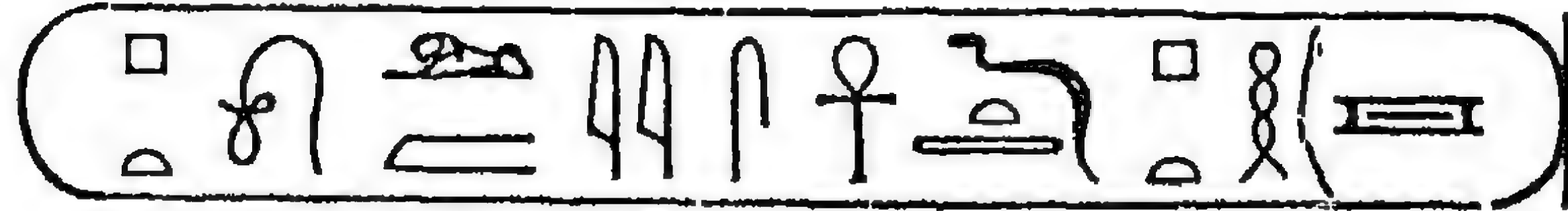
في العام (١٨٢١) نقل عالم الاثار الانكليزي (بانكس Banks) الى انكلترة المسلة التي عثر عليها (١٨١٥) في جزيرة الفيلسة ، وكانت هذه المسلة ، حجر رشيد الثاني ، تحمل نصين : الاول في الهيروغليفية والثاني في اليونانية والخرطوشة كانت تحيط باسم (بطليموس) كما كانت خرطوشة ثانية تحيط بمجموعة من الاشارات الاخرى ، واستناد الى النص اليوناني المنقوش في اسفل المسلة ، افترض شامبوليون أن هذا الاسم يجب أن يكون (كليوباترا) .

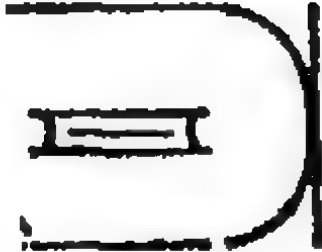

وعندما قورنت هاتان الخرطوشتان مع الخرطوشة الموجودة في حجر رشيد وجد شامبوليون أن احدهما كانت تحتوي الاشارات الهيروغليفية نفسها التي تحتويها الخرطوشة الموجودة في حجر رشيد ، وهذا ما أكد لشامبوليون أن خرطوشة حجر رشيد تحتوي ، فعلا ، اسم بطليموس مكتوبا بالهيروغليفية وكانت كل من الخرطوشتين تحتوي الاشارات التالية :

بتولميس : كلاً
مدر في صفة الهيروغليفية
PTOLMIS



بتولميس : كلاً
مدر في صفة الهيروغليفية



في الخرطوشة الثانية الموجودة في المسلة تحل الإشارة  محل الاشارات الثلاث :  الواقعة في نهاية خرطوشة حجر رشيد .


ويمكن القول الآن ان اسم (كليوباترا) المكتوب في اللغة اليونانية على المسلة وان الخرطوشة الموجودة في النصف الهيروغليفي تحتوي على الاشارات الهيروغليفية الدالة على اسم كليوباترا وقد وجدت على الشكل التالي :



فاذا اخترنا الخرطوشتين ، المفترض أنهما تحويان اسمي (بطليموس) و (كليوباترا) من مسلة جزيرة الفيلة ورقمنا الاشارات نرى مايلي :



Ptolemy, A.

Cleopatra, B. 

ان الاشارة رقم (1) في الخرطوشة (A) والاشارة رقم (5) في (B) لهما شكل واحد ، ونستنتج من وضع كل منهما في الخرطوشتين أن كلامنها يدل على الحرف (P) ثم رقم (4) في (A) ورقم (2) في (B) يستنتج من موقع كل منهما في الخرطوشتين أنهما يمثلان الحرف (L) واذا كان الحرف (L) هو ثاني حرف من اسم (كليوباترا) فالاشارة رقم (٤) اذا تمثل الحرف (L) وأصبحنا الان نعرف في الخرطوشة (B) التي تحتوي اسم (كليوباترا) دلالات الاشارات ذوات الارقام (1 , 2 , 5) ويمكن أن نكتب على النحو التالي :



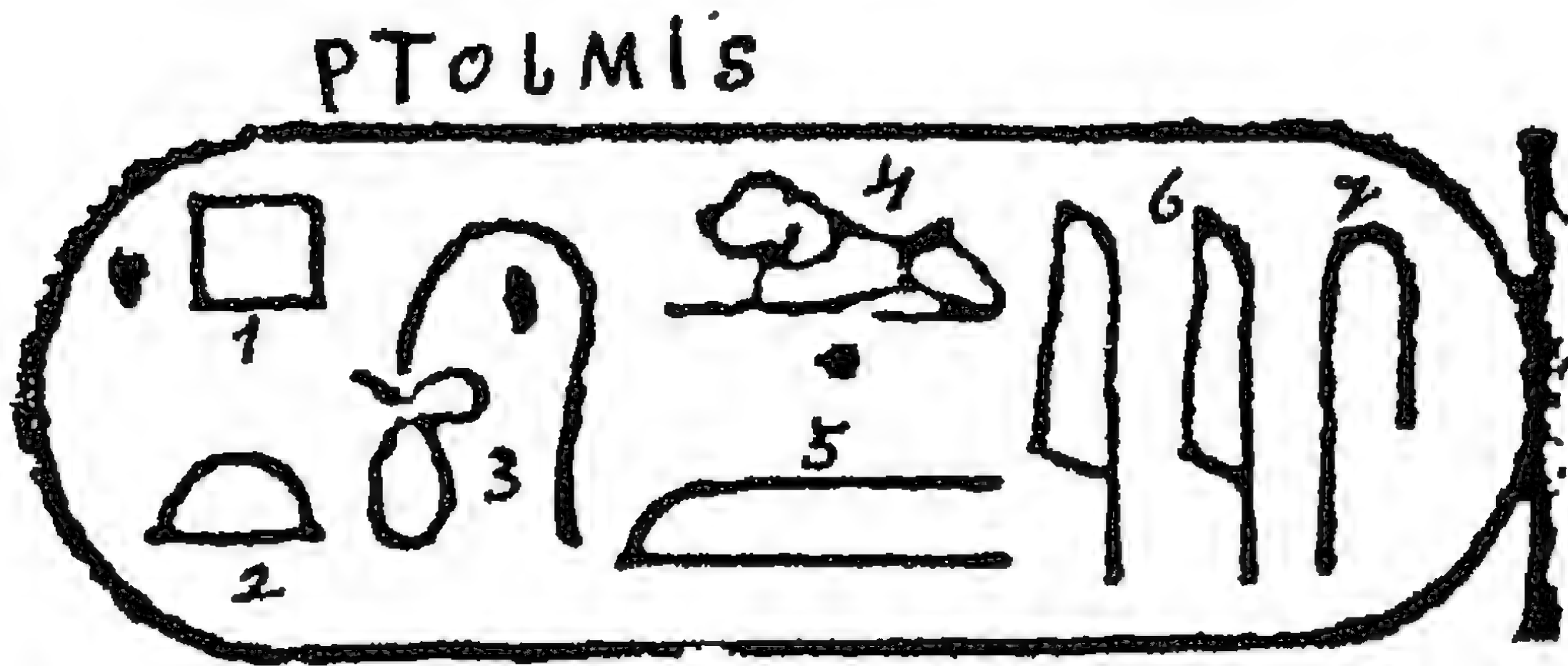
في الشكل اليوناني الاسم (كليوباترا) يوجد حرفان هويتان بين الحرف (L) وبين الحرف (P) ويوجد في الشكل الهيروغليفي الاشارتان رقم (3 , 4) فيمكن أن نفترض الاشارة رقم (3) تدل على الصوت (أ) والاشارة رقم (4) تدل على الحرف (O) وفي بعض خرطوشات اسم كليوباترا فان لاشارة ذات الرقم (٧) استبدل بها لاشارة () وهي مشابهة للرقم (2) في (A) وللرقم (١٠) في (B) وبما أن الحرف (T) يلي الحرف (P) في اسم بطليموس (PTOLEMY) وبما أنه يوجد الحرف (T) في الشكل اليوناني لاسم (كليوباترا) فيمكن أن نفترض أن الاشارة رقم (2) من (A) والاشارة رقم (7) من (B) لهما الصوت نفسه أي (T) وفي الشكل اليوناني لاسم (كليوباترا) يوجد حرفا (A) وهما يتطابقان على الاشارتين ذواتي الرقمين (6) ، (9) ولهما الشكل نفسه (شكل الغراب) فيمكن أن نفترض ان كلامنهما تعادل الصوت (A) واذا استبدلنا ذلك كله بما يقابله في الهيروغليفيه في (B) فيمكن أن نكتب الشكل (B) على النحو التالي :



وقد لاحظ (توماس يونغ) أن الاشارتين ذواتي الرقمين (10) و (11) تلحقان دائماً أسماء (الالهات) او الملكات او الاميرات ، أما شامبوليون فقال بأنهما علامتا التأنيث ، تلحقان أسماء الاناث كلها ، ان الإشارة الوحيدة التي لم يبدلها صوتها هي الرقم (8) (/○/) هي بالتأكيد تدل على الحرف (R) وعندئذ نتأكد أن الاسم الوارد في الخرطوشة هو (كليوباترا) واذا وضعنا الحرف "تي" تعلمناها من اسم (كليوباترا) في مواضعها من الخرطوشة التي تحمل اسم (بطليموس) فيمكن كتابة الاسم على النحو التالي :




ونرى بوضوح أن الخرطوشة يجب أن تحتوي اسم بطليموس ، ولكن من الواضح أيضاً أنها تحتوي على اشارات هيروغليفية لا علاقة لها باسمه وبعض الخراطيش التي وجد فيها اسم بطليموس على حجر رشيد وجد بشكل بسيط. حتى نهاية الإشارة رقم (7) كما في الشكل التالي :



اسم بطليموس
كما ورد في حجر رشيد
ببساطة
اضافات

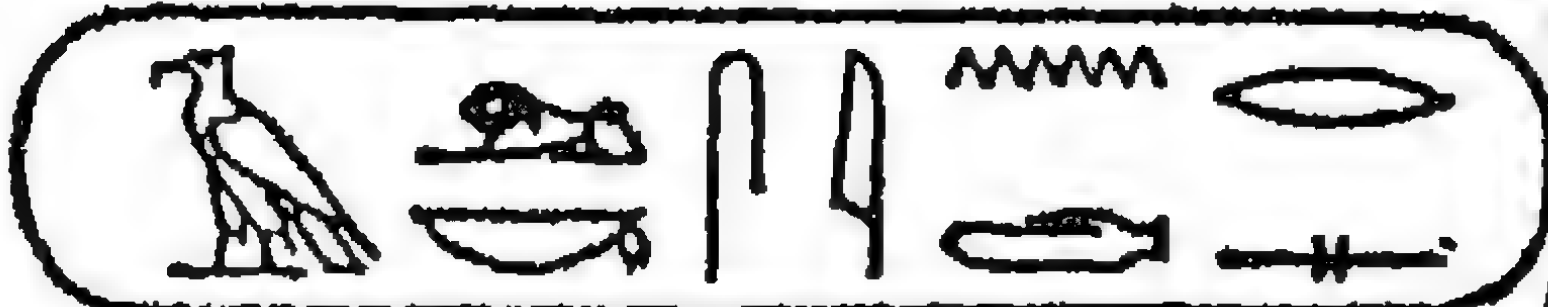
ومن الواضح جدا من هذه الاضافات من رقم (8) - (17) هي القابضة الملكية الواردة في النص اليوناني في حجر رشيد ، وهي تعني (الخالد المحبوب من بتاح) ، ان الشكل اليوناني لاسم بطليموس هو (ليتوليمايوس PtoLimaia) بنهاية الحرف (S) وهذا يعني أن الاشارة الاخيرة من اسمه ، وهي في الشكل رقم (7) تعادل الحرف (S) في نهاية الاسماء اليونانية ، والاشارات الهيروغليفية التي بقيت غامضة وهي تحمل الرقيم (5) و (6) وموقعهما من اسم بطليموس يوحي بأنهما تدلان الصوتين (M) وبعض الاصوات أرجحها الصوت (A) بالفرنسية أي (ي) وهذه الاصوات التي وصل اليها شامبوليون ، عن طريق التخمين والاستنتاج طبقها على خرطوشات أخرى : مثلا في الخرطوشة رقم (1) نستطيع أن نقرأها كلها وهي تحوي الحروف الهيروغليفية :

1.  PILATRA

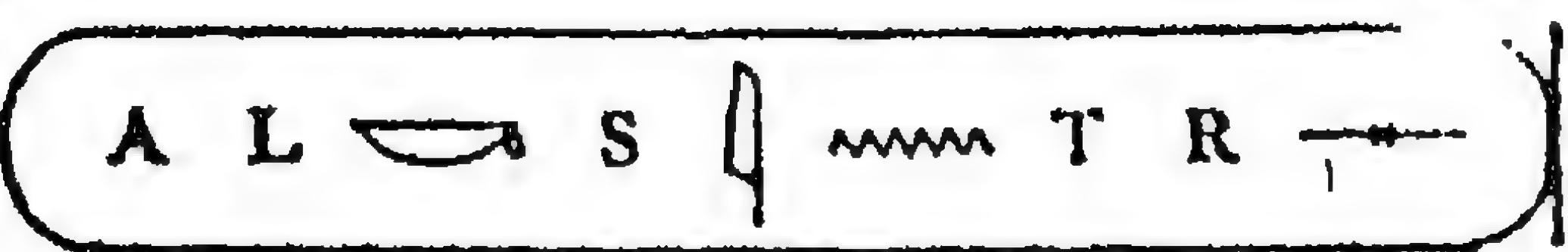
وهو واضح أنه يدل على الاسم اليوناني : كيلوباترا .

PHILOTERA

وفي الخرطوشة رقم (2) نعرف فقط بعض الاحرف الهيروغليفية لذلك يمكن كتابتها على الشكل التالي :

2. 

رقم (2) مكرر ، وكان معروفا أن هذه الاشارة / سسس / توجد في اسم :

2 

بيرينايس (Berenice) وانها تمثل الحرف N ، وأن

الاشارة ——— آخر حرف في النص اليوناني من اللقب KAISARS

واذن فالاشارة المذكورة تمثل الصوت (S) وبعض الخرطوشات المتضمنة

كلمة (كليوباترا) تبدأ بالاشارة — مما يدل على أنها تمثل الحرف

ك = K) وعلى ذلك فيمكن أن نعيد كتابة الخرطوشة رقم (2) مكرر



على النحو التالي :



وهذا يدل بوضوح تام أن الخرطوشة تحوي اسـم :

(A L K S) (N T R S) ALEXANDROS

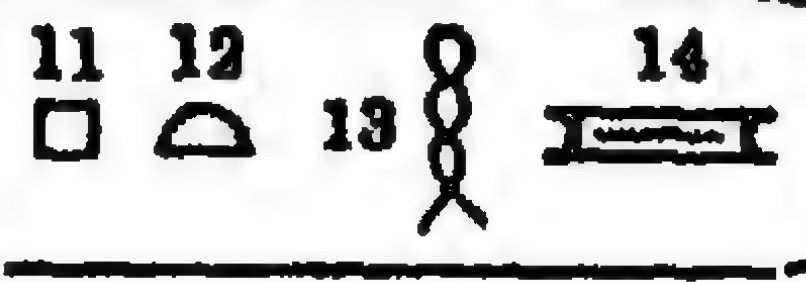
فموقع الإشارة الهيروغليفية في وسط الكلمة يدل على الصوت (A) أو (E) بالانكليزية = بالفرنسية وأن لفظ الكلمة بالهيروغليفية هو (الكسنترس) .

ولنعُد إلى الإشارة والتي تنتهي بها كلمة (بطليموس) كما وردت على مسلة جزيرة الفيلة وهي تدل ، كما رأينا على اللقبين الملكييين الخالد و محبوب بتاح وعلينا أن نبرهن على ذلك :

من المعروف ، من ترجمة النص القبطي أن الكلمة المصرية القديمة لمعنى (يعيش) أو (عاش) هي (ANKLL = عنخ أو : ONKH = عنخ) وهذه الكلمة مثلت بالرمز الذي ورد عدة مرات في النص ويمكن أن نستخلص بأن الإشارة :  تعني أبدا أو دائما واللفظ القبطية تدل على 

الإشارة الأولى على شكل شعبان ، هي أول حرف من الكلمة المصرية القديمة التي تعني (أبدا ، عمر ، خلود) وهي الكلمة / دجت = DJT وقد علمنا أن الإشارة الثانية : تعادل الصوت (T = ت) أما الإشارة الثالثة  فهي حرف يكتب ولا يلفظ ، كما هو شأن بعض الأحرف في اللغات الحديثة الأوروبية والعربية وعلى ذلك فإن اللقب  يعني : يعيش دائما أي


(الخالد) أو (المخلد) وبقيت الإشارات :

نحن نعرف مما مر بنا سابقا أن  (11) و (12) تدلان على الحرفين

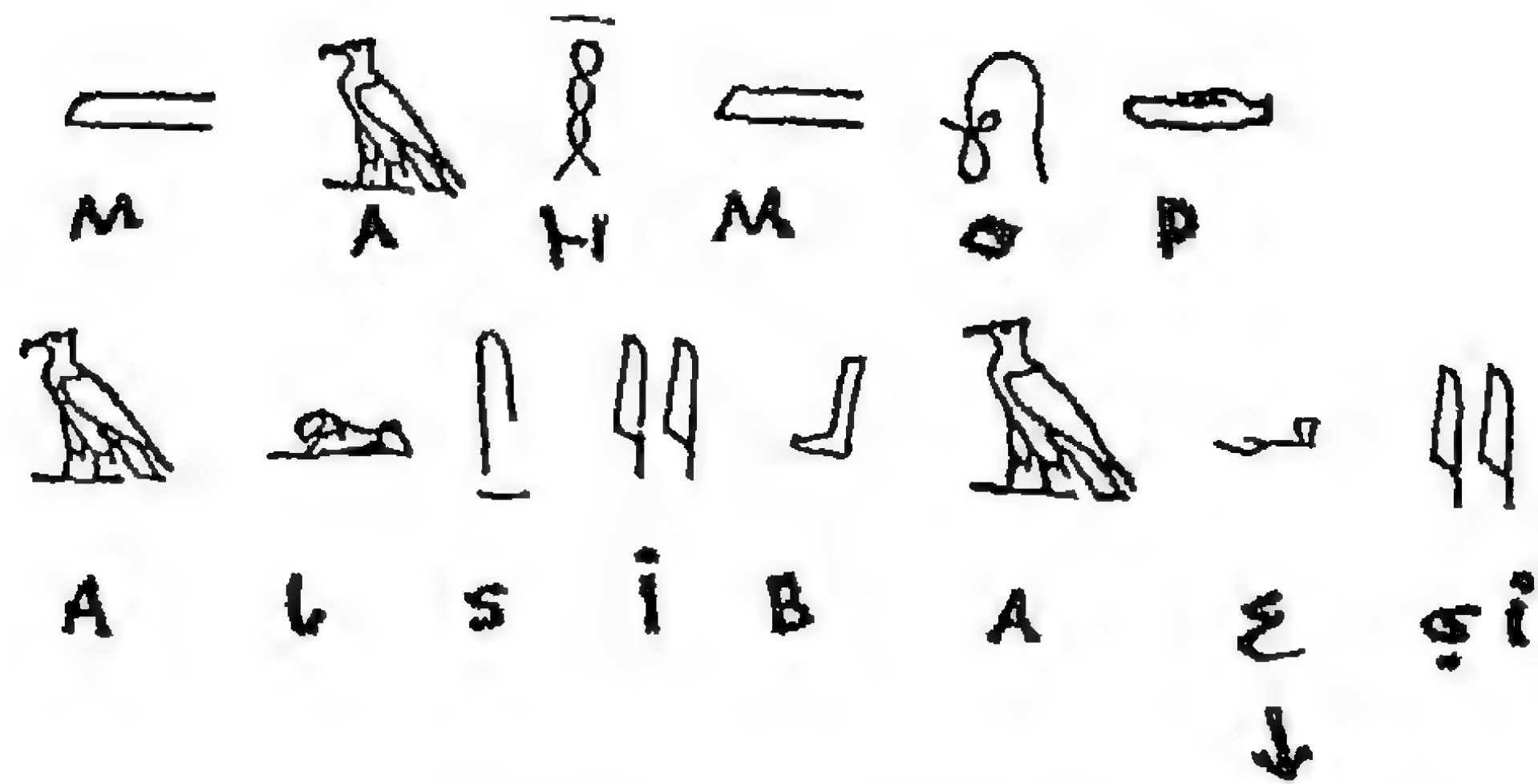
أي الحرفين الأولين من اسم الإله (بتاح) والإشارة التي تحمل الرقم (13) يجب أن تدل على الحرف (2) بالعربية و (H) بتلاوروبية وإذا كانت لإشارات الثلاث المتتالية تدل على اسم الإله (بتتاح) فالإشارة الأخيرة ذات الرقم (14) الملحقة بالاسم (بتتاح) يجب أن تعني

(محباً ومحبوب) وهنا أيضاً ساعدت اللغة القبطية شامبوليون على معرفة الإشارة المذكورة : فالكلمة القبطية التي تعني كلمة أحب هي كلمة (ميسر) (MFRF) بلفظ الاحرف الانكليزية وأن الإشارة رقم (14) تعني مير .

والآن فان الخرطوشة التي تحتوي اسم (بتويليس = بطليموس على حجر رشيد ، يرد فيها هذه الاشارات بعد اسم الاله (بتاح) (٩٩) (٥٩٩)

ومن الواضح أن هذه الاشارات بديل للإشارة  = مير/ ونستنتج بكل وضوح ، أن الاشارتين (٩٩) تدلان على الحرف (آ) = ي وأن الإشارة التي تسبقها تعادل كلمة (مير) وقد تأكد شامبوليون من ذلك بمقارنة نصوص تحتوي الاشكال المختلفة لكلمة (مير) وهكذا ترى أن شامبوليون بذكائه المدهش وباستعماله الحاذق لمعرفته العميقة باللغة القبطية نجح بوضع نظام لحل رموز اللغة الهيروغليفية ، بلغ من الدقة والاحكام ، أنه لا يزال مستعملاً حتى اليوم دون أن يطرأ عليه أي تغيير كموضع الاسس المتينة لعلم مصر (EgyptoLagie) الذي كشف النقاب عن تاريخ الفي سنة وأكثر من تاريخ البشرية ، كان مسرحها مصر .

وكان من نتائج جهود شامبوليون أن وضع كتاباً بعنوان (علم النحوي المصري) الذي نشر بين (١٨٣٦ - ١٨٤١) كما اكمل قاموسه (الفرنسي الهيروغليفية) وقام برحلة الى مصر من تموز ١٨٢٨ - كانون الاول ١٨٢٩ زار فيها جميع آثار مصر القديمة عبر النيل وكان الوحيد الذي يقرأ ويفهم تلك الاشارات والرموز المنحوتة على جدران الكرنك وآثار وغيرهما وأكدت هذه الرحلة صحة الطريقة التي كشف فيها النقاب عن اللغة الهيروغليفية مما مكن الذين جاؤوا بعده من الانتقال من مرحلة قراءة الهيروغليفية الى مرحلة كتابتها ففي أحد ملاعب التنس في قصر (سيدنه) اسم الملكة (فيكتوريا) والامير (كوتسورن ألبرت) الآن الاجل لم يمهلها كثير بعد رحلته الى مصر اذ توفي بعد ثلاث سنوات من عودته من مصر وذلك في العام (١٨٣٢) بعد أن تحققت نبوءة الساحر فيه : فولد ذهبياً ومسابات مشهوراً جداً .



مخرج حروف الهجاء بالقرينة أو بالألفاظ
 ولكن مع وجود في الحروف والخطوط

محمود

السبكي

١٨١٤/٤/٤٤٤

مها دبر البيت :

1- e. w. ceram. Des dieux, des tombeaux,
 des savants. Traduit de l'Allemand par:
 Gilberte Lambrechts

2- The Rosetta Stone: published by the trustees
 of the British

Museum: London, 1793.

مع رواد الليقطة الحقوقية

الناضل محب الدين الخطيب

الدكتورة سهيلة ياسين الرحاوي

الريماوي - الجامعة الاردنية

لقد كانت صلتني بالسيد محب الدين الخطيب (١)، ومكتبته وأوراقه
نتيجة عاملين مهمين :

العامل الاول هو عامل البدء والاستكشاف لوثائق هذه المكتبة والذي
وجهني اليه محب الدين الخطيب نفسه بين (١٩٦٦ و ١٩٦٩) عندما سعيست
لمقابلته كرائد من الرواد الاوائل الذين وعوا اهمية (التنظيم) ودعوا
وساهموا في اقامته في الفترة التي يدور حولها موضوع الرسالة التي تقدمت
بها لنيل درجة الماجستير في التاريخ الحديث وعنوانها (الحياة الحزبية
في سورية بين (١٩٠٨ - ١٩٢٠) .

أما العامل الثاني والاهم فهو : عامل الاستمرار والدراسة لهذه
الوثائق والاوراق والذي وجهني اليها استاذنا الدكتور أحمد عزت عبد الكريم
المشرف على الرسالة وكان ذلك الوقت رئيس جامعة عين شمس اذ انه بعد
اطلاعه على محتويات ما حملته اليه من وثائق اعتبر أوراق محب الدين
الخطيب كنزا وثائقيا هاما ، نتيجة ادراكه ووعيه لمضامين هذه الوثائق
ومدى ارتباطها بموضوعات ذات صلة مباشرة بالمسائل الحية التي تواجهها
وتعانيها أمتنا اليوم وشجعتني على الاستمرار في كشف أسرار هذا الكنز
والفوص فيـــــــــــــــــه .

(١) - محب الدين الخطيب : ابن الشيخ ابو الفتح الخطيب من علماء دمشق
ولد (١٨٨٦) وتوفي (١٩٦٩) ، حصل على شهادته الابتدائية بدرجة
(علي أعلى) أي جيد جدا من مدرسة الترقى النموذجية بدمشق (١٨٩٦)
ثم درس في مكتب عنبروان وانتقل الى بيروت ليكمل في مدرستها
الثانوية وتخرج (١٩٠٥) بدرجة أعلى والتحق في استنابول بكليتين
معاهما (الحقوق والادب) .
انظر في ترجمة محب الدين الخطيب كتاب الاعلام للزركلي ٥ : ٢٨٢ ط رابعة
وفي حاشية عدة اهالات .

وكانت ثمرة هذا الغوص وهذه الاستمرارية أن حصلت على درجة الماجستير التي ذكرتها سابقاً ثم حصلت على درجة الدكتوراة وعنوانها (الحياة الحزبية في سوريا بين ١٩٢٠-١٩٤٦) أي فترة الانتداب الفرنسي . ومشاركة مني وتقدير لهذا الجهد الذي قام به ويقوم به استاذنا الجليل ، قدمت بحثاً عن (اوراق محب الدين الخطيب) طبعته مشكورة جامعة عين شمس (١٩٧٦) ضمن (بحوث في التاريخ الحديث) مهداة الى الاستاذ الدكتور احمد عزت عبد الكريم بمناسبة انقضاء عشرين عاماً على الدراسات العليا للتاريخ الحديث بجامعة عين شمس .

وقد أردنا من هذه المقدمة أن نشير الى الحقيقة التالية وملخصها : انه مهما طال بحثنا حول حياة محب الدين الخطيب ووثائقه وأوراقه ، فأننا نبقى مقصرين عن اي فائدها ما تستحق من شرح وتصنيف وتحليل وتقويم ولانبالغ عندما نقول : ان دراسة شاملة لحياة محب الدين الخطيب تكون دراسة دقيقة لسير النضال العربي ومسيرته طوال نصف قرن كما أن دراسة شاملة لأوراقه توفر سجلاً أميناً مفصلاً لغنيابو شائق متنوعة لذلك السيرة وهذه المسيرة في مرحلة الريادة للنضال العربي في القرن العشرين .

* معالم شخصية محب الدين الخطيب :

لقد اختار المناضل العربي السوري محب الدين الخطيب عنواناً لمذكراته يدل على معالم شخصيته الفذة ألا وهو (سيرة جيل) (١) وهو فعلاً بشخصيته المتعددة الجوانب (سيرة جيل) ، فهو شخصية قومية من الرعيل الاول للحركة القومية الاولى ومن روادها الذين نشعربهم الان ونحس بضرورة احياء نضالهم وتراثهم ومن هذا الرعيل : الشهيد عبد الغني العريسي وعارف الشهابي وعبد الحميد الزهراوي وعبد الكريم خليل ومحمد محمود المحمدي وغيرهم .

والرواد : عزت الجندي وعوني عبد الهادي والدكتور احمد قسدي وعزيز علي المصري وكامل القصاب ومحمد رشيد رضا ورفيق العظم وغيرهم . وهو شخصية متعددة الجوانب نادرة التكوين : فيه الجانب الفكري والجانب الصحافي والجانب الادبي والجانب السياسي بصفته النضالية

(١) - هي مذكرات مخطوطة لم تطبع بعد حتى ١٩٧٦ كما علمت من ابنه قمي محب الدين .

والتنظيمية والجانب الديني الذي اشتهر بـه .

وفوق ذلك كان يتميز كماتشيت مكتبته (٧) و(اوراقه) بصفة خاصة بقدرته العجيبة وكفاءته المنقطعة النظير ، بالمحافظة على (الاوراق) مهما كان نوعها (٣) ولا أدعى انني قمت بدراساتها أو قرأت كل محتوياتها ولكنني قمت بمجهود متواضع استغرق مني بضعة اسابيع تمكنت من الاطلاع عليها وعرفت محتوياتها في نطاق الاضواء التي ألقاها على بعضها (محب الدين الخطيب) رحمه الله جوابا على عدد من الاسئلة كنت قد وجهتها اليه من سنة (١٩٦٦-١٩٦٩) .

وسأقدم لقرءاءة مجلة البحث التاريخي دراسة عن محب الدين الخطيب أقدم فيها الجانب السياسي بصفتيه النضالية والتنظيمية من خلال الوثائق الحزبية والاوراق التي تدور حول المهمات التي كلف بها والاوراق التي تدور حول المؤتمرات مثل مؤتمر باريس وبعض الاوراق الصحفية تاركا لغيري من الباحثين الاختصاصيين دراسة الجوانب الاخرى كل حسب اختصاصه .

محب الدين الخطيب والتنظيمات الحزبية :

لقد أسس الخطيب وساهم في تأسيس عدد من الاحزاب بدأها (بحلقة دمشق الصغرى) سنة (١٩٠٣) (٤) وكان طالبا في المرحلة الثانوية ثم أسس جمعية (النهضة العربية) في استامبول في (١٩٠٧/٧/١٣) وفرع جمعية النهضة في دمشق في (١٩٠٧/٨/١٦) والفرع الرابع عشر لجمعية (الشورى العثمانية) في اليمن اوائل (١٩٠٨) واشترك في تأسيس حزب (اللامركزية الادارية العثمانية) وجمعية الدول العربية التي عرفت بجمعية (الوحدة العربية) فيما بعد بين (١٩١٢-١٩١٣) في القاهرة ثم أسس اللجنة الوطنية العليا وفسروع

(٤) - تضم مكتبة آل الخطيب في القاهرة ما يقارب (٢٥٠٠٠) كتابا وما يعادل (١٠٠٠) مجلد مثل كتاب الطبري يعد كتابا واحدا ولكنه (٣٠) الف مجلد .

(٣) - راجع بحوث في التاريخ الحديث من صفحة (١٠١ الى صفحة ١٢٧) .
(٤) - من اعضائها الشيخ جمال الدين القاسمي والشيخ عبد الرزاق البيطار وسليم البخاري وفارس الخوري ورفيق العظم ومحمد كرد علي وعبد الحميد الزهراوي وسليم الجزائري وشكري العسلي .

اللجان الوطنية في دمشق اوائل عام (١٩٢٠) ومما يلفت النظر حقاً وتجدر الإشارة اليه انه كان يحتفظ لنفسه بمركز (كاتم السر) في هذه الاحزاب . كما كان عضواً في الجمعية القحطانية وجمعية الشورى العثمانية وجمعية (العربية الفتاة) وحزب الاستقلال أحد فروع حزب الفتاة . وقد قام بعدد من المهام الحزبية كلف بها على فترات كان اهمها في اليمن ونجد وباريس والبصرة كما تشير الوثائق ، كما أصدر صحفاً منها : صحيفة (القبلة) في الحجاز وصحيفة (العاصمة الرسمية) في دمشق ومجلة (الزهراء) وصحيفة (الفتح) والمجلة (السلفية) في مصر ، وساهم في تحرير جريدة (المؤيد) من اول ايلول (١٩٠٩) وبقي الى ما بعد وفاة الشيخ علي يوسف وفي هذه الاثناء أسس المكتبة السلفية كما التحق بقلم تحرير الاهرام (١٩٢٠ الى ١٩٢٥) كما كتب في كثير من المجلات مثل (المقتطف والتمدن الاسلامي) .

* النزوع القومي عند محب الدين الخطيب :

تثبت الوثائق الحزبية ان محب الدين الخطيب أسس حلقة دمشق الصغرى أسوة بحلقة دمشق الكبرى التي أسسها الشيخ طاهر الجزائري (١) ، وكان يلزم الاجتماع في الحلقتين (ليكون الصلة بينهما) أما محب الدين الخطيب فيقول في مذكراته (سيرة الجيل) كنان تردد انا ورفاقي في مكتب عنبر بدمشق على حلقة الشيخ طاهر الجزائري لحضور الندوات والاجتماعات ثم اتفقنا على تأسيس حلقة سرية سياسية في دمشق (١٩٠٣) كان من اعضائها زملاء الدراسة صلاح الدين القاسمي وعارف الشهابي وصالح قنبا زاما خارج المدرسة فكان من اعضائها لطفي الحفار ورشدي الحكيم ولا بأس من الإشارة الى أن الوثائق والصور تشير الى وجود اسماء أخرى منها : عثمان مردم وزكي الخطيب وسيف الدين الخطيب .

ويبرر محب الدين الخطيب ترده ورفاقه على حلقة دمشق الكبرى بقوله لان المعلم الذي كان يعلمنا اللغة العربية وصرفها هو معلم تركي وشيخ مسن يعلمنا اللغة العربية من كتاب باللغة التركية اسمه (المشذب) وهذا المعلم لا يكاد يعرف النطق باللغة العربية ، ومن هذا المناخ حدد طلاب مكتب (عنبر)

(١) - من اعضائها الشيخ جمال الدين القاسمي ، الشيخ عبد الرزاق البيطار سليم البخاري وفارس الخوري ومحمد كرد علي وعبد الحميد الزهراوي وسليم الجزائري وشكري العسلي .

هدف الحلقة وهو : تعريف شباب العرب المثقف بعروبنتهم ودعوتهم الى التعاون في اصلاح المجتمع العربي من جبال طوروس الى باب المندب .
ولم يكن الكلام مجرد كلام انشائي او حبراً على ورق ذلك ان محب الدين الخطيب ورفاقه انطلقوا فاعلوا واتخذوا خطوات ايجابية لتدعيم فكرتهم فأسسوا غرضاً للمطالعة وساهموا في التعليم بالمدارس الاهلية بالمجان واقتصروا في دعوتهم السرية على برنامج سياسي محدود وهو مطالبة الدولة العثمانية باتخاذ نظام لامركزي (١) يضمن للعرب حقوقهم في الحكم ويجعل لغتهم في الولايات العربية لغة رسمية في مدارس الحكومة ودواوينهم ومحاكمها (٢) .

وقد توسع انتشار حلقة دمشق الصغرى عندما سافر عدد من اعضائها الى بيروت واتصلوا بزملائهم في الكلية الاميركية وكلية الشيخ عباس الازهري وانضم الى عضويتها هناك عارف النكدي وعبد الغني العريسي ومحمد المحمصاني والامير عادل ارسلان (٣) وغيرهم .
وعندما انتقل عدد من اعضاء الحلقة المؤسسين الى استامبول للدراسة وكان منهم محب الدين الخطيب وعارف الشهابي تحولت حلقة دمشق الصغرى الى جمعية سياسية هي جمعية (النهضة العربية) وكان ذلك سنة (١٣٢٤ هـ ١٩٠٦ م) وانضم اليهم عبدالكريم قاسم الخليل وشكري الجندي وغيرهما .
وتتبع قيمة البداية القومية لهؤلاء الرواد الذين وعوا قيمة التنظيم فاتخذوه تجسماً لشعورهم القومي بكونها ترد رداً مفحماً على كل شعوبي يدعي بان القومية لم تعرف الا عن طريق الدول الاوربية وسفاراتها او قنصلياتها في البلاد العربية او عن طريق الارشاليات عندما يحاولون تأسيسها على اساس طائفي لغاية في نفسهم .

(١) - اول حزب نادى باللامركزية الادارية هو حزب (التشبث الشخصي واللامركزية الادارية) الذي تشكل اثر انعقاد مؤتمر باريس الذي عقده (الاحرار العثمانيون) ١٩٠٢ م اريس المؤتمر رئيس الحزب فهو الامير صباح الدين ابن الداماد محمود باشا وكان مركز الحزب مدينة باريس وكان رفيق وشفيق العظم وغيرهما من الاعضاء العرب في الحزب .

(٢) - مصطفى الشهابي - القومية العربية (صفحة ٥٣) .

(٣) - مصطفى الشهابي ، القومية العربية (ص ٥٣) ومذكرات محب الدين الخطيب (سيرة جليل) .

ان النزوع القومي ينبع عندهؤلاء الرواد من حبهم لبلادهم فقد ادركوا ابوعسي وهم على خشبة الدراسة في المراحل الثانوية ان التناقضات القائمة في الامبراطورية العثمانية تقتضي وجوب حلول لها في داخل الامبراطورية العثمانية نفسها سواء كانت هذه التناقضات تتمثل بنظام الحكم نفسه في داخل الامبراطورية مثل قضية الاستبداد والشورى وغيرها او التناقضات التي كانت تتمثل بحقوق القوميات التي تتألف منها شعوب هذه الامبراطورية سواء كان مدى مشاركتها في الحكم مثلا او ممارستها لحقوقها القومية وقد نما الوعي القومي على تلك التناقضات وضرورة حلها عند المسلمين ————— والمسيحيين بعد انداءات المصلحين ودعواتهم الى اصلاح من جهة والتفاعل بين الامبراطورية وبين اوروبا من جهة أخرى .

وقد ظهر جليا هؤلاء الطلبة الرواد انه لا يمكن حل تلك التناقضات من خلال النشاطات الفردية كدعوات المصلحين او مخاطبة السلطان ومناشدته اصلاح والتوسل اليه ، فترتب على ذلك نشوء الحاجة الى العمل الجماعي المنظم ونشوء الجمعيات التي تحل محل الافراد وقد زاد في نمو وتطور هذا الوعي ضياع قسم كبير من البلاد العربية ، دون استطاعة الدولة العثمانية الدفاع عنه او الاحتفاظ به ، مما أدى بهؤلاء الرواد الى تأسيس احزاب جديدة بمفاهيم جديدة اكثر ثورية ، خصوصا بعد ضياع طرابلس الغرب اذ تخطى العمل الحزبي بشكل علمي مرحلة اللامركزية الى مرحلة الاستقلال كما سنرى في دراسات قادمة ————— .

ومما يؤيد وجهة نظرنا هذه ان هؤلاء الطلبة الرواد هم أنفسهم الذين أسسوا الاحزاب العربية ذات النزوع القومي والهدف الاستقلالي فيما بعد . وهم الذين أسسوا الجمعية القحطانية والعربية الفتاة والمنتــــدى الادبي وحزب اللامركزية وحزب العهد وغيره .

أما مضمون الفكر السياسي عند محب الدين الخطيب فانه ينطلق من تأكيد القيم الدينية ومن التركيز على القومية العربية في تفاعل الاســــاس الديني والاساس القومي عنده ليقدّم لنا سمات فكره السياسي .

والخطيب الى جانب منطلقه العقائدي الاول كمؤمن مسلم فهو تجسّاه مسألة المجتمع الانساني في هيئته وحدوده ومقوماته قدواجه المسأــــلة القومية وادركها وهو كذلك قد أدرك ارتباط القومية بالحقوق السياسية

القومية اي بالدولة القومية بصورة لاتقيم تناقضابين المنطلقين
الديني والانساني والقومي الاجتماعــــــــــــــــي .

لقد دعاهمحب الدين الخطيب الى عقد اجتماع في الحديقة البصرية فــــــــــــي
جزيرة بيوك (وهي مصيف شهير لاستامبول) صباح الثلاثاء (٥) جمادى
الآخرة (١٣٢٥ هـ الموافق ١٣ تموز ١٩٠٧) لاعلان تأسيس جمعية النهضة العربية
ماذا قال الخطيب في كلمتهـــــــــــــــــه ؟ ..

أعلن محب الدين الخطيب في كلمته (عن مولد) جمعية النهضة العربية كما
أعلن مبادئ الجمعية وتتلخص فــــــــــــــــي :

آ- ان العروبة أكرم عناصر الجامعة الاسلامــــــــــــــــية .
ب- ان العربية هي المسؤولة عن حمل رسالة الاسلام وتجديد شبابــــــــــــــــه
وذلك بازالة الاسباب التي فرضتها الدولة العثمانية .
ثم أخذ يحدد هذه الاسباب منها : استعجام اللغة العربية وتجاهل ما كان
يقع في الغرب من نهضة في الصناعة والعلم والتنظــــــــــــــــيم .

وهذه المبادئ تؤكد لنا بان الفكر السياسي في الوطن العربي وهو في
مرحلة اليقظة مع مطلع هذا القرن كان تجسيدا لتفاعل الحركتين التنازليتين
الكبيرتين حركة اليقظة الاصلية التي تتجه للتراث بحثا عن مضامين الحياة
السليمة وحركة اليقظة المتأثرة بالغرب والمواجهة له فنجدها في افكار
الشوار والمصلحين بشكل يتفاوت من مفكر الى آخر وفقا لنشأته وثقافته
ووفقا للمنطقة من الوطن العربي الذي تركز نشاطه فيها ، ولكننا في جميع
الاحوال نجد ذلك الاثروا ضحا لا نفتقده بالنسبة لاي مفكر أو أية دعوة .

كما أعلن الخطيب في هذا الاجتماع اهداف الجمعية كالتــــــــــــــــي :

آ- تعريف شباب العرب المثقفين بعروبيتهم .
ب- دعوتهم الى التعاون في اصلاح المجتمع العثماني الذي كــــــــــــــــان
يتوقف على صلاحه صلاح المجتمع العربي من جبال طوروس الــــــــــــــــى
باب المندب .

ومن باب الحذر استقر الرأي على أن تكون الجمعية سرية ومركزهــــــــــــــــا
استامبول وفي (٦ آب ١٩٠٧) الموافق (٧ رجب ١٣٢٥ هـ) تأسس فرع الجمعية
في دمشق باشراف صلاح الدين القاسمي ولطفي الحفار .

» فعاليات محب الدين الخطيب ونشاطاته : «

لقد شكل أعضاء جمعية النهضة العربية في استامبول حلقتين لتقوية الطلاب باللغة العربية وتقويم لسانهم ، وأشرف محب الدين الخطيب بنفسه على أحدها بينما أشرف الأمير عارف الشهابي على الحلقة الأخرى . واقتضت فعاليات محب الدين الخطيب ونشاطاته بأن يغادر استامبول عائداً الى دمشق خوفاً من ملاحقة السلطات العثمانية له ، فتابع التحاقه بحلقة دمشق الكبرى وتعهده برعاية جمعية النهضة العربية في الوطن الأم والأشرف على الحلقة الصغرى .

وقد خشي عليه أخوانه من ملاحقة السلطات العثمانية له ، وأشاروا عليه في قبول وظيفة (ترجمان) في القنصلية البريطانية في الحديدة ، رشحها اليها صديقه (سليم الجزائري) وهكذا غادر دمشق في (١٥ تشرين الأول ١٩٠٧) متوجهاً الى اليمن ووصل اليها في (٢٧ تشرين الثاني بعد أن عرج في طريقه على بيروت ثم على القاهرة حيث قابل فيها الشيخ طاهر الجزائري وأعضاء جمعية الشورى العثمانية رشيد رضا ورفيق العظم وغيرهما وكلّف من قبلهم بتشكيل فرع للجمعية في اليمن وعلم أن حاكم مركز الحديدة وهو البكباشي شوقي بك المؤيد العظم ابن عم رفيق وحقي العظم فاطمعه على قانون الجمعية وجريدتها التي تصدرها في القاهرة بالتركية والعربية - فارشده بدوره الى طائفة من الضباط الأحرار الذين أبعدهوا الى اليمن عقوبة على نزوعهم للحرية وكراهيتهم للحكم الفردي وميلهم الى الحياة النيابية وبفضل هؤلاء ومساعدتهم (صار لجمعية الشورى العثمانية فسي الحديدة الفرع الرابع عشر) واتسع نطاق نشاط محب الدين الخطيب في اليمن باتساع فروع الجمعية مع مواصلة نشاطه السابق بالمكاتب - الى أخوانه في دمشق واستامبول والقاهرة ومن أهم الأعمال التي قام فيها باليمن مع أعضاء جمعية الشورى وأعضاء جمعية النهضة العربية - فرع اليمن - نشر انباء ثورة تموز (١٩٠٨) بقيادة أنور ونيازي ومطالبته الثورة بالدستور .

ان فعاليات محب الدين الخطيب ونشاطاته تبين لنا بشكل واضح مدى إيمانه بوحدة هذا الوطن من جبال طوروس الى باب المندب كما أعلنها

ورفاقه هدف من أهداف جمعية النهضة العربية .

✳ الصراع بين الاتحاديين وأعضاء جمعية النهضة العربية :

إن أهداف الجمعية تدل بشكل واضح على وعي هؤلاء الرواد لقوميتهم العربية ووعيهم للمكانة التي يجب أن تتمتع بها هذه القومية في ربوع الامبراطورية العثمانية ، ولذلك كانت مشكلة القوميات وتشبثها بالمساواة في الحقوق السياسية والقومية من أهم المشاكل التي واجهت حزب الاتحاد والترقي غداة انقلاب (١٩٠٨) الدستوري وكان امام هذا الحزب - الديناميكي - مشكلة تتلخص في كيفية استقطاب هذه الاحزاب وفي مقدمتها جمعية النهضة العربية . ذلك أن العرب وازابهم شاركوا جمعية الاتحاد والترقي افراس الاحتفال بالانقلاب الدستوري كما شارك الطلاب العرب في استامبول أملاً منهم وتطلعاً الى عهد جديد من الحرية الفردية والعربية .

ولم يكتف فرع جمعية النهضة العربية في دمشق بالاحتفال فقط بسبل توافد أعضائه في اليوم الثاني لاعلان الدستور الى مقهى القوتلي في دمشق واعلنوا عن أنفسهم كجمعية قومية عربية وهكذا أصبحت جمعية النهضة علنية بعد أن كانت سرية .

وقام الخطباء من أعضاء الجمعية يلقون بكلماتهم الوطنية المعبرة عن اتجاهات جمعيتهم وأمالها وكيف كانوا يعدون العدة لمثل هذا اليوم بتهيئة رجال المستقبل على مبادئ دستورية ، ثم تشكل الجمعيات وتتألف القلوب على مبدأ واحد وفكر واحد حتى اذا حصل انفجار كهذا يكون منهم رجال عاملون في أن يتقدم (الحرار) وحزبهم على حزب التقهقر ويسعى الجميع لبذل النفس والنفس لتنفيذ أحكام القانون الاساسي (١) .

كان من الطبيعي - بعد أن كشفت جمعية النهضة العربية أوراقها - أن ترى نفسها وجهالوجه أمام حزب الاتحاد والترقي لدى تطبيقه مبادئ برنامج في التتريك والمركزية والتنكر لمطالب تلك الجمعيات القومية .

ونتيجة لذلك مرت جمعية النهضة العربية بتطورات كبيرة بعد فشل الانقلاب المضاد (١٩٠٩) اذ عاد الاتحاديون الى الحكم أكثر شراسة وتحديداً للقوميين عموماً أي جميع القوميات التي تتكون منها الامبراطورية العثمانية - بما فيهم العرب على النحو التالي :

(١) - صلاح الدين القاسمي - آثاره (ص ٣٧) .

طلب الاتحاديون تغيير اسم الجمعية بعد تصديق المادة الرابعة من قانون الجمعيات (٢) فعقد الأعضاء جلسة أقرروا فيها تغيير اسم الجمعية الى جمعية النهضة السورية (بدلا من العربية) وعندما قدمت الجمعية نظامها ودستورها لحكومة الاتحاديين من أجل الحصول على الترخيص القانوني لها تحت اسمها الجديد رفض طلبها وردت أوراقها *

لذلك اضطرت جمعية النهضة السورية الى تغيير اسمها مرة أخرى عندما قررت في جلستها العامة التي عقدت ليلة السبت (١٣ ربيع اول ١٣٢٧) قبول التعديل الذي أدخلته اللجنة الادارية على قانونها (رعاية لما يقتضيه الحال وناموس بقاء الانسب) وأجازت تغيير اسم جمعية النهضة السورية باسم (النهضة) فقط .

وقد أرفقت الجمعية هذا القرار بنظامها الاساسي والداخلي وطلبت الترخيص القانوني لها على أساس ذلك (٢) ولكن حكومة الاتحاد والترقي لم تمنح الترخيص للجمعية الا بعد أن أدخلت تعديلات أخرى على هذا النظام الاساسي نفسه بحيث تحولت جمعية النهضة العربية السياسية شم النهضة السورية الى جمعية علمية ثقافية مرخصة تعرف باسم جمعية النهضة على اساس الدستور الذي أقره الاتحاديون بعد ماطلة دامت سنتين واكثر من (١٩٠٨ - ١٩١٠ م) أخذ الاتحاديون خلالها في ملاحقة أعضاء الجمعية وتشديد الحصار عليهم فسي الاستانة مما أدى الى هجرة أكثرية الاعضاء وعودتهم الى وطنهم الاصلي .

* محب الدين الخطيب وحزب اللامركزية : (٣) :

اقتضت الاحداث أن يعود محب الدين الخطيب من اليمن الى دمشق وأمام ضغط الاتحاديين ومطاردتهم له توجه الى القاهرة ثانية ليمارس نشاطه الحزبي متخذا من الصحف مجالا لنشر أفكاره ومبادئه حتى تأسس ~~حزب~~ اللامركزية في القاهرة وأواخر (١٩١٢) وأول (١٩١٣) فكان محب الدين الخطيب

(١) - راجع نص المادة الرابعة من (ص ٨٧ - ٨٨) مجلة البحث التاريخي

العدد الثاني .

(٢) - وجدت القانون المقترح للجمعية وقانونها المعدل بين وثائق محب

الدين الخطيب

(٣) - سنتناول حزب اللامركزية في بحث خاص نقدمه للاخوة قراء مجلتنا الاعضاء .

(كاتم السرا الثاني) للحزب (١) .

وقد نشأ هذا الحزب حزبا علميا في مصر أثر ضياع طرابلس الغرب ، حيث آمن العرب الشاميون المقيمون في القاهرة أن الامبراطورية العثمانية غير قادرة على حماية حدودها أو على تطبيق نظامها المركزي الإداري . وكان طبيعيا أن يكون أحد مؤسسيه محب الدين الخطيب الذي آمن بوحدة هذا الوطن ورشيد رضا الذي يقول (كنا نعتقد أن الدولة لا يمكن أن تعيش طويلا إذا أصرت على شكل حكومتها المركزي وتحكيم الترك في جميع شعوب الدولة (٤) . هذا بالإضافة إلى رفيق العظم رئيس الحزب وحقي العظم كاتم السرا الثاني واسكندر عمون وغيرهم .

* الخطيب عضو (الارتباط) الحزبي :

ان حزب اللامركزية تأسس في مصر في نفس السنة التي بدىء بها تأسيس الجمعيات الإصلاحية في بيروت ودمشق وغيرها في فترة حكم حزب الحرية والائتلاف وكانت الغاية الأساسية للأعضاء المؤسسين الوصول إلى تحقيق اللامركزية الإدارية عن طريق هذه الجمعيات الإصلاحية ولكن عندما حدثت في عاصمة السلطنة ضربة الحكومة المؤيدة من حزب الحرية والائتلاف وعاد حزب الاتحاد والترقي إلى الحكم ثانية في (٢٣/١/١٩١٣) كان أول عمل قام به الاتحاديون تجاه الولايات العربية الغائبة هذه الجمعيات الإصلاحية وأغلقوا منندياتها قبل أن تنتهي هذه الجمعيات الإصلاحية من وضع برامجها (٥) . كانت باريس المركز الرئيسي لجمعية العربية الفتاة السرية أثناء سير هذه الحوادث وقد خشي أعضاء الجمعية من قتل روح الإصلاح عند العرب بعدهذا الجو الإرهابي الذي فرضه الاتحاديون ، فتقدموا للعمل حسب مبادئ حزبهم السري والاسس القومية التي يؤمنون بها (٦) .

(١) - مصطفى الشهابي - القومية العربية (ص ٨١) .

(٢) - رفيق العظم - آثاره من المقدمة بقلم رشيد رضا .

(٣) - ساطع الحصري - محاضرات في نشوء الفكرة القومية (ص ١٨٩) .

(٤) - ان حزب العربية الفتاة جدير بعدة دراسات لأهميته ومكانته القومية .

وقد جاءت المبادرة من قبل قيادة حزب الفتاة للاتصال بالاحزاب العربية الاصلاحية في هذا الوقت وهي : حزب اللامركزية العلني في مصر وكان أول تأسيسه ثم الجمعيات الاصلاحية في دمشق وبيروت والبصرة وغيرها .

اتصلت القيادة المركزية للحزب باعضائها في فرع بيروت وطلبوا منهم موازنة الحركة الاصلاحية التي ينادي بها أهالي بيروت .

أما بالنسبة لمصر فلم يكن للعربية الفتاة فرع ولا أعضاء فيها لذلك أخذ عبد الغني العريسي مكاتبة صديقه محب الدين الخطيب ، عضو حزب اللامركزية يدعو له للدخول معهم في حزب العربية الفتاة ولذلك نرى اسم محب الدين الخطيب في قائمة أسماء أعضاء الفتاة على الشكل التالي :

الاسم	البلدة	التاريخ	واسطة الانتساب	الرمز الجزئي
محب الدين الخطيب	دمشق	١٩١٣	عبد الغني العريسي مكاتبة	١٨٩ / ط . لا

وعندما تم للعريسي ما أراد ، طلب من الخطيب أن يكون صلة الوصل بين الحزبين الكبيرين من جهة وبين الجمعيات الاصلاحية في بيروت ودمشق وأوصاه (بالتكتم الشديد والتجاهل العميق) كما طلب منه أن يرسل امضاءه العريخ من المرة الاولى حتى يرسل له صورة القبول من المركز ثم يأخذ النمرة التي سيتخاير بها معه دون الاسم ويعمل العريسي هذه التكتيمات كما يلي :

- ١- حتى لا يتفهم الاصدقاء من القرائن حقيقة الامر ومصادر المنشورات
 - ٢- لان الغاية الاساسية هي الوصول الى تحقيق المبدأ شيئا فشيئا دون المجاهرة بالاسماء والمظاهرة بالعمل .
- ثم طلب العريسي من العضو الجديد ، محب الدين الخطيب عدة طلبات أهمها :

- ١- تمزيق كل الرسائل المتبادلة التي تصل عن اعمال الحزب لانه يحدث في الدقائق من الذهول ما لا يخطر في بال أحد فتوطيئا للطمأنينة افعل كما أشير عليك .
- ٢- عدم تبليغ سلامه لاي فرد من الاخوان لان السلام عليهم سيصلهم

من غير طريق (فالوطنية تتطلب الاعمال الخفية كثيرا) .

وكان امضاء العريسي او بالاحرى رقمه في باريس هو الرقم (٢١) (١) .

قام العضو محب الدين الخطيب بالاتصال بزميل الدراسة عبد الكريم الخليل رئيس المنتدى الادبي في الاستانة وشرحه ليكون عضو حزب اللامركزية وصلة الوصل بين الحزب والجمعيات الاصلاحية في بيروت وكانت ضربة حزبية ناجحة سجلت لصالح محب الدين الخطيب اذ سرعان ماتم قبول الخليل في الحزب وشرح ليكون صلة الوصل بين اللامركزية والجمعيات الاصلاحية على النحو التالي :

قرر حزب اللامركزية الاتصال باعضاء الجمعية الاصلاحية في بيروت وقدموا لهم برنامج الحزب ، مع عبد الكريم الخليل واقترح اعضاء حزب اللامركزية طلب الاصلاح لجميع الولايات السورية بدلا من طلب الاصلاح لولاية بيروت فقط ، وان تكون طلباتهم حسب مواد حزب اللامركزية التي سيرشحها لهم عبد الكريم الخليل دون الاشارة الى اسم الحزب وبين اعضاء اللامركزية غرضهم من هذا الاتصال من اعضاء جمعية بيروت بقولهم : حتى نكون يدا واحدة في العمل والمطالبة بتحقيق مبادئ الحزب ثم طلبوا أن تكون المكاتبات مع حزب اللامركزية عن طريق حقي العظم احد كتساب السر للحزب (٢) .

وهكذا تمكن حزب العربية الفتاة من الاتصال بالحركتين العلنيتين الكبيرتين آنذاك حزب اللامركزية في مصر ، والجمعيات الاصلاحية في بيروت ودمشق عن طريق محب الدين الخطيب .

وبهذا الارتباط الحزبي واجهت الاحزاب العربية تحديات الاتحاديين وموقفهم من الحركات الاصلاحية في البلاد ولم يكن هذا المخطط الحزبي حبرا على ورق او مجرد كلام متبادل ، اذ سرعان ما ظهرت تأييد هذه الاحزاب بعضها للاخرفي مواجهة الاحداث التي جاءت سريعة ومستفزة من الاتحاديين ولكن لامجال لذكرها الان في بحثنا هذا .

(١) - كل هذه الوثائق موجودة بخط العريسي في مكتبة محب الدين الخطيب .

(٢) - وثيقة حزبية في مكتبة محب الدين الخطيب (اوراق حزب اللامركزية) .

غير أنه يمكننا القول أن الصراع بقي قائما بين الأحزاب العربية والمنتمين إلى الأدبي ، من جهة والاتحاديين من جهة ثانية حول تطبيق البرامج الإصلاحية فترة طويلة ، دون جدوى وعندما فكر أعضاء حزب العربية الفتاة بتخطي هذا العمل الحزبي إلى عمل حزبي أكثر صلابة وأكثر إيجابية لمواجهة الاتحاديين وكان هذا العمل هو عقد مؤتمر باريس (الجبهوي) وكان صلة الوصل أيضا بين الأحزاب هو العضو محب الدين الخطيب .

ذلك أنه عندما عقدت لجنة المؤتمر جلسة في (٤ / ٤ / ١٩١٣) قررت أن ترسل كتابا إلى اللجنة العليا لحزب اللامركزية في القاهرة تعرض عليها فيسألها ان يتبنى المؤتمر وان تعهد رئاسته إلى أحد ممثلي حزب اللامركزية . وفي نفس التاريخ أرسل عضو حزب الفتاة وعضو لجنة تحضير المؤتمر عبد الغني العريسي ، كتابا إلى زميله عضو حزب الفتاة وحزب اللامركزية محب الدين الخطيب رسالة جاء فيها (نحن قررنا أن نلتحق بكم كما سيرد صورة لالتحاق إلى حزب اللامركزية في مصر لنكون يدا واحدة في العمل ، قلت لك أن جمعيتنا هي القائمة بالمؤتمر دون أن يدرك ذلك أحد من أعضاء المؤتمر ونقرر ونسير المؤتمر حسب ما نقرر في جلسائنا ، وقد قررنا قبل أن يحرر كتابك بلزوم دعوة الحزب إلى إيفاد أحد أعضائه لتسند الرئاسة لمن توفدونه ، فرجاؤنا أن تشجعوا عبد الحميد أفندي الزهراوي برئاسة المؤتمر في باريس ، وان لم يكن في استطاعته المجيء .. فعليكم بشفيق بك ، وآخرينوب عن ولاية سورية كحقي بك) ثم يعدد العريسي لمحبة الخطيب الوفود التي ستحضر المؤتمر وأسماء الأشخاص المؤيدين له ثم يخبره عن (الشيفرة) التي تستعملها الجمعية لئلا يلحق بعض الإخوان ضرر وهي :

بزرغ فجر وطنك مت لعضد شخمي امي ثقة ظسند

فالباء تقابل العدد الواحد وهكذا كيفية الكتابة (عبد) تكتب هكذا :

١٤-١-١٦ (رفيق) : ٦ - ٤ - ٢٢ - ٢٤ -

ثم يشير العريسي في رسالته إلى محبة الخطيب ان يتكاتف رفاقهم مع مركز الحزب في بيروت بواسطة هذه اللغة على أن يخصني بالرقم (٢٨) كما يؤكد له اعتزازه بان مركز بيروت هو صاحب الفكرة الإصلاحية فيها ولا يزال

هو العامل فيها (١) .

وقد بقي محب الخطيب يهيئ مناخا ايجابيا يتقبل مخطط الفتنة حتى استلمت الهيئة الادارية لحزب اللامركزية من لجنة المؤتمر في باريس رسالة بينت اللجنة فيها كيف انها ستعهد برئاسته الى أحد أعضاء حزب اللامركزية كما بينت الغاية من عقد المؤتمر والدعوة اليه .

وفي نهاية المطاف تلقت اللجنة التحضيرية لمؤتمر باريس جوابا من اللجنة العليا لحزب اللامركزية مؤرخا في (١٤ نيسان ١٩١٣) توافق فيه على تبني المؤتمر وذلك بعد أن أقرت اللجنة العليا للحزب في جلستها المنعقدة يوم الجمعة (١١ نيسان) قبول اقتراح لجنة المؤتمر وتعيين وفد يمثل اللجنة العليا لحزب اللامركزية هناك (١) .

كما أقرت اللجنة العليا لحزب اللامركزية ارسال مندوبين من قبلها لحضور المؤتمر على أن يكون لهم حق النظر والمشاركة في موضوعات المؤتمر حتى تكون موافقة لمبادئ الحزب وبرنامجه ، وأكدت لجنة الحزب تمنياتها في أن يكون هذا الاتفاق مبدأ دور سعيد للامة العربية بتضافر أبنائها .

لقد كان محب الدين الخطيب في مؤتمر باريس كعادته رجل عمل وعطاء من وراء ستار ، فقد جمع أوراق المؤتمر وأصدرها في كتاب تحت اسم (المؤتمر العربي الاول (١٩١٣)) فقدّم بذلك سجلا وثائقيا أميناً لأبناء الامة العربية يدور حول اول صيغة (جبهوية) عربية .

اننا سنقدم دراسة وثائقية أخرى حول (الفكر السياسي) عند محب الدين الخطيب نستقيها من وثائق حزبي العربية الفتاة واللامركزية الادارية رحم الله محب الدين الخطيب . . ألم أقل لكم أنه مهما طال بحثنا حول حياته ووثائقه وأوراقه وفعالياته فاننا نبقى مقصريين .

رحم الله محب الدين الخطيب فقد كانت حياته

— امتدادا — عبر المكمان

— عصرا — عبر الزمان

ولعلنا المناضل العربي الوحيد الذي يتميز بهذا الشمول .

=====

(١) — من وثيقة بخط العريسي بين أوراق محب الدين الخطيب .

(١) — محب الدين الخطيب — المؤتمر العربي الاول في باريس (ص ٨) .

دور المؤتمر لسكان الحواري في حركة النهضة خلال الربع الأول من القرن العشرين الأستاذ عدنان قيطاز

كانت سورية في القرن الماضي مقسمة الى عدد من الولايات كما هو معروف ، ولم تكن حماة اiban تلك الفترة من الزمن سوى مدينة صغيرة من ملحقات لواء حمص ، غير أن مركز اللواء سرعان ما انتقل من حمص الى حماة أيام هولوباشا عابدة الذي أصبح قائم مقام حماة عام (١٨٦٨) فأعطى المدينة دورا قياديا في حكومة اللواء ، وكانت هذه الحكومة تتألف من أربعة مجالس ، وفقا للقاعدة السائدة في ولايات سورية كلها ، فالمجلس الاول للإدارة ، والثاني للدعوى ، والثالث للتجارة ، والرابع للبلدية (١) ويأتي على رأس هؤلاء متصرف اللواء الذي كان يمارس صلاحياته المطلقة وفق مشيئته وذكائه ، تساعد قوة عثمانية تشد أزره وتحمي ظهره ، ولكنها لاتستطيع أن تحميه من ارادة الباب العالي عندما يعزل أو ينقل .. ذلك أن عادة تغيير حكام الولايات أو الالوية كان أمرا شاعرا مألوفا ، فقد تعاقب عدد من الحكام على لواء حماة في فترة قصيرة من الزمن ، ويعزو المؤرخون ذلك الى خوف السلطان من ازدياد نفوذهم ، وربما طمعا بالاموال التي يجمعونها ثمنا لمنصب جديد ، أو كسبا لامتيازات أوفى من حضرة السلطان ، وقد بقيت هذه التركيبة الادارية قائمة حتى نهاية الحكم العثماني .

أما المجتمع فكان طبقيا ، والمتنفذون فيه هم الذين يدينون بالولاء لاتباع السلطان من طبقة الاقطاعيين ، وطبقة العسكريين ، وطبقة رجال الدين ، وكانت المناصب الدينية لاتتم الابداء سنية ، وكثيرا ما كانت ارادة السلطان تصطدم بمقاومة من العلماء المحليين وبخاصة الاشراف . ويلاحظ أنه في بعض المدن السورية كانت بعض المناصب الدينية تتوارثها أسرة معينة لها حظ من الحسب والنسب كنقابة الاشراف في حماة حيث كانت الاسرة الكيلانية تتمتع بمثل هذا الحق ، ويسري الامر

نفسه على مناصب الافتاء كما كان عليه الحال في مدينة دمشق (٢) .
أما في حماة فتشير المصادر الى أن منصب الافتاء كان يتم عن طريق الانتخاب من قبل السكان ، وليس بالتعيين أو الوراثية ، ويحظى بمنصب الافتاء من كان مستأهلاً له جديراً به ، ولكن جريدة لسان الشرق الحموية (٣) سجلت احتجاجاً للعلماء على الطريقة التي يتم بها اختيار المفتي ، فقد طلبوا من متصرف لواء حماة ناظم بك أن يكون انتخاب المفتي منحصر في العلماء أنفسهم خلافاً لأرادة السلطان (لانهم هم أهل العلم بمن يصلح أن يكون مفتياً) . ويعدهذا الاحتجاج نتيجة تبلر الافكار الوطنية اثر حركة اليقظة العربية .

وقد تلاه انتفاضة اجتماعية قام بها الفقراء على الاغنياء كرد فعل للسياسة الاقتصادية الحرة التي تقوم على الاحتكار والتلاعب بالأسعار وحرمان السواد الأعظم من عمال وفلاحين من القوت الضروري الذي تنتجه أرضهم ويسقونه مع المطر قطرات الدموع وحببات العرق ، فكان نهيب الحبوب من بيوت التجار بمثابة تحد جديد للسياسة العثمانية الأقلية . وقد سرت عدوى الانتفاضة الاجتماعية من حماة الى حمص ، ثم انتقلت الى عدد من المدن السورية (٤) .

كما جاء رد فعل آخر من بعض الفئات المتنورة التي حملت قسطاً من هموم البلد ، فذهبت بعيداً ، وتنادت الى تشكيل حزب عمالي يدافع عن قضايا الكادحين ، فدفع بورقة عمل مكتوبة ، أو قل بصيغة برنامج للحزب باللغتين العربية والتركية ، ولكن السلطة لم تأذن له بالترخيص خوفاً من انتشار العدوى ثانية (٥) .

وكان الى جانب هذه المظاهر العلنية التي كانت تجري بمعزل عن حركة التحرر العامة تيار خفي يسري ايقاعه من مدينة الى أخرى ، من القاهرة الى بيروت ، الى دمشق ، الى حماة ، الى الاستانة ، تقوده طائفة من رجال الفكر الذين أخذوا على عاتقهم عبء العمل والتنظيم بوعسى متأثرين بقيادة الاصلاح الديني في العالم الاسلامي ، كالأفغاني ومحمد عبده ورشيد رضا و طاهر الجزائري ، أو بقيادة الحركات السياسية التي تناهض الحكم العثماني سرا وعلانية أمثال عبد الكريم الخليل وعبد الحميد الزهراوي وأعضاء العربية الفتاة وشريف مكة حسين ، وكان ابرز من اتصل

بهم من رجالات حماة في أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين —
الشيخ أحمد الصابوني والشيخ حسن الرزق وعلي الأرمنازي والشيخ سعيد
النعمان والدكتور صالح قنباز والدكتور توفيق الشيشكلي وطاهر النعمان
والشيخ محمود العثمان والشيخ صالح الكرم والشيخ سعيد الجابي وسامي
السراج وآخرون غيرهم كان لهم فضل كبير في دعم حركة التقدم ، ولقد
أسهموا بشكل فعال في قيام عدد من التنظيمات الاجتماعية ذات مضمون
وطني موحد ، وإن اختلفت في الأطر الخارجية . . وامتد نشاطهم على مساحة
زمنية حافلة بالأحداث الجسام : كالحرب العالمية الأولى ، والثورة العربية
والحكم العربي الفيصلي في دمشق ، ومن بداية عهد الانتداب الفرنسي
حتى قيام الثورة السورية الكبرى عام (١٩٢٥) .

ولعل أهم هذه التنظيمات ما كان من طابقيها التحرر الاجتماعي
والسياسي كالمؤسسات الصحفية والتعليمية والجمعيات والندية .
ومن المؤكد أن مثل هذه التنظيمات لم تعرفها مدينة حماة إلا في
مطلع القرن العشرين ، أي بعد نجاح جمعية الاتحاد والترقي في خلوع
السلطان عبد الحميد الثاني عام (١٩٠٩) ، وقد انضم إلى هذه الجمعية
عدد من زعماء العرب ، وقدموا مساعدتهم لتحقيق أهدافها في القضاء على
الحكم الحميدي وقيام الحكم الدستوري ، وهذا يفسر لنا وجود فرع لهذه
الجمعية في مدينة حماة عام (١٩٠٩) يتبعه ناد يحمل اسم الجمعية .
ولكي نستطيع تقديم صورة صادقة عن دور تلك المؤسسات التي
قامت في الربع الأول من القرن العشرين ، لابد لنا من الاطّاحة بظروف قيام
كل منها على حدة ، وبيان الأعمال التي أنجزتها في سبيل تقدم المجتمع
معتمدين في تحليل تلك الوقائع التاريخية على المادة الوثائقية .

١- المؤسسات الصحفية :

عرفت حماة عددًا من الصحف والمجلات في أواخر القرن التاسع عشر ،
منها ما صدر عن سورية ، ومنها ما صدر عن لبنان ومصر وتركيا ، وكان بعض
الموظفين وأصحاب النفوذ يقبلون على اقنائها ، غير أن حماة لم تدخل
عالم الصحافة إلا بعد دخول المطبعة إليها على يد الشيخ أحمد الصابوني عام
(١٩٠٩) .

ويمكن إجمال أسباب صدور الصحافة في حماة بسببين :

اولا : اعلان الدستور العثماني عام (١٩٠٨) .

ثانيا : رغبة اصحاب الدعوات الاصلاحية في نشر افكار الاصلاح .

فقد كان اعلان الدستور العثماني ايذا نابم ولدحماة جديدة بعدموجة الارهاب الحميدي ، حيث كفل الدستور الحريات العامة ، وسهل عمليات الحصول على امتياز الصحف وحق اصدارها ، ووجد فيها اصحاب الدعوات الاصلاحية والنزعات الاستقلالية متنفسا للتعبير عن آرائهم وافكارهم فتضاعف عدد الصحف والمجلات ، وازدادت المطابع في بلاد الشام ، واقبل الادباء والمفكرون على الكتابة والتأليف ونشروا طرهم على اجنحة الورق ، وكان هذا التحفيز الفكري بمثابة ارهاص لقيام الثورة العربية ضد الحكم الاتحادي ، لكن هذا القدر الضئيل من الحرية في الدستور ما لبثت أن قيد بقيود الاتحاديين الطورانيين ، واستشعر الاحرار بوطأة هذه القيود قبل غيرهم ، فانعكست آثارها على أقوالهم وتصرفاتهم ، ومع ذلك فقد قام نفر من الحمويين وأصدروا عدد من الصحف والمجلات ، منها ما كان يؤيد فكرة الاخاء العربي العثماني ، ومنها ما كان يدعو الى الاصلاح والتحرر ، وقد نجد فيها ما يدعو الى نصرة طائفة أو جمعية أو شخص ذي نفوذ ، وقليل منها ما اكتسب طابعا أدبيا ، وقد صدر في حماة خمس صحف ومجلتان ، أما الصحف فهي ((لسان الشرق)) للشيخ احمد الصابوني الذي يعد بحق مؤسس الصحافة الحموية ، و ((انخلي يا هلاله)) للشيخ عبدالرحمن المصري و ((المكنسة)) للصيدلاني شمس الدين العلواني و ((السيف)) لصاحبها الشيخ محمد سالم المير ومحمد البارودي و ((نهـر العاصي)) لمحمد علي الارمنازي .

والمجلتان هما : مجلة ((الاخاء)) لجبران مسوح ، ومجلة (الانسانية)

للشيخ حسن الرزق .

وما كادت الحرب العالمية تلقي بجرانها حتى اختفت تلك الصحف ولم تظهر في فترة الحرب سوى صحيفة (حماة) لصاحبها الشيخ عبدالرحمن المصري .

وعندما ألقت الحرب أوزارها ، وانسحبت القوات العثمانية من سورية وقامت فيها حكومة فيصل العربية . . نشطت الحركة الصحفية من جديد وانطلق الصحفيون يجاهدون بآرائهم في الدعوة الى الاصلاح ، وتخليص

المجتمع من رواسب الحكم العثماني ، والسيربه في طريق التقدم والاستقلال ولم يكن صحفيو حماة أقل حماسة واندفاعاً من غيرهم . فقد هرعوا إلى تأييد الحكم العربي والانتصار له ودعم مواقفه النضالية من أجل الاستقلال التام .

وقد صدرت في حماة خلال فترة الحكم العربي وبداية عهد الانتداب خمس صحف وثلاث مجلات هي : (نهر العاصي) للشيخ عبد الرحمن المصري و (التوفيق) للدكتور توفيق الشيشكلي و (الاخاء) لجبران مسوح و (الهدف) لعبد الحسيب شيخ سعيد ، و (الشعب) لعبد الرزاق الاسود ، أما المجلات فهي (أبحاث زراعية) لتوفيق الاحدب ، و (المجلة البيطرية) لفائق الخطيب و (الزراعة الحديثة) لعمر ترمانيني .

ثمة بعض الملحوظات حول الصحافة الحموية ابان الربع الاول من القرن العشرين تتخلص بما يلي :

١- تميزت الصحافة الحموية بانها صحافة بلدية ، فقد أسهمت في رصد التطور الاجتماعي والسياسي والثقافي لمجتمع المدينة وكانت مرآة صادقة انعكست عليها معظم احداث تلك الفترة الماضية .

٢- لم تكن صحافة منعزلة عن حركة المجتمع العربي بعامة ، بسبل كانت على ارتباط وثيق بالصحافة العربية الحرة ، وربما شاركتها في اتخاذ مواقف ايجابية من بعض القضايا العامة ، وبذلك ساعدت على تكوين رأي عام عربي موحد .

٣- ورغم كونها صحافة بلدية فقد تجاوزت محيطها في معالجة مشكلات المجتمع العربي السياسية ، اذ وقفت تطالب بالاصلاح وترفض سياسة الاستبداد ، وربما جابهت مزاعم الصحف المأجورة التي كانت تصدر في دمشق وغيرها من المدن السورية ، وللصحافة الحموية موقف مشرف من مؤتمر باريس العربي عام (١٩١٣) فقد أيدت المؤتمر ، ونقلت وقائع جلساته ، ودافعت عن رجالاته وانتقدت مناوئتهم دون أن تخشى أذي المراقبة الصارمة . وقد دفع محمد علي لارمناري صاحب صحيفة (نهر العاصي) ثمن وطنيته غالياً ، فكان اول شهيد للصحافة السورية تقدمه مدينة

• حماة

٤- ظهور الصحافة المتخصصة في مجال التربية الحيوانية والشؤون

• الزراعية

على أن هناك بعض النواحي السلبية في صحافة حماة نذكر منها :

١- كثرتها في مجتمع صغير كحماة ، مما يجعل جبهة الرأي عرضة للتصدع .

٢- قيام بعض ارباب الصحف الهزلية في الدفاع عن مصالحهم والانتصار لانفسهم من خصومهم ، وان اسهمت بشكل غير مباشر في مجابهة التيار العائلي المتعاضم في بداية هذا القرن .

٣- موالاتها للحكم العثماني كصحيفة (حماة) المطبوعة باللغتين العربية والتركية ، وهي الصحيفة الوحيدة التي صدرت خلال فترة الحرب العالمية الاولى .

٤- احتجاب بعضها عن الصدور بعد فترة قصيرة لاسباب مادية أو سياسية . ولا سيما في فترة الحكم العربي الفيصلي ، وفي مطلع عهد الانتداب .

ومهما يقال عن الصحافة الحموية في تلك الحقبة من الزمن ، فان دورها كان رائدا في ابراز المشاعر الغافية ، وتنمية الاحساس بالوطنية ، وكانت كلمات الاصلاح ، الحرية ، الاستقلال ، العلم ، الثورة ، العمال ، الاشتراكية الاقطاعية ، الرجعية أو التراجعية (٠٠٠) كل ذلك كان من مصطلحات الحياة اليومية وقاموسها السياسي (٦) .

٢- المؤسسات التعليمية

تلعب المؤسسات التعليمية دورا هاما في حياة المجتمعات ، ونحن لانستطيع أن نتصور مجتمعا متقدما لا يولي قضايا العلم والتعليم أقصى اهتمامه ، وان التقدم العلمي والتقني اللذين نشهد اليوم تطاول بنيانهما لم يتما الا بعد مراحل طويلة طوتها الانسانية جاهدة دائبة . ولقد سبقتنا دول الغرب اليهما نتيجة العزلة الطويلة عن العالم الخارجي ، وهي عزلة فرضت علينا بان الحكم العثماني ، واعتقد أن اجد ادنا غيـــــر مسؤولين عن حالة التخلف والجمود التي آل اليها الشعب العربي بسبب هذه

العزلة ، وليس من قبيل المصادفة أن تجد شعبا مملقى في غيهب الجهل وكان له في الماضي مخرّفي عباب العلم ، ان حماة وهي واحدة من مدائن الشام كانت في العصر الايوبي دارة من دارات العلم بفضائل استنارة حكامها ورعايتهم للحركة العلمية ، فقصدها طلاب العلم والادب من كل مكان . . من مصر والعراق والحجاز وفارس والمغرب ، ونبغ من ابنائها رهط غير قليل من العلماء والادباء والشعراء والمؤرخين ، وسطعت منها أسر علمية بسطت اجنحتها على عدد من المدن كآسرة ابن البارزي وابن جماعة ، وكانت مدارسها تفتح ابوابها لطلبة العلم الوافدين ، وتفسح مكان الصدارة لرجال الفكر والادب كابن مالك صاحب الالفية ، والفيروزبادي صاحب القاموس ، وسيف الدين الامدي رجل الفكر الابق من مصر ، وقد اقيمت للامدي مدرسة خاصة يعلم فيها احتفاء بقدمه ، وكان الملك المنصور محمد بن يوسف ، زده على ذلك أن بيوت اهل العلم كانت مدارس ، وحلقات المساجد مدارس ، وبلاطات الحكام مدارس . . بل كانت حماة جامعة للعلم في العصر الايوبي ،

وهذا يفسر لنا قول العلامة محمد كرد علي . حماة مدينة العلم والادب

(٧) .

غير أن هذا الشرف العلمي الذي تآلق أرجوانه على جسد المدينة سرعان ما خمد في آخريات العصر المملوكي ، وجاء العصر العثماني ليزيد الطين بلة . . وكان سير المدينة التراجعي واضحا حتى أصبحت المدينة مدينة ، وآضت مدارسها رسوما وأطلالا ، فلم نسمع عن مدرسة واحدة أقيمت طوال ثلاثة قرون ، خلا الكتاتيب وحلقات المساجد الصغيرة لتدريس العلوم الدينية فقط ، وأول مدرسة رسمية تأسست في حماة هي المدرسة الرشدية عام (١٨٧١) لتعليم الاطفال علوم العربية والتركية والفارسية والجغرافية والتاريخ وقد أشار الى ذلك المؤرخ الحموي (نوري باشا الكيلاني) في ديوانه المخطوط (نديمة خاطر . .) وله أرجوزة يمتدح بها السلطان العثماني على احسانه :

اذا وجد العلوم والمكاتب	وكثر الفنون والرغائب
وسهل التحصيل للاطفال	حتى ارتقوا لذروة الكمال
واستحوذ الاداب والمعارف	وبعد جهل صار كل عارف
وقد حبا نامكتب الرشديه	من جوده بحماننا المحمية

وكانت المدرسة تمنح طلابها شهادة تخرج هي كالأجازة العلمية التي يحصل عليها طالب العلم من شيخه ، وقد اطلعت على شهادة تخرج من مكتب الرشديه مذيبة بسبعة وعشرين توقيعاً ، منهم المفتي وقمندان العسكر ومتصرف لواء حماة (٨) .

ومن المؤكد أن تأسيس هذه المدرسة كان بمثابة رد فعل على قيام مدرسة تبشيرية هي المدرسة الأمريكية ، وربما اطلق عليها الحمويون اسم (مكتب البروتستاند) (٩) .

وقد أسهمت زيارات الشيخ طاهر الجزائري لحماة في أواخر القرن التاسع عشر في ظهور مدرستين : دار الشفاء للذكور ، ومكتب الانساب (البارزية) وكانتا برعاية الشيخ سعيد النعسان أحد رواد النهضة العلمية والاجتماعية في المدينة ، وقد تخرج من حلقة في جامع النوري ومن مدارس معظم رجالات حماة الذين قادوا حركة التحرر الوطني على مدى خمسين عاماً ، وإذا علمنا أن نسبة عدد الطلبة الى عدد السكان عام (١٨٩٩) لا يتجاوز (١٪) أدركنا أية أهمية يغط في سباتها مجتمع حماة في نهاية القرن الماضي غير أن الحركة التعليمية لم تنشط في حماة إلا بعد اعلان الدستور العثماني عام (١٩٠٨) وبخاصة بعد تعيين ناظم بك متصرفاً على لواء حماة ، وقبله كانت معارف اللواء غير معروفة . ومدارسه دارسنة ، وأحواله كالحالة على حد تعبير جريدة لسان الشرق الحموية (١٠) ، فقد استجاب لرغبة الراغبين في نهضة العلم وقيام مدارس ، وعمل على تأليف لجنة برئاسته قوامها خمسة أشخاص أنيطت بهم شؤون التعليم في المدينة وريفها (١١) ، وقد اطلق عليها اسم (شعبة المعارف) وكانت تتولى الاشراف على أربع مدارس للذكور ومدرسة للبنات ، والمدارس هي :

دار الشفاء ، وبرهان الترقى ، والمدرسة العلمية ، والمدرسة البارزية ، ومكتب الرشدية الذي تحول الى مكتب اعدادي باسم (المكتب الاعدادي الملكي) ، وتعتمد شعبة المعارف في نفقاتها على ما تخصصه حكومة لواء حماة من واردات المعارف ، بالإضافة الى ما تدره أوقاف البيمارستان النوري (١٢) ، وما يدفعه تلاميذ المدارس من أجور شهرية (الاجرة الشهرية في المدرسة العلمية نصف مجيدي تدفع سلفاً ، وفي

مكتب برهان الترقى خمسة قروش للطلبة الاغنياء ، وقرشان ونصف لمتوسطي الحال ، ومجانا للفقراء (١٤) ، ولم تكن ميزانية شعبة المعارف بحماسة لتزويد عن عشرة آلاف قرش ، أي أقل من مائة ليرة عثمانية (١٣) وهذه الميزانية لا تكفي رواتب نصف موظفي شعبة المعارف فضلا عن نفقات المدارس التابعة لها (١٤) .

وعلى غرار هذه المدارس الرسمية قامت مدارس أهلية أخذت بالتعليم الحديث حيث يعطى الطلاب - الى جانب علوم الدين والعربية - دروسا في التاريخ والجغرافية والحساب والاخلاق ، عرفنا منها : مدرسة شمس المعارف ومدرسة ترقى الوطن ، ومدرسة المظفر ، ومدرستين لابناء طائفة السريان احدهما للانثى - - - - -

أما طلبة العلم الشرعي فكانوا يتحلقون في المساجد حول أسيادهم يحفظون القرآن الكريم ، ويقرؤون السنة المطهرة ، والفقه الحنفي أو الشافعي ويأخذون قسرا من علوم العربية على غير نظام أو منهاج ، حتى اذا أوتوا نصيبا من العلم غادروا حماة الى طرابلس الشام لاداء الامتحان أمام لجنة من العلماء ، فيجهزون من يروونه صاحب رواية ودراية . وقد سافر من حماة تسعة عشر طالبا عام (١٩٠٩) ، وفتحت أمامهم الابواب لنيل الوظائف الدينية ، وربما يذهب المتفقه منهم الى مصر لمتابعة التحصيل في العلم الشرعي ، والظفر باجازات علمية من شيوخ الازهر الشريف (١٥) .

ولقد وجدت هذه الحركة العلمية سندا من الصحافة المحلية ، فكانت تضم في ثناياها مقالات وأشعارا حسانا تحض على العلم وتبشر بمستقبله ، وتنفر من الجهل وتحذر من عواقبه ، وماتزال على لهاتي نداوة بيتين من الشعر قرأتهم في حريدة لسان الشرق الحموية - - - - - :

دعوا الشقاق بني الاوطان واتحدوا لنشر علم فإن الجهل يردينا
ان لم تعوموا بهذا الفرض واأسفي سيصبح الشعب لادنيا ولادينا (١٦)
ولم تقتصر الدعوة الى تعليم الذكور ، وانما شملت الاناث أيضا ، فقد دعا الشيخ سعيد زهور عام (١٩٠٩) في قصيدته (حنا الامهات) الى تعليم المرأة وانقاذها من حماة الجهل ، ويرى ان المجتمع الصالح لا يقوم الا اذا أخذت المرأة نصيبها من العلم أسوة بالرجل :

عليكم يادعاة العلم فسرّض فأدوا ما عليكم للبنات
فما فسدت خلائق كل شعب بشيء غير جهل الحاهلات

وما أحسب هذه الصيحة الاصدى وانعكاسا لصيحة شاعر العراق معروف الرصافي
(١٧) •

كما سمعنا من يدعو الى افتتاح مدرسة ليلية لمحو الامية بين (ارباب
الصنائع) (١٨) • وذهب محمد شمس الدين العلواني الى أبعد من ذلك فطالب
بافتتاح (كلية عربية عظمى) في دمشق للدراسات العالية (١٩) • بينما نجد
الشيخ سعيد النعسان يدعو معلمي المدارس الى عقد اجتماع أسبوعي كل خميس
في المدرسة العلمية (للمذاكرة بما يوجب رقي العلم وتوحيد طرق تعلمه) (٢٠)
في حين يطالب الشيخ احمد الصابوني صاحب (لسان الشرق) في مقال (العربية
وتعلمها) الى تأليف كتب مدرسية باللغة العربية ، وفي المقال اشارة الى
أن مدارس حمص وحماة الوطنية تدرس الحساب والجغرافية والتاريخ وسائر
الفنون بغير العربية ، ويعني التركية - لعدم وجود كتاب علمي بالعربية
(٢١) •

أما أحمد سامي السراج فيهب بطلبة العلم الديني أن يستقوا من
حوض الفنون الادبية ، ويأسف لجفاف البيان العربي من ماء الجمال وسحر
الخيال ، فيبكي اللغة العربية على طريقة الرومانسيين •• فيقول :
احزني أيتها الطبيعة ، واندكي أيتها الجبال الشامخة ، وجفي أيتها
البحور •• والبسي الحد ادعلى اللغة العربية (٢٢) •

هذا غيض من فيض •• تناسر على صفحات جريدة (لسان الشرق) و (مجلة
الانسانية) وغيرهما قبيل الحرب العالمية الاولى ، غير أن ظروف الحرب
باعدت بين دعاة العلم وغاياتهم ، فأصاب الحركة العلمية شلل سنـوات
الحرب ، كان من اعراضه اغلاق المدارس جميعا طوعا وكرها ، وانصراف
الناس عن التفكير بالعلم الى البحث عن الرغيف ، وهنا يصدق قول من قال
ان البطون الفارغة لا تعرف المعاني السامية •

ولما انقشعت غمة الحرب بادرت رجال العلم والاصلاح الى تأسيس المدارس
من جديد اثر انسحاب العثمانيين من سورية ، ويشير الاستاذ محمود فاخوري
في بحثه القيم عن (تطور التعليم في مدينة حماة) الى أن عدد المدارس
الابتدائية عام (١٩١٩) ثمان مئتين ، منها خمس للذكور هي :

مدرسة برهان الترقى ، مدرسة الاخاء ، مدرسة النجاح ، مدرسة المظفر
مدرسة المحبة ، وثلاث لانات هـ ي :

مدرسة الاستقامة ، مدرسة العفاف ، مدرسة الشرف (٢٣) ، أما المكتب
الاعدادي الملكي فقد تحول الى (المدرسة السلطانية) في عهد الحكومة
العربية الفيصلية ، ثم اعطيت اسم (المدرسة التجهيزية) ٢٤ .

غير أن أهم هذه المدارس جميعها هي مدرسة (دار العلم والتربية) التي تجاوزت أهدافها التعليمية إلى أهداف سياسية ، فقد قامت هذه المدرسة الأهلية عام (١٩١٩) بتأييد من الأمير فيصل الذي أرادها (مدرسة تبث في نفوس الناشئة الجديدة مبادئ الخير والوطنية والخلق الحسنة ، وتحثهم على السعي والعمل ليكونوا أعضاء خير وفلاح لامتهم ووطنهم) وقد اقترح بعضهم تسمية المدرسة باسم (مدرسة فيصل) ولكن الأمير فيصل رفض سماها (دار العلم والتربية) ، وتولى أمر إعداد المدرسة رستم بك حيدر مستشار الأمير ، والدكتور عبدالرحمن الكيالي الذي وضع لها نظاما دخلييا على غرار نظام الجامعة الأمريكية ، ولكن هذا النظام أهمل لعدم امكانية تطبيقه ، وانضم إلى هيئة المؤسسين التي ترأسها نوري الكيلاني كل من الدكتور صالح قنبلان والدكتور توفيق الشيشكلي ، واطلق على تلك الهيئة اسم (هيئة أمناء دار العلم) .

وقد خُطت المدرسة خطوات سريعة الى الامام ، فاصبح لها بناء خاص بها ،
وعقارات تدرع عليها واردة تحميها من الاختناق ، فازدهرت المدرسة
وتطورت مع الزمن بفضل وعي المشرفين ، ويسجل المرحوم احمد الوتار (٢٥) .
في مذكرات تاريخية عن دار العلم :

في تأسيس اول روضة للاطفال تفتح في حماة ، وكانت موضع اهتمام
الدكتور صالح قنبازا اذ أتى بالكتب والوسائل التربوية المتعلقة بحدائق
الاطفال من فرنسا .

وفي تكوين أول فرقة كشفية في حماة جعلت فرعا للكشاف المسلم في بيروت ، وفي تأليف أول فرقة موسيقية من شباب حماة باشراف الاستاذ أحمد الابري ، وأهم من هذا وذاك قيامها بدور تربوي و وطني ، فهي لـم تكتف بتربية أبنائها وتعليمهم العلم الصحيح ، وبث الفكرة العربية والقومية مع الاخلاق الاسلامية . . بل كانت بمثابة حقلات تمثيلية

وموسيقية وكشفية في مختلف المناسبات تربي جمهور الحمويين واستلاعت بفضل هيئة الامناء وعلى رأسهم الدكتور صالح قنباز والدكتور توفيق الشيشكلي ، وبفضل ايمان أساتذتها أن تقوم بواجب وطني هام ظهرت آثاره فيما بعد . . في تكوين رأي عام وطني قاوم الاستعمار والاقطاع بعنف وتغلب عليهم معا ، ولم تكن ثورة حماة عام (١٩٢٥) الا صنع نفر من أساتذتها الذين قرنوا القول بالعمل ، وكان من ضحاياها الشهيد الخالد الدكتور صالح قنباز .

٣- الاندية الادبية

أ- النادي العربي :

نشطت الحركة العلمية والادبية بعد قيام حكومة فيصل في سورية وقد أسهم الشباب الناهض في تكوين بعض المؤسسات التي أصبحت مراكز للتنوير الفكري والوطني ، وكان النادي العربي أحدها المراكز التي قامت بدعم من الأمير فيصل ، وقد ساعدت زيارته لبعض المدن السورية كحلب وحماة في انشاء فروع لهذا النادي ، وانحصرت مهمته الاساسية في التحضير العلمي والادبي لمستقبل المجتمع العربي .

ومن الواضح أن الشباب الحموي استجاب لدعوة الأمير العربي ، والتسلف حول النادي العربي - فرع حماة - نخبة مختارة من رجال العلم والادب والصحافة ودعاة الاصلاح الاجتماعي والسياسي ، وكانت لهم ندوات محاضرة ومناظرة حول ماضي الامة العربية وحاضرها ، وعندما اصدر الدكتور توفيق الشيشكلي جريدة (التوفيق) عام (١٩١٩) جعلها سنداً وظهرراً للنادي العربي (٢٦) .

ويعود الفضل في مواكبة حركة النهضة الى اعضاء النادي الذين وقفوا بحزم الى جانب الحكومة العربية ، وأزروها بكل ما أوتوا من قوة ، ولكن ظروف السياسة الدولية كانت أقوى منهم ، فانفرط عقد النادي وأثر دخول الفرنسيين الى سورية تطبيقاً لصلك الانتداب في اعقاب معركة ميسلون عام (١٩٢٠) .

ب- النادي الادبي :

عمل دعاة التحرر في حماة على احياء النادي العربي ثانية تحت

اسم جديد هو النادي الادبي ، وقد وافقت متصرفية لواء حماة بتاريخ (١٧ كانون الثاني عام ١٩٢٤) على الترخيص الذي تقدم به الطبيب علي الشواف والذي يحمل اسم (النادي العلمي الموسيقي) غير أن النادي لم يشهري حماة الا باسم النادي الادبي ، ومن المؤكد أن الاعضاء المؤسسين آثروا هذه الصفة ليصرفوا أنظار الفرنسيين عن النشاط السياسي للنادي ودوره القيادي في النضال من أجل الاستقلال .

وقد وزع النادي الادبي على الشعب الحموي منشورا يحتوي على نظامه الداخلي الذي يتألف من أربع عشرة مادة ، توضح الغاية من تأسيسه وشروط قبول الاعضاء وموارد النادي المالية ولجنته الادارية ووظيفتها ، ونحن نستطيع أن نتلمس من بنود هذا النظام بعض الامور الرئيسية :

١- اسباغ الصفة العلمية والادبية والموسيقية على اعمال النادي .

٢- التأكيد على اعضائه بعدم التدخل في الشؤون السياسية .

٣- حق الانتساب مفتوح أمام كل عربي .

وبذلك يكون النادي قد بذر بذور القومية العربية المبرأة من عار

التعصب والطائفية منذ خمسين سنة .

وقد أسندت رئاسة النادي الى الدكتور توفيق الشيشكلي منذ تأسيسه

وحتى اغلاقه من قبل الفرنسيين في اعقاب الثورة السورية الكبرى عام (١٩٢٥)

ورغم قصر المدة التي عاشها النادي الادبي فقد قام بدور الريادة في حركة

العلم والادب ، ودور القيادة في ثورة حماة ويمكن اجمال اعماله بما

يلي :

١- تأسيس مكتبة ضخمة تضم طائفة من كتب اللغة والدين والادب

والتاريخ وسانتالوم الاجتماعية والطبيعية بالاضافة الى عدد

من المخطوطات العربية والتركية ، وتخصص غرفة للمطالعة من

صباحا ومساء .

٢- تجديد مرقد أبي الفداء صاحب حماة .

٣- احيا ذكرى الشهيد الاول مرة في تاريخ حماة .

٤- توجيه الحركة الموسيقية ودعمها وتشجيع أفرادها على الظهور امام

الجمهور .

٥- اقامة العديد من الحفلات الادبية .

- ٦- تحقيق التعاون مع الصحافة العربية والمهجرية ، و الاطلاع المستمر على اخبار العرب في كل مكان .
- ٧- القيام بالمراسلات العلمية مع المجمع العلمي العربي بدمشق والمؤتمر الجغرافي الدولي العام بالقاهرة ، وكان احمد زكي باشا - عضو شرف - ممثلاً للنادي الادبي في المؤتمر .
- ٨- توعية المواطنين و طنيا وقوميا عن طريق سلسلة من المحاضرات ذات مضمون سياسي كالدعوة الى تشكيل حزب عمالي على غرار الاحزاب العمالية في أوروبا .
- وقد فطنت دوائر الانتداب في دمشق وبيروت الى أهمية الدور الذي يلعبه النادي في توجيه الحركة الوطنية بصورة غير مباشرة ، ومدى تأثير اعضائه - وهم من طبقة المثقفين - على جمهور الشعب الحموي ، فطلب من مصلحة الاستعلامات بحماة بث العيون ومراقبة تحركات اعضائه ، ولا سيما بعد قدوم وفد من دمشق للاشراف على تشكيل النواة الاولى لحزب وطني يأخذ زمام المبادرة في توحيد الصفوف وتعبئة القوى لمجابهة تحديات السلطة المنتدبة عشية قيام الثورة السورية .
- ويستفاد من تقرير الاستخبارات رقم (١١) تاريخ ١٠ شباط عام ١٩٢٤ الصادر عن مصلحة الاستعلامات بحماة أن الحزب لم ينظم رسمياً لكن الحمويين ينتسبون اليه سرا ، وله فرعان : مدرسة دار العلم والتربية والنادي الادبي . . وان اجتماعاته تتم تحت ستار الدراسات الادبية والمحاضرات العامة .
- كما يشير التقرير رقم (٧٥٣) تاريخ ١٥ حزيران عام ١٩٢٥ الصادر عن دائرة الاستخبارات بحماة . . الى أن رئيس الحزب هو الدكتور صالح قنبار ، وان الاعضاء يمثلون العناصر الوطنية المتطرفة في مدينة حماة وهذا يعني أن اعضاء النادي الادبي يشكلون الطليعة الاولى لاول حزب وطني تعرفه حماة .
- وعندما قامت الثورة السورية الكبرى عام ١٩٢٥ وشاركت حماة في احداثها وتخفيف الضغط العسكري عن أبناء جبل العرب ، اتهم النادي الادبي بأنه موقد الثورة في المدينة ، فاعلن اشرقياً مهات تطبيقاً للقرار (٤١٣) المؤرخ في ١٥ تشرين الاول عام ١٩٢٥ ، ولوحق اعضاؤه

فهرب نفر، واعتقل آخرون ، واحيل معظم أعضائه الى المحاكم العسكرية .
وقد جرت محاولة لاعادة افتتاح النادي عام (١٩٢٨) بعد تعديل نظامه
الداخلي لكن سلطات الانتداب لم توافق . ولما يئس الدكتور توفيق
الشيشكلي من محاولاته قرر أعضاء النادي بالاتفاق مع الدكتور توفيق
تحويل مكتبة النادي القيمة الى المكتبة العامة التي تأسست في مدرسة دار
العلم والتربية عام (١٩٣١) .

وهكذا اختفى النادي الادبي عن مسرح الاحداث ، لكن حركته
النضالية لم تنهد ، لانها تحمل في طياتها عوامل البقاء والتجدد ، ومالبت
أعضاء النادي أن أصبحوا رافداها مالتيار (الكتلة الوطنية) التي وقفت
تناسب الفرنسيين العداء ، وتقود نضال الجماهير في معركة الحرية والاستقلال
(٢٧) .

رابعاً : الجمعيات السرية والعلنية

يرتبط قيام الجمعيات في بلاد الشام بحركة اليقظة العربية فـ في
القرن التاسع عشر ، وذلك عندما بدأ العرب الاحرار بالتحرك ضد السياسة
العثمانية ، اما طلب الاستقلال ، او طمعاً بالاصلاح ، ومن الواضح ان ظهور
الجمعيات في مدينة حماة لم يتم الا في مطلع القرن العشرين ، قبل الحرب
العالمية الاولى وبعدها .

آ- قبل الحرب العالمية الاولى :

ظهرت في حماة قبل الحرب العالمية الاولى أربع جمعيات
اثنان سياسيتان واثنان كل منهما انسانية ذات صفة دينية .
فالاوليان : احدهما علنية ، والاخرى سرية .
أما الاولى فهي (جمعية الاتحاد والترقي) التي قامت بعد خلع السلطان عبد
الحميد عام (١٩٠٩) ، وقد التفت حولها نفر من الحمويين اخلاصاً منهم للعهد
الجديد ، وأملاباً بنصاف الاتحاديين للعرب ، ولما كشف الاتحاديون عن
مقاصدهم الحقيقية تجاه العرب ، انصرف الحمويون عن الجمعية . خلا بعض
المتخاذلين الذين وجدوا في الانضمام اليها تحقيقاً لمآربهم ، وطمعاً في
الحفاظ على مكاسبهم التي أحرزوها بان الحكم العثماني ، فاستحقوا
نقمة دعاة الاصلاح والتحرر من ابناء المدينة (٢٨) .

ويؤيد ما ذهبنا اليه مقال نشر على صفحات جريدة (لسان الشـرق) الحموية بعنوان (بعد الدستور) انتصر فيه صاحبه لجمعية الاتحاد والترقي ودافع عن أهدافها وغاياتها ، متهمًا خصومها بالدناءة ، وقد جاء بالمقال :
... ان جمعية هذه أعمالها ومقاصدها الخيرية تسعى الليل والنهار فسي سبيل ترقى الوطن ورفع شأنهما ، لم تدع وسيلة من الوسائل لتجعل الأمة كسائر الأمم الراقية ، أيجوز أن تعاكس وتذم ، ويقام ضدها ويبخس حقها ؟
... ان ذلك غاية في الدناءة (٢٩) .

وأما الثانية فذات طابع قومي عربي ، وان أخذت منحى اصلاحيا ولها جناحان :

— جناح مدني علني اطلق عليه اسم (الجمعية اللامركزية) وهو الجناح الذي تزعمه مبعوث حماة الشيخ عبد الحميد الزهراوي — من أبناء حمص .

— وجناح عسكري سري تزعمه الضابط عزيز علي المصري .
وقد انضم الى الجناح الاول عددا من رجالات حماة أمثال محمد علي الازمنازي وأحمد سامي السراج والدكتور توفيق الشيشكلي ومحمد البارودي وغيرهم من دعاة القومية العربية ، وانضم الى الجناح الثاني الضابط الحموي سعيد العاص شهيد موقعة الخضر بفلسطين عام (١٩٣٦) والذي يعد من مفاخر الثورة العربية .

وقد لعبت الجمعية اللامركزية دورا رئيسا في قيام مؤتمر باريس العربي عام (١٩١٣) وكان الشيخ الزهراوي رئيسا له ، وجدير بالذكر أن أنصار اللامركزية في حماة بادروا الى دعم المؤتمر ، فبعثوا ببرقية تأييد الى رجال المؤتمر ، وحفلت صحفهم باخبار المؤتمر ، ومقالات تدعو الى استحسانه ممجدين هذه الخطوة الاصلاحية للنهوض بالامة العربية من عثارها .

ويشير الاستاذ أحمد سامي السراج في مقال له (محفوظ لدي) بعنوان (وطنية حماة في مجال النضال) الى أن الذين عبروا الى كهوف التشكيل القومي من أبناء حماة قد التحقوا بجمعية العهد وجمعية العربية الفتاة ، وما ذكرته أنفا هو الثابت لدي تاريخيا لعدة أسباب :

١- اعترافات عبد الغني العريسي في محاكمات عالية بأن جمعية العهد واللامركزية كلاهما واحد .

- ٢- اعترافات محمد علي الارمنازي في محاكمات عالية بأنــــه معتمد اللامركزية في حماة .
- ٣- ماكتبه أبو الهدى اليافي في جريدة المضحك المبكي السورية بعنوان (صفحات من جهادنا الوطني) وقد ذكر بان الجمعية اللامركزية في مصر أرسلت للارمنازي رسماً (كليشة) خاصاً باسم جريدة نهر العاصي ، مشيراً الى أن الارمنازي كان مندوبها في حماة
- ٤- لم يرد ذكر الجمعية العربية الفتاة في كتاب (ايضاحات عن المسائل السياسية) الذي أصدره أحمد جمال باشا في اعقاب محاكمات عالية لان الجمعية - كما هو معروف - تشكلت في باريس على أيدي بعض الطلبة السوريين ، ولم تنقل نشاطها السري الى سورية الابعــــد محاكمات عاليــــة .
- ٥- لم نجد في صحف حماة أية اشارة الى الجمعية العربية الفتاة في فترة ما قبل الحرب ، بينما كانت (اللامركزية) العمود الفقري لكثير من كتابات الصحفيين الحمويين .
- واني أرجح بأن الخطأ الذي وقع فيه أحمد سامي السراج مرده الى أن كلتا الجمعيتين (اللامركزية) و (العربية الفتاة) تمثل تطلعات الشباب العربي في التحرر ، وأن التمييز بين أفراد كل جمعية كان غير واضح بسبب طابع السرية ، زد على ذلك فان الجمعية العربية الفتاة عمرت طويلاً بالنسبة الى عمر اللامركزية القصير ، لذا بقي اسمها مثلاً في الازدهان ، في حين غاب اسم اللامركزية عن العيان بعد حملة الاعداء التي قام بها أحمد جمال السفاح ، حيث استهدفت معظم رجالات الجمعية اللامركزية وعلى رأسهم الزهراوي والارمنازي .
- والثالثة هي (جمعية الاتحاد القويم للسريان القديم) وتعد أقدم جمعية عرفت لها المدينة ، فقد قامت عام (١٩٠٨) واقتصرت في خدماتها على ابنساء طائفة السريان الذين لا يتجاوز عددهم الخمسمائة نسمة في مطلع هذا القرن وكانوا على قلتهم فقراء ، وأهل اليسار منهم لا يعدون اكثر من عائلتين أو ثلاث ، ومع ذلك فقد أحسنوا صنعاً في تشكيل هذه الجمعية اسهاماً منهم في تخفيف الشقاء عن الانسانية المعذبة .
- ويبدو أن هذه الجمعية كانت تقوم على ثلاث مهمــــات :

- الأولى: دينية لان الجمعية تمثل المجلس المختلط الملي المأذون به للبطاركة والمطارين من قبل الحكومة العثمانية .
- والثانية : خيرية لانها كانت تعتمد على الاحسان ومُديداً للمساعدة الى الضعفاء والمحتاجين من أبناء الطائفة عن طريق جمع التبرعات وقبول الهبات ، أو بوساطة (اليانصيب الخيري) .
- والثالثة : تعليمية لانها شعرت بان تربية الناشئة على اساس العلم هو خير ما تذخره للمستقبل ، فعملت على تأسيس مدرسة ابتدائية للذكور وأخرى للإناث .

وكانت الجمعية تتولى اهدافها برعاية رئيسها موسى عبد الله نرها ، وتنشركل سنة (مجنى) يشتمل على خلاصة أعمالها السنوية ، ورغم الطابع الانساني للجمعية فقد تعرض أعضاؤها للعقوبة من السلطة المحلية لعدم ترخيصها رسمياً ، وجميل بنا أن نذكر بان الشيخ حسن الرزق صاحب مجلة (الانسانية) الحموية دافع عن أهدافها النبيلة ، ونوه بما قدمته لابنائها السريان من احسان ، وكان يأمل منها نفعاً وطنياً عاماً (٣٠) .

أما الجمعية الرابعة فهي . أعمال البر الاسلامية " التي أسسها الشيخ سعيد النعسان ، ومن المؤكد أنها بدأت (لجنة خيرية) عام (١٩١٠) (٣١) . ثم تحولت الى جمعية عام (١٩١١) ، وقد أسهمت هذه الجمعية بشكل مباشر وفعال في التخفيف عن ذوي الحاجة من عجزه وأيتام وفقراء لا يسألون النسياس الحافا ، كما شاركت في تدعيم الحركة التعليمية وتوجيهها عن طريق المدارس المتعددة التي قامت بإنشائها في مطلع هذا القرن (٣٢) .

ب - بعد الحرب العالمية الاولى :

شهدت مرحلة ما بعد الحرب قيام الحكم العربي وسقوطه ودخول الفرنسيين الى سورية ، وهي مرحلة جديدة تتسم بالمعويات نظر المساهم يكتنفها من ظروف دولية تجري لغير صالح العرب ، لذا غلب على الجمعيات صفة السرية ، وبخاصة في بداية عهد الانتداب ، وعدد هذه الجمعيات أربع منها ثلاث جمعيات سرية هي :

- جمعية الخلافة الاسلامية ، والحركة الماسونية ، وجماعة الواجب الوطني
- أما الرابعة فهي جمعية الاسعاف الخيري .
- وقد بدد الي أن عمل هذه الجمعيات كان متداخلاً ، إذ أن معظم الاعضاء

مشاركون فيها جميعا ، لان الهدف كان واحدا وهو مقارعة الاستعمار الجديد .
فجمعية الخلافة الاسلامية قامت بتأييد الشريف حسين أمير مكة ، ودعت
الى خلافته رداً على من يقول بخلافة عثمانية ، غير أن هذه الجمعية لم
تدم طويلاً لأن أعضاءها لا يريدون خلافة اسلامية بقدر ما يريدون مجابهة
حقيقية للفرنسيين والتحرر من قيودهم (٣٣) .

ومحفل أورانتس الماسوني القائم برعاية الشرق السامي الفرنسي ،
فانه يمثل الجناح الوطني المعتدل ، وكان أعضاؤه يودون العمل بحريسة
بعيدين عن المراقبة الفرنسية ، ولكن هذا الجناح المعتدل اتهم بخفض
جناح الذل من الخوف . . لذا كان دوره غامضاً ، وبخاصة بعد اتصالات
وثائق المحفل في مطلع الستينات (٣٤) .

أما جماعة الواجب الوطني فيمثلون الجناح المتطرف الداعي الى
الثورة ضد الوجود الفرنسي على ارض الوطن ، ويتزعم هذه الجماعة
فوزي القاوقجي الضابط في الجيش الفرنسي ، ويسمى بها فوزي في مذكراته
(حزب الله) وكان من أبرز أعضائها سعيد الترماني وعثمان الحوراني
وعبد القادر مليشو ومنير الريس والشيخ محمود العثمان وغيرهم ، وقد عمد
فوزي - زيادة في الحذر - الى اعلام المستشار الفرنسي بانضمامه الى
الطرق الدينية ليدرأ عن نفسه تهمة الكفر بانتسابه الى الجيش الفرنسي (٣٥) .
وكان أعضاء هذه الجماعة على صلة برجال الثورة في جبل العرب أمثال
سلطان باشا الاطرش والدكتور عبد الرحمن شهنادر ، وقد حاول فوزي أن يكسب
الى جانبه قادة الفكر في حماة ، فاتصل بالدكتور صالح قنباز وأعلمه
بعزمه على الثورة ، ويشير فوزي في مذكراته أن الدكتور صالح لم يحبذ
الثورة اعتقاداً منه أن ليس في البلاد قوة تستطيع مجابهة الفرنسيين (٣٦) .
والحقيقة أن الدكتور صالح ورفاقه لم يعلنوا تضامهم مع فوزي لسببين :
اولهما : انهم يشكون باخلاص فوزي - بصفته ضابطاً في الجيش
الفرنسي - وهم يجهلون حقيقته وغاياته ، وربما ذهبوا الى أبعد من ذلك
فظنوا أن في الامر خدعة (٣٧) .

وثانيهما : أنهم لا يرون صواباً في ثورة تقوم داخل المدن (٣٨) .

غير أن جماعة الواجب الوطني (حزب الله) تمكنت من تفجير الثورة في
تشرين الاول عام (١٩٢٥) وجرت اليها كل من كان بعيداً عنها - خلا بعض

المتخاذلين - وبذلك غلبت حماسة المتطرفين حكمة العقلاء وتردد المتشككين كما يقول عثمان الحورانسي (٣٩) .

جمعية الاسعاف الخيري :

تفردت جمعية الاسعاف الخيري عن سائر الجمعيات بكونها ذات طابع سياسي وانساني ، ولقد بدد الي دور هذه الجمعية هاماً خلال الدراسات التي قمت بها عن تاريخ الصحافة الحموية ، فرأيت أن أوضح أهداف هذه الجمعية ، والاعمال التي حققتها في مجال الخدمة الانسانية ، والتنويه بدورها التحضيري والعملي في ثورة (١٩٢٥) .

ومن المؤكد أن فترة الحكم العربي (١٩١٨ - ١٩٢٠) على قصرها كانت خيراً على سورية ، اذ دفعت بها الى النهوض والتقدم واعتماد العلم سبيلاً الى الانطلاق والتحرر من رواسب الحكم العثماني لبناء دولة تقوم على اساس قوية ، وقد أكد الامير فيصل على قيمة الثقافة وأهميتها في دعم الحركة القومية ، وكانت (ترقية المعارف) هدفه الثاني بعد حفظ النظام العام (٤٠) ، فسعى الى تعريب التعليم وتوسيعه ، وانشاء المدارس والمعاهد لتخريج جيل عربي جديد مؤمن بعدالة قضاياء أمته وبلاده ، ودفع الشبان الى السفر نحو الغرب للاطلاع على علوم أوربة وفنونها بعد أن سبقت نادولها اشرقياء الثورة الصناعية .

ومن هنا نستطيع أن ندرك سبب تأسيس جمعية الاسعاف الخيري في حماة ، ذلك أن ظهورها مرتبط برغبة الحكومة العربية في ارسال عدد من النابغين السوريين الى أوربة للتزود بالعلم الحديث وطلب (الفنون والاشغال الميكانيكية) على نفقتهم ان كانوا اغنياء ، أو على نفقة الموسرين من أبناء المدينة ان كانوا فقراء ، وقد طلبت (مفتشية المدارس الابتدائية) بحماة تشكيل جمعية خيرية تسعى لتحقيق هذه الغاية ، وعهدت الى الدكتور توفيق الشيشكلي وتوفيق الاحدب القيام بهذه المهمة بتاريخ (٢٦ آب ١٩١٩) ولم يأل الدكتور توفيق وصاحبه جهداً في أداء هذا الواجب ، فاشتركا مع نفر من اخوانهم ممن عرفوا بميولهم الوطنية والتقدمية ، وأخص منهم الدكتور صالح قنباز ومحمد البارودي وعبد الرزاق الاسود ، وهم الاعضاء المؤسسون لهذه الجمعية ، ووضعوا لها نظاماً يتألف من مقدمة وتسع عشرة مادة ، وقد تم التصديق عليه من جانب الحكومة العربية بحماة في (٢٢ ايلول

• عام ۱۹۱۹ تحت رقم (۴۳۳)

ونستطيع أن نستقرئ من مقدمة النظام الأمور التالية .

١- دعوة كل عربي الى اليقظة ، لان الاحلام والاوهام لاتصد المظالم مع

• الاستعماريّة

٢- التأكيد على أهمية اليد العاملة الصناعية والزراعية .

٣- احياء الصناعات الضرورية دون الكماليات والعمل على استقلالها.

٤- التقليل من دور العلوم الانسانية .

ومن الواضح أن الهدف العام لهذه الجمعية قد تجاوز الغاية الأساسية

من تأسيسها، وجعل السبب المباشر لقيامها أمراً ثانوياً، غير أن نظام

الجمعية حدد مهمتها وهي : ايفاد النبطاء من التلاميذ الفقراء الى أوربة

لتحصيل العلوم والفنون ، وجعلت المادة الثالثة حق الانتساب الى الجمعية

وقفاعلى كل عربي ،كما نوهت المادة السابعة عشر باصد ار جريدة محلية

• لتوزيعها على الاعضاء بلا ثمن مرة كل شهر .

وبعد تعميم نظام الجمعية على الشعب الحموي بسادر فريق من علماء

المدينة وأدبائها وأصحاب النزعات الإصلاحية الى المشاركة في دعمها لتنهض

بالمهمة التي انيطت بها ، ووقفت الى جانبها طائفة من سيدات المجتمع

الحموي ، وبذلك سجلت المرأة الحموية في الربع الاول من هذا القرن دورا

رياديافي العمل مع الرجل جنبالى جنب في الحقل الوطني والانساني .

وعندما حل الانتداب الفرنسي محل الحكم العربي الفيصلي بقيت

جمعية الاسعاف تمارس نشاطها الاجتماعي ، غير أنه اكتسب اiban الانتداب

بعد اجدید ۱، أعني مضمونا سياسيا ، فقد حصل نفر من اعضاءها على ترخيص

من الفرنسيين بتأسيس ناد أدبي الى جانبها ، وقد تحدثنا عنه سابقا .

ويمكن تلخيص الاعمال التي قامت بها جمعية الاسعاف في فترة

الحكم العربي وبداية عهد الانتداب بمائلي

١- ايفاد عدد من الطلبة الحمويين الى اوربسة

٢- تقديم العون المادي الى المدارس الفقيرة دون تمييز ديني

وقد اطلعت على كتاب مطرانية الروم الارثوذكس بحماة بتوقيـع

الارشمندريت بيفون ، يشكر فيه غيرة رجال الاسعاف على التلامذة

المسيحيين ، ويرى في هذا العمل الخيري دليلا على الأريحية والمحبة

• وحسن الوثائق

٣- ايجاد نظام لمحو الامية بين ابناء الشعب وتأمين مستلزماتها وكانت أماكن تعليم الأميين موزعة على المساجد والمدارس والاندية الليلية، وقد ورد في (نداء إلى الشعب الكريم) وزعته الجمعية بعد أربع سنين من تأسيسها أنه (لأفائدة لهذه الأمة ما لم يعم العلم أكثر أفراد طبقاتها) وأكد النداء على أن (الحياة الاستقلالية الحرة التي تنشدها أمتنا لا بد لها من أساس ثابت وهو العلم المفيد) .

٤- انشاء الحركة المسرحية وتشجيعها ، وكان محمد البارودي أول من نهض بالمسرح في مدينة حماة ، فقد ألف فرقة تمثيلية من شباب جمعية الاسعاف قاموا بتمثيل عدد من الروايات العربية والاجنبية على مسرح الزهرة ومسرح صالون الكوكب ، وتميزت هذه الروايات باسقاطات تاريخية ووطنية ، نذكر منها (في سبيل التاج) و (أبي عبد الله الصغير) و (مجلس العبر) . . كما شجعت الجمعية فرقة جورج أبيض عندما قدمت الى حماة لتقديم رواية (البطل عطيل) .

٥- الاتصال برئاسة المعارف في دولة دمشق لرفع نسبة المقبولين
مجاناً في المدرسة التجهيزية بحماة تحقيقاً لنشر العلم بين أبناء الشعب .

٦- العمل على احياء بعض الصناعات التي أوشكت على الانقراض
كمصناعة سكب النحاس الاصفر ، وتقديم المساعدات المادية لاصحابها .

٧- إقامة مسابقات علمية وبيدوية وفنية لتفجير طاقات الشباب وتشجيع المبدعين منهم بالمكافآت المادية والمعنوية .

٨- وكان الفرع النسائي للجمعية يقوم بجمع الاعانات والتبرعات من نسوة المدينة ، ويعمل الفرع على تقديم العون لمن فقدن المعيل أو قعدن: عن الكسب بسبب العجز ، ويهيء فرص العمل الشريف للقادرات من النساء .

٩- إصدار جريدة (التوفيق) للدفاع عن قضايا الشعب ومطالبة الحكومة العربية بأجراء إصلاح المنشود (٤١) .

تلكم هي خلاصة عن اعمال جمعية الاسعاف الخيري ، ولا يخفى مالها من أشرفي مناهضة سياسة الانتداب بصورة غير مباشرة ، اذ أن الجمعية كانت بمثابة مدرسة اجتماعية أحييت ميت الهمم ، وأذكت في النفوس

حب الوطن ، وأسهمت بشكل عملي في تذويب الفوارق الطبقية ، وتحرير السواد
الاعظم من جهالته وغفلته ، فكانت أول معول في صرح الانتداب ، وأول
معول في صرح الاقطاعات .

وأهم من هذا وذاك فان الجمعية نبهت الشعب الى مساوي الانتداب
وخلقت فيه الاحساس بالظلم والقهر والبؤس ، وجعلته يشعر بأنه لا يملك من
مقدرات بلاده شيئاً ، ومن الطبيعي أن هذا الشعور الصارم هو الذي دفع
اعضاء الجمعية الى المشاركة في احداث الثورة السورية عام (١٩٢٥) .
وقد صب الفرنسيون جام غضبهم على اعضاء الجمعية والنادي معا ،
فلوحق اعضاؤهم وتعرض مقرهم للسلب والنهب ، ولم يسلم من وثائقهم
الا القليل ، وانطوت بذلك صفحة مشرقة من صفحات كفاحنا السياسي
والانساني .

* * *

هذه ملامح من حركة النهضة في حماة خلال الربع الاول من القرن العشرين
وهي كما رأينا مرتبطة بحركة اليقظة العربية ، ونحن عندما قصدنا وضع هذه
المرحلة من تاريخ البلد في دائرة الضوء لأول مرة فلان الكثير من ابناء
هذا الجليل يكاد لا يعرف عنها شيئاً بعد أن مرت عليها أحداث وأزمان .
ولا يغربن عن البال أن دعاة النهضة لم يسيروا في طريق سهولة
مأمونة محفوفة بالرياحين ، وانما اختاروا الصعب العسير ، فساروا
وسط الاشراك والاشواك ، والزوابع والصواعق تلهبهم الجاهلية الحديثة
بسياطها . . فلا تنزل أقدامهم ، وتفجأهم برجومها . . فلا يحسون زهقا
ولا رهقا ، انهم الطبقة التي عقدت الخناصر على معاكستها ، لقد كانوا في
صراع دائم مع القوى المضادة لحركة التقدم ، فصبروا كما صبر أولو العزم من
الرسل ، وتحملوا ما يطاق وما لا يطاق ، ولا أجد من وصف لهذه المعاناة المريعة
سوى ما كتبه أحد دعاة في مقال بعنوان (هل نرقى) صور فيه آلام تلك
الفئة الداعية الى الرقي بقوله : —

(هذه الطبقة من الناس ، أشدهم عذابا ، وأكثرهم زفيرا ، وأتعبهم سيرا
وأكثرهم عناء ، يلامون ويكذبون فيما يقولون ، ان دعوا الى انتباه من
رقدة قيل : ان هؤلاء يريدون أن يوقعوا فتنة ويدسوا دسيسة ، أو يلقبوا

التفرقة بين العناصر ، وان طلبوا منهم أن يقلعوا عن سجية ارتكبوها قال
المفسدون في الارض : ماذا يطلب هؤلاء ، أيريدون أن نكون كما يشتهون
وربما التف حولهم زعانف ناصحون يقولون : دعوا الناس في ما هم عليه
انهم هكذا خلقوا ، أو أنكم أنتم المخطئون (٤٢) .
فاذا وصلت هذه الفئة المستنيرة الى حافة اليأس تمثلت أو تعللت
بقول الشاعر :

ونارلوني فخت بها أضاعت ولكن أنت تنفخ في رماد
ولو أنها سمعت ما قاله أحمد شوقي :
فعلم ما استطعت لعل جيلا سيأتي يصنع العجب العجبا
اذا النعمت بالا ، وقرت عينا بمصير الاجيال القادمة .

((حواشي البحث))

=====

- ١- ديوان نديمة خاطر - مخطوط .
- ٢- المجتمع العربي السوري في مطلع العهد العثماني (١٢٥) .
- ٣- لسان الشرق - العدد ١٢٠ - تاريخ ١٢ آذار ١٩١٠ .
- ٤- لسان الشرق - الاعداد - ٢٥٠ تاريخ ١١ آب ، ٢٥١ تاريخ ١٣ آب ،
٢٥٣ تاريخ ١٥ آب ، ٢٥٤ تاريخ ١٦ آب ، ٢٥٦ تاريخ ١٨ آب ، ٢٥٧ تاريخ
٢٠ آب ١٩١٠ .
- ٥- لسان الشرق - العدد ٢٤٣ تاريخ ٣ آب ١٩١٠ .
- ٦- تاريخ الصحافة الحموية - مخطوط .
- ٧- خطط الشام - الجزء الرابع : ٥٠ .
- ٨- محفوظات مصطفى الحوراني .
- ٩- ديوان نديمة خاطر - مخطوط .
- ١٠- لسان الشرق - العدد - ٢٠٣ تاريخ ١٨ حزيران ١٩١٠ .
- ١١- لسان الشرق - العدد - ٨٣ تاريخ ٢٦ كانون الثاني ١٩١٠ .
- ١٢- لسان الشرق - العدد - السابع تاريخ ٢٦ تشرين الاول ١٩٠٩ .
- ١٣- لسان الشرق - العدد الخامس تاريخ ٢٤ تشرين الاول ١٩٠٩ .

- ١٤- كانت مخصصات المعارف في الدولة العثمانية عام (١٩١٠) حوالي (٨٨) مليون غرش ، أومايساوي (٢٠) مليون فرنك ، بينماهي في فرنسة للعام نفسه (٣٠٢) مليون فرنك ، أي بزيادة (١٥) ضعفاً (انظر لسان الشرق - العدد - ١٦٦ تاريخ ٥ أيار عام ١٩١٠) .
- ١٥- لسان الشرق - العدد - ٥٨ - تاريخ ٢٨ كانون الاول ١٩٠٩ .
- ١٦- لسان الشرق - العدد ٢٥٤ تاريخ ١٦ آب ١٩١٠ والبيتان منسوبان للصارخ المكتوم .
- ١٧- لسان الشرق - العدد - ١٢ تاريخ ١ تشرين الاول ١٩٠٩ .
- ١٨- المرجع السابق .
- ١٩- لسان الشرق - العدد - ٣٤ تاريخ ٢٧ تشرين الثاني ١٩٠٩ .
- ٢٠- لسان الشرق - العدد ٨٢ - تاريخ ٢٥ كانون الثاني ١٩١٠ .
- ٢١= لسان الشرق - العدد التاسع تاريخ ٢٨ تشرين الاول ١٩٠٩ .
- ٢٢- لسان الشرق - العدد ٨٢ تاريخ ٢٥ كانون الثاني ١٩١٠ .
- ٢٣- تطور التعليم في مدينة حماة (١٣) .
- ٢٤- خواطر - الجزء الاول (١٤٧) .
- ٢٥- عاصر الاستاذ احمد الوتار قيام دار العلم والتربية ، ودون تاريخها في مخطوط اعتمدنا عليه في هذا البحث .
- ٢٦- التوفيق - العدد الثامن تاريخ ١٩ شباط ١٩١٩ .
- ٢٧- اعتمدنا في هذا البحث على محفوظات بيت الامة .
- ٢٨- ورد ذكرها مراراً في صحيفة لسان الشرق ، انظر على سبيل المثال الاعداد - ١ - ١٤ - ١٢٧ - ١٨٦ - ٢٤٨ لعام ١٩٠٩-١٩١٠ .
- ٢٩- لسان الشرق - العدد الاول - تاريخ ١٩ تشرين الاول ١٩٠٩ .
- ٣٠- لسان الشرق - العدد - ٧٨ تاريخ ٢٠ كانون الثاني ١٩١٠ ومجلة الانسانية ، السنة الثانية العدد الثاني - ايار ١٩١١ .
- ٣١- لسان الشرق - العدد ١٣٦ تاريخ ٣١ آذار ١٩١٠ .
- ٣٢- مجلة العمران - عدد خاص عن مدينة حماة صدر عام ١٩٦٩ (انظر مقابل : تطور التعليم في حماة للاستاذ شوقي الكيلاني) .
- ٣٣- اطلعت على قائمة بأسماء اعضاء الجمعية محفوظة لدى الاستاذ محمد الحافظ .

ب - المراجع الخطية :

- ١- تاريخ دارالعلم والتربية : تأليف احمد الوتار .
- ٢- تاريخ الصحافة الحموية : تأليف عدنان قيطاز .
- ٣- ديوان نديمة الخاطـر : نظم نوري باشا الكيلاني .
- ٤- محفوظات بيت الامة - حماة .
- ٥- محفوظات الاستاذ محمد الحافظ - حماة .
- ٦- محفوظات الاستاذ مصطفى الحوراني - حماة .

ج - صحف ودوریات :

- ١- مجموعة (لسان الشرق) الحموية الصادرة بين عامي ١٩٠٩ - ١٩١٠ .
- ٢- مجلة (الانسانية) الحموية - السنة الثانية ١٩١٠ .
- ٣- مجموعة (التوفيق) الحموية الصادرة عام ١٩١٩ .
- ٤- مجلة (النواعير) الحموية - المجلد الثاني ١٩٤٦ .
- ٥- مجلة (العمران) الصادرة عن وزارة البلدية والشؤون القروية (عدد خاص عن مدينة حماة ١٩٦٩) .

صومعة حمص

الأستاذ محمد ماجد الموصلي

يذكر عدد من المعمرين الحمصيين أن بناءً أثرياً معروفاً باسم (الصومعة) كان قائماً على طريق طرابلس قبل اندلاع حرب السفربرك (الحرب العالمية الأولى) .

إن أقدم الوثائق التاريخية التي قدمت وصفاً ورسوماً توضيحية لبناء الصومعة، كان كتاب (رحلة إلى سورية) للفرنسي (ل. ف. كاساس) (١)، ويعتبر توثيق بناء الصومعة زمن صدور الكتاب المذكور في عام (١٧٩٩) من أهم مثيلاته (٢)، فاستناداً إلى الرسوم التصويرية والمعمارية التي نشرت في كتاب كاساس، كانت الصومعة بناءً كاملاً عند بداية القرن التاسع عشر، بقي بناء الصومعة بعيداً عن أنظار الرحالة والمهتمين بأثار الشرق الكلاسيكية نحو قرن من الزمن، وذلك إلى أن حضرت أول بعثة أثرية أمريكية إلى سورية في عام (١٨٩٩) (٣) . وكانت حمص إحدى المدن التي زارتها تلك البعثة، حيث قام أحد أعضائها بالتقاط أول صورة فوتوغرافية للصومعة، وتمثل تلك الصورة مشهد الجدار الشمالي الوحيد الذي بقي قائماً حتى عام (١٩٠٥) .

وكان المستشرق السويدي الأستاذ (فون كارل فاتسينجر) (Von C. Watginger) آخر من حالفه الحظ في مشاهدة أثار الصومعة عام (١٩٠٧) حيث أن بلدية حمص قد هدمت ما بقي من أثارها في عام (١٩١١)، وبهذا العمل كانت البلدية قد أزالَت وإلى الأبد أثاراً عربية ما بقي قائماً في حمص نحو من ثمانية عشر قرناً، وشيدت مكانه مادي وقتها بالغازخانة (أي محطة بيع الكساز) .

كانت صومعة حمص عبارة عن فريخ تذكاري بني تخليداً لأفراد السلالة العربية الملكية التي عرفت باسم (شمسيغرام) والتي حكمت سورية الوسطى خلال القرن الأخير قبل الميلاد والاول والثاني الميلاديين . لا يعرف بدقة تاريخ ابتداء حكم سلالة (شمسيغرام) لسورية الوسطى

خلال القرن الاول (ق.م) ، ولكن اقدم توثيق معروف لظهور اسم تلك السلالة الملكية في التاريخ المدون للمنطقة يعود الى زمن حكم الامبراطور الروماني بومبي الذي غزا سورية في عام (٦٤ ق.م) ، فقد جاء في وصف حملة هذا الامبراطور انتصاره على امير (او ملك) ايميسا (حمص) من اسرة شمسيفرام .

كان من ملوك سلالة شمسيفرام دابل ملكا وشمسيفرام حيميليك والاسكندر ، وجميليك الثاني وشمسيفرام الثاني (٤) وعزيز المتوفي في عام (٥٤) ميلادي وسهيم الذي حكم في عام (٧٣) ميلادي ، كان من افراد سلالة شمسيفرام ايضا نصر وشمش ابن شمسيفرام (٩٩ ميلادي) وايوتابي ابنة شمسيفرام الثاني المتوفية في عام (١٠٨) ميلادي وشمسيفرام ابن سهيم المتوفي في عام (١٣٧) ميلادي (٥) .

يعود تاريخ تشييد بناء صومعة حمص الى عام (٧٨) او عام (٧٩) ميلادي وتوافق هذا العام الاخير (٧٩ م) مع العام الذي توفي فيه الامبراطور الروماني فيسباسيان ، وقد اثبت تاريخ بناء الصومعة نقش تاسيسي دون بالقلم اليوناني القديم على لوح حجري مستطيل في اعلى الطابق الثاني من البناء ، شاهد الحجرة التي نقش عليها النص التاسيسي بوكوك (PococLce) في عام (١٧٤٥) وكاساس في عام (١٧٩٩) ، وفي العام الذي نسخ فيه النقش العالم الفرنسي وادينغتون (٦) ، كانت الحجرة قد انتزعت من مكانها (او سقطت مع تهدم الطابق العلوي) ونقلت الى منزل الحاج محمود الجهنني الكائن في حي باب هود .

ترجمة النقش :

(بنى غايوس يوليوس من قبيلة فابيا ، شمسيفرام ، المدعو ايضا بسيلاس بن غايوس الكيسيون ، في حياته هذا المدفن لنفسه ولأسرته عمام ٧٨ (او ٧٩ م) ، (٧) .

يوضح النقشان هذا الضريح التذكاري (الصومعة) كان قد شيده غايوس يوليوس شمسيفرام الذي ينتسب الى القبيلة القيصرية فابيا وكان غايوس هذا احد السادة الذين ينتسبون الى سلالة شمسيفرام الملكية ، ويعتقد أنه كان آخر من حكم حمص من تلك السلالة .

كما ويوضح النقش توافق زمن حكم غايوس يوليوس مع عهد حكم
الامبراطور فيسباسيان .

يوضح النقش أيضا ان غايوس هذا كان يحصل لقباشانيا وهو سايلاس
والاسم الاخير معروف خلال زمن حكم الامبراطور الروماني بومبي .
حدد الاستاذ فانتسينجر المكان الذي شاهد فيه آثار بناء الصومعة عام
(١٩٠٧) بالكلمات التالية :

(تقوم آثار ضريح تذكاري قديم على بعد عدة مئات من الامتار الى
الجنوب الغربي من مدينة حمص (٨) وعلى مقربة من الطريق المؤدية الى
محطة القطر) (٩) .

اذا اردنا ان نحدد المكان الذي تقوم فوقه الصومعة ، فاننا نستطيع
القول انها كانت تقوم مقابل بناء المركز الثقافي الجديد من جهة الشمال
وذلك بين شارع علاء الدين الدروبي واحمد شوقي ، وتؤدي هذا التوقيع
المكاني للصومعة ذكريات المعمرين الحمصيين الذين حدثو ني عنها .
* الوصف المعماري للصومعة :

ذكرنا في المقدمة ان كاساس كان اول من وثق الصومعة بالرسوم
والمقاطع المعمارية (ارجع الى مخطط البناء) ، وقد استطاع المستشرق
السويدي فانتسينجر اعداد دراسة معمارية هامة معتمدا في ذلك على ما
شاهده من بقاياها المعمارية وعلى مقارنة ذلك مع دراسات سابقه .
كانت الصومعة عبارة عن بناء مربع عند قاعدته ، يتألف من طابقين
ويعلو الطابق الثاني هرم من النموذج المعماري المعروف باسم
(ObeLisque) والبناء يشبه بمجمله تقريبا القبور الهرمية التدمرية التي
ما زالت ماثلة للعيان حتى يومنا هذا ، شيد بناء الصومعة فوق مصطبة تعلو
عن مستوى الارض المجاورة مقدار نصف متر ، وقد بنيت بأحجار الطوب ، وبني
طرفها الخارجي على شكل درج ، بلغ عدد درجاته خمسة ، بلغ طول ضلع
مربع القاعدة (١٣ م) وبلغ ارتفاع المبنى (٢٢ م) ، جعل للبناء مدخلا
في الجهة الشرقية .

تألف الطابق الارضي من قاعدة مربعة ذات سقف عقدي مثنى ، وقد
بلغ طول ضلع المربع ثمانية امتار ، انيرت القاعدة عبر ثلاثة فتحات ماثلة

نحو الداخل ، هذا ما أكدت وجوده الاشارة التي بقيت من الجدار الشمالي ،
ولربما وجدت تلك الفتحات ايضا في الجدار الجنوبي ، اما الطابق العلوي
فقد تألف هو الآخر من قاعة واحدة دائرية وهي اصغر من قاعة الطابق الارضي
شيد الطابق العلوي بتراجع عن الطابق الارضي بلغ مقداره (١) م في كل
جهة ، كان سقف قاعة الطابق العلوي عبارة عن عقد يقوم فوق ثمانية
محاريب نصف دائرية ، وقد جعل فوق كل محراب ثلاثة اقواس متتابعة .
امتازت واجهة الطابقين بوجود خمسة اعمدة لكل واجهة طابق
وكان يعلو كل عمود تاج حمل فوقه افريز نافر ، وشيدت الجدران الخارجية
الصامتة باحجار متناوبة في اللون بين الاسود (احجار بازلتية) والابيض
(احجار كلسية) وهي نفس العمارة التقليدية التي اشتهرت بهابيتوتات
حمص عند نهاية القرن الماضي وبداية القرن الحالي ، تبرز الاحجار البيضاء
للمدماك الذي يعلو التيجان عن مدماك الاحجار البازلتية .
زخرف سياق المداميك الذي يفصل بين واجهة الطابقين بدعائم
محددة ونحتت فوقها جبهات مثلثة ومتكررة .
اما الجدران الداخلية فقد ازدانت بالزخارف الهندسية الملونة
والمتناوبة ، وتعتبر تلك الاشكال الزخرفية من الزخارف الفريدة فسي
تاريخ العمارة ومن ابكرها زمنيا ، فقد ظهرت مثل تلك الاشكال الزخرفية
خلال ازمة لاحقة في مناطق شمال / شرق اوربا وغيرها .
واخير اوقبل ان نختم الحديث عن صومعة حمص لا بد لنا من ان ننوه الى
ان مثل هذا الطراز المعماري الذي ميز بناء الصومعة كان معروفا في مصر
القديمة وقد انتقل استخداً الى سورية عبر فلسطين اولا ، فمن اقدم
النماذج المبكرة زمنيا لهذا الطراز هو قبر ابنة الفرعون الذي اكتشف
في كفر سلوان بالقرب من مدينة القدس ، والذي يعود تاريخ تشييده الى
القرن السادس ق . م .

الكشف مريته آترو المينية

الأستاذ
محمد رالحوي

نعود لنتابع ما بدأناه في العددين الأول والثاني من هذه المجلة عن أخبار موقع تل الحديدي الكائن في منطقة حوض الفرات على بعد (٣٠) كم إلى الجنوب الشرقي من مدينة بئج، ولكي نأخذ فكرة عن الحضارات التي تعاقبت على هذا الموقع لابد من المأمة سريعة تذكربما أسلفنا من حديث منه .

يعتبر هذا التل واحد من مواقع أثرية كثيرة انتشرت على ضفاف حوض الفرات ، ولكنه يتميز بـ كبر حجمه وامتداده على رقعة واسعة ، هذه تعتبر من الصفات التي تعبر عن أهمية الموقع الأثري ، تعود أقدم آثار هذا التل إلى طبقة الألف الخامس قبل الميلاد وقد تسلسلت مظاهر العمران فيه عبر التاريخ حتى غدت تمثل في عصور البرونز مدينة لاشك في أنها كانت تعتبر من كبريات المدن ، وقد استمر عمران هذا الموقع من الناحيتين السكانية والحضارية حتى نهاية عصر البرونز الأخير حيث توقف ، ثم عادت الحياة إلى الجانب الجنوبي الشرقي في العهد الروماني خلال القرون الثلاثة الأولى من التاريخ الميلادي ثم توقف ثانية ثم عاودته الحياة في الزاوية الغربية الجنوبية في العهدين الأيوبي والمملوكي الإسلاميين ثم هجر .

وبما أننا استعرضنا في العدد الثاني فكرة عن عصري البرونز القديم والوسيط لذا سنخصص هذا المقال بدراسة عن عصر البرونز الأخير ، وهنا لابد لي بادئ ذي بدء من الإشارة إلى أنني استقيت معظم معلوماتي الأساسية لهذا المقال من محاضرة ألقاها رئيس البعثة الأثرية المنقبة في هذا الموقع الدكتور - رودولف دورنمان - في مؤتمر ستراسبورغ الأثري في عام (١٩٧٦) ، ومن بحث نشره في المجلة الأثرية (ARCHAEOLOGY) ، الأمريكية العدد (٦ لعام ١٩٧٨) .

وقبل أن أخوض في الحديث عن أسرار الطبقة التي ترجع إلى عصر البرونز الأخير أشعر بضرورة التعرف بمواقع عصور البرونز من التاريخ الخاص بالشرق القديم وهي على النحو التالي : —————

عصر البرونز الأول يقع ما بين (٢٣٠٠ - ٢٠٠٠) قبل الميلاد .
عصر البرونز الوسيط يقع ما بين (٢٠٠٠ - ١٥٥٠) قبل الميلاد .
عصر البرونز الأخير يقع ما بين (١٥٥٠ - ١٢٠٠) قبل الميلاد .
ومما تجدر الإشارة إليه أيضاً أن كل عصر من هذه العصور ينقسم إلى ثلاثة أدوار يشار إليها بحسب قدمها بالارقام المتسلسلة (١-٢-٣) فنقول عصر البرونز الأول الدور (١) أو (٢) أو (٣) ونفس الشيء بالنسبة إلى عصر البرونز الأخير ، الوسيط والأخير .

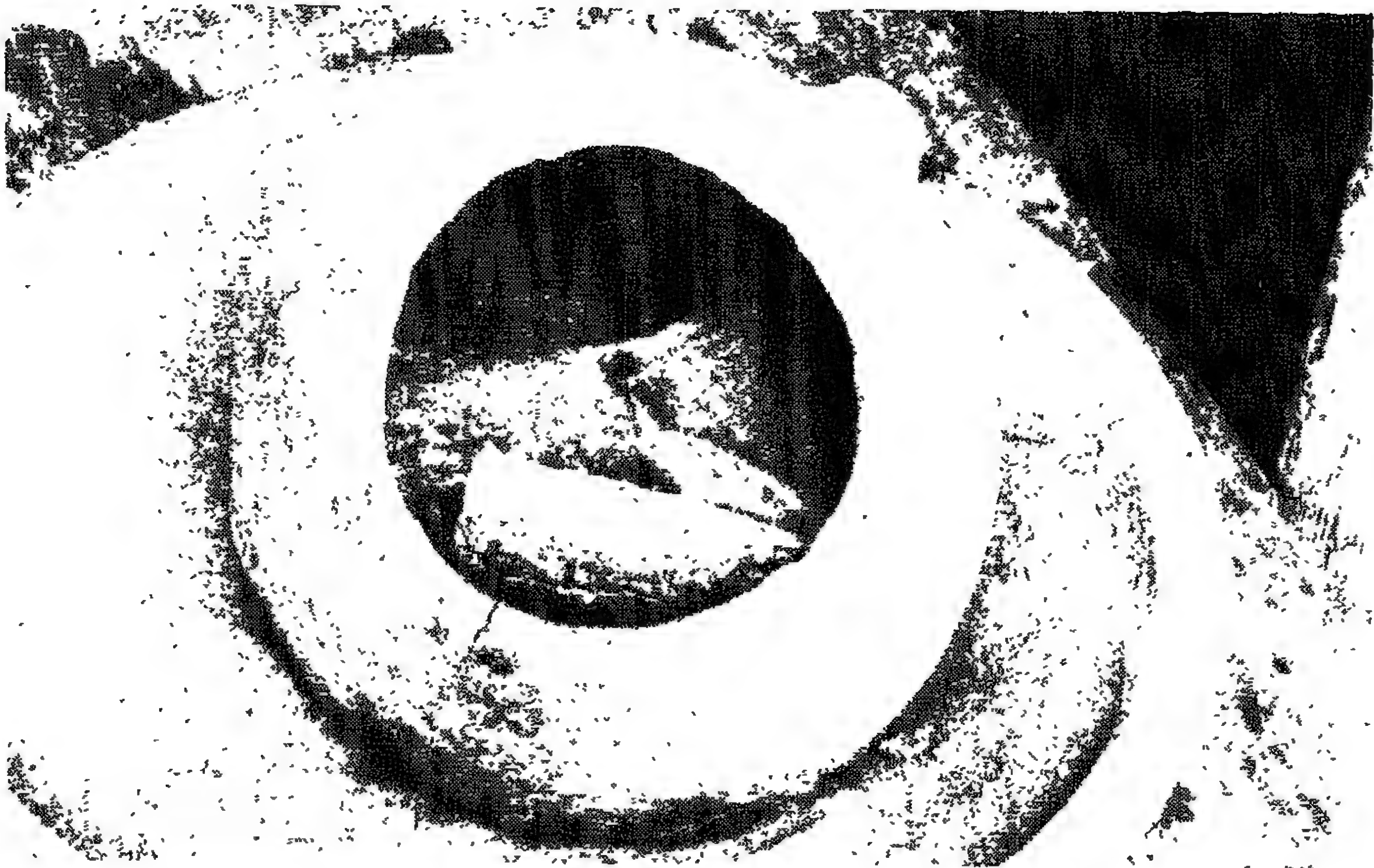
أهم توفيق يتعلق بعمران التل السكاني والحضاري يعود إلى القرن الخامس عشر قبل الميلاد حيث اكتشفت مجموعة من الرقم الفخارية في طبقات عصر البرونز الأخير ، عثر عليها في بناء جرى تهديمه بالقوة أثر حريق أو حملة عسكرية ، وهذه الرقم على قلة عددها - حيث لا يتجاوز عددها سبعة عشر رقما - فهي هامة جداً لانها تشير إلى اكتشاف مدينة ميتانيّة تعرف بمدينة آزو ، كانت قد ذكرت في وثائق موقعين متباينين آخرين ، اكتشاف أحدهما في سورية وهو موقع الالاخ (تل عطشانة) القائم في سهل العمق بالقرب من معب نهر العاصي على البحر الأبيض المتوسط والثاني في العراق وهو موقع نوزي القائم في شمالي أراضي العراقية .

تحدثت هذه الرقم التي نقشت بالكتابة المسمارية عن المنزل الذي اكتشف فيه (١) ، فذكرت أن المنزل يعود إلى شخص يعرف ب(بابابسن عزيزوبن واجان) (٢) ، وقدمت كذلك الاسم الخاص بالمدينة وهو آزو ، هذا بالإضافة إلى معلومات هامة غنية أسهمت في كشف جوانب من حياة شعب المدينة الثقافية والاجتماعية والاقتصادية ، هذا الاكتشاف ولو أنه لم يضيف معلومات جوهرية إلى ما هو معروف عن العصر الميتاني ان كان من جهة حكام العصر أو الجانب السياسي بشكل عام لكنه مع المكتشاف الأثرية

(١) - ربما أن هذه الرقم كانت تؤلف جانباً من مكتبة خاصة بصاحب المنزل

المذكور .

(٢) - لعله الأصل لاسم يحيى .



— الصورة رقم ٢ / مجموعة من الرقم الفخارية المنقوشة بالكتابة المسمارية —

الآخري ولا سيما الأواني الفخارية ساعد على تكوين الأطوار التاريخي لمدينة
آزوا المكتشفة وأعلن عن سبق مدهش في إبراز موقع المدينة الحقيقي ، أما
الأطوار التاريخي فيمكن تحديده بالقرن الخامس عشر قبل الميلاد وبشكل
أدق يمكن إعادته إلى الفترة الواقعة إبان الحملة الحثية التي اجتاحت شمال
سورية في حوالي نهاية عصر البرونز الوسيط وتابعت تقدمها إلى أسفل حوض
الفرات حيث ومرت مدينة بابل في حوالي (١٥٩٥) ق . م وأخيرا تم لها
احتلال وسط سورية بعهد الملك الحثي الشهير سيلوليوما حوالي (١٣٣٥ —
١٣٧٥) ق . م .

ظهرت المملكة الميتانية في القرن الخامس عشر كقوة جبارة اكتسحت
جميع أعدائها واستطاعت أن تمد نفوذها من الساحل السوري وحتى جبال
إيران الغربية ، وقد استفاد الميتانيون من ضعف خصومهم الحثيين
فقاموا بتدعيم قواتهم العسكرية وتعزيز موقعهم السياسي بعقد اتفاقات
مع فراعنة مصر الذين استطاعوا أن يمدوا نفوذهم آنذاك إلى أجزاء هامة
من سورية تجدر الإشارة إلى أنه ليس لدينا في موقع تل الحديدي أي أخبار
أو معلومات يمكن ربطها بشكل أكيد بأية من المحاولات العسكرية التي



— الصورة رقم ٣ / نموذج الفخار المكتشف أثناء القيام بعملية الرسم —

تعرضت لها المنطقة سوا ١٦ الاشورية منها أو الحثية أو المصرية أو كل ما يمكن ربطه من النواحي العسكرية هو تحصينات المدينة المدروسة جدا والتي تتألف من منحدرات حادة تتقدم خنادق عميقة وأبراج وأسوار حجرية تحيط بالمدينة يتجاوز عرض بعضها المترين والنصف وهيكل عظمي لانسان سقط من عل بعد أن غرس دبوس معدني في جسد صاحبه ، وتتنجلي أهمية المكتشفات في كونها ذات مضامين اجتماعية حيث ألقت الاضواء على المستوى المعاش للمجتمع هناك وقدمت أفكارا عن شؤون التملك وشؤون الثروة وعن الدخل الوسطي للفرد في مجتمع المدينة السوري آنذاك :

* أهم اكتشافات هذه الطبقة :

تم اكتشاف دار مكونة من باحة وثمانية غرف ، الجزء الاسفل من جدران هذه الدار مبني بالحجارة غير الموجهة بينما الاجزاء العليا منها مقامة بواسطة الطوب وقد ليست الجدران بالطين وكذلك غطيت أرض الغرفة بطبقة طينية ناعمة .

اذ تأملنا مليا هذا المخطط الخاص بالدار المذكورة لا يمكننا القول أنه مازال يتكرر حتى يومنا هذا كما أن أسلوب التنفيذ والمواد المستخدمة فيه مازالت هي نفسها ويكفي للتأكد من ذلك مشاهدة الدور المعاصرة في القرى المجاورة كالحديدي والشجرة والشاش وغيرها ، والفارق الوحيد أنه في الابنية القديمة تختلف كمية الحجارة في اساس البناء العادي الخاص بالسكن ويتراوح ارتفاع الاساس من المدماك الواحد حتى الاربعة في مستودعات الغلال والغرف الخاصة بالوثائق والمقتنيات الهامة مثلا كان اساس الغرفة التي عثر فيها على الرقم الفخارية يتراوح ما بين (١٥٠ و ٢٠٠ سم) .

لم يكن هذا الاعتبار خاصا بارتفاع الاساس فقط بل كذلك بعرضه ، حيث اكتشفنا أن عرض الاساس يختلف ما بين غرف الدار الواحدة ، كذلك ما بين اساس دور السكن والمعابد والاسوار ، نرجح أن عوامل ذلك هو مدى ارتفاع البناء والطبقات التي يتكون منها .

أما الاسقف فيمكننا القول بأنها تشبه الاسقف في القرى المعاصرة والمواد المكتشفة تشير الى استعمال خشب الحور وفوقه القصب أو أغصان الاشجار لاسيما الطرف التي تنبت على ضفاف الفرات وفي جزره أو القش ومن ثم الطين .

عشرفي باحة الدار على صف من الجرار الكبيرة الخاصة بمخزن المسواد
التموينية بالإضافة الى الانية الفخارية الخاصة بشؤون الطبخ والخدمات المنزلية



— الصورة رقم ٥/ مجموعة من جرار الخزن وقدور الطبخ اكتشفت في باحة الدار
الآخري وهناك فرنان أقيمافي الجانب الشرقي من باحة الدار الى جوار
مصطبة واطئة متصلة بأحدهما، وفي الباحة أيضا منطقة نصف دائرية، مرصوفة
بالحجارة ومغطاة بطبقة من الطين — لم نهتد بعد الى طبيعة استعمالها
ثلاث غرف من هذا المجمع تحتوي على مجموعة جرار من الحجم الكبير الخاص
بالخزن وكذلك قواعده هذه الجرار بالإضافة الى أبريق ومطرات وطاسات
حجرية ومحارية، وكذلك اختتام اسطوانية وهيكل عظمي لانسان مع انواع
من اللقى الآخري .

تتميز الغرفة الكائنة في الزاوية الجنوبية الغربية بأن أرضها أعلى مستوى
من أرض الغرف الآخري وقد تعرضت محتوياتها الى الاحتراق فاصاب التلـف
معظمها ، واحترق بعض الفخار حتى تحول الى اللون الأخضر، وبعض
القطع تحولت الى صهارة من شدة ارتفاع الحرارة، أما الغرفة الكائنة قسي
الزاوية الجنوبية الشرقية فقد احتوت على نماذج أقل من الفخار حيث وجدنا

ارض الغرفة مغطاة بارتفاع (٢٠-٤٠ سم) من المواد المحترقة لاسيما الحبوب التي كانت مخزنة في الغرفة .

واكتشفنا كذلك نماذج من هذه الغلال لما تحترق تماما في الغرفة الجنوبية (٣) هذا بالإضافة الى قطع خشبية من أثاث منراي متفحمة . ومايلفت النظر أن الجدار الفاصل ما بين القاعة الكبيرة وباحة السدار يحتوي على ثغرة ربما كانت محرابا أو نافذة أو خزانة جدارية وأي كانت فهي تمثل ظاهرة غريبة في عمران ذلك العصر، وقد كانت محاولا تنابحشا في التعرف على حقيقة استخدامها ، رغم وجود بعض المعطيات المساعدة مثل كسور فخارية خشنة عثرنا عليها فوق الحدار نفسه وأجزاء لقاعدة تمثال فخاري مع انقراض عمرانية توضع عند أساسه ، وكل ذلك عجز عن تقديم الدليل اللازم لتصور حقيقة تلك الظاهرة .

وكل ما تفتق الظن عنه هو أنها ربما كانت محرابا تحفظ فيه جرة ماء الشرب الكبيرة .

— التقليد الذي مازال متبع لدى شعب حوض الفرات — وان صحت ذلك فتكون هذه الظاهرة استثناء لأنها غير مألوفة في ابنية هذا العصر .

✽ الرقم الفخارية المسمارية :

توالى كشف مجموعة الرقم الفخارية تباعا وفق البيان التالي :

استفتحنا بالعثور على لوحين تامتين ملقأتين فوق الدوم الذي يملأ ساحة الدار وتلا ذلك اكتشاف أجزاء ثلاث لوحات أخرى ، هناك لوحة عثر عليها في الغرفة الغربية قرب زعرور الباب ، واللقيا الأهم هي تلك التي تشتمل على ثمانى لوحات توضع في حرة (انظر الصورة رقم (٢) ، أما بقية اللوحات فقد وجدت فوق الانقراض التي تجمعت الى جانب الحدار الغربي .

ان معظم هذه اللوحات تحفل نصوصا قانونية وتعنى كذلك بشؤون امتلاك المزارع والكروم والمستودعات وبعضها اختص بالارث ونوه بعضها عن وضع المرأة في المجتمع الميتاني وحقوقها في الارث والتملك ، ان مثل

(٣) — من المعلوم أن فحص المواد العضوية المتفحمة على جهاز الفحــــــــــــــــم (١٤) يساعد على معرفة التاريخ التقريبي لعصر استعمال

تلك المــــــــــــــــواد .

هذه النصوص هامة جدا لاسيما ما يتعلق منها بشؤون البيع ، ولعل أشهر نصوص البيع في هذه المجموعة هما نصان نظام البيع واحد وهو بيت للسكن ، في النص الاول بيع البيت بواسطة الياهي بن سوري بن الاله داجان السبي لومس آحي ولم يذكر الثمن وفي النص الثاني ذكر أن البيت يخص الياهي بن الاله داجان والثمن (٣٠٠) شاقل من الفضة ولم يذكر اسم الشاري ، تحدثت لوحة عن وصية بيايا صاحب بيت ترك فيه جميع ممتلكاته لبناته ، ولوحة تحمل رسالة قصيرة مؤلفة من ثمانية اسطروهي موجهة من أوحى الى أريجاليا وفيها يسأل عن أشياء كانت قد أخذت من أويرجال وهي إحدى القرى التابعة لمدينة أزوالتي سرقت ممتلكاتها .

وهناك لوحة تحدثت عن استبدال راعي براع آخر وثلاث لوحات احتوت على قوائم اثنتان منها تذكر سلعا مرقنة والآخرى منظمة باسماء أشخاص شكلوك طاقم لسفينينة .

لقد تم استخراج حوالي (١٥٠) اسما من اللوحات ذوات القوائم والالواح القانونية ، أشارت الدراسات الأولية لهذه الاسماء في انهاء تمت الى أصول لغوية مشتركة بين سكان المدينة وسكان المناطق المحيطة ذوات الانشطة الفعالة مع مجتمع مدينة أزو ، وان معظم هذه الاسماء ذات خصائص سامية عربية بالإضافة الى اسماء أخرى أكادية وحثية وحمورية ، ولم تشمل هذه الاسماء على اسم ملكي واحد لكنها حوت اسماء عدد من القناصل ، وهؤلاء القناصل لم يعرف شيء عن طبيعة عملهم أو صلاحياتهم سوى أنهم كانوا على صلات بمنظمة الاله الذي يمثل الاله الرئيسي للمدينة ومنظمة داجان هذه كان لها دور رئيسي في توجيه الشؤون الحياتية في مدينة أزو ، وقد كشفت بعض الرقم اسماء بعض اعضاء هذه المنظمة مثل لوميس آحي ولو آحي ولو جال سالو آحي ، وحملت إحدى هذه الرقم خاتم المنظمة ربما للإشارة بانها نظمت بإشراف منظمة داجان .

بما أن منظمة داجان كان لها دور في حياة المدينة يشبه الى حد بعيد دور الحكومة في أيامنا هذه ولذلك ذكر موظفو معبد داجان في كثير من الكتابات ولفظة داجان ذات الاثر المقدس نجدها في كثير من الاسماء العادية الدراجة مثل : مانتي داجان ، الي داجان ، داجان فقط .



– الصورة رقم ٦/ لوحة تمثل خاتم منظمة داجان في مدينة آزو

وهذا يشير الى اهمية هذا الاله هذه الاهمية لم تكن فحسب بالنسبة لشعب مدينة آزوبل بالنسبة الى جميع المدن المنتشرة على جانبي حوض الفرات بالاضافة الى ممالك ومدن وسط سوريا التي تعود الى عصر مدينتي آزو الميتانية ورجوعا حتى منتصف الالف الثالث قبل الميلاد .

ويؤكد ذلك ماورد في آثار مملكة ايبلا (تل مردوخ) اذا اعتبر داجان الاله الاول ولمعبد النفوذ والاقوى على مختلف الصعد السياسية والاقتصادية والاجتماعية .

ان عدم ورود ذكر لاي ملوك تلك الفترة في الرقم المكتشفة اوقع البعثة في صعوبة تأريخ هذه المرحلة بشكل مباشر ودقيق ، لكن هنالك عدد من الاشارات التي تضمنتها النصوص ، اضافة الى اسلوب الكتابة في هذه النصوص وخصائصها البلاغية واللغوية وكذلك الاشكال الفخارية المكتشفة الى جوار الرقم والاسلوب الفني الذي تميزت به نقوش الاختام ، جميع ذلك كان بمثابة اشارة واضحة الى نتاج القرن الخامس عشر قبل الميلاد .



– الصورة رقم ٧/ ختم وطبعة تمثل خصائص الزخرفة الفنية في العصر الميتاني

✳ أهم الاختتام المكتشفة :

ليست جميع الاختتام المكتشفة تتمتع بالحالة الجيدة التي تبدو في هذا الختم . بل معظم رخارف الاختتام لم تحفر حفرًا عميقًا لذلك كان صعبًا استجلاء آثارها على اللوحات لكن ميسمها العام يدل بشكل لا يدع مجالًا للشك بأنها سوريّة ميتانية ، وفيما يلي سنقدم دراسة لاثنيين من هذه الاختتام ليصار إلى أخذ فكرة عن المواضع الفنية المستخدمة في زخرفة الاختتام الميتانية :

١- طبعة ختم تحتوي على مشاهد وصور إنسانية ذوات تعبير اقرب للواقعية اذ اما قورنت بالزخارف الانسانية المحورة التي نفذت على الاختتام البابلية وموضوع زخرفة هذا الختم (الهة جالسة تلبس ازارا طويلا ويدها اليمنى ممتدة مع عطفة بسيطة نحو الاعلى بالكوع ، كأنها تعبر عن رفع كوب او تعطي اشارة تحية) . الى اليسار شخص متجه نحو اليمين ويلبس ثوبا طويلا واليدان مرفوعتان باشارة تحية او طاعة ، يحتمل أن يمثل هذا الشخص ربة الخصوبة وفي الوسط شخص آخر نصفه الاسفل مستور ونصفه الاعلى عاروا امامه ألف متشابكة ، يبدو أن الختم

لم يطبع بعناية لذلك فان معظم التفاصيل غير واضحة وقد تسبب ذلك في طمس لوحة الكتابة المتوضعة خلف رأس الالهة .

٢- في اسفله يبدو نصف المشهد التقليدي للالهة العارية وهي ترفع ثدييها بيديها (المألوف في اختتام هذه الفترة أن تصور المرأة مرتديه ثوبا منفرجا من الامام) .

ب - صور الختم بثلاث حيوانات هي عبارة عن أسد وحصان وعنقاء؛ مثلث متلاحقة بأسلوب رشيق جدا ، مثل الاسد بصورة جانبية وهو مقع وذيله مرفوع ومثل الحصان والعنقاء واقفين والاخيرة مثل ذيلها يمس الارض .
ان الواقعية في التشكيل وتمثيل الكائنات تعتبر ظاهرة ملازمة لنتاج هذا العصر الفني لذا فاننا نستطيع القول ان الاختتام وطبعاتها التي قمنا بمشاهدتها ودراستها تمثل جانبها من الطابع الفني الغالب للعصر الميتاني وان معظم النتاج الذي اشتهر به هذا العصر ان فارق قليلا فانه لا يعدو بمفارقة الملامح الاساسية التي اتينا على ذكرها ، واما ما يخص مستوى التنفيذ بالنسبة لحفر الاختتام فان استخدام الميتانيين للمشقوب والمحك لم يضاف على انتاجهم سوى بعض الدقة في التفاصيل في حين تراجع انتاجهم في مرحلة الاولى في مجال نعومة الملمس وتسوية حافات الحفر الذي اشتهرت به هذه الصناعة السورية التقليدية فيما قبل العصر الميتاني .

* أهمية المكتشفات :

ان مجموعة الوثائق التي اكتشفت في هذا الموقع وتعود الى عصر البرونز الاخير هي على جانب كبير من الاهمية لانها ثبتت جغرافيا وبشكل قاطع مكان مدينة آزو الميتانية التي تحدثت عنها مجموعتان كبيرتان من الرقم اكتشفتا قبلنا وتعودان الى العصر الميتاني ، وقد أشرنا الى أن احدهما اكتشفت في موقع نوزي وهي تشتمل على الاف من النصوص ؛ مئات منها تحدثت عن العصر الميتاني وأشارت الى أهم مدن العصر المذكور مثل عاصمة الميتانيين واشوكاتي التي مازلنا ناثمهم عنهارغم البحث الجاد الذي شمل معظم اصقاع وتلال الجزيرة وما زال مستمر حتى اليوم (٣) و مدينة آزو وموضوع بحثنا .

(٣) - يسود الاعتقاد الان أن واشوكاتي تتوضع في قلب تل الفخيرية الذي اسماه الاراميون سيكاني (عن الدكتور علي ابو عساف) .

والثانية اكتشفت في موقع الااخ السوري الذي ورد ذكره في مستهل هذا البحث وفي هذه المجموعة لوحة ذكرت مدينة آزو وأخرى أرخت بعهد ملك الااخ فكميبا وقد أشار النص الى تمثال والدتكميبا أدريحي الذي كان بدوره ابن ملك حلب ، وأوضح النص كيف اضطر أدريحي للهرب من حلب والتجأ الى مملكة ايماروب بعدها ، حل الى الااخ بعد أن احتل والده المنطقة واقامه ملكا عليها ، خضع أدريحي وخلفاؤه من بعده لسلطة الملوك الميتانيين امثال شتارنا ووالده ارتاتاما ، ورغم أنه لا يوجد في مجموعة الااخ نص صريح يشير الى أن مدينة آزو خضعت للملوك الميتانيين كما خضعت الااخ الا ان هذه المدينة كانت تشكل مركزا هاما من الناحيتين الاستراتيجية والتجارية تجعله بديهة ضمن نفوذ الميتانيين من غير منازع .

ما تجدر الإشارة اليه أن الميتانيين الذين استطاعوا من نفوذهم السياسي والحضاري والاقتصادي على منطقة واسعة ، كانوا قادرين على فرض شخصيتهم الحضارية على هذه المنطقة وقد تميزت صناعاتهم بالنتاج الفخار الملون الخفيف وكان هذا الانتاج مختلفا بعض الشيء عن ما كان مألوفنا في حوض الفرات ، ولعل العامل المهم في اختلاف نتاجهم الفني هو انفتاحهم تجاريا على منطقة البحر الابيض المتوسط وتبادل الخبرات والافكار عبر هذه المنطقة الواسعة وكذلك تعاونهم مع مصر مما اعطى الانتاج الحضاري الميتاني طابعا خاصا تجلى كذلك في صناعة المعادن والخرز والتماثيل وانواع الزخارف المنفذة في رسوم الاختام ، ولكن الاختلاف لاسيما في الاشكال لم يكن واسع ، البون لان الخلفية الحضارية للمنطقة كانت قد قطعت مرحلة متقدمة في تطورها ، وكذلك فان فترة الحكم الميتاني لم تكن طويلة نسبيا ليكون لها قوة دفع واستمرار لذلك سرعان ما توقف مداهم الحضاري بعد ان انتهى وجودهم السياسي باجتياهم من قبل الحثيين لاسيما منطقة حوض الفرات التي أخلوها تماما من نفوذهم ، وهؤلاء الحثيون بدورهم لم يلبثوا أن اعطوا المنطقة مساحة من حضارتهم حيث أقاموا المستوطنات وأثروا في التراث الفني والثقافي للمنطقة ، ومن أهم آثارهم العمرانية المكتشفة في حوض الفرات هي اثار مدينة ايمار الواقعة بالغرب من مسكنة والتي اكتشفت ابان الحملة الدولية لانقاذ اثار حوض الفرات وكانت فترة ازدهار هذه المدينة فيما بين ١٣١٠ و ١١٨٧ قبل الميلاد ، ربما أن اكتشاف مدينة

ايمار آشاردويافي عالم الاشاريين المؤرخين لذلك يستحسن تقديم
دراسة خاصة بها ، اما منطقة تل الحديدى فما زال لنامعها شأن سنتحدث
عنه في مقال قادم له شاء الله .



دراسة في كتاب الحداث في الغناء في أخبار النساء

الأستاذة
سكينة الشهابي

تأليف : علي بن محمد بن علي بن جميل المعافري المالقي / ت ١٠٥٠ هـ

تحقيق: الدكتورة عائدة الطيبي .

طبع : الدار العربية للنشر - ليبيا - تونس ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨ م

من المخطوطات النادرة النفيسة التي تضمها مكتبة تشستري بيتي بدبلن كتاب صغير في أخبار النساء ادرج في خزانة المكتبة برقم (٣٠١٦) وتحسنت عنوان تراجم شهيرات النساء .
يتألف الكتاب من أحد عشر جزءاً أحديثيا اختارت منه الدكتورة عائدة الطيبي سبعة اجزاء حققتها وطبعتهاتحت عنوان الحداث في الغناء في أخبار النساء .

جامع الكتاب على بن جميل المعافري الاندلسي المالقي (١) ولد في مالقة في منتصف القرن السادس الهجري ، وقصد الشرق شأنه في ذلك شأن معاصريه من علماء الاندلس الذين جعلوا الشرق كعبتهم يولون وجههم اليه حين يبحثون عن العلم ويريدون ارتشافه من منابعه الاولى . وقد أهله فضله وعلمه أن يقع الاختيار عليه لتولي امامة قبة الصخرة والخطابة فيها أيام الملك العادل صلاح الدين .
جمع المالقي أخبار كتابه وسمعها وكتبها سنة (٥٨١) وفي هذه السنة بالذات نجد اسمه بين سامعي التاريخ الكبير على القاسم في المسجد الجامع بدمشق (٢) .

-
- (١) - انظر حديثاً أوفي عن المالقي في الاعلام (٣٣٠/٤) ومقدمة الحداث في الغناء .
- (٢) - انظر تاريخ دمشق (كولومبيا ١٥٣ ق ٨٢/١٠٣ ب، ١٢٤، ١٤٥ ب) وانظر كذلك الحداث في الغناء ص (٨٩) فقد ورد في نهاية الجزء الخامس ، آخر الجزء : والحمد لله وحده وصلواته على محمد وآله وسلامه وكتبه علي بن محمد بن علي بن جميل المعافري المالقي بدمشق في شهر ربه سنة احدى وثمانين وخمس مائه بعد أن سمع ما فيه من الاخبار على الشيوخ المذكورين في اول كل خبر فيه التاريخ المذكور () .

استطاع المالقي أن يولّف من حوله القلوب فأجمعت على محبته ، حتى
إذا ادركته المنية سنة (٦٠٥) هـ رافقته الالف الى مثواه الاخير رافعة الاكف
الى الله أن يسكنه فسيح جناتـــــــــــــــه .

وبقليل من التأمل في تاريخ دمشق ، وفي هذا الكتاب الذي جمعه المالقي في أخبار النساء يبدو لنا بوضوح أن كتاب المالقي ليس الاختارات من أخبار النساء ترجمهن الحافظ ابن عساكر في تاريخ دمشق كتبها بخطه ، وسمعا على عشرة من شيوخه (١) ، وقسمها إلى أحد عشر جزءا ، ووضع في كل جزء عددا من التراجيم .

ولم يكن ذامنهج واضح في توزيع مترجماته على الاجزاء ، كذلك فان هؤلاء اللواتي اختارهن لم يكن اختياره لهن بدافع من سبب ^سبيسن الا اذا قدرنا أنه كان يرغب بالطريف من الاخبار دون سواه ، ومثل هذا التقدير تؤيده اختيارات المالقي في الترجمة الواحدة ، فهو يحذف من الاخبار ما فيه ضبط اسم او كنية ، او تحقيق نسب ، كذلك يختار من الروايات الكثيرة التي يوردها ابن عساكر في الخبر الواحد أكثر هذه الروايات طولا ، وأجملها عرضا ، فهو في اخبار سلامة القس لا يذكر ما نقله ابن عساكر عن ابن مأكولا والد ارقطني في ضبط اسمها ، ولا ما قرأه في كتاب عتيق من جمع الصولي في الحديث عن ولادتها (٢) ، بل يهبط في من ترجمتها الطويلة غرائب الاخبار والاشعار ، ومثل هذا نستطيع ان نقوله في ترجمة سكينه بنت الحسين ، وعائشة (٣) ، بنت طلحة ، وغيرهن من النساء اللواتي اتسعت ترجماتهم ، وتنوعت أخبارهم .

(١) - الشيوخ الذين سمع منهم مختاراتهم : أبو محمد القاسم بن عساكر وأحمد بن حمزة بن علي بن الحسن السلمي الموازيني ، وأبو المواهب الحسن بن هبة الله بن محفوظ بن مصري ، وأبو طاهر بركات بن إبراهيم الخشوعي ، وإسماعيل بن جوهر ، وأبو الحسن هبة الله بن علي بن خلدون ، وأبو القاسم غانم بن محمد ، وإسماعيل بن علي بن إبراهيم أبو الفضل الجنزوي ، وعبد الرحمن بن الحسين بن الخضر ، وعبد الله بن علي ابن المسلم ، وقد راعيت في ترتيبهم غزارة الرواية (٢) انظر الحقائق الغناء ٩٢٦ وأخبار النساء (ت ٥١) (٣) انظر الحقائق الغناء (٥٤) ، ١٤٢ ، وأخبار النساء ت ٤٣ .

واذا كنا قد استطعنا بهذا أن نجد ما يشبه التعليق لانتقائه الترجمات من تاريخ دمشق ، واختياره للاخبار في الترجمة الواحدة فاننا لانستطيع أن نعلل هذه التقسيمات العامة في الكتاب كله ، فقد تقدم أن الكتاب يتألف من أحد عشر جزءاً أحديثاً يبدأ كل واحد من هذه الأجزاء بفهرس للتراجم التي يضمها الجزء ، وذكر للسمع وينتهي بعضها باسم الناسخ . هو المعافري - وتاريخ النسخ ومكانه ، وتأكيده لسماعه على الشيوخ المذكورين في الاخبار (١) .

وقد يخص بعض مترجماته بجزء كامل . فقد استغرقت أخبار عائشة بنت طلحة الجزء الرابع من مختاراته ، وسكينة بنت الحسين استغرقت أخبارها الجزء الثامن (٢) ، ولكنه لم يراع في أسماء اللواتي اختارهن الترتيب الهجائي ، ولا الموضوع الواحد ، قديوهم عرضه للترجمات في الجزء الواحد أن هناك ما يشبه التسلسل الهجائي ، ولكن مثل هذا الترتيب يخص كل جزء من أجزاء مستقلة ما قبله وما بعده ، فلو نظرنا في الجزء السابع مثلاً (٣) لوجدنا المألقي بدأ هذا الجزء بفرة وأنهاء بليلي بنت الجودي مراعيًا في أسماء المترجمات الترتيب الذي وردن عليه في تاريخ دمشق ، ولكنه بعد أن بدأ هذا الجزء بفرة وأنهاء بليلي قصر الجزء الثامن كله على سكينة بنت الحسين ، وكذلك بعد أن خص الجزء الرابع لعائشة بنت طلحة أتبعه في الجزء الخامس بترجمة (هوى) وهكذا . .

وعمل المعافري هذا لانستطيع تفسيره الابشء واحد وهو أنه كان يريد أن يطمس الصلة الواضحة بين أخباره والمورد الذي انتقاها منه ، فحافظ على الترتيب الهجائي لأسماء مترجماته ضمن الجزء الواحد من أجزاء المختارة والمسموعة على شيوخه ، ولكنه عرض هذه الأجزاء ليس على نستق واضح يمكن أن يفهم منه مغزى معين سواء كان ذلك في الشكل أو المضمون كان ذلك ليعيد الصلة بين الأمل والفرع ، بين التاريخ وبين الاخبار التي سمعها من التاريخ ، فأراد أن يجمعها ويختصر بأسلوب معين ليؤلف منها كتاباً صغيراً يضم أخبار العدد ممن ترجمهن الحافظ في التاريخ ، ولكن قارىء تاريخ دمشق سرعان ما يكشف تلك الصلة الوثيقة بين الكتابين فيحس أنه إنما يقرأ في تاريخ دمشق ، والجديد في الأمر أن اسم الحافظ

(١)	-	انظر الحدائق الغناء	(٨٩)	•
(٢)	-	=	=	• (١٤٢ - ٥٤)
(٣)	-	=	=	• (١٤١ - ١٣٠)

واسم ابنه القاسم اضيف الى حلقات الاسانيد حيث رويت عنهما الاخبار
وربما اختفى اسم الحافظ وبقي القاسم وغيره من شيوخ المالقي رواة للاخبار عن
شيوخ ابي القاسم أنفسهم الذين روى عنهم هذه الاخبار في التاريخ .
كان ابن عساكر في تراجمه مؤرخا يجمع كل ما سمعه وقرأه وكتب بسـه
اليه من أخبار تتعلق بالترجمة ، كان يهتم باسم المترجمة وضبطه ، وضبط
نسبها يحقق في ذلك تحقيقا كبيرا ، ويهتم بروايتها ان كانت لها
رواية ، وينقل ما قيل في مولدها ووفاتها ، ويلتمس كل ما استطاع
الوصول اليه من اخبارها ، اما المالقي فكان يهتم لون واحد من الاخبار ،
وهو اكثرها طولاً وطرافة ، ويقصد أن يكون من ذلك النوع الذي يمتنع
القارىء ويسليه فحين يأتي ابن عساكر بالخبر من طرق متعددة يأخذ
المالقي الخبر من طريق واحد فقط ، ويجتهد أن يكون أطول الاخبار
وأشملها ، وأغزرها بالفوائد الأدبية على القارىء وهو في عمله هذا
يلتقي بابن منفلوطر المصري مختص بتاريخ دمشق كل من الرجلين يتجنب
التكرار إلا حين يكون في هذا التكرار جديداً إذا غناء ، ولكن المالقي كان
حريصاً أشد الحرص على الاسانيد كما وردت في التاريخ بدءاً من شيخ الحافظ
ابن عساكر ، أما ابن منظور فإنه حذف الاسانيد في مختصره .

وكذلك فإن ابن منظور حافظ على الصلة بين التاريخ وبين مختصره ،
ولم ينسب العمل لنفسه ، اما المالقي الذي روى الاخبار عن شيوخه ووصل
هذه الرواية بشيوخ الحافظ ابن عساكر في قسم كبير منها ، فكأنه أراد
أن يضيّع نسبة الاخبار ، وأن يبهم الصلة بينها وبين مواردها الكبير
أراد أن يختار ساقية من بحر متلاطم ليطلق عليها اسمه ، ولكن ما
ذلك البحر كان ذا طعم خاص لا يخفي على المتذوق .

والحقيقة أن كتاب المالقي هذا ذو قيمة كبيرة ، ولا يكتسب قيمة
من أنه كتاب صنعه مؤلفه في القرن السادس الهجري بغرض واحد ، ولكن
أهميته تأتي من أمرين :

اولهما انه يطلعنا على ذلك النوع من الكتب التي عملت في تاريخ
دمشق تنظيماً واختصاراً واختياراً .

وثانيهما انه يعتبر قطعة نفيسة من التاريخ كتبها أحد العلماء الذين
سمعوا تاريخ دمشق على القاسم سنة (٥٨١ هـ) . وحين نتذكر ان القاسم

الذي يتعلق باخبار النساء من تاريخ دمشق وصلنا بخط متأخر جدا ، كتبت نسخة أحمد الثالث في القرن العاشر ونسخة سليمان باشا في القرن الثاني عشر ، نعلم ان تراجم شهيرات النساء اوجدت قطعة وصلتنا من اخبار النساء لابن عساكر .

وكم كنا نتمنى أن ننشر هذه المخطوطة كاملة ، ولكن المحققة السييدة عائدة الطيبي اكتفت بسبعة اجزاء وجدت فيها اخبار الشهيرات النساء في عصر صدر الاسلام ، واهملت الاجزاء الباقية لانها لم تجد فيها اخبارا لنساء عشن في هذه الفترة .

وعلى الرغم من الجهود التي بذلتها الدكتورة عائدة في تحقيق هذه الاجزاء من تراجم شهيرات النساء ، فقد وقعت في اوهام كثيرة يمكن أن تقسم الى نوعين :

الاول اوهام في الاجتهاد ، والمجتهد قد يخطئ وقد يهيب .
والثاني اوهام في القراءة أدت الى كثير من التصحيح والتحريف في الالفاظ .

١- اختارت المحققة - كما اسلفت - الاجزاء (٣-٩) من الأحـد عشر جزء التي يتألف منها كتاب الماقي واهملت الاجزاء (١-٢-١٠-١١) لاعتقادها ان هذه الاجزاء الاربعة خارجة عن موضوع المخطوط الرئيسي :

((فالجزء الاول يتكلم عن حوارى السيد المسيح ، والثاني عن حوارى ، والعاشر يروي قصة بلقيس وسليمان ، والحادي عشر يدور حول ايوب وزوجته)) .

والحقيقة أن ما ظنته الدكتورة عائدة موضوعا رئيسيا ليس أكثر من نسبة معينة للتراجيم زادت في اخبار النساء اللواتي عشن في القرون الاسلامية الخمسة ، ونقصت في اخبار اللواتي وردن دمشق قبل الاسلام او كن من ساكنيها واهلها ، ان ما اهملت نشره من اكثر تراجم النساء اهمية لان فيه قسما حسنا من الاخبار

(١) - انظر مقدمة الحداثق الغناء (١١ - ١٢) .

التي رواها الحافظ ابن عساكر في تاريخ دمشق وسقطت من الاصول التي وصلت اليها ، فقد ذكرت في وصف للمخطوطتين اللتين صدرت عنهما في تحقيق اخبار النساء من تاريخ دمشق (١) أن هناك خرماء يبدأ بنهاية اخبار بئينة وينتهي ببداية ترجمة رملة ، وأخر ذهب بنهاية حرف الميم وبداية حرف النون من اسماء المترجمات ، ومعنى ذلك ان ما ظنته المحققة لعلقة له بموضوع كتابها هو من اكثر اخبار النساء أهمية في تاريخ دمشق فيه اخبار بلقيس وحواء وزوجة ايوب ، ولا يشك انها هي الاخرى يبدأ اسمها بحرف من الاحرف التي سقطت من اصل التاريخ الذي بين ايدينا .

٢- رأت المحققة أن أبا محمد القاسم بن عساكر (كان مصدر معظم الاخبار التي جمعها المعافري في كتابه الذي نحن بصدده) (٢) ، وهذا صحيح من حيث المبدأ فقد روى عنه (٧٦) خبراً من أصل (١٣٨) خبراً يتألف منها الكتاب ، ولكن الامر كثير التعقيد ، فلم يكن القاسم مصدر هذه الاخبار ، وانما مصدرها الحقيقي هو التاريخ الكبير الذي رواه الحافظ ابن عساكر وسمع عليه ، وكان ابنه القاسم اول من سمعه عليه ، كما أن القاسم سمع قسماً من اخبار التاريخ على شيوخ ابيه وكانت له اجازة من عدد كبير منهم .

٣- لم تلق المحققة بالالى العبارات التي وردت بلفظ الحافظ ، واهمها ما يهيدنا فيه ابن عساكر الى اخبار ذكرها في بعض تراجم نساءه ، ففي عائشة بنت طلحة (٣) ، جاء في قصة معب و ام منظور: (وقد ذكرت ذلك في ترجمة بئينة) ، ومن الواضح ان مختارات الماقي من تاريخ دمشق ليس فيها ترجمة لبئينة والعبارة المتقدمة نقلت بلفظها من تاريخ دمشق (٤) .

-
- (١) - انظر مقدمة أخبار النساء .
(٢) - انظر مقدمة الحدائق الغناء (ص ٩) .
(٣) - انظر (ص ٦٥) من الحدائق الغناء .
(٤) - انظر (ص ٦١) من اخبار النساء .

٤- مارواه الحافظ ابن عساكر بلفظه في اخبار النساء من غير طريق الى كتاب بعينه يرويه المالقي عن شيوخه عن ابن عساكر، قال ابن عساكر في وفاة عريب المأمونية : بلغني ان مولد عريب سنة (احدى وثمانين ومائة) وتوفيت سنة (سبع وسبعين ومائتين) ولهاست وتسعون سنة ، وماتت بسر من رأى ، فصدر المالقي هذا الخبر بالطريق التالي :

أخبرنا الحافظ ابو محمد القاسم قراءة والقاضي ابو المواهب لفظا بدمشق قال : اخبرنا الحافظ ابو القاسم علي بن الحسن ، قال (١) .

وهذا يدلنا بوضوح على أن المالقي يروي ما يرويه من التاريخ الكبير ولم يلفت ذلك انتباه المحقق .

٥- تقول المحققة ان الحجاج بعث بليلي الى من يقطع لسانها ، وقد انقذت نفسها بذكائها (٢) ولا أظن أن الحجاج أراد بقطع اللسان ظاهر معناه ، والذي اراده فعلا هو أن يقطع لسان ليلي بالبر والعلة ، ولكن الرجل الذي ارسلت اليه ليلي لم يكن يتقن الاساليب العربية فاراد ان يقطع لسانها ، يؤكد لنا ذلك غضب الحجاج وثورته عندما أخبرته ليلي بما عزم عليه الرجل ، نقم على ذلك الرجل جهله ، ولم يغضب عليه لانه لم ينقذ لاهله .

٦- ولأن محققة (الحقائق الغناء) لم تعرف المصدر الاساسي للمالقي في كتابه من جهة ، ولانه ليس لديها المام بمصادر ابن عساكر في تاريخه من جهة ثانية وقعت في كثير من الاوهام ، فقد ظنت تعقيب المعافي بن زكريا القاضي على اسهابه في التفسيرات اللغوية التي ذيل بها خبراً رواه عن ليلي الاخيلية والحجاج من كلام المعافري ، واتخذت منه دليلاً على ان المعافري جمع هذه الاخبار (ليمتع بقراءة تها من ناحية ، وليستغلها من ناحية اخرى اما عن طريق روايتها على تلاميذه ، واما باستعمالها بكتساب آخر) (٣) .

-
- (١) - انظر الحقائق الغناء (ص ١٠٩) .
(٢) - انظر الحقائق الغناء (ص ١٩) .
(٣) - انظر الحقائق الغناء (ص ١٦٩) والجليس والانيس ق ٢٥ (مصورة) .

تقول (يطول الحديث في شرح كلمات الليلى الاخيلية ويتشعب فيضع المؤلف حد لهذا الاستطراد ، ويعلق على ذلك بكلمات من عنده هي على ما يبدو الوحيدة في المخطوطة التي لم يروها عن غيره) والحقيقة ان المخطوطة كلها ليس فيها كلمة لم يروها المعافري عن غيره ، ولو اطلعت المحققة على كتاب : ((الجليس والانيس)) للمعافى بن زكريا لعرفت هذه التعليقات التي يختتم بهامجاسه ، وهذه التفسيرات اللغوية التي تتلوا الاخبار فيسي المجالس ، ولكن السيدة عائدة لم تعرف اسلوب المعافى ومنهج في الحديث فظنت تعليقاته من كلام المعافى .

٧- تعترض المحققة على ادراج هذا الكتاب في كتب التراجم ولاتأتي بالحجة القوية من أجل هذا الاعتراض ، فهي ترى أن محتوياته (واردة بشكل وحدات منفردة من الاخبار والحكايات المتفاوتة الطول يدونها المؤلف حرفيا كما سمعها من شيوخه ، ويستهل كسلاً منها باسناد ٠٠٠) والاعتراض على قولها قوي وهو أنه لم يكن يدخل في الترجمة الواحدة ما ليس فيها ، كان يختار من اخبار المرأة التي يترجمها ابن عساكر في التاريخ ، وهو وان لم يكن له طابع واضح في الاختيار ، ولا منهج في حذف ما يحذف ، وتثبيت ما ثبت الا انه كان يقصد الى الاخبار الطويلة قصداً ، ويحذف الروايات الوثائقية التي تعين سنة الولادة والوفاة ، أو تبحث في النسب وضبط الاسماء والانساب ، فقد كان همه المتعة الادبية ، يهتم بالخبر الطريف الممتع وبالاخبار ذات الطابع الصوفي .

فالكتاب لاشك كتاب تراجم ، وماذا تقول المحققة عن فهرس الموضوعات الذي كان يضعه المؤلف بين يدي كل جزء ؟ ألم يكن سرداً لاسماء المترجمات ؟ .

- اما وهام القراءة التي ادت الى كثير من التصحيف والتحريف فاثبت فيما يلي بعضها واحتفظ ببعضها الاخر الى حين تصبح المخطوطة الاصلية بين يدي ليكون لي معها وقفة اكثر تشبهاً (١) .

(١) - ما ذكرت صوابه من غير أن أبين هبتي في ذلك يكون مما حققته في التاريخ او مما معروف حـدا .

- في صفحة (٣٤) س قالت : (دَلْحَة) والصواب (دُلْجَه) ، انظر الاشتقاق والقاموس .
- في صفحة (٣٥) س ٣ قالت : (تخرُق الارواح) والصواب (تخرق) بكسر الراء .
- في صفحة (٣٦) س ٦ قالت : (ابن منسم) والصواب (ابن مقسم) روى أبو بكر بن مقسم كتاب (المجالس) عن أبي العباس أحمد بن يحيى ، ثعلب .
- في صفحة (٣٧) س ١٧ قالت : (الشاسي) والصواب (الشاشي) نسبة السراشاش مدينة وراة نهر سيحون ، انظر الانساب واللباب ومعجم البلدان ، ونسب الى هذه المدينة الهيثم بن كليب صاحب المسند ، منه قطعة كبيرة في الظاهرية برقم (٢٧٧) - حديث .
- في صفحة (٣٨) س ١٢ قالت : (الحرشي) وهو في تاريخ دمشق (كولومبيا ١٥٣ ق ١٢٨) الجرشي .
- في صفحة ٤٦-٨٨-١٤٦ قالت : (الكنانى) والصواب (الكتانى) ، وموضع أبي محمد عبد العزيز بن أحمد الكتانى معروف في هذه الاسانيد التي ذكرتها ، انظر خبره وتحقيقه نسبه في الانساب واللباب .
- في صفحة (٤٧ س ٤) قالت : (فُلُق) والصواب (فُلُق) بكسر الفاء ، وفلق الخبز كسره .
- في صفحة (٤٨ س ١٣) قالت : (حر) والصواب (جسر) انظر الاكمال ١٠٠/٢
- في صفحة (٤٩ س ١) قالت : (هشام بن عماد) والصواب (هشام بن عمار) معروف .
- في صفحة (٤٩ س ١٤) قالت (ابو الحسين علي بن المسلم) والصواب (ابو الحسن) انظر مشيخه ابن عساكر ق ١٥٢ ، وسير اعلام النبلاء (١٥٢/١٢) .
- في صفحة (٥١ س ١) قالت : (ابو الحسن بن النقور) والصواب (ابو الحسن) انظر ترجمته في المطبوع (عاصم ، عايد ، من تاريخ دمشق ص ٧٤ .

- في صفحة (٧٢ س ٨) قالت (صُصري) ، ضبطت اللفظة بضم الصاد أكثر من مرة ولا أدري من أين جاءت المحققة بذلك ، والمعروف أنها بفتح الصاد الأولى وسكون الثانية ، انظر تحقيق هذه اللفظة في اعلام الزركلي ٢/٢٢٥ ، وقارن بنظيرهذا الاسناد في المطبوع (عاصم - عايد)
- ٨٩ .
- في صفحة (٨٠ س ٥) قالت : (إِنني) ضبطت الهمزة بالكسر ، والصواب فتحها المناسبة البيت قبله .
- في صفحة (٨١ س ٤) قالت (محمد بن سعيد) والصواب (محمد بن سعد) صاحب الطبقات الكبرى ، أحسن رواه عنه الحارث بن محمد ، بن أبي اسامة .
- في صفحة (٨٤ س ٩) قالت : (اختلف الناس) والصواب (اختلف الناس) كما في التاريخ .
- في صفحة (٨٤ س ١٣) قالت : (احتسبت) والصواب (احسست) .
- في صفحة (٨٥ س ١٥) قالت : (نَزَاعَةٌ) وصواب اللفظة النصب في هذه الآية ، وذكرت في هامش هذه الصفحة أن سعدا هو سعد بن الربيع وهو أخوزيد بن خارجة لأمه ، والصواب أنه سعد بن خارجة أخوزيد ابن خارجة لابيه وأمه انظر الإصابة (٢/٢٤) (ت ٣١٤٣) .
- في صفحة (٨٦ س ١٩) قالت : (العسلي) والصواب أنه (العنبي) .
- في صفحة (٨٨ س ٢) قالت : (حماد بن سلمة بن عطاء بن السائب) والصواب (حماد بن سلمة عن عطاء بن السائب) .
- في صفحة (٨٩ س ٢) قالت (امرأة ساقية) والصواب (امرأة شابة) .
- في صفحة (٩٢ س ٩) قالت (أبو علي صفوان) والصواب (أبو علي بن صفوان) .
- في صفحة (٩٣ س ١٠) قالت : (عن عمه والحارث بن عيسى بن عبد الأعلى) والصواب (عن عمه الحارث بن محمد عن عيسى بن عبد الأعلى) .
- في صفحة (٩٤ س ١٤) قالت (ذرياق) والصواب (ترياق) .

- في صفحة (٩٤س ١٧) قالت : (عن ابي الفرج) والصواب (عن ابي الفرج) بالجيم .
- في صفحة (٩٦ س ٤) قالت : (المنحي) والصواب (المنبجي) .
- في صفحة (١٠١س ٤) قالت : (يطرُق عريبا) والصواب منع عريب من التنوين فهي علم الأنثى .
- في صفحة (١٠٤س ٢) قالت (ياخير من مُسي) والصواب (ياخير من مشى)
- في صفحة (١٠٤س ١٢) قالت (ملأته في سعادات) والصواب (مليته) .
- في صفحة (١٠٩س ٧) قالت : (أصبحونا) والصواب (أصبحونا) فهمزة الفعل همزة وصل .
- في صفحة (١٠٩س ٨) قالت (العدوية) والصواب (العذرية) كما في التاريخ
- في صفحة (١٢٠ س ١) قالت (عزة بنت حميد) والصواب (حميل) كما في التاريخ .
- في صفحة (١٢٤س ٢) قالت (فلما مضت يأسا) والصواب (قضت يأساً) .
- في صفحة (١٢٤ س ٥) قالت (فضربت رجله) والصواب (رَحَلَه) كما في التاريخ .
- في صفحة (١٢٥ س ٣) قالت (فتحانت) والصواب (فتحايت) كما في التاريخ .
- في صفحة (١٢٨ س ٩) قالت : (مرید) والصواب (مُرِيد) انظر الاكمال ١٣٤/٧ .
- في صفحة (١٣١ س ١٨) قالت (لانزوجه) والصواب (لاتزوجـه) .
- في صفحة (١٣١ س ٢٠) قالت (المُطْرَف) والصواب (المُطْرَف) بضم الميم
- ففي القاموس : مُطْرَف كمكرم لقب عبد الله بن عمر بن عثمان لحسنه .
- في صفحة (١٣٧ س ٨) قالت : (خلة) والصواب (خُلّة) بالضم لان معناه الصديقة في النص ، والخُلّة ، بالضم الصديق للذكر والانثى ، أما الخُلّة فهي المصادقة .
- في صفحة (١٣٦ س ٨) قالت : (حدثنا أبو محمد العلوي وهو يحيى بن محمد بن احمد بن زبارة ، (حدثنا) أبو محمد العلوي .)
- وحدثنا الثانية مقحمة لان أبا محمد هذا هو المتقدم

- وهو صاحب كتاب النسب .
- في صفحة (١٣٧ س ١) قالت : (وقد ذكرنا انها) والصواب (وقد ذكرنا انها)
- كما في التاريخ .
- في صفحة (١٣٩ س ١) قالت : (سقطت اسنانها سن) والصواب (سن . سن)
- في صفحة (١٤٢ س ١٩) قالت (ابوبكر بن ربيعة) والصواب (ابوبكر بن ربيعة) معروف .
- في صفحة (١٤٣ س ٢) قالت (حدثني) والصواب (حدثني) .
- في صفحة (١٤٥ س ١٦) قالت (ابومنصور بن رزيق) والصواب (ابومنصور بن رزيق) .
- في صفحة (١٤٨ س ١٣) قالت (ونقذت اسباب) والصواب (وبعدك) .
- في صفحة (١٤٩ س ٤) قالت (ولا الموت فيها) والصواب (ولا الموت فيما) .
- في صفحة (١٤٩ س ٧) قالت (ويلتقي . . روي وروحها) والصواب (يلتقي . .)
- في صفحة (١٥٠ س ٢) قالت (الهمزاني) والصواب (الهمداني) .
- في صفحة (١٥٠ س ٢) قالت (احمد بن سعيد البخاري) والصواب (احمد بن شعيب) انظر تاريخ بغداد ١٩٣/٤ .
- في صفحة (١٥٠ س ٧) قالت (الخطفي) والصواب (انه في هذين الموضوعين (الخطفي) بلفظ النسب لان اباه لم يذكر .
- في صفحة (١٥٠ س ١٥) قالت (تبص) بضم الباء والصواب (تبص) بكسر الباء يبدو ان العبارة (من عودتي عندك محمود) التبتت على المحققة فاثبتت في المتن (من عوده عندك محمود) وعلقت في الحاشية في الاصل (محمود) فقد ظنت التاء المربوطة هاء لانها غير معجمة .
- في صفحة (١٦٢ س ٨) قالت (تبدل عزمهم) والصواب (عزهم) .
- في صفحة (١٦٢ س ١٢) قالت (احمد بن عبيد بن ابي الحسن المدائني) والصواب (احمد بن عبيد بن ابي الحسن المدائني)
- في صفحة (١٦٢ س ١٣) قالت (مولى الغبسة) والصواب (مولى لعنيسة) .
- في صفحة (١٦٣ س ١٠) قالت (والله لا يعطى العداة) والصواب (والله لا تعط)

في صفحة (١٦٣ س ١٤) قالت : (زف كتيبة) والصواب (رز كتيبة) وهو الصوت تسمعه من بعيد .

في صفحة (١٦٤ س ٥) قالت : (بالقور) والصواب (القوز) وكان ، المحققة لم تنتبه الى تفسير المعافى للفظه ، واعادت التصحيف ذاته في الصفحة (١٧٠) والسبب ان الزاي جاءت في اصل الكتاب من غير اعجام . وهذا كثير في الزاي شريطة الا يمنع على الحرفاء سارة اهمال ، وفي اللسان ، قال الازهرى (سماعي من العرب في (القوز) انه الكتيب المشرف ، والجمع اقواز واقاوز .

في صفحة (١٦٤ س ٣) قالت : (بلى قد تصبر العين) وهي تحريف واضح لا يستقيم به وزن ولا معنى صوابه (بلى قد يضيّر العين) .

في صفحة (١٦٦ س ١٦) قالت (و اصابتنا) والصواب (و اصابتنا) .
في صفحة (١٦٧ س ٣) قالت (التي تأتي والصواب (الذي يأتي) .
في صفحة (١٧٠) عقب المعافى على قول النابغة (ارى نار ليلى

او يراني بصيرها) قال : أي مبصر بها ، والعرب تقول : ليل نائم ، وسر كاتم أي منوم ومكتوم . ولكن المحققة كان لها أسلوب خاص في تفسير النص لم ادرك كنهه ، فعلقته في الهامش على كلمة بصير : (وردت كلمة بصير في المعاجم بمعنى كلب (انظر لسان العرب) والحقيقة ان البيت من شواهد اللسان (بصر) وجاء في تفسير : (بصيرها) (قال ابن سيده : يعني كلبها لان الكلب من اعدا العيون بصر) لقد اتعبت قارئها في عرضها الملتوي لمادة اللسان .

في صفحة (١٧١ س ٣) قالت (وهي بالنقد) والصواب (وهي تأليفه) تصحفت اللفظة على المحققة لانها على ما يبدو كانت من غير اعجام ، والمتأمل لمعنى النص يجد ان كلمة

(بالنقد) لاتصح في هذا المكان لان اليزيدي قـرأ
هذه الابيات على عمه الفضل بن محمد وذكر عمه
انه قرأها على ابي المنهال عينة بن المنهال وهي
من تأليفه .

في صفحة (١٧٢ س ١١) قالت : (محمد بن احمد بن ابي البلح) والصواب (محمد
بن احمد بن ابي الثلج) وهو شيخ المعافى بن
زكريا القاضي اكثر عنه في كتابه الجليس والانيس
انظر صورة ق (٢٥) .

في صفحة (١٧٤ س ١٨) قالت : (شينجت) والصواب (سيبخت) انظر الجنزء
المحقق من التاريخ (عبد الله بن جابر - وعبد الله
بن زيد) ص ٣١ هـ ٣ .

في صفحة (١٧٥ س ١) قالت اعلاه (نمرقه) صوابه (اعلى نمرقة) والذي
قادالى هذا التصحيف في اللفظة الاولى رسم آخر
(أعلى) بالالف الطويلة ، وهذا كثير في الاملاء
القديم ، والنمرقة ذكرتها المعاجم بالضم وقالت
انهما مثلثة فلماذا فضلت الكسر ؟

هذا بعض ما جرى به قلمي وأنا أقرا كتاب (الحدائق الغناء في اخبار
النساء) فأرجو أن يتسع له صدر المحققة السيدة عائدة الطيبي .
على أن ما سجلته من هفوات لا ينقص من عمل الدكتورة عائدة ويبقى
لها فضل سبق في تقريب القسم الاكبر من هذه المخطوطة النفيسة الى أيادي
القراء ، وتذليل الصعوبات امامهم للاطلاع عليها والافادة منها .

معركة قادش

الدكتور شاكز مطلق

في تاريخ الانسان القديم والحديث ثمة عددا من المعارك الشهيرة التي كان فيها كثير من التضحية والشجاعة والبطولات ، غير أن هذا لا يكفي لاعتبارها معارك ذات أهمية تاريخية عالمية حيث أن مثل هذه المعارك يجب أن تسهم وبشكل عميق في منع مرحلة جديدة من التاريخ ولعدد من الشعوب ، وهذا هو حال المعركة التي نحن الآن في عدد الحديث عنها وهي المعركة المعروفة تاريخيا باسم (معركة قادش) وقادش هو اسم نهر صغير في موقع تل النبي مندو الحالي قرب بلدة القهشير في منطقة حمص المعروفة تاريخيا باسم (Lmossa اميسا) والواقعة على نهر العاصي (Orontes) في وسط سورية . وهذه المعركة التاريخية الهامة التي جرت أمام بلدة (قادش) الحثيية في أواخر أيام (Mai) من العام (١٣٩٦ - ق م) بين الفرعون (رمسيس الثاني) (Ramses - II) وبين ملك الحثيين موفاتاليس (Muwatilis) واعوانه من الشعوب الآسيوية هي من الأهمية بمكان يستوجب شرح الأحوال السياسية والعسكرية التي كانت تسود تلك الحقبة وتسلط الأنوار على ما كان يجري في المنطقة من تفاعلات مهمة لهذا الصدام المحتمل وعلى مجرى المعركة بدقة كاملة تنفي ما عرف عنها حتى الآن ، بسبب التزوير الهائل في حقائقها التي دونها الفراعنة في بلادهم والعدة التي استعملت في المعارك وخاصة عربات القتال .

* الخلفية التاريخية :

ان الفترة الزمنية الواقعة تقريبا ما بين (١٦٠٠ - ١٤٠٠ ق م) لم يحدث فيها كل ما عرفه المؤرخون من نظريات جريئة استنادا إلى البحوث والمعطيات الجديدة .

فامبراطورية تلبيبنوس (Telipinus) مرسي القوانيسين

أعقبتها مباشرة امبراطورية (تودها لياس) الثاني (TudhaLiya II) (ممابين (١٤٦٠ - ١٤٤٠ ق.م) يتخللها حكم بعض الملوك المغمورين وعلى الرغم من ذلك فقد حدثت في منتصف الالف الثاني قبل الميلاد ، أحداث هامة في حياة تاريخ شعوب تلك المنطقة .

* الحوريون :

الذين كانوا يعيشون جماعات في شرقي الامبراطورية الحثية وحتى سورية تمكنوا تحت قيادة ملوك من أصل هندي ، ايراني ، وبعضهم كان يحمل أسماء هندية من بناء دولة قوية وحضارة عريقة عرفت بامبراطورية (ميتاني) (Mitani) والتي كانت تهدد بدموت ملك الحثيين (مرزيس MrsiLi I) (الاول مملكة (حثي) ذاتها ، وبمثل هذا التجمع ابتدأ على الأرجح الزحف الماعق لـ (الهكسوس) (Hyksos) على مصر ، هذا الزحف الذي نعرف عنه القليل /اجتاح تحت قيادة ما يسمى (الملوك الرعاة) ، دلتا النيل /طرد الفراعنة ، واستولى على السلطة وحكم مئة عام قبل ان يتصدى له المصري "اموزيز" (Amosis) ويقهره .

ان سمات المرحلة التاريخية هذه تتميز بظهور قوي للحورين - بظهور واختفاء جماعات الهكسوس ، وباستيلاء الكاسيتيين (Kassiten) القادمين من ايران على بلاد بابل التي دمرها الحثيون . غير ان حدثاً هاماً حصل اضافي منتصف الالف الثاني - ق.م - هذا والذي كان له التأثير الكبير في تغيير ملامح الفترة التاريخية وهو ترويض الحصان وما أدى اليه من بروز الفروسية وعربات القتال الخفيفة التي غيرت مسار المعارك وبالتالي مسار التاريخ .

ففي عاصمة الحثيين القديمة (حتوساس) (hattusas) بالقرب من مدينة بوكازكوي (Bogaskoy) التركية عشر على نص يفهم حوالي الف سطر باللغة الحثية عن تربية الحصان وهو بذلك أقدم نص حول الحصان وتربيته وله من القدم حوالي (٣٤٠٠) عام .

"امامؤلف النص فهو شخص يدعى (كيكولي KikoLi) من بلاد (ميتاني Mitani) وهو اذن حوري الاصل ، وان كثيراً من

الاصطلاحات المذكورة من اصل (سنسكريتي) (Sansakrit) (أي هندي و ننتذكر على التوائن أسماء بعض ملوك الحورين كانت ايضا هندية الامل وهذا دليل آخر عن اصلهم وقدومهم ، وان الفترة اللازمة لترويض الحصان - حسب تعليمات الحوري كيكولي ، هي سبعة اشهر ، وفيها كثير من التزمت في العمل مما يشير الى عراقة هذا الفن في بلاد الحوريين وتطوره حيث حضر (كخبير) الى بلاد الحثيين للاشراف على تدريبات الخيول .
اما اين نشأ فن (تربية الحصان) فمن الصعب تحديد ذلك ويمكن البحث عنه في اماكن اعمق و ابعد شرقا .

اما عربة القتال التي كان من اهم مستلزماتها الحصان المدرب فانها وان لم تكن من اختراع الحثيين - الا انهم استطاعوا بما ادخلوه من تطورات هامة على هيكلها ، من تحقيق الانتصارات الباهرة في التاريخ والتي كان وقعها (يبعث الرعب في قلوب السوريين) كما أشارت التوار في وقت لاحق .

وانه لمن الطريف الملاحظة هنا أن الحثيين شأنهم شأن اليونانيين والرومان لم يعرفوا (كواكب الفرسان) وانما عرفوا الفارس فقط وعربات القتال ، ما عربة القتال الخفيفة - ذات العجلتين التي تحمل كل منهما ستة ضلوع اي الدولاب المفرغ - والتي كانت تحمل مقاتلين اثنين - عدا سائق العربة بخلاف عربة المصريين التي كانت تحمل مقاتلا واحدا فقط ، والتي من اهم مميزاتها (السرعة) في الحركة والتي امنت لها التفوق في المناورة القتالية مما يمكن اعتبارها دون تحفظ من اختراع الحثيين .

واذا كان بعض المؤرخين يشيرون الى أن (السومريين) قد عرفوا قبل ذلك بكثير من مئات السنين (عربة قتال) فان هذا لا يمكن اعتباره بحق عربة قتال بالمفهوم العسكري ، واننا اذا دققنا النظر في لوحة موزائيك أور التي كشف عنها وولي (Woolly) (في مدينة (أور) (UR)

والمحفوظة في المتحف البريطاني والتي فيها ، من جملة ما فيها خمسة عربات وجدنا انها كانت تستعمل للنقل ولمرافقة الجيوش فقط وليس في المعارك ، فهي عدا انها تصور نقل متاع واشخاص (جالسين) باسترخاء ينافي وضعية المقاتل الواقف المتنبه ، فان عجلاتها الفخمة والمغلقة اي

غير المفروغة والتي تشبه عجلات عربات الفلاحين البطيئة التي شاهدتها في بعض بلدان الشرق الأقصى ، لاتسمح على الاطلاق بالحركة السريعة اللازمة للمناورة في القتال كما هو الحال في عربة الحثيين .

والان نعود الى الحقبة التاريخية التي سبقت معركة قادش تمهيداً لفهم

نشوئها ومجراها .

بعد موت - تليبينوس (TiLipinus) واستناد الى أحدث البحوث التاريخية يبدو ان امبراطورية ميتاني كانت المسيطرة على المنطقة وعلى الرغم من ذلك تمكن ملوك الحثيين : تودها ليس الثاني (TudhaLiyas II) حتوزيلنز (HattusiLis) وتودها

ليماس الثالث (Tudh III) وأرنوفانداس (Arnuwandas) أيضاً من السيطرة على الاوضاع في امبراطوريتهم وحفظها من التفكك وخاصة في الاحوال الخطرة التي ألمت بهما في عهد تودها ليماس الثالث حتى ظهر للحثيين الملك الكبير (ملك الملوك) وشارلمان الشرق كما يدعوه المؤرخون الغربيون (CharLemagne) الملك العظيم .

سوبيلوليموماس الاول (SuppiLiumas I) مابين (١٣٧٥ - ١٣٣٥ ق م) لم يكن هذا الملك معروفاً بشجاعته فحسب وانما بحكمته في معاملة اعدائه وفي تسامحه الديني وتشدده في تطبيق العادات الجيدة والقوانين التي يمكن الاطلاع عليها من خلال الاتفاقات الفخمة التي عقدها ابان فترة حكمه التي دامت اربعين عاماً .

أما عاصمته (حتوساس) فقد قام بتحصينها خاصة من ناحية الجنوب بسور عظيم - حارب مملكة ميتاني - استولى على عاصمة الحوريين - جاب ضفاف الفرات غزياً فاتحاً ، غير أنه لم يستعبد الشعوب المغلوبة وزوج ابنته الى امير الميثانيين المقهورين المسمى (ماشيوازا)

(Mattiwas) وربطهم بامبراطوريتهم .

احتل سورية التي كثر النزاع عليها كما احتل مملكة حلب وكر كمش (Carchamisch) وذلك بعد حصار لها دام ثمانية ايام فقط حيث انقض عليها بهجوم صاعق واستولى على كثير من الغنائم الذهبية والادوات البرونزية وأسر (٣٣٠٠) شخص وعلى غفلة من الفرعون (أمينوفيس الرابع) (Amenophis Iv) وخضعت له والمعروف بـ (اخثاتون)

(Echnaton) والذي كان بإمكانه أن يحول بينه وبين تحقيق أهدافه غير أنه كان منهمكاً في صراع داخلي ديني من أجل إلغاء تعدد الآلهة في مصر لصالح آله الشمس وخلفه توت - عنخ - آمون *Tut-Ench-Amon* الذي مات وهو في سن الثامنة عشرة ، وهكذا كان بإمكان ملك الملوك سوبلوليو ماس أن يستولي على الأرض ويوطد حكمه عليها ، واطلق على نفسه لقب (لابارناس Labarnas) . الملك العظيم ، ملك بلاد حثي البطل - محبوب آله الطقس) وعظم شأنه وذاع اسمه حتى أن أرملة توت عنخ آمون - بعد استيلائه على كركميش وأمكا (*Amka*) في لبنان الملكية أنشيين أن آمون (*Rnchen - En - Amon*) كتبت إليه طالبة أن يرسل اليها أحد أبنائه للزواج به وتتويجه ملكاً على عرش الفرعون لانسه كثير الأولاد على ماتعلم وهي لا أولاد لها وقالت :

((أوتريدني اذن أن اتزوج عبداً وأجعله ملكاً ؟))

ولدينا النص الطريف التاريخي لهذه القصة التي خلاصتها أنه بعد أن زال شكه وتحفظه أرسل لها أحد أبنائه غير أنه قتل قبل وصوله إلى هناك .

وغالباً تبدأ الممالك بالانهيار بعد موت مؤسسيها العظام وكما هذا يحدث أيضاً لامبراطورية الحثيين ، حيث تسلم الملك بعد وفاة أبيه الملك (أرنوفانداس) الثالث (*Arnawandas III*) الضعيف غير أنه مسات بالطاعون بعد عام فقط من تسلم الحكم وجاء دور الابن الثاني (مرسيلز) الثاني (*Mrsilis II* ١٣٣٤ - ق م) والذي انقذ الامبراطورية من الانهيار وكان عظيماً مثل أبيه ولكنه كان حساساً شعري المزاج كما نستخلص من المستندات التي تركها وخاصة تلك المسماة (ملوات الطاعون) . وكان عليه أن يبدأ فوراً الحروب لتثبيت أركان الامبراطورية

فحارب مدة عامين ضد بلاد (أرزافا) (*Arzawa*) غرباً وشرقاً والتي نعرف عنها القليل ، وفي الشمال حارب عشائر الكاسكا (*Kaska*)

البربرية العاتية ، وكذلك حارب ضد الـ (أحيوا) (*Ahiyawa*)

الذين يظن بعض الباحثين أنهم أغريق من أهل مكيني (*Mykene*)

وهو الأخليين (*Achrern*) وعلى الرغم من أن هناك بعض الأمور

التي تشير إلى إمكانية أن يكون هذا الملك ضعيف الجسم ومصاباً بمرض

في النطق إلا أنه بلا شك ذو شاعرية رقيقة يدل عليها ما جاء في ملوات

الطاعون ، وهذا أنموذج عنهما :

يا اله الطقس الحثي
ياسيدي
و أنت ايتها الالهة التي هي سيدتي
ان الامر كذلك :
يذنب المـــــرء
وكذلك اذنب أبي أيضا
وتخطى كلمة اله الطقس الحثي
الذي هو سيدي
غير انني لم اذنب
ولكن الامر هكذا
خطيئة الاب تنقل الخطيئة
الى الابن
وكذلك جاءت إلي خطيئة أبي
غير انني اعترفت بها الى اله الطقس الحثي
الذي هو سيدي
والى الالهة التي هي سيدتي ايضا
هكذا :
لقد قمنا بذلك
ولانني اعترفت بخطيئة أبي
فليطف مشاعره اله الطقس الحثي
الذي هو سيدي
والالهة التي هي سيدتي
ولتكن لطيفة نحوي
ولتطرد (الطاعون) من بلاد (حثي)
ايتهما الالهة - التي هي سيدتي
والتي تريد الشأرا لدم (تودها ليماس)
الذين قتلوا (تودها ليماس)
دفعوا ضربا دمـــــا

و ايضا بلاد (حثي) أفنتها ضريبة الدماء هذه
 وبذلك نالت أرض (حثي) ما عليهما من جزاء
 ولان الجزاء جاء الي الان
 فسوف اقوم مع كل عائلتي بتقديم البديل والغفران
 والالهة - التي هي سيدتي -
 سيهدىء خاطرهما
 أعيدي عطفك السي
 أيتها الالهة - التي هي سيدتي -
 وسوف أظهر امامك
 ولانني أصلي اليك
 استجيبني السي
 لانني لم أفعل شرا
 ومن أولئك الذين غابوا وفعلو الشرور
 لم يبق أحد ، لانهم أموات
 وبما أن مسألة أبي جاءت السي
 - انظر - فسوف أقدم لك
 أيتها الالهة التي هي سيدتي
 من البلد الذي جاءه الطاعون
 سأقدم عطايات الغفران
 اطردي من قلبي الالم
 وأما من روجي فانزعي الخوف ...

وخلف (موفاتالى) (Muwatilis) (١٣٠٦-١٣٨٢) أباه في
 الحكم وكان عليه أن يحافظ على حدود الامبراطورية التي استلمها من
 ابيه غير ان هذا لم يكن بالامر السهل لاسيما بعد ان حدثت تطورات هامة
 في معروظها فرعون فتى نشيط وهو (رع مسيس الثاني) Ramses II
 الذي رأى بالحدود السورية حاجة الى اعادة نظر ، فتوجه لهذا الغرض نحو قادش
 حيث قابله هناك ملك الحثيين موفاتالى في العام (١٢٩٦ ق م) وانتصر
 بذلك على الفرعون الذي زور وقائع التاريخ ، كما نعرف اليوم - فغير

بذلك مجرى تاريخ شعوب المنطقة في تلك المعركة ذات الصلة العالمية تاريخيا في ذلك الزمان وذلك لانها ليست كالمعارك الكلاسيكية التي تدرس في الكليات الحربية على موديل من الرمال لمعرفة سير معركة ماوليست كالمعارك الوطنية التي يدافع فيها عن الوطن كمعركة غابسة توتن يورغ (TeuteBurger WaLcL) التي جرت في المانيا ضد هجوم الرومان بين الجرمانى ارمينوس (Arminus) والرومانى فاروس (Varns) وليست مجرد معركة تاريخية يدرسها الباحثون لانها دراسة ما وحقة من الزمان وانما (المعركة التاريخية عالميا) وقليل جدا من هذا في التاريخ لا تحمل فقط وانما تغير معطياتها وبشكل عميق مجرى التاريخ وحياة الشعوب التي قامت بها فترة من الزمان والمقصود بالعالمية هنا هو ما كان يعرف في العالم القديم : بالعالم ، ومن هذه المعارك العالمية تاريخيا معركة (كاتالون) (KataLaun) في العام (٤٥١ م) لانها قررت مصير المسيحيين فترة طويلة واذا كان لا يمكن اعتبار معركة (واترلوا) (WaterLoo) من هذا الطراز العالمي تاريخيا غير ان معركة نابليون امام موسكو والتي قررت اوروبا هي من هذا الطراز وكذلك معركة ستالين غراد ومعركة نهر المارن (Marne) في فرنسا لانه تقرر فيها مصير اوروبا في حربها مع النازية ، ومن هذا الطراز ايضا معركة الهند الصينية الشهيرة (دين - بينفو) (Dien - Bien - Pha) لانها قررت مصير الاستعمار الاوروبي في الشرق الاقصى غير ان اهمها على الاطلاق تاريخيا هي :

✳ معركة قادش : التي نحن في صددنا الان لانه فيها تقرر مصير الشعوب ما بين النيل ودجلة وخاصة شعوب سورية وفلسطين ومسألة التوازن الاستراتيجي بين الفراعنة والحثيين .
والطريف في هذه المعركة انها اول معركة في التاريخ القديم ، يمكننا اليوم استنادا الى الوثائق المتعددة التي عثر عليها ، ان نعيد تمثيلها وسير مجراها في دقة متناهية وهي اول معركة تاريخية تمكننا من قراءة الاتفاقات التي اسفرت عنها والتي لاتقل حكمة وحكمة سياسية عن اتفاقات قرننا العشرين .

وكما ذكرنا فقد سبق هذه المعركة ، معركة قادش ، وبعشرات السنين

مراعات دامية بين المصريين والحثيين كان ضجتها دوماً شعوب سورية وفلسطين ولم تكن هذه النزاعات نزاعات حدود (فقط كما هو المورخون المصريون ، وانما كانت في الواقع مراعاة من أجل السيطرة على جميع الساحل الشرقي للبحر المتوسط وكان المعتدون فيهما من الجانبين أو من حلفائهم .

حتى الرسائل التي كشف عنها في (تل العمارنة) في مصر والتي أرسلها الأمراء السوريون والفلسطينيون إلى الفرعون يستندونه المساعدة ضد الغزوات القادمة من الشمال ، هذه الرسائل لم تلق أي اعتناء من الفرعون (اخناتون) الذي كان كما ذكرنا مشغولاً بمسألة توحيد الدين في شخص الله الشمس والذي اضاع ماضيه اسلافه إلى امبراطورية مصر .

وأما خلفه على العرش الجنرال (حارم حاب) (HARFMHAB) (١٣٤٥-١٣١٨ ق م) فإنه لم يستطع ان يفعل من اجل ذلك شيئاً ذا بال وجاء (سيتوس) الاول (Sethos-I) للحكم على عرش مصر (١٣١٧-١٣٠١ ق م) وقام بحملات تآديبية في عمق فلسطين وطرد منها عشائر الصحراء غير انسه اضطر إلى التوقف على ارتفاع - صور - دمشق (tyrus-Damasc) لانه وجد امامه خصماً قوياً لا طاقة له عليه كان هذا : جيوش الحثيين .

وجاء الان دور (رمسيس الثاني) Ramses (١٢٣٤-١٣٠١ ق م) على عرش الفراعنة ، وفي العام الخامس من حكمه هجم الحثيون على فلسطين فخرج في طلبهم في جيش من اربعة فيالق : امون - رع - بتة - سوتخ . (Amom - reh - ntah - suteh) وفيه ما يقارب عشرين الف محارب وهو في ذلك الزمان جيش عظيم .

وقد سلك طريق الساحل الفينيقي نحو الشمال واحتل المرافئ من اجل الامدادات وهو الطريق نفسه الذي سلكه سلفه الجنرال حارم حاب (Haremhab) وعندما تقدم في اتجاه نهر العاصي orontes

وصل الخبر بان جيش الحثيين بزعمامة ملكه (موفاتالس) Muwatilis مجمع في حصن قادش (Kadesch) قرب بحيرة (قطينة) والمعروف اليوم باسم (تل النبي مندو) وشعر في نفسه القوة بمكان حتى انه قرر غزوهم في الحال وتمكن قبل ذلك من كسب دعم امير العموريين (Amurra) المسمى (بنتزينا) (Bentisina) والذي كان قد عاهد الحثيين

على الوقوف معهم ، أماموفاتالي - ملك الحثيين فقد جمع ايضا
يقارب عشرين الف مقاتل من البلاد والحلفاء والشعوب المجاورة كافلة
وطوع حتى لصوص البحار الاغريق من (LYKIAN) وتحصن في قشادش
وكانت الجيوش المتجمعة من اكبر ما عرف التاريخ عدد افي ذلك الزمان .
اما استراتيجية رعمسيس فكانت مخفية منذ البدء لانها لم تكن خطة
مدروسة بشكل دقيق .

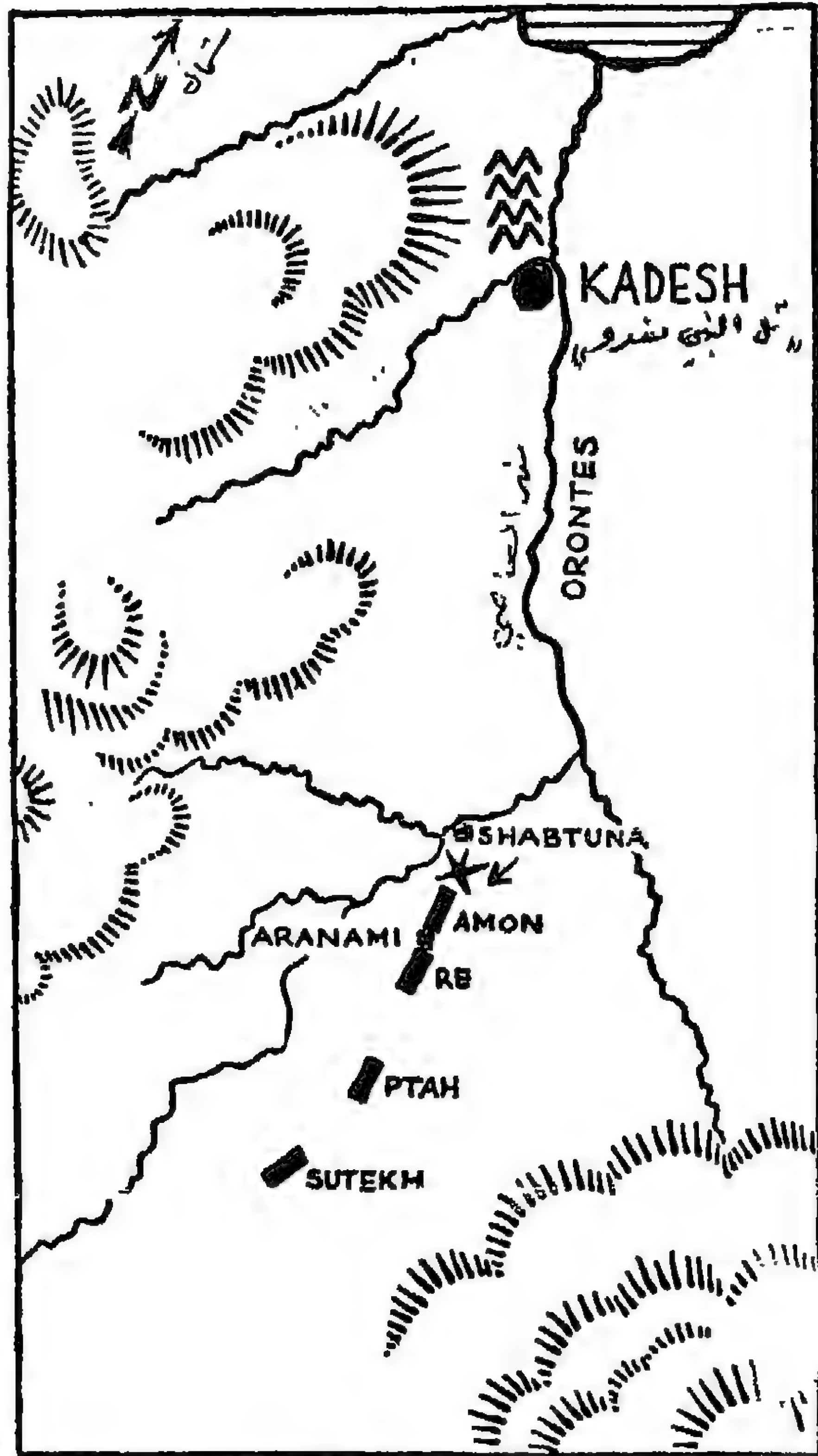
وسار بفرقه الاربعة نحو قشادش وعسكر على مقربة منها في اواخر آيسار
من العام ١٢٩٦ - قبل الميلاد .
ولم يجد هناك أي أثر لخصومه الحثيين ودعش لذلك وبدأ مع قادة فرقته
تدارس الامر .

في هذه الاثناء كان ملك الحثيين موفاتالي قد بدأ التحضير للمعركة
وجمع جيوشه في الشمال من قلعة قشادش وفي منأى عن أعين اعدائه على
ضفاف العاصي وبدأ بتطبيق خطته الدقيقة للمعركة فارسل (تكتيكيا)
اثنين من البدو الى معسكر الفرعون ، قالوا لرعمسيس انهما فروا من جيش
الحثيين وان ملكهم الذي راعه جدا مارآه من عظمة جيش الفرعون قد فر
مع اتباعه وجيشه الى قرب حلب .

وبما أن مخابرات الفرعون - وهذا الاصطلاح الحديث يسهل فهم الامور
لم تكن تعمل بدقة كافية ولم تتحقق من الامر ، اقول ان مخابراته
لم تقدم له الدليل القاطع على صحة هذه الادعاءات وبما انه كان مأخوذا
من عظمة نفسه فقد اقدم عندها على عمل أحمق متهور ، حيث انه سار
محاطا بضباطه على رأس الفرقة آمون وابتعد حوالي عشرة كيلومترات
عن الفرق الاخرى لجيشه وتقدم نحو قشادش في ارض لم يتم استطلاعها بعد
وفي النص الهروغليفي في مصر كتبوا فيما بعد :

((جلالته تقدم ، كالايمونت (Month) سيد طيبة واجتاز عتبة
العاصي مع جيشه الاول امسون)) .
(انظر المخطط رقم (١) -

في هذه الاثناء كان ملك الحثيين يراقب تقدم الفرعون وفرقته الاولى
وادرك ان الطوق بدأ ينغلق ببطء حول عنق خصمه واتباعه وانتقل بجيشه
من الشمال الشرقي قاطعا العاصي وترك خلف اسوار الحصن وعلى منأى من



Kattemab-
see
(بحيرة قطينة)

الشكل (١)
١ -

رمسيس RAMSES AEGYPTER HETHITER حثيتي

انظار الفرعون في الشرق من قادش اما فرعون ، الذي لم يجد ويري
من جيوش خصمه احد فقد استمر على رأس فرقته الاولى ، وكانت فرقة
(Reh) تتبعها ببطء بينما الفرقتان الاخرتان مازالتا جنوب
العامي في البعيد - فقد استمر سيره نحو الشمال باتجاه بحيرة قطينة .
ان هذه المناورة التي قام بها موفاتالي وهي الالتفاف بجيشه في
ظل الحصن من الشمال الى الشرق فقد استغرقت طوالة بعد ظهر ذلك اليوم من

ايام او اخرا يارفي العام (١٢٩٦ ق م) الذي دخل التاريخ من بابه العريض كما
يقال .

في هذه الفترة سمح رعمسيس لجيشه المتعب أن يعسكر ليستريح
ويطبخ في الشمال الغربي من القلعة حيث كانت جدران الحثيين قد وهلت السرى
هناك قبل وقت قليل ، في هذه الاثناء كانت فرقة (رع) (Reh) تتقدم
خلفه ببطء وكما في كثير من الاحداث التاريخية لعب الحظ لعبته الى جانب
فرعون حيث تمكن ضباطه من القبض على جاسوس من الحثيين وفي الاستجواب
الذي تم طبعاً ، كما هو معروف في المعابد المصرية ، باستعمال العصي بناءً على
امر من الفرعون اعترف هؤلاء أن موفاتالي لم يفر الى حلب وأنه مع جيشه
هنا في قادش خلف القلعة .

(انظر الشكل رقم (٢) :

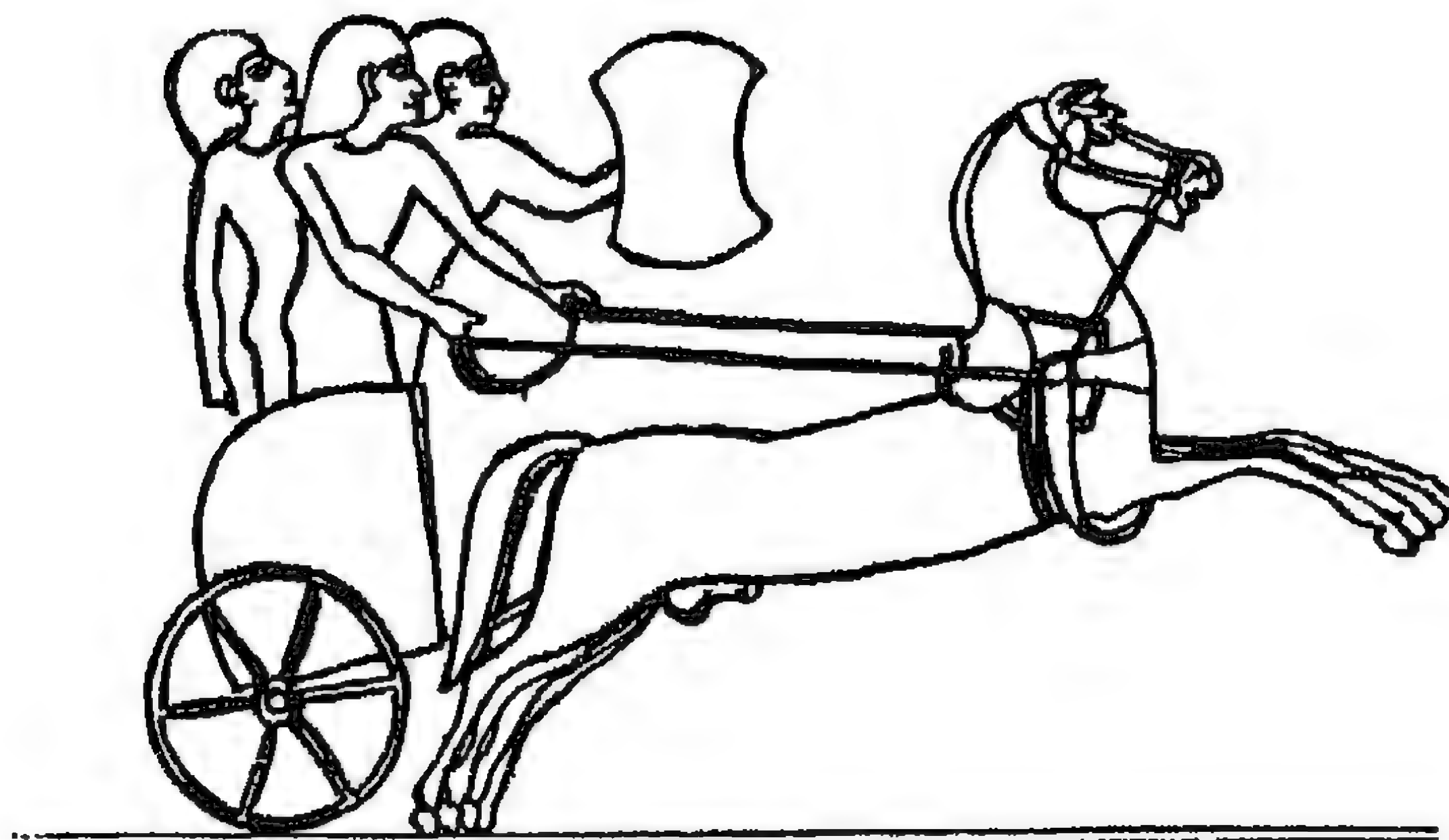


الشكل رقم (٢)

ووضحت الصورة الآن في ذهن رعمسيس وبد له الخطر الشديد المحيط به
وبدأ يبالغ في خوفه فباطه الذين كانوا قبل ذلك قد اشاروا عليه بالتروي
وعدم السير الى قادش سريعا .

وارسل يستعجل جيش بته (Ptah) ويأمل ان يقترب جيش (رع) (Reh)
منه خلال هذا الوقت ، ولكن موفاتالي الذي كان يراقب في هذه الاثناء
ما يجري امامه كالنسر الجارح ، والذي كان قد عبر النهر جيشه من جديس

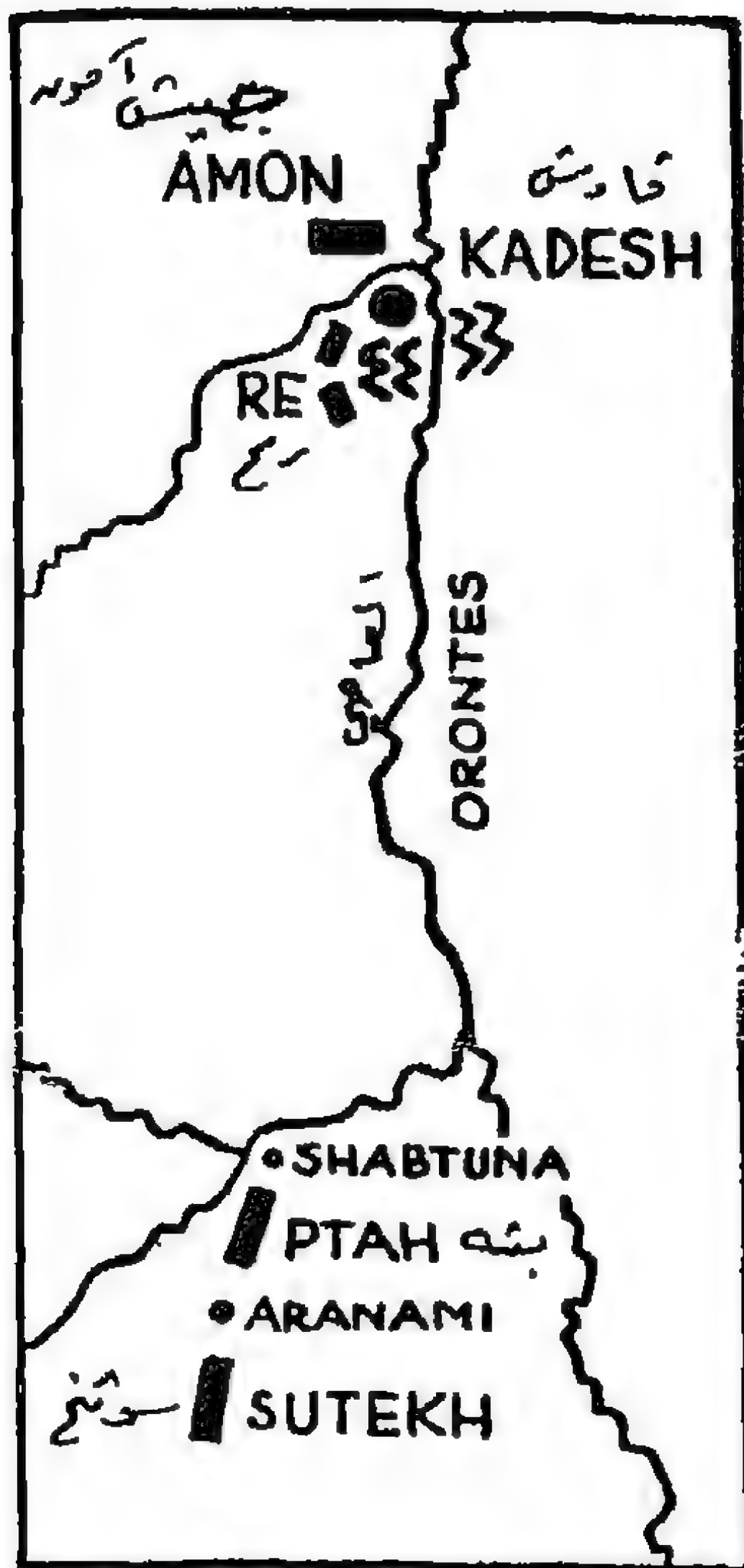
الى جنوب القلعة قادش ، انقض على جيش الفرعون (رع) (Rēh) بعرباته
 الحربية الخفيفة التي ذكرناها سابقا والتي كانت تحمل عداقائد العربة
 اثنين من المحاربين ولكن عربات المهربين كانت تحمل محارب فقط .
 (انظر الشكل رقم (٣) :



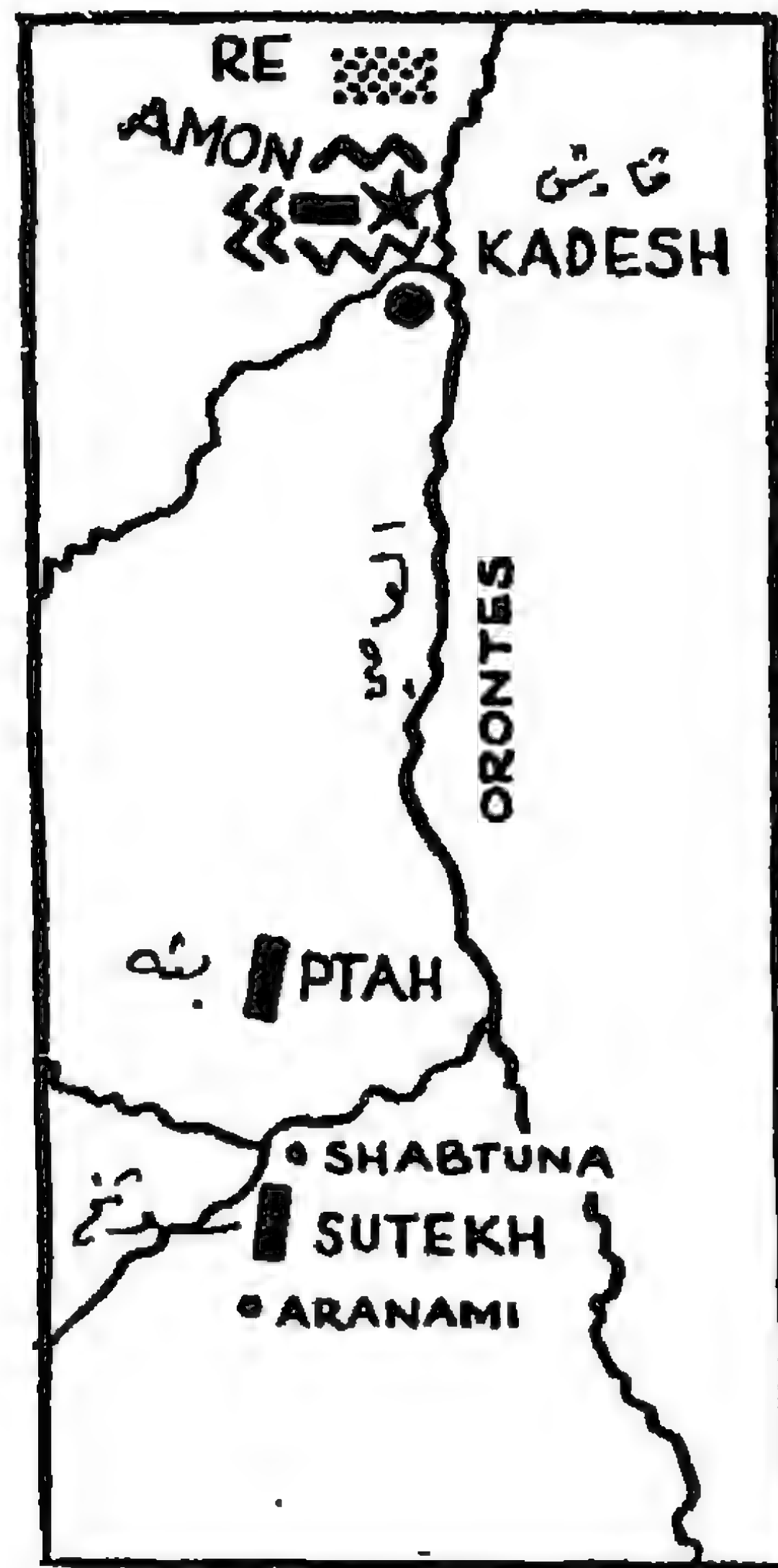
الشكل رقم (٣)

وكما في النص الفرعوني فقد تم ذلك على الشكل التالي:
 (هاجموا جيش رع في وسطه ، وكان سائرا غافلا غير مستعد للقتال ، وانهارت
 عربات قتال جلالته وجيشه امامهم) شكل (٤) .
 وتمكن موفاتالي من القضاء الكلي تقريبا على فرقة (رع) وطارد
 الهاربين مما بقي منها والذين لجأوا خائفين من وحشية عربات قتال
 الحثيين الى فرقة آمون التي يقودها رع مسيس شخويا ونقلوا اليهم الذعر
 حتى ان عددا منهم فروا و اصبحت الفرعون على وشك الاسر وهذه هي ذروة معركة
 قادش التي حطم فيها موفاتالي جيش رع مسيس وابتدأ بتحطيم فرقته الخاصة
 (آمون) .

وأما فرقة بته (Ptah) فكانت ماتزال في الطريق ^بفَذ السبيل
 ببطء الى المعركة دون علم بما يجري هناك ، وأما فرقة سوتخ (Sutekh)
 فما زالت تعسكر جنوب العاصي دون علم ايضا ، وتم فعلا حصار الفرعون
 وفرقته آمون من قبل الحثيين وبان النصر (انظر الشكل - ٤ -) .



AMON
KADESH
RE
ORONTES
SHABTUNA
PTAH
ARANAMI
SUTEKH



RE
AMON
KADESH
PTAH
SHABTUNA
SUTEKH
ARANAMI
ORONTES

شكل (٤)

ولكن في هذه الاثناء حصلت المعجزة التي لم تكن في الانتظار وانقذ الفرعون من هذه الهزيمة النكراء والاسر المحتم ، وكان ذلك كما يلي :

١- عندما بانت علامات النهر الاكيد للحثيين ، قامت الجماعات المرتزقة والعشائر الحلفية التي دهشت لمارأته من خيرات ونفائس في خيام الفرعون المهجورة بالنهب وتقاعت عن متابعة القتال ولم تعد تستمع الى الاوامر .

٢- في هذه الاثناء ، ودون معرفة سابقة وربما دون امر واضح بالقتال ظهرت قوة مصرية قادمة من ناحية بحيرة قطينة وعلى مايتفصح اليوم انها مجموعة من طلاب ضباط ورتب اخرى كانت قد انزلت في احد المرافيء واعطيت امر الالتحاق بجيوش الفرعون - رأت الامر: فرعون المحاصر بما بقي من جيش امون - العشائر المعينة في

السلب وقامت بتلك المعجزة اللازمة لانقاذ الوضع :

بنظام تام ضربت قوات الحثيين القائمة بالسلب واحلت في صفوفهم الرعب .
اما كيف تمكن فرعون رعمسيس ان ينجو بنفسه فهذا امر طريف
وفيه من المبالغات شئ كثير كما خط رجال السياسة في مصر والفنانان
والشعراء ويمكن اعتباره بحق تزويراً فحاشا لحقائق التاريخ واطراء الفرعون
بلا حدود وخطا من قيمة خصمه الشجاع الذكي موفاتالي حتى انه كان يظن
لفترة قرن مضى أن ما كتبه المصريون في معابدهم هي حقائق التاريخ وان
شعب الحثيين هذا مجرد مجموعة بدائية ليست ذات شأن حتى تم الكشف
عن الحقيقة منذ وقت قريب .

امهم كما يبدو ان رعمسيس تمكن من أن يجمع جيشه بعد القيوم باعمال جريئة لابد منها
وان يجتاز في صباح اليوم الثاني سهول قادش المليئة بالحثيين ويتجه
منسحبا بما بقي من جيشه نحو الجنوب حتى المناطق الواقعة على عرض خط
دمشق .

وللاختصار نستبق شرح تزوير التاريخ من قبل الفرعون ونقول ان هذه
المعركة ادت الى عقد (معاهدة سلام) بقيت قائمة على الرغم من تعدد حوادث
الحدود بين الحثيين والمصريين الذين لم يتجاوزوا بعدها الخط الاحمر وهو
نهر الكلب في لبنان .

وكان من نتائجها تحسن العلاقات بين الطرفين حتى ان رعمسيس
الثاني قد تزوج بعدها بعشرة اعوام وعلى ما يبدو بنا على رغبة حثية
ابنة ملكهم الجديد (حتوزيلز) الثالث (Hattusilis) وجعلها
في حرمة زوجته الاولى واطلق عليها اسم ما انتة فروره (Ma Amte Frure)
أي (الحقيقة هي جمال لها) واما السلام فقد تم بين العام (١٢٨٠-١٢٦٩ ق م)
وتاريخ عقد بدقه ما يزال موضوع نقاش حاد بين المهتمين بمصر
واولئك المهتمين بالحثيين من البحاثة ويبدو انه تم في العام العشرين
من حكم رعمسيس الثاني الذي ابتداء عام (١٣٠١ ق م) وكان الاصل المفقود
محفورا على لوحة من الفضة وكذلك على اعمدة معبد الكرنك ولم تتم كتابة
العقد فقط بالخط البسماري الحثي أو الصور الهيروغليفية المصرية وانما
ترجمت المواد لكل لغة منها وكانت تعدل بما يلائم المصالح الخاصة لكل
طرف والنص البسماري موجود حتى الفقرة الرابعة عشره والتي تعادل فقره

السابعة عشرة المصرية واما النص المصري فله ثلاثون مادة وينتهي بوصف
للوحة الفضية التي حفر عليها العقد .

ومن أهم ما جاء في هذا العقد (المعاهدة) الذي تمكن من احلال السلام
بين مصر والحثيين مدة سبعين عاما مما يلي :

١- يتعهد كل من الطرفين بعدم القيام بغزوات في بلاد الاخر .

٢- يتعهد الطرفان بالقيام بتحالف دفاعي .

ومن طرائف هذا الاتفاق النص التالي :

(اذا هرب رجل - اثنان او ثلاثة - من بلاد مصر الى ملك الحثيين العظيم
فعليه اعتقالهما واعادتهما الى سيد مصر الكبير رع مسيس ، ولكن عندما
يحضر هذا الرجل الى سيد مصر الكبير رع مسيس الثاني فلا يجوز محاكمته كمجرم
ولا يجوز القضاء على بيته وزوجته واولاده ولا قتله او ضرره سواء على العينيين
او الاذنين والفم ولا على ارجله ولا يجوز تجريمه ابدا) .

وهذا طبعاً ينطبق على الجانب الاخر .

اما الضمان للوفاء بهذا العقد فكان منه كالتالي :

((أما بشأن هذه الكلمات المحفورة على طبق من الفضة بين بلاد الحثيين
وبلاد المصريين : ممن لم يف بما فيها فليتركب الاف الالهة الحثية
والاف الالهة المصرية بلاده وخدمته)) .

الفخري أبو الوليد الباجي

الأستاذ محمد كمال الطنجي

١- نظرة الى واقع الاندلس في القرن الحادي عشر :

سادت الاندلس بعد سقوط الخلافة الاموية حالة من الارتباك والحيـرة تبينت خطوطها السوداء بقيام دول متعددة ، عرفت بدول الطوائف هــذه التسمية واضحة المدلول في وصف حالة الاندلس ، الذي توزعت عدة ممالك ، وان تفاوتت قوتها وأهميتها ومساحتها ودورها في احداث الاندلس .

كان بعضها يتربص ليحوز ما بيد غيره من الامراء ، وفي ذات الوقت كانت السلطات الاسبانية تتربص بهم جميعا حتى ولو كانت لهما مع بعضهم صداقة أو عهد ذلك ديدن السلطات الاسبانية قبل هذه الظروف يوم كانت الاندلس العربية تتمتع بالقوة والحزم ... فكيف الان وقد تغير ميزان القوى في الجزيرة الاندلسية وغدت هذه السلطات هي الاقوى ؟ ... (١) .

لم يكن الامراء النصارى يخشون جانب الدويلات الاسلامية بعد أن سادتها الفوضى . اذ إن بعضهم امتشق الحسام على بعضهم الاخر مثلما فعل امراء العرب . . فكانت حروب طاحنة تارة تدور مع الدويلات العربية المجاورة لهم وتارة فيما بينهم . . (٢) .

لقد ذهبت الخلافة الاموية في اسبانيا ضحية لغطرسة الحرس الخليفة وبنيه ، وأطماع الولاة ، وانحلال شعب فقد حبه وولاه لاسرة الحاكم القوي . . (٣) .

انقسمت الدولة الاسلامية في الاندلس بادىء ذي بدء الى دويلات عديدة ، حتى كان لكل دولة تقريبا أميرها المستقل متخذ القلب الملك أو الامير أو والي أو القاضي تبعاً لحجم المدينة أو المنطقة التي يحكمها . . .

(١) - التاريخ الاندلسي (د - عبد الرحمن علي الحجي ص ٣٢٦) .

(٢) - تاريخ الاندلس في عهد المرابطين والموحدين تأليف المؤرخ

الاماني يوسف اشياخ ترجمة محمد عبد الله عنان .

(٣) - نفس المصدر السابق .

كان بعض هؤلاء الولاة يحاولون الاحتفاظ باستقلالهم عن كل سيادة، ولم يكن الامر ممكنا الا اذا رأى جيرانهم الاقوياء هذا الاستقلال في صالحهم ... وأهم هذه الدويلات قرطبة وأشبيلية وغرناطة ومالقة وبطليوس وطليلة وسرقسطة وكان بعضهم يخاضم بعضها حسب ما تمليه بواعث الطمع والغشور و سلطان الامارة التي تسيطر اولئك الامراء ... ذلك لان الاقوى يبطش بالاضعف، فيحاول الاضعف أن يدرأ الخطر عن نفسه بالتحالف مع جار اقوى يغدو تابعا له ويعاونه على إحراز النصر على عدوهما المشترك وقد يهزم معه ... هذا اذا لم تنجده معونة الامراء النصارى لقاء اجرة فادحة الثمن ... وهكذا تكونت بعد قيام معركة دامية بين الفئات المتنازعة أربع دويلات رئيسية غلبت جميع الدويلات الاخرى وتحالفت معها ...

أ- في جنوب الاندلس، في غرناطة، غلب - الادارة - بنو حمود أصحاب مالقة وحالفهم أمير غرناطة وقرمونة وانضموا تحت لواشهم إضافة الى ذلك كانوا يحكمون عدة مدن في شمال افريقية مثل مليلة وطنجة وسبنة،

ب- في جنوب غرب الاندلس - في اشبيلية - غلب بنو عباد، واضطر أمير قرطبة وبطليوس الى الانضواء تحت لواشهم حليفين أو مغلوبين . ج- في اواسط الاندلس في طليطلة - غلب بنو ذي النون، بيد أنهم لم يحققوا ذلك الا على حساب استقلالهم حيث كانوا يدفعون الجزية لملك قشتالة التماسا لعونه ضد خصومهم .

د- في شرق الاندلس - في بلنسية ومرسية - غلب بنو عامرو كانوا أضعف من الفئات الثلاثة ... وكانوا دوما يعقدون التحالف مع جيرانهم من دول الطوائف الاخرى، تبعا للظروف مع الادارة أو بني عباد أو بني ذي النون نظرا لموقعهم الجغرافي، وهم يتأرجحون بين بني هـود والتجيبين سادة سرقسطة وتطليطلة وشقصة ...

في النصف الثاني من القرن الحادي عشر للميلاد:

كانت حال دول الطوائف فيما بينها أشد خصومة وتطاحنا من دول امارات اسبانيا النصرانية ... ولم تكن هذه الدويلات العربية تتورع عن التحاور مع الدول النصرانية أو تعقد معها معاهدات الصداقة أو أن تستمد

عونها نظير الجزية ٠٠٠ وحتى أن أمير طليطلة القوي ، المأمون يحيى بن
 ذي النون - الذي خلف أباه سنة (١٠٤٣) م لم يكتف باغتنام عون حليفه
 القوي عبد العزيز بن أبي عامر ، بل عمد إلى استئجار الفرسان القشتاليين
 النماری لبيبش بأمر قرطبة محمد بن جهور ٠٠٠ وقد كان سقوط ابن جهور
 محققا لو اجمع حلفائه الآخرين لاتقاء العاصفة التي كادت أن تـودى
 به ، ويتراجع على مضض عن دعواه في سيادة الاندلس وأن يعترف
 باستقلال جيرانه وخصومه بني عباد أمراء اشبيلية وبني الافطس أصحاب
 بطليوس ، وأن يدعوهم إلى معاونته ضد طليطلة التي كانت تهددهم جميعا
 بالويل والفناء ٠٠٠ ومع أن أمير اشبيلية ابن عباد كان يشتبك يومئذ
 مع الادارة أمراء مالقة ، فانه بادرا إلى قبول التحالف المرغوب إذ رأى فيه
 وسيلة لتوسيع سلطانه. أما أمير بطليوس فقد كان أقل أثرة وهوى ، ذلك
 أنه ما كان ابن جهور يعترف بسيادته على الغرب (١) حتى وضع قواته رهـن
 تصرفه ، وابتداء من سنة (٤٧٠ هـ - ١٠٧٨ م) عمل الفونس السادس ملك
 قشتالة على تحقيق حلمه الكبير من أجل الاستيلاء على طليطلة ، بالرغم من
 المعاهدات والمواثيق بين الطرفين ٠٠٠ فأغار على أراضيها يعيث فيها
 قتلا وتخريبا واتلاف للمزروعات والمحاصيل لينهك قواها كي تصبح لقمة
 سائغة يتناولها حينما يريد .

كانت هذه الامور تجري تحت سمع وبصر ملوك وأمراء الطوائف الذين
 وقفوا جامدين لا يتحركون لنجدة طليطلة ، وكأن الامر لا يعنيهم ٠٠
 والعجيب في ذلك أن عددا منهم يستعطف ملك قشتالة طالباعونه
 أو عارضاعليه الخضوع بذلة () تأبها النفس العربية الابية () (١) .
 ولم يكن همهم سوى منفعتهم وبقائهم متربعين على كراسي عروشهم
 مهما كانت قوائم هذه الكراسي قصيرة أو مهزوزة ، ويقول لسان الديـن
 ابن الخطيب عنهم : —————

((وذهب أهل الاندلس من الانشقاق والانشعاب والاختراق الى حيث
 لم يذهب كثير من أهل الاقطار ٠٠٠ ليس لاحدهم في الخلافة ارث ولا فـي

(١) - ولاية الغرب : منطقة غرب الاندلس تدعى (Algarve)

(١) - التاريخ الاندلسي (د . عبد الرحمن علي الحجي)

الامارة سبب ولافي الفروسية نسب ولافي شرط الامارة مكتسب (((٩) .

وقال عنهم ابن خلدون في مقدمته :
:

((اقتسموا القاب الخلافة وتوزعوا القوة استبدادهم عليها ما كانوا قبيلها وعصبيتها ، فتلقبوا بالناصري والمنصور والمعتمد والمظفر و أمثالها ...)) .

هانت لديهم مصالح الامة ، باعوا خلقهم وبلادهم للعدو المتربص بهم وانحرفوا عن النهج الحنيف الذي كانت عليه حضارة العرب في الاندلس .
في سنة (٤٧١ هـ - ١٠٧٩ م) أعلن الفونسو السادس الحرب على طليطلة بالرغم من أنه لقي فيها ملاذ اوحماية من مطاردة أخيه شانسو وبالرغم من أنه يرتبط مع حكاهم ابني ذي النون بروابط الصداقة ..

كان الوضع في دول الامارات كالتالي :

- آ- أمير اشبيلية المعتمد بن عباد سار بجيشه لمحاربة أمير غرناطة عبد الله ابن بلكين بن باديس ليخضعه لسلطانه .
- ب- أمير سرقسطة المقتدر بن هود كان يرى أن الخطر يهدده من شانسو ملك الاراغون فلم يتحرك من مكانه .
- ج- أمير بطليوس يحيى بن الافطس هو الوحيد الذي قدم بعض العون .
- د- باقي امراء الدويلات ، وقفوا موقف المتفرج لا أكثر ولا أقل .
- هـ- لم تكن البلاد تخلو من قادة وعلماء يدعون الى الجهاد لتوحيد البلاد ورد الاعداء مهمما اختلفت تسمياتهم وقوتهم .. ولكن بعض الامراء احووا يستعينون بعدو امتهم الذي يتمنى هلاكهم .. وفي هذه الظروف والاحوال ارتفعت في الاندلس دعوة تجمع شمل الولايات والدويلات بدولة قوية ضد قوى الاسبان المتعاضمة يوما بعد يوم ..
- كان على رأس هذه الدعوة العلامة القاضي الفقيه سليمان بن خلف الشهير بابي الوليد الباجي آزره فيها حاكم بطليوس أبو محمد عمر (المتوكل على الله) بن سيف الدولة أبو بكر محمد (المظفر) بن الافطس

(٩) - من كتاب اعمال الاعلام . لسان الدين بن الخطيب تحقيق ليفي

بروفنسال (ص ١٤٤) .

٢- القاضي ابوالوليد الباجي - حياته - ودعوته الى توحيد الاندلس :

سليمان بن خلف بن سعد بن أيوب بن وارث التجيبي المالكي
الاندلسي الباجي ، فقيه مالكي كبير ، من رجال الحديث . . .
ولد في بطليوس عام (٤٠٣ هـ ١٠١٢ م) سكن شرق الاندلس ثم رحل
الى الشرق سنة (٤٢٦ هـ) . . . أقام فترة قصيرة في مصر ثم رحل الى الحجاز فأقام
في مكة مع أبي ذر الهروي ثلاثة أعوام وحج فيها أربع حجج . . . ثم انتقل
الى بغداد ، فأقام فيها ثلاثة أعوام يدرس الفقه ويقرأ الحديث ، ولقي فيها
بعض سادة العلماء في ذاك العصر وأبى الطيب الطبري الفقيه الشافعي والشيخ
أبي اسحق الشيرازي ، والضميري ، وابن عروس المالكي . . . وفي بغداد
أجر نفسه لحراسة الدروب لكي ينفق على معيشته ودراسته ثم رحل الى
الموصل فأقام فيها فترة من الزمن مع الفقيه أبي جعفر السمناني يأخذ عنه
علم الكلام . . . فبرع في الحديث ، وعلمه ، ورجاله ، وفي الفقه غوامضه
وخلافه ، وتدبج مع الحافظ أبي بكر الخطيب البغدادي وروى كل واحد منهما
عن الآخر . . . (١) .

يروى الحافظ أبو بكر الخطيب أن ابى الوليد الباجي أنشده :

إذا كنت أعلم علما يقينا بأن جميع حياتي كساعته
فلم لا أكون ضينا بها وأجعلها في صلاح وطاعته

ورجع الى الاندلس بعد غياب ثلاث عشرة سنة بعلم جمّ حصله مع الفقهاء
والتعفف سنة (٤٤٠ هـ) . . . نشأ واهتمته في العلم . . . بدأ في الاداب فيبرز
في ميادينها ، وجعل الشعر بضاعته ، فنال به كل الرغائب ، ثم مال الى
العلوم الدينية فمشى بمقياس ، وبنى على أساس حتى صار كثير من العلماء
يسمعون منه ويرتاضون لآخذه . . .

وبعد عودته من المشرق العربي الاسلامي ، تولى القضاء في عدة دويلات
اندلسية . . . وقد أحزنه وضع المسلمين في الاندلس من التفرقة والتباغض
والتناحر والعدو يتربص بهم ويلتهمهم قطعة فقطعة ، مما دعاه الى حمل
راية الدعوة الى الوحدة الاندلسية لتشكيل دولة قوية ، عزيزة ، تجمعها
الكلمة الواحدة والصف الواحد . . . ومرت دعوته الى توحيد الاندلس بمرحلتين :

(١) - وفيات الاعيان (ج ١) للقاضي ابن خلكان .

والثانية : عندما أرسل بمهمة رسمية من قبل المتوكل بن الافطس أمير بطليوس رسولاً ليجمع كلمة العرب ضد الاسبان بعد ازدياد قوتهم بقيادة ملك قشتالة الفونسو السادس وتهديددهم لاكثر من أمانة عربية اندلسية .

يقول ابن بسام في كتابه الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة عن
الباجي بعد عودته من المشـرق :

وعن نفس الموضوع يذكر المقرئ في كتابه نفح الطيب بقوله :

انفق ابو الوليد الباجي معظم وقته في خدمة العرب و الاسلام والدعوة الى توحيد دويلات الاندلس المتفرقة سوا في تدريسه تعاليم الاسلام ، اوفي روايته للحديث الشريف ، فقد كان بارعا في روايته حافظا له . . وكان

- ۱۲ -

رحمه الله مولعا بالتدريس فقد قال أحد تلامذته : (كان يخرج الينسا
للاقراء وفي يده أثر المطرقة) (١) .

وقد سمت بالباجي تقواه ، وهمته لهذا الواجب العظيم من ذات نفسه
وزار أكثر دويلات الطوائف يقيم في كل منها مدة ليست قليلة ، ثم ازداد
نشاطه وتضاعف اشتداد حاله الاندلس سوءاً منذ حادثة (بربشتر) سنة
(٤٥٦ هـ) والحادثة تتلخص بما يلي (٢) .

بربشتر : هي إحدى مدن الثغر الأعلى تقع على بعد (٦٠) كم شمال
شرق سرقطة وواحدة من القواعد الاندلسية المنيعه وهي من أعمال أبي عامر
يوسف المظفر حكام الدولة بن أبي أيوب سليمان بن محمد بن هود الجذامي
المستعين بالله ، شقيق حاكم سرقطة ابو جعفر المقتدر بالله . .

في سنة (٤٥٦ هـ) هاجم جماعة من النورمانيين والفرنسيين المدينة
بقيادة جيوم دي موزي أحد كبار خدم الكرسي الرسولي ، وقد وفد قبل ذلك
على ايطاليا في أواسط القرن الحادي عشر (القرن الخامس الهجري) وخدم
الكرسي الرسولي حتى أصبح قائدا للجيش الرومانية والبابوية . . وتذكر
بعض المصادر العربية والاوربية أن البابا اسكندر الثاني هو الذي أشار على
النورمان بحرب المسلمين في الاندلس (٣) . .

ويقدر عدد أفراد الحملة بأربعين ألفاً ويزيد . . استمر حصار المدينة
أربعين يوماً جرت خلالها معارك طاحنة خارجها ، ولما قلت القوات . .
واشتد الضيق بأهل المدينة ، استطاع النورمان ديوون دخولها بعد قتال عنيف
فاستباحوا من فيها . . وقدّر عدد القتلى والأسرى بين أربعين ومائتين
وألف . . أعطى قائد الحملة الأمان للاهالي ، ولكنه حين رأى كثرة أهل
المدينة أمر جنده أن تقلل أعدادهم حصداً بالسيف ، فاطيح أرضاً بشتية
ألف من الرؤوس إضافة إلى نهبهم المدينة واحتلالهم دورها لانفسهم
حيث ارتكبوا أفظع الجرائم قتلوا وسلبوا وهدموا الأعراس ، ولم ينجدها
عاملها المظفر ولا أخوه المقتدر . . وقد انتهت هذه الحملة بطابعها العليبي
وبقي فيها قائد الحملة فترة من الزمن ثم غادرها بعد أن ترك حاميتها
فيها . .

(١) أي من عمله اليدوي الذي يمتهني به .
(٢) - نفح الطيب (ج ٤) (ص ٤٤٩ - ٤٥٤) .
(٣) - التاريخ الاندلسي (د . عبد الرحمن علي الحجي) .

دعا أحمد بن هود أمير سرقسطة الى قتال النورمنديين ، فلبى النداء
العديد من الفرسان العرب ، ويذكر ابن عذارى في البيان المغرب أن عدد
المجاهدين بلغ (٦) آلاف فارس استطاعوا اقتحام المدينة بعد محاصرتها
وجرت معركة شديدة انهزم فيها المعتدون شرهزيمة وذلك سنة (٤٥٧هـ) بعد
أن دام احتلالها مدة (٩) أشهر على أثرها سمى أحمد بن هود (بالمقتدر بالله)
ويقول ابن حيان : ((ان لامراء السوء في دول الطوائف نصيب كبير في
المسؤولية عن هذه الحادثة الفظيعة ، حيث أنهم انحرفوا عن جادة الصواب والنهج
الاسلامي)) ، ويلوم الناس أيضا لكونهم الى أمثال هؤلاء الامراء ...
ان حادثة بربشترو ضحت للباجي حقيقة الحال وفرضت عليه الهروع الى
العمل الجاد والدائم وبهمة وعزم ، انها كانت المحرك والدافع القوي له
ولغيره من العارفين بالامور ويمكن القول ان وجوده في حينها فـسـى
سرقسطة ، ودعوته للجهاد ، كان له الفضل الاكبر والاثر العظيم في استعادة
المدينة في السنة التالية .

ومن الممالك التي زارها الباجي ، بعد تجواله شرقا - مملكة
بظليوس المدينة التي ولد فيها ، ولعله تولى هناك بعض المهام وقسم
بالتدريس . وان دعوته لم تكن موجهة الى ملوك وامراء الطوائف
فحسب ، بل كانت موجهة ايضا الى عموم الناس ، يدعو الى ذلك في تدريسه
وهلاته الاخيرة .

يذكر القاضي عياض في ترتيب المدارك حين ترجم لابن الوليد الباجي
((وكان اكثر تردد ابي الوليد الباجي بـشرق الاندلس ما بين سرقسطة
وبلنسية ومرسية ودانية)) .

يدل على ذلك أن الباجي أقام في هذه المدن فترة من الزمن ، وكذلك
زار جزيرة ميورقة حيث ناقش ابن حزم هناك . ولعله أقام في مدينة
سرقسطة مدة طويلة من الزمن وذلك يتضح من كتابة رسالته التي تولى فيها
الرد على رسالة الراهب الفرنسي . هذا وان أحد بني أبي الحسن محمد توفي
في سرقسطة . وكان نبيلًا ، ذكيًا ، فرشاه أبوه بمراثي شجية . (١) .
لم تتوفر معرفة كل المدن التي زارها الباجي وتاريخ ومدة تـلـك
الزيارة ، ونوع نشاطه واتصالاته ، أو نصوص من خاطب به هؤلاء أو أولئك ،

(١) - التاريخ الاندلسي ، د. عبد الرحمن علي الحججي .

• أو أسلوب دعوتـــــــــــــــــه

جل المصادر التي ترجمت له وذكرت تطوافه هذا على مدن الاندلس وقواعدها لم تعين مدة أو تاريخ بدء ، لكن الظاهر أنه لم يبدأ به —————
توابع عودته من الشرق سنة (٤٤٠ هـ) .

لقد بدأ مهمته بالدعوة الى توحيد الاندلس بشكل غير محدود وان لم يكن يأخذ شكل المهمة الرسمية . . وان النصوص الواردة في الذخيرة ونفح الطيب تؤكد كلها على أن الباقي بدأ دعوته الى توحيد الاندلس بعد عودته من الشـرق .

ويمكن القول أنه بدأ دعوته مطوفاً في المدن الاندلسية بعد أن تولى القضاء في أكثر من مدينة واشتغل في التدريس ، وبذلك عرف مكانه وذاع هيئته العلمي .

المرحلة الثانية :

يذكر ابن فرحون صاحب التديباج المذهب عن ابي الوليد الباجي
((كان يستعمله الرؤساء في الرسل بينهم)) ...

وأورد القاضي ابن عياض أن الباجي . . (كان يهذب الرؤساء
ويرسل بينهم ، ويقبل جوائزهم وهم له على غاية البر) .

يفهم مما ذكر أعلاه أن الباجي كان يعمل أحيانا سفيرا فوق العادة
للملوك والأمراء العرب الذين عمل في خدمتهم .. ونظر السوء الوضع العام
في الأندلس ، ولازدياد خطر الأسبان وخاصة مملكة قشتالة بقيادة ملكها
الفونسو السادس .. أرتأى أمير بطليوس المتوكل بن الألفطس أن يدعـسو
العرب إلى توحيد الأندلس للوقوف في وجه الأسبان فكلفه ، أووجهه إلى دعوة
عرب الأندلس للتوحيد والجهاد ضد الأسبان فأخذت الدعوة طريقها الرسمي
بعد ذلك ... وجرى استقصاء - ولكن دون جدوى - لمعرفة التاريخ
الصحيح لبدء تطوف الباجي بشكله الرسمي ، إلا أن النصوص المتوفرة لا تبين
تاريخا صحيحا .

ينقل صاحب الحل السندسية شكيب ارسلان عن تكملة ابن البار التي ورد فيها أن ابن هذيل (من أهالي قلعة أيوب يكنى أبايونس يروى عن أبي الوليد الباجي سمع منه صحيح البخاري بسر قسطة في جيئته رسولا اليه

في رجب سنة (٣٧٠ هـ) ((١)) .

والظاهر من النص أن ذهابه إلى سرقسطة كان خلال تطوافه الرسمي الذي جرى بعد معرفته بسرقسطة وإقامته فيها قبل ذلك .

أورد القاضي عياض في ترتيب المدارك في آخر ترجمته للباجي ينقل قول أبي علي الجياني عن الباجي بأن :

((مولده ذي العقدة سنة ثلاث وأربع مائة وتوفي بالمرية سنة أربع وسبعين لسبع عشرة خلت من رجب ٠٠ وكان جاء إلى المرية سفيراً بين رؤساء الأندلس يولفهم على نهضة الإسلام ويروم جمع كلمتهم مع جنود ملوك المغرب المرابطين على ذلك فتوفي قبل تمام غرضه ٠٠ رحمه الله)) .
ويستفاد من النص أن المتوكل بن الأفسس أمير بطليوس تبني دعوتيه ضمن الإطار التالي :

١- الدعوة إلى توحيد الأندلس وجمع كلمة ملوكها .
٢- الاستعانة بالمرابطين بالمغرب لنهضة الإسلام في الأندلس .
أن دعوة الباجي إلى توحيد الأندلس كانت سابقة لكتابة المتوكل إلى يوسف بن تاشفين حتى جاء سقوط طليطلة سنة (٤٧٨ هـ) فأرسل بكتابه إلى ابن تاشفين أمير المرابطين في المغرب الذي كان يتهيأ لدخول الأندلس بعد أن جاءته الوفود ووصلته الرسائل من دويلات الأندلس .
لقد كانت استجابة أهل الأندلس لدعوة الباجي بتوحيد الأندلس أسرع من حكمهم ٠٠ فقد كانت النفوس مهيئة للدفاع عن الأرض والنفوس واعادة مجد العرب في الأندلس بعد أن أصبحت مجزأة إلى دويلات صغيرة هزيلة يأكل بعضها بعضاً ، إضافة إلى استعانة الملوك والأمراء بالأعداء الأسبان لتثبيت عروشهم .

أن نص ابن الأبار والقاضي عياض يشيران إلى أن الباجي كان سفيراً متجولاً بين ممالك الطوائف داعياً أمراءها إلى الوقوف صفاً واحداً ونبذ منازعاتهم وخلافاتهم التي قد تؤدي بهم جميعاً إلى الهلاك والدمار ٠٠ وهو أمر لا تنسحمتعاليمه مع الإسلام الذي يرفض التنازع والتباغض ويقرنه بالكفر :

((وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم ، واصبروا

(١) - الصحيح سنة (٤٧٠ هـ) .

ان الله مع الصابرين ((١)) .

حل الباجي في بلنسية سنة (٤٦٨ هـ) يدرس صحيح البخاري كما كان يفعل في سرقسطة ، كما يدرس العلوم التي مهر فيها ، ويذكر الناس بالواقع الاليم الذي هاراليه العرب في الاندلس ويدعوهم الى الوحدة والتماسك فيما بينهم وتفجير النبع الصافي في قلوبهم . . كان يفعل هذا في تدريسه أو يعمل على الحديث في مجالسه . . كلاما يقوم على منابع الشريعة الاسلامية من القران الكريم والسنة النبوية الشريفة . . وقد ورد عند ابن البارفي تكملته حين ترجم أبا مروان بن السمار المقري أنه ((من أهل بلنسية وصاحب الصلاة والخطبة فيها بعد تغلب الروم عليها ، سمع من أبي الوليد الباجي صحيح البخاري سنة (٤٦٨ هـ))) .

وبالرغم من كل الصيحات التي اطلقها بعض علماء العرب آنذاك (٢) وعلى رأسهم الباجي ، فان اغلب ملوك الطوائف بقوا في غيهم ساديين ففوتوا فرصة توحيد الاندلس للوقوف ضد الزحف الاسباني المتعاضم يوما بعد يوم . . حتى حلت المصيبة ، ووقعت الكارثة ، فسقطت طليطلة احدى قواعد الاندلس ، ومراكز القوة فيها سنة (٤٧٨ هـ) . . وكان لسقوط طليطلة وقع أليم ومريع لافي الاندلس وحدها بل في سائر أنحاء البلاد الاسلامية ، وأظهرت هذه الحادثة بشكل واضح وجلي تقصير ملوك الطوائف ومسؤوليتهم عنها نتيجة سياستهم المنحرفة .

((وجعل الله بين أولئك الأمراء وملوك الطوائف من التحاسد والتنافس والغيرة ما لم يجعله بين الضرائر المترفات)) (٣) .

بعد سقوط طليطلة اعتقد ملك قشتالة ، وقد لبسه ثوب الغرور وعلت مكانته بين ملوك وأمراء النصرانية ، وتسمى بالامبراطور أو بالامبراطور ذي الملتين الاسلامية والنصرانية . . واعتقد أن كافة أمراء الطوائف وملوكها قد أصبحوا طوع بنانه ورهن اشارته وأنه سوف يقضي عليهم جميعا

(١) - الآية (٤٦) من سورة الانفال .

(٢) - ابو عمرو يوسف بن عبد البر (٣٦٨ - ٤٦٣ هـ) .

- ابو حفص عمر بن حسن الهوزني (٣٩٢ - ٤٦٠ هـ) .

- الفقيه ابن حزم .

- الفقيه الزاهد ابن أبي رندقة أبي بكر محمد بن الوليد الطرطوشي

(٤٥١ - ٥٢٠ هـ) .

(٣) - من كتاب (اعمال الاعلام فيمن بيع قبل الاحتلال من ملوك الاسلام)
للسان الدين ابن الخطيب ، تحقيق ليفي بروفنسال طباعة دار المكشوف
(ص ٢٤٤) .

وبيعيد مجد أسبانيا النصرانية . .

أمام هذه الظروف كلها لم يجد المتوكل بن الافطس صاحب بطليوس نجاحاً مرضياً لدعوته واستجابة كافية من أمراء الاندلس . . فتوجه بفكره ثم بفعله نحو المرابطين في المغرب . . . فكتب أميرهم يوسف بن تاشفين كذلك فعل أمير أشبيلية ابن عباد عندما من غفلته وعرف أن قوة العرب تكمن بوحدتهم ضد العدو .

لقد كان لدعوة الباجي أثرها الفعال في قدوم المرابطين إلى الاندلس للقاء القشتاليين في معركة (الزلاقة) الشهيرة التي انتصر فيها العرب بعد توحيدهم على جيش ملك قشتالة الفونسو السادس وهزيمته شرهزيمة .
لم يحضر الباجي هذه المعركة العظيمة فقد توفاه الله إلى رحمته بالمريّة ليلة الخميس في (١٩ رجب عام ٤٧٤ - ١٠٨١ م) ودفن في الرباط على ضفة البحر وولى عليه ابنه قاسم ، إلا أن دعوته لاقت طريقها إلى نور الوجود .

* آثاره :

كان أبو الوليد الباجي فقيه الاندلس وأمامها . . رحل إلى الشرق في سبيل العلم ، ولما عاد قدم خير ما عنده من العلم والنور . . . نظم الشعر ولكنه كان شعراً ذاتياً وجدانياً (وذكر أن نظمه موقوف على ذاته ، غير معروف إلى رفث القول وبذاته) (١) .

ومن أهم أعماله :

- السراج في علم الحجاج .
- احكام الاموال .
- اختلاف الموطآت .
- شرح فصول الاحكام وبيان ماضي به العمل من الفقهاء والحكام .
- الحدود .
- الاشارة ، رسالة في شرح اصول الفقهاء .
- المنتقى ، في شرح موطأ مالك .
- شرح المدونة .

(١) - هريدة القصور وحريدة العصر للعماد الاصفهاني - قسم شعراء المغرب والاندلس ص ٤٧٢) تحقيق آذرناش آذرناش .

- - التعديل والتجريح لمن روى عنه البخاري في الصحيح
- - التسديد في اصول الدين

اليقظة العربية في سورية في القرنين التاسع عشر والعشرون

خضعت سورية للاحتلال العثماني في مطلع القرن السادس عشر وقد ظلت
لعدة قرون تابعة للامبراطورية العثمانية المترامية الاطراف ، تعيش في
عزلة عن العالم الخارجي ، ويسيطر عليها الجهل والتخلف ، لقد عمق الاحتلال
العثماني لسورية الازمة العامة والدمار اللذين خلفهما الغزو المغولي للمنطقة
العربية وأعاق التطور التاريخي لسورية وبقية البلد ان العربية لعدة قرون .
لقد سيطر الجهل والامية على البلاد التي كانت جزءا من الامبراطورية
العثمانية التي بدأت تعاني أزمة خطيرة في أواخر القرن السابع عشر ، هذه
الازمة تردد صداها في كافة ميادين الحياة الاجتماعية فقد تدهور الاقتصاد
ودب الفساد في أجهزة الدولة وخرجت الاقاليم عن طاعة الحكومة المركزية وفقد
الجيش المتفسيخ قدرته القتالية وانحطت الثقافة وانطفأ التطور الثقافي لذلك
وعلى استمرار قرون عديدة بقيت الثقافة في سورية والثقافة العربية
الاسلامية بشكل عام في ركود وانحطاط تامين ، ولم يلمع في هذه الفترة
أي اسم ليطور أو على الأقل ليتابع الارث الفكري للفارابي والغزالي
والرازي وابن سينا وابن خلدون والجاحظ وغيرهم فقد كان النظام التركي
بتركيبته الاقطاعية عاثقا ضد التطور .

ولكن مع مطلع القرن التاسع عشر طرأت تغييرات جذرية على حياة
سورية الاجتماعية والاقتصادية والثقافية فكان من نتيجة تطور التجارة واتساع
العلاقات مع الاوربيين (زمن السلطان سليم الثالث) وتطور وسائل الاتصال
أن تقوضت عزلتها الاقتصادية والثقافية ، وتطور سورية من ناحيتين
الاجتماعية والثقافية انما كان جزءا من حركة الاصلاح والتحديث التي شملت
جميع انحاء السلطنة العثمانية في القرن التاسع عشر ، لقد كانت الهزائم
المتوالية التي أنزلتها الدول الاوربية بالسلطنة العثمانية منذ أواخر
القرن السابع عشر قد أيقظت العثمانيين على تفوق أوربا الحربي وضرورة
اعتماد أساليبها ثم جاءت حملة نابليون بونابرت على مصر عام (١٧٩٨)م
فأقلق حكام الاستانة أشد القلق وأشارت انحازات الغرب العلميه التي

أتى بها بونا برت الى مصر اهتمام قادة المسلمين لذلك عمد حكام الاستانة ومصر الى ادخال تغييرات مهمة في انظمة الحكم وفي مختلف وجوه الحياة العامة مما جرالى تطورات أخرى قلبت المجتمع الاسلامي رأسا على عقب فكان لابد وأن تشعر البلاد العثمانية الاخرى وفي مقدمتها سورية بوطأة ذلك .

ولا يقف الازمة التي بدأت تعاني منها الامبراطورية بعد حرب القرم (١٨٥٣ - ١٨٥٦م) - فرغم ان الدولة العثمانية خرجت منتصرة من الحرب الا أن ذلك لم يمنع الانحلال العميق في الامبراطورية والذي قاد الى سقوط هذه الامبراطورية - فقد ازداد تغلغل النفوذ الاوربي الاستعماري في الامبراطورية وأصبحت خاضعة أكثر للسيطرة السياسية والاقتصادية الاوربية لذلك ولتلافي انهيار الامبراطورية التام أعد ممثلو الاوساط البيروقراطية الاقطاعية الاكثر فطنة برنامج اصلاحات مقبلة اذ أدركوا ان اصلاحات التي قام بها السلطان محمود الثاني كانت غير كافية لانقاذ الامبراطورية وان من الضروري تحقيق تحولات حاسمة ، وسميت اصلاحات بالتنظيمات الخيرية او اصلاحات الخيرية ، ولم تلق التنظيمات النجاح في أي حقل سوى حقل التعليم ففي عهد التنظيمات ازداد الاهتمام بتطوير التعليم وقد نادت التنظيمات بمبدأ التعليم الاجباري الالزامي وقد أدى هذا القانون الى نتائج ايجابية معروفة رغم أنه بقي كغيره حبرا على ورق اذ وضعت المدارس الملحقة بالمساجد تحت مراقبة الدولة وانشئت المدارس الثانوية العلمانية حيث كان يدرس التاريخ والجغرافية ومبادئ الحساب وانشئت وزارة المعارف (١٨٤٧م) وهكذا فإن التنظيمات فتحت منفذاً لتطوير العناصر البورجوازية في البلاد الا انها كانت غير كافية لتجديد النظام الاجتماعي .

لذلك ونتيجة لهذه العوامل ولعوامل أخرى عاشت سورية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر نهضة أدبية واجتماعية وأول هذه العوامل كما ذكرنا حملة نابليون على مصر وادخاله الطباعة اليها لأول مرة ، لقد كانت الحملة بمثابة طريقة جديدة على باب الشرق ليصبح من سباته ويطلع على منجزات الحضارة الاوربية فحدثت نهضة فكرية في مصر امتدت تأثيرها الى سورية وباقي البلدان العربية ، فقد نشطت دار النشر التي اسسها محمد علي في مصر عام (١٨٢٠م) في بولاق في نشر الكتب ، فقد نشرت حتى عام (١٨٥٠م) ما ينوف على ثلاثمائة كتاب وأصدرت كتباً ذات قيمة علمية وأدبية وخصوصاً

المطبوعة باللغة العربية والتي كانت تتسرب الى بلاد الشام مما ساهم في النهضة الفكرية فيها ^(١١) . كما أن هناك عاملاً آخر ساهم في النهضة الفكرية والثقافية والاجتماعية في سورية في مطلع القرن التاسع عشر هو ازدياد العلاقات التجارية بين اوربا والشرق الاوسط في بلاد الشام ، لقد ساعدت التجار تان الداخلية والخارجية على تكوين طبقة بورجوازية لعبت دوراً هاماً في اليقظة الفكرية وفي زعزعة النظام الاقطاعي والقضاء على الاستعمار العثماني فيما بعد ، ان تطور التجارة ونمو المدن التجارية كبيروت ودمشق وحلب قد ساعد على زيادة الازدهار والنفوذ اللذين حظيت بهما بعض الطوائف المسيحية في السلطنة ولا سيما في دمشق وحلب وبيروت .

لذلك كان لابد وأن يؤدي هذا الازدهار المادي الى انتشار العلم والتيقظ الفكري ، ان متطلبات التطور البورجوازي قد أدت الى الاهتمام بمنجزات الفكر الغربي العلمية وبتأثير هذه العوامل بدأت نهضة فكرية في بداية القرن التاسع عشر وادها من الذين ترعرعوا في بيوت تجارية او عائلات تعاليم أمور الفكر مثل العلماء كأمين الشميل (١٨٢٨ - ١٨٩٧ م) والشيخ يوسف الاسير (١٨١٥ - ١٨٨٩ م) الذي اشتغل بالتجارة وألف في التاريخ ، وميخائيل مشاقه (١٨٠٠ - ١٨٨٨ م) من لبنان ، ولد من عائلة تجارية في صيدا وعميل استاذ في اللغة العربية وألف في الفقه ، وسليم بستر (١٨٣٩ - ١٨٨٣ م) ولد في عائلة تجارية أيضاً في لبنان وخدم في الجهاز المصري الذي أقامه ابراهيم باشا في سورية وألف كتابه الشهير (الاعيان في احوال سورية ولبنان) ونوفل نعمة الله الطرابلسي ، والذي قام بدوره في تعجيل هذه النهضة الفكرية كان نهج الادارة المصرية خلال حكم لم يزد على عقد من الزمن (١٨٣١ - ١٨٤٠ م) لقد قام الجهاز المصري بتطبيق الكثير من الاصلاحات في سورية ولا سيما في مجال التعليم ، فقد أنشأ ابراهيم باشا المدارس في جميع المدن السورية كما أسس كليات كبيرة في دمشق وحلب وانطاكية واعتمد في ادارة شؤون البلاد على الطبقة المثقفة ، وكان حريصاً على غرس بذور الوعي القومي العربي فسي المدارس ، ولم يكن غرض ابراهيم باشا في هذا العمل نشر التعليم بل كان يرمي في الوقت ذاته الى تسخير المدرسة لتكون آلة ينفذ بواسطتها نواياه

(١) - كمال صليبي ، تاريخ لبنان الحديث ، بيروت ، ١٩٦٧ م ، ارنهار للنشر .

السياسية ويبسرعن طريقها حاجاته العسكرية كما يقول الدكتور الرفاعي ،
ولاتفيدنا في هذا المجال الاهداف التي توخاها ابراهيم باشا من نشر التعليم
ولكن ما يهمنا هو الاثر العميق الذي خلفه في سوريا فقد أيقظت حملة ابراهيم
باشا على سوريا الروح العربية وشجعت الاهتمام بالتعليم ، لقد مهدت حكومة
محمد علي باشا في سورية السبيل لنهضة علمية أدبية (لان تنظيماتها تطلبت
اختيار المتنورين لادارة البلاد كما سهلت قدوم الافرنج من مرسلين وتجار
وسواهم فأنشأوا المدارس (٢) . وخلال حكم ابراهيم باشا تدفق سيل
البعثات التبشيرية ورغم ان المبشرين كانوا ارسلوا لاسنعمار في الشرق فقد
ساعدوا مع ذلك على جذب المسيحيين المحليين لتعلم القراءة والكتابة
وعلى انتشار اللغات الاوربية وكانت لهم (المبادرة في بعض الاحيان في
مشروعات ثقافية وبخاصة في انشاء اول جمعية تنوير في البلدان العربية)
(٣) .

لقد نشطت هذه الارشاليات في مجال التعليم فأنشأت شبكة واسعة
من المدارس والمعاهد الدينية وأسست عدة مطابع كما أصدرت عددا من الكتب
العربية ، وقد آوكلوا هذه المهمة الى المنورين بطرس البستاني وناصيف
اليازجي غير أن جميع هذه البعثات كان لها دور سلبي في نهاية المطاف لدورها
المشبوّه الذي قامت به في تزكية الخلافات والنعرات الطائفية ظهرت نتيجتها
في الفتنة الطائفية التي اشتعلت في لبنان منذ عام (١٨٤٠م) حتى كانت
ذروتها عام (١٨٦٠م) كما ساهمت في ازدياد تغلغل النفوذ الاجنبي في
الشرق .

في هذه الفترة نشأت الصحافة في سورية على أيدي السوريين في بيروت
بعد أن انتشرت في مصر والاستانة وظهر الكثير من الصحفيين كرزق الله حسون
واسكندر شلهوب و احمد فارس الشدياق والبستاني وغيرهم من الذين لعبوا
دورا هاما في النهضة بما كانوا يبشرونه من آراء حرة في صحفهما والتي كانت

(٢) - لينين ، الفكر الاجتماعي والسياسي الحديث في لبنان وسورية ومصر
ترجمة بشير السباعي ، بيروت (١٩٧٨م ص (٤٨) .

(٣) - داود بركات - البطل الفاتح ابراهيم باشا ١٩٣٤ ، ص (٢١٣) .

صديّ خافتا لبعض المذاهب الجديدة السائدة في أوروبا والتي انبثقت عن مبادئ الثورة الفرنسية، هذه العوامل مجتمعة خلقت التربة الملائمة ليقظة فكرية تجلت في دراسة اللغة العربية وأحيائها وفي بحث التاريخ وتحليل أوضاع البلاد الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، لقد كانت النهضة الفكرية تعني أحياء الحياة الثقافية بعد طول رقاد وقد سفي تطور النهضة العربية طريقه في اتجاهين رئيسيين تداخلا فيما بينهما تداخلا وثيقا فقد لجأ المفكرون العرب في آن واحد إلى ثروة ماضيهم الثقافي الذي يرجع إلى العصور الوسطى وإلى المدنية البورجوازية للغرب المعاصرة لهم فبرزت أمام المفكرين العرب بروزا حاداً مسألة امكانية التوفيق بين الثقافتين الشرقية والأوربية .

وقد نشطت حركة التشيع للقديم واتخذت هذه الحركة صورة يقظة عربية قومية كبيرة واقتربت إلى ذاك باسماء رجال كالشيخ ناصيف اليازجي وابنه ابراهيم الذي وقف حياته على أحياء اللغة العربية والأدب العربي كما ساعد في تأليف الكتب المدرسية (كمار آينا سابقا) والتي تبحث في علم اللغة العربية والقواعد والمنطق والخطابة والعروض، وكان هناك صراع بين التيارين القديم والجديد فقد دافع بعضهم عن التراث كمظهر من كل سوء بينما أصبح البعض الآخر دعاة متطرفين للغرب متخليين عن كل ما يربطهم بالتراث العربي تقريبا كشلي شميل، بينما نادى فريق ثالث بالتوفيق بين منجزات الثقافتين الشرقية والغربية . ومن أبرز ممثلي هذا التيار بطرس البستاني الذي يعد أكبر ايدولوجي البورجوازية السورية في العقد السابع من القرن التاسع عشر والذي عمل كثيراً على أحياء اللغة العربية الفصحى التي كانت في حالة انحطاط خطر كما عمل على نشر المعارف الأوربية بين العرب المثقفين وكان مثقفاً جيداً لعدة لغات ومعلماً وكاتباً اجتماعياً لا يكل ، اذ أنشأ في بيروت أول مدرسة عربية وطنية (١٨٦٣م) ونشر باللغة العربية ثلاث مجلات عربية اسبوعية (نفيروسورية) (١٨٦٠م) و(الجنة) و(الجنان) (١٨٧٠م) كما صنف معجماً باللغة العربية وسبعة أجزاء من الموسوعة العربية (واصل سليمان البستاني ابن خاله) نشر الموسوعة العربية بعد وفاته كما ترجم الأليساندا لهوميروس إلى العربية ، لقد ندّد على صفحات مجلاته بالتعصب الديني والخرافات وفساد السلطات التركية وباستبعاد المرأة فوضعت هذه المجلات لأول مرة في متناول القراء السوريين القضايا السياسية والثقافية والأدبية .

لقد كان المنورون العرب كبطرس البستاني وناصيف اليازجي واديب اسحق وغيرهم يهدفون الى نشر التعليم والمعارف العلمية والتقنية اعتقاداً منهم ان التنوير هو محرك التقدم الاجتماعي بيد أن التنوير لم يقتصر على ذلك فقد تحول في سورية الى حركة فكرية موجهة ضد المؤسسات والرواسب والتقاليد الاقطاعية المعرّقة للتقدم وهو ما كان يخدم من الناحية الموضوعية قضية تدعيم العلاقات الاجتماعية البورجوازية ، ان المفكرين العرب في دعوتهم الى تغيير كافة مظاهر الحياة على اساس بورجوازي قد وجهوا النقد للتخلف والاقطاعية وللمؤسسات الاقطاعية كلها لا السياسية وحدها لذلك تصدرت مشكلة الانسان بوصفه فرداً مفيداً من الناحية الاجتماعية مركز اهتمامهم لذلك اكتسبت مهام تنوير الشعب أهمية من الدرجة الاولى ، وسائل الاخلاق التي حلت في روح الايديولوجية البورجوازية ومشكلة تحرير العقل الانساني من نير العقائد الجامدة (١) .

ويمكننا أن نميز مرحلة التنوير العربي في اطر النهضة تمييزاً خاصاً فقد امتدت هذه المرحلة في سوريا من الخمسينات الى اوائل الثمانينات أي منذ انشاء اول جمعية تنويرية في سورية (١٨٤٧م) الى بداية حكم السلطان عبد الحميد الثاني عندما انتهى الامر الى نشاط المنورين في البلاد الى ما يشبه العدم ، أما الافكار التنويرية فقد أصبحت جزءاً لا يتجزأ من مفاهيم الحركة القومية التحررية التي ولدت مع بداية الربع الاخير من القرن الماضي والتي احتلت مع بداية القرن العشرين مكانة رئيسية في حياة العرب الايديولوجية (٢) .

والى جانب التنوير وهو الاتجاه العلماني في النهضة ، ظهر في الربع الاخير من القرن الماضي اتجاه ديني هو الاصلاح الاسلامي وتعتبر هذه الظاهرة المعقدة اتجاهها عقلاً نيا في النظر الى الاسلام في فترة تكون البورجوازية العربية وفي ظروف التوسع الاستعماري الاوربي في الشرق ، لقد اكسدت المصلحون أن الدين الاسلامي بعد اصلاحه قادر على تأمين التطور التقدمي للمجتمع بينما كان المنورون لا يرون امكانية لحدوث هذا التحول الاعلى أساس العقل وبمساعدة المعارف والتنوير ، لقد تطور الفكر الاجتماعي السياسي في ارتباط وثيق بالتطورات والافكار الاسلامية التقليدية ، ولعب

(١) - لينين - المصدر السابق (ص ٤٣ - ٤٤) .

(٢) - المصدر السابق (ص ٤٥) .

الاسلام دورا هاما في الحياة الاجتماعية - السياسية اذ كان يعني بالنسبة لهم قوة قادرة على انقاذ بلادهم من خطر الاستعمار الاوربي وضمن التقدم الشامل وكان ذلك كله في الطرف التاريخي للثلث الاخير من القرن الماضي بمثابة مقدمة لتطور اتجاهات فريدة كنزعة الجامعة الاسلامية والاصلاح الاسلامي (١) . لقد كان من الطبيعي أن يتجه عدد من الرواد اتجاه افكروا يكون محور الاسلام ، فالاسلام دين ودنيا لذلك اعتقد هؤلاء الرواد أن اصلاح السلطنة يكون باصلاح الدين الاسلامي والمسلمين وكان الافغاني ومحمد عبده من باعشي الاتجاه الاصلاحى في البلدان العربية وكان القصد منه بعث نهضة اسلامية تشبه الى حد بعيد النهضة التي بعثها الوشرفي أوربا وتقوم على التوفيق بين الدين الاسلامي والعلم الحديث وقد تأثر أغلب المفكرين "سوريين من المسلمين بهذا الاتجاه وان اختلفوا بموقفهم من الخلافة العثمانية - والرابطة العثمانية والخلافة العربية ومن أقوى ممثلي هذا الاتجاه رفيق العظم ومحمد كرد علي .

ويمكننا أن نميز ثلاثة اتجاهات في الفكر الاجتماعي والسياسي لدى رواد الفكر العربي :

- ١- الاتجاه الاسلامي الاصلاحى الداعي الى الخلافة الاسلامية والرابطة العثمانية والذي تزعمه رفيق العظم ومحمد كرد علي .
- ٢- الاتجاه الاسلامي الاصلاحى الداعي الى الرابطة الاسلامية والخلافة العربية ويمثله عبد الرحمن الكواكبي .
- ٣- الاتجاه القومي العربي الخالص الذي يعود الى الطوائف المسيحية العربية والقائل بأمة عربية ووحدة عربية على أساس علماني وقومي والداعي الى استقلالها بالقوة وبمساعدة فرنسا وانكلترا ويمثله (نجيب عزوري) ويمثل آراء البورجوازية السورية والبنانية وقد لعب في الاصل مسيحيون درسوا في المدارس البروتستانتية دورا هاما في بعث هذا الاتجاه وعلى رأسهم بطرس البستاني وجرجي زيدان .

هذه هي أهم الاتجاهات في الفكر الاجتماعي والسياسي لتلك الفترة وهناك اتجاهات أخرى ولكنها لم تنتشر بشكل واسع ولم تؤثر كثيرا في (١) - لبنين - المصدر المذكور (ص ٤٥ - ٤٦) .

الفكر العربي في عصر النهضة كالاتجاه الاسلامي الرجعي الذي كان يدعو الى الخلافة العثمانية ويمثله (ابو الهدى الصيادي وعزة باشا العابد) وكان اتباع هذا الاتجاه يمثلون الطبقة الارستقراطية والروحية والتي كانت تدعم الخلافة العثمانية لان في ذلك تأمين مصالحها ثم الاتجاه العربي الاسلامي القائل بقومية عربية اسلامية الوحيد الذي دعا اليه جمال الدين القاسمي .

لقد كان ممثلو الاتجاه الاول حريصين على بقاء الدولة العثمانية لان في ذلك حماية لمصالحهم فقد كان رفيق العظم مثلاً من الطبقة الارستقراطية الاقطاعية لذلك مال الى الدفاع عن حماية الدولة العثمانية والجامعة الاسلامية ، كان رفيق من مؤيدي الرابطة العثمانية التي توحد بين الاتراك والعرب في ظل الديمقراطية التي يراها اساس هذه الوحدة .

ومن المفكرين الاخرين الذين تبثوا الافكار الاصلاحية كان عبد القادر المغربي (١٨٦٧-١٩٥٦م) الذي كتب في عدد من الصحف كالظواهر والأواء وجريدة المؤيد وبعض صحف بيروت فدعا الى الاصلاح السياسي والديني والاجتماعي والاقتصادي وهي افكار اصلاحية وتعبر عن آماني البورجوازية العربية والاسلامية الصاعدة في أيامهم لذلك كانت دعوة الى تكيف الاسلام مع العلم الحديث والاضاع الحديثة الرأسمالية وكانت تسعى لتشجيع البورجوازية الناشئة ولتسويج وجودها وخلق الطريق لها وفي هذا خطوة تقدمية بالنسبة للمدافعين عن الاقطاعية واوليها المزرية (٤) .

الاتجاه القومي العربي :

بصورة عامة لم تعرف المرحلة التي ندرسها أفكاراً واضحة ومريحة في القومية العربية والامة العربية واذا استثنينا نجيب عزوري فلا نجد مؤلفاً آخر أبرز فكرة القومية العربية بشكل علمي ومنهجي وما نلاحظه خارج كتاب عزوري من فكر عربي هي أفكار وطنية عربية تجلت في تيارين الاول علماني قاده مسيحيون لبنانيون أمثال : بطرس البستاني و ابراهيم اليازجي وفرح أنطون والثاني تيار ديني اصلاحي يدعو :

- ١- اما الى اعادة الخلافة الاسلامية الى العرب (الكواكبي) .
 - ٢- واما الى أمة عربية اسلامية دعا اليها جمال الدين الافغاني .
- لقد دعا نجيب عزوري الى استقلال البلاد العربية استقلالاً تاماً عن الدولة

(٤) - منير موسى - مصدر مذكور (ص ١٣) .

العثمانية وكان يهاجم الاتراك ويحملهم مسؤولية خراب العرب وتأخرهم ولولاهم لكان العرب في عداد أكثر الامم تمدنا في العالم وكان يرى أن سبيل الخلاص الوحيد لدى العرب هو الاستقلال التام وكان يرى أن السبيل لذلك هو بالعمل من الداخل عن طريق الثورة المكشوفة والعمل من الخارج بمساعدة الدولة الاوربية (انكلترا وفرنسا) • (الاستقلال العربي (٣) •

أما الكواكبي فقد دعا الى اصلاح الاجتماعي والسياسي عبر اصلاح الديني وبذلك لم يخرج عن الاطار الاسلامي ومن ملامح عظمة هذا الكاتب أنه رأى حقيقة الاستبداد في الولايات العثمانية ولهذا أدخل في انواع الاستبداد أنواع الاستعمار، وأكد على العامل الديني ورآه حاسماً فكتب في طبائع الاستبداد (تضافرت آراء أكثر المحررين السياسيين من الافرنج على أن الاستبداد السياسي متولد من الاستبداد الديني والبعض القليل منهم يقول ان لم يكن هناك توليد فلا شك انهما أخوان او صنوان قويان بينهما رابطة الحاجة على التعاون بتذليل الانسان) طبائع الاستبداد (ص ١٢) وفي كتابه أم القرى الذي صاغه على شكل مؤتمر حضره المسلمون من مختلف أقطارهم (الشامي والمصري والفارسي والافغاني والسيلائي والصيني) وفي كتابه هذا لم يعمق الكواكبي الملامح القومية ولم يؤكد الانتماء القومي بل اهتم بأن يكون المؤتمر تمثيلاً لتجمعات المسلمين ورغم أن الكواكبي في دعوته الى اصلاح الاجتماعي والسياسي عبر اصلاح الديني لم يخرج عن الاطار الاسلامي فقد اتجه اتجاهه عربياً وبذلك أعرب عن الحنين القومي العربي النامي في سوريا ودعا الى خلافة عربية مركزها الجزيرة العربية على اعتبار أن عرب الجزيرة هم بناء الجامعة الاسلامية وهم أقوى المسلمين عصبية ولغتهم العربية أغنى لغات المسلمين مصونة بالقرآن ولذلك فهي لغة كافة المسلمين المشتركة (كتاب أم القرى ص ١٦٠-١٧٢) •

واتجاهه العربي واضح من دعوته القومية المتنورة فقد كتب في طبائع الاستبداد ((يا قوم وأعني بكم الناطقين بالضاد من غير المسلمين)) وقد طرح الكواكبي المسألة القومية في كتابه طبائع الاستبداد بتساؤل له ماهي الامة ؟ واستطراذه ((هل هي ركام مخلوقات فانية أو جمعية عبيد لمالك)) •

ورغم أن الكواكبي طرح المسألة هنا بصيغة الاستفهام وليس بصيغة التقرير إلا أننا نرى أنه جعل كلمة الجنس واللغة والوطن والحقوق المشتركة روابط الأمة . لقد فرضت حقائق الحياة على الكواكبي هذا التوجه على الرغم من أنه انطلق من التيار الاصلاحى الاسلامي ومن المحتمل أن عددا من العوامل أوجت اليه بالتفكير القومي العربي على الرغم من عمق توجهه الاسلامي ومن أبرز هذه العوامل بروز الوعي القومي العربي في سورية اثر الادارة المصرية والتطورات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية التي واكبته واستمرت بعده وقد ساعد على اتساع نمو هذا الوعي الاستبداد العثماني وظهور القومية التركية في مقر السلطنة العثمانية على صورة قومية مستعلية تتسم ببعض الملامح العنصرية وتعرب عنها بتعداد مثالب العرب وقد ايقظت المذابح الطائفية في عام (١٨٦٠) الكواكبي على حقيقة دسائس العثمانيين ————— والاجانب ودفعته الى تحسس طريقه نحو القومية ويقظته القومية دفعته الى محاربة المركزية العثمانية والى الدعوة الى اللامركزية .

وبالرغم من النواقص في عقائد الكواكبي كانت نشاطات هذا المفكر بلاربيب ذات مدلول تقدمي وكانت بمثابة اعداد ايدىولوجي للنهضة الوطنية وأحد العوامل التي سببت نهوض الحركة الوطنية التحررية في سورية والاقطار العربية (١) .

أما أديب اسحاق (١٨٥٦-١٨٨٥)م فقد هاجر الى مصر هربا من الاستبداد الحميدي حيث أنشأ هناك صحيفتين (مصر) و(التجارة) وقد وصل في دعوته الى الثورة على الاستبداد والى القومية العربية وهو من الكتاب الذين استوعبوا مفاهيم الثورة البورجوازية الفرنسية فكانت حافزا لهم على نشاطهم فقد دعوا الى الحرية والمساواة ولكنه لم يوفق في فهم ملامح الأمة حين قال (ثبت أن الأمة هي الجماعة من الناس تتجنس جنسا واحدا أي تتسم بسمة واحدة على اختلاف اصولها ولغاتها) (٢) . فهو باسقاطه اللغة يوحى بأنه خلط بين الأمة والدولة ، الا أنه لم يدرك مقومات الأمة علميا فقد انطلق في دعوته من تصور وجود أمة عربية واحدة في اقاليم جغرافية محددة وهو أول كاتب عربي معاصر حدد جغرافية العالم العربي وأهميته تقديره الجغرافي الدقيق في قوميته في الجزء الثاني من القرن التاسع عشر

(١) - لوتسكي (ص ٢٨٨) .

(٢) - رشيد فوزي ، الفكر العربي الحديث ، دار الكسوة ١٩٦٣ - ص ١٣٢-١٦٨ .

حين كانت الفكرة القومية اما غير واضحة بسبب التيار الاسلامي واقلية
بسبب الظروف السياسية المتباينة ، يمثل ابراهيم اليازجي مكانة مرموقة
بين صفوف هؤلاء الرواد واهميته في فصاعده العربية التي كان يدعو فيها
العرب الى ان ينتبهوا ويستفيقوا وينهضوا الامرهم ويذكروهم بتاريخهم المجيد
وبمفاخر امتهم العربية .

لقد كان من الطبيعي ان يهتم هؤلاء المفكرون بالتاريخ العربي
القديم لاسيما بعد ان وعى العرب وجودهم كامة تختلف عن الاتراك وبعده
ظهور القومية التركية كقومية مستعلية واحتقارها للقوميات الاخرى الخاضعة
لها . كل ذلك استنفر هؤلاء المفكرين فعادوا الى التاريخ القديم يستلهمون
منه أسس نهضتهم ، وهذا الاهتمام باللغة العربية والتاريخ العربي يعود الى
بذور عربية جنينية كانت قد بدأت تعتمل في المجتمع العربي ، وعامل
التاريخ ظهر في انتاج الكثيرين هؤلاء الرواد الذين نشطوا في احياء اللغة
العربية والتراث العربي وفي الكتابة عن التاريخ الاسلامي فقد ألف اليازجي
كتبا كثيرة في النحو والبلاغة والمنطق وكان مهتما باللغة العربية والثقافة
العربية وكان يدعو جميع العرب من مسلمين ومسيحيين الى العودة الى
تراثهم العربي ليشيدوا على اسسه مستقبلهم وليزيحوا التراب عن تراثنا
الفكري ويظهروا عظمته وتألقه ويقدموا روائعه الى القارىء العربي .

وكان هناك صراع يدور بين التيار الاسلامي والتيار القومي وبين
ممثلي هذين الاتجاهين ، لقد كان هناك تناقض في تفكير بعض المفكرين
الذين دعوا للقضية القومية والرابطة العربية ولكنهم يرفضون الاصطدام مع
الاتراك باعتبارهم أقوى شعوب الاسلام اولخوفهم من مطامع الدول
الاوربية ، وباعتقادنا ان القوميين العرب في مطلع القرن
العشرين الذين عالجوا القضية القومية كانوا يصرون عن مفاهيم عملية
تأخذ الوضع الراهن بالحسبان والذي خلق الظروف الملائمة للاصلاح الاقتصادي
والاجتماعي والسياسي في اطار السلطنة نتيجة لتطور البورجوازية العربية
تطورا بدائيا .

ولكن بنهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين حصلت تطورات
عديدة في السلطنة جعلت الفكرة الاسلامية تتراجع لتحل الفكرة القومية فسي
صدارة التفكير العربي ففي المجال الاجتماعي - الاقتصادي نشأت وتوطدت

عناصر نمط الرأسمالية ومن النواحي السياسية والايدولوجية والثقافية
نرى صياغةً لايدولوجية بورجوازية وتطوراً للوعي القومي ، وقد ساعدت بعض
الظروف على نشوء أفكار جديدة تعكس العلاقات الاجتماعية والسياسية
الجديدة فتوسيع العلاقات مع أوروبا ونمو التجارة مع الأوروبيين قد أدى منذ
زمن بعيد الى طرح الحاجة الى تشريع جديد يرتكز على اساس علماني ، ومع
احتدام أزمة النظام العسكري - الاقطاعي ازدادت استقلالية الحكم
الاقطاعيين ولم يعد بوسع الحكومة المركزية السيطرة على الوضع في السلطنة
وازداد الحكم المطلق لولاة السلطان ، ولم يكن بوسع العلاقات الجديدة
التي نشأت بين مناطق معينة من الامبراطورية العثمانية والسلطة المركزية
الآن تترك أثراً معيناً في وعي الناس فقد خبت في أعين العرب هالة
الزعيم الروحي التي كان السلطان محاطاً بها ، يضاف الى ذلك الثورات
القومية في البلقان وتحرر شعوب البلقان من السيطرة العثمانية واقامة
بعضها كاليونان مثلاً دولها القومية كل ذلك لعب دوراً هاماً في اليقظة
القومية العربية وقد عبرت هذه اليقظة عن نفسها بالاحزاب والجمعيات التي
أسستها والتي لعبت دوراً كبيراً في التمهيد للانفصال عن الاتراك ، وفي
عام (١٨٦٧م) تآلفت في القاهرة جمعية الشورى العثمانية بقيادة محمد
رفيق العثم ومحمد رشيد رضا من اجل الاصلاحات الدستورية ، ولكن بعد انتصار
الثورة البورجوازية في تركيا في (١٠ تموز ١٩٠٨م) ووصول جمعية الاتحاد
والترقي الحكم واتباعها سياسة التتريك اضطر كثير من القوميين السـيـ
الاتجاه نحو التنظيم القومي المستقل الذي جسد الفكر القومي العربي الشامي
وقد شددت سياسة التعصب القومي التركي الاتجاه العربي القومي والسـذي
كان موجوداً قبل الانقلاب ، وفي عام (١٩٠٨م) أسس بعض سياسي العرب
في الاستانة جمعية الاخاء العربي العثماني وانطلق قادتها من مبدأ
الجامعة العثمانية واعترفوا بوجود الامة العثمانية وكان همها المحافظة على
الدستور وكانت تطالب بالمساواة بين القوميات العثمانية ولكنها لم تدع
الى أي نوع من الاستقلال العربي عن الدولة العثمانية (١) ، وبعد حل جمعية
الاخاء العربي العثماني وجدت اليقظة العربية منفذاً جديداً لها بتأسيس
المنتدى الأدبي وكان من مؤسسيه عبد الحميد الزهراوي ورفيق رزق سلوم

(١) - لوتسكي - ص ٣٩٩ - ٤٠٠) .

ورفيق العظم ورشيد رضا وقد نشط الطلاب في القاء المحاضرات بهدف تعميق اليقظة القومية العربية وأشرفوا على إصدار صحيفة لسان العرب والبارز في الفكر القومي الذي نشره المنتدى وشاع في المحافل القومية صدوره عن القاعدة العلمانية المتحررة من التيار الاسلامي القومي وهذا يصور مدى نمو الفكرة القومية ومع هذا تمسك المنتدى الادبي بالرابطة العثمانية لانه كان يرى أن ذلك لا يتعارض مع احتفاظ كل قومية بكيانها .

وفي نهاية عام (١٩٠٩م) أسس عبد الكريم الخليل رئيس المنتدى الادبي جمعية سرية سياسية كانت تعمل بموازاة المنظمة العلنية وعرفت باسم القحطانية وكان جل اعضاءها من الضباط العرب في الجيش العثماني وتنكر اعضاء الجمعية لمبادئ الجامعة العثمانية التي تبنتها جمعية الاخاء العربي العثماني واعتبروا العرب أمة قائمة بذاتها وكانوا يدعون الى إعادة تنظيم الامبراطورية العثمانية كدولة مؤلفة من الامتين التركية والعربية على غرار النمسا هنغاريا على أن يكون السلطان التركي في الوقت ذاته ملكا للعرب وان تكون الولايات العربية مملكة مستقلة في نطاق الامبراطورية العثمانية لها برلمان خاص وحكومة محلية ولغة رسمية هي اللغة العربية (١) . وكان مركز الجمعية السرية في القسطنطينية ولها فروع في خمس مدن أخرى وتبين أنه كان بين أعضائها عملاء مدسوسون ولذا اتخذ قرار بحل الجمعية قبل أن تنتهي الامور الى مرحلة الاضطهادات ، ثم أسس القوميون العرب فيما بعد سرًا كذلك جمعية العهد واعتمد برنامجهم في الحالتين على الاعتراف بوجود القوميتين العربية والتركية ودعوا الى دولة فيدرالية .

الجمعية العربية الفتاة : ثم تبلورت الفكرة القومية العربية في ظروف الاضطهاد القومي وسياسة التثريك وتأسست في عام (١٩١١) جمعية العربية الفتاة وقد أسسها فريق من الطلاب من أعضاء المنتدى الادبي الذين ذهبوا الى باريس لمواصلة دراستهم وكان هدفها (العمل للنهوض بالامة العربية الى مصاف الامم الحية وعدم الانفصال عن الترك...) وقد لعبت الجمعية دورا هاما في تاريخ الحركة العربية الوطنية التحررية ، وفي بساady

(١) - لوتسكي - مصدر مذكور (ص ٤٠٣) .

الامر تكلم أعضاء الجمعية بصورة عامة عن بعث الشعب العربي وأيدوا مبدأ
لامركزية الامبراطورية التركية ومن ثم طالبوا باستقلال الاقطار العربية
وكافحوا من أجل تحرير العرب من السيطرة التركية ، وكانت الجمعية العربية
الفتاة منظمة سرية للغاية وكان أعضاؤها ينقسمون الى ثلاث مجموعات :

- ١- المجموعة الادارية وهي مؤلفة من ستة قادة .
 - ٢- مجموعة الاعضاء العاملين وهم الذين اجتازوا مرحلة الاختبار
التمهيدية .
 - ٣- مجموعة من المرشحين الذين كانوا يمرون بمرحلة الاختبار وهم
لا يعرف بعضهم بعضا ، وكانت تستعمل الرموز السرية والمصطلحات
الما سونية (٢) ، وقد خاض أعضاء الجمعية نضالا سياسيا عنيفا عند عودتهم الى
أوطانهم وقد انضم اليها الكثير من المثقفين والوطنيين بعد أن انتقل مركزها
الى بيروت عام (١٩١٣م) ثم الى دمشق (١٩١٤م) فبلغ عدد اعضائها (١٨٤)
عضوا منهم شكري القوتلي والملك فيصل .
- لقد كانت الظروف الدولية تسير في صالح الحركة الوطنية التحررية
للاقطار العربية فاستقلال الشعوب اليونانية والسلافية في البلقان من النير
التركي وفشل الاتراك في حربهم ضد ايطاليا (١٩١١-١٩١٢م) ثم تحالف دول
البلقان (١٩١٢-١٩١٣م) وانتصارهم ضد الاتراك ، كان لهذه الاحداث تأثير
كبير على الكفاح التحرري للشعوب المضطهدة فعمت الولايات العربية اتجاهات
ثورية وتآلقت أحزاب سياسية وجمعيات ثورية جديدة وفي كانون الاول
(١٩١٢م) أي في غضون الحرب البلقانية الاولى ألف القوميون العرب في
القاهرة برئاسة محمد رفيق العظم حزب (الامركزية الادارية العثمانية)
وكانت له فروع في جميع المدن السورية والفلسطينية وفي أرجاء كثيرة من
العراق وبلغ عدد أعضائه (١٠) آلاف شخص وكان رفيق العظم رئيسه كاتبها
سياسيا وفيلسوفها عالما اجتماعيا وكان عبد الحميد الزهراوي نائب رئيس
الحزب من الكتاب الاجتماعيين المرموقين ونائب في البرلمان التركي
بالاضافة الى عدد آخر من رواد الفكر العربي والقومية العربية كرفيق رزق سلوم
ورشيد رضا ومحب الدين الخطيب وشبلي شميل وغيرهم ، وقد بذل الحزب
الجهود لمساهمة العرب القصوى في حكومة الدولة العثمانية وفي مجلس الشيوخ

(٢) - لوتسكي : المصدر السابق .

والنواب وطالب بالاعتراف باللغة العربية كلغة رسمية في الدولة وتعليمها في المدارس العربية بصورة الزامية كما طالب بالاستقلال الذاتي للولايات العربية مع منح هذه الاقاليم المستقلة ذاتيا صلاحيات واسعة (١) .

وازداد تبلور الفكر العربي سياسيا وتنظيميا في اكثر من مظهر وشكل وفي (٨ آب ١٩١٢م) نشرت صحيفة الاهرام انباء مؤتمر عقده من اطلقوا على أنفسهم (فتيان قحطان) ولخصت الصحيفة مطالبهم بأن تعتبرهم الدولة العثمانية امة حرة ذات حقوق وأن تعتبر لسانهم رسميا وأن تجعل زمام الوظائف في البلاد العربية بأيديهم وأن تحصر خدمة جنود العرب وضباطهم هم وأن تعمل على توسيع سلطة المجالس المحلية وأن تجعل للقبائل كافة الحقوق كغيرهم من الحضريين انتخاب النواب ولكن هذه الحركة ن أكثر من صرخة قومية كما يقول الدكتور توما ترندد صدها ومضت د ن تتخذ شكلا تنظيميا .

وجرى التبلور الجدي في الفكر القومي العربي والذي ترك أثره في التطور اللاحق في المؤتمر العربي الاول الذي عقد في باريس عام (١٩١٣) والذي عقده أعضاء جمعية العربية الفتاة الذين قاموا بمبادرة لتوحيد كافة القوى الوطنية بغية ممارسة ضغط مشترك على الحكومة التركية وفي (٤ نيسان) قدموا اقتراحا الى حزب اللامركزية بعقد أول مؤتمر عربي في باريس فقبل الاقتراح وشعر حزب اللامركزية بالتهيو الى المؤتمر وحددوا أبحاث المؤتمر :

- ١- الحياة الوطنية ومناهضة الاحتلال .
- ٢- حقوق العرب في المملكة العثمانية .
- ٣- ضرورة الإصلاح على قاعدة اللامركزية .
- ٤- المهاجرة من سورية واليهما .

ونظرت حكومة فرنسا الى عقد المؤتمر بعين العطف الشديد لانه ينسجم وتلك المطالب التي تيسر تغلغل الفرنسيين في سوريا ولبنان ، ويسرت الحكومة الفرنسية للقوميين العرب محال عقد المؤتمر وضمت نشر مواده .

وقد ترأس عبد الحميد الزهراوي المؤتمر الذي انعقد في حزيران (١٩١٣م) وجرت جلساته الرسمية بين (١٨-٢٣) منه وحضره (٢٤) مندوبا وما يربو على (٢٠٠) ضيف وقد أبرز رئيس المؤتمر الوحدة القومية التي تربط بين أبناء

(١) - اميل توما: تاريخ مسيرة الشعوب العربية الحديث (ص ١٣٩) .

الشعب العربي بفض النظر عن مذهبهم السياسي وأما عن السلطة الدينية فقد عززت دأشما عن إحداد الوحدة السياسية ، وأكد القومسون العرب ضرورة الإصلاح وحددوا مطالبهم باللامركزية حتي يتمكنوا من التمسك بمشيل الصحيح في مجلس الاعيان والنواب على اعتسارهم نمش السكمان في الدولة ويسرعوا في تطوير مرافق بلادهم الاقتصادية وأن سنعشوا اتفاقاتهم القومية (٢) .

واتخذ المؤتمر قرارات نطقت بمطالب العرب القومية وتتلخص هذه المطالب بالاصلاحات وحق العرب في التمتع بحقوقهم السياسية بالاشتراك في الادارة المركزية فعلا وان تنشأ في كل ولاية عربية ادارة لامركزية وأن تعتبر اللغة العربية لغة رسمية في مجلس النواب وفي الولايات العربية وباسم حزب تركيا الفتاة وقع مدحت شكرى اتفاقية مع الزهراوي رئيس المؤتمر العربي وتعهد أعضاء تركيا الفتاة بموجبها بتنفيذ جميع قرارات المؤتمر العربي الاول ولكن لم ينفذ الا تراك شيئا من وعودهم واكتفوا بتوزيع الرتب والمداليات على شخصيات عربية مختلفة وبتعيين خمسة من العرب أعضاء في مجلس الشيوخ وباستثناء الزهراوي كان هؤلاء الأعضاء من الاقطاعيين والتجار العرب ، ولم تكن لهم أية صلة بالحركة القومية ولم ينفذ شيء من الاصلاحات وبقي الحال كما كان عليه سابقا .

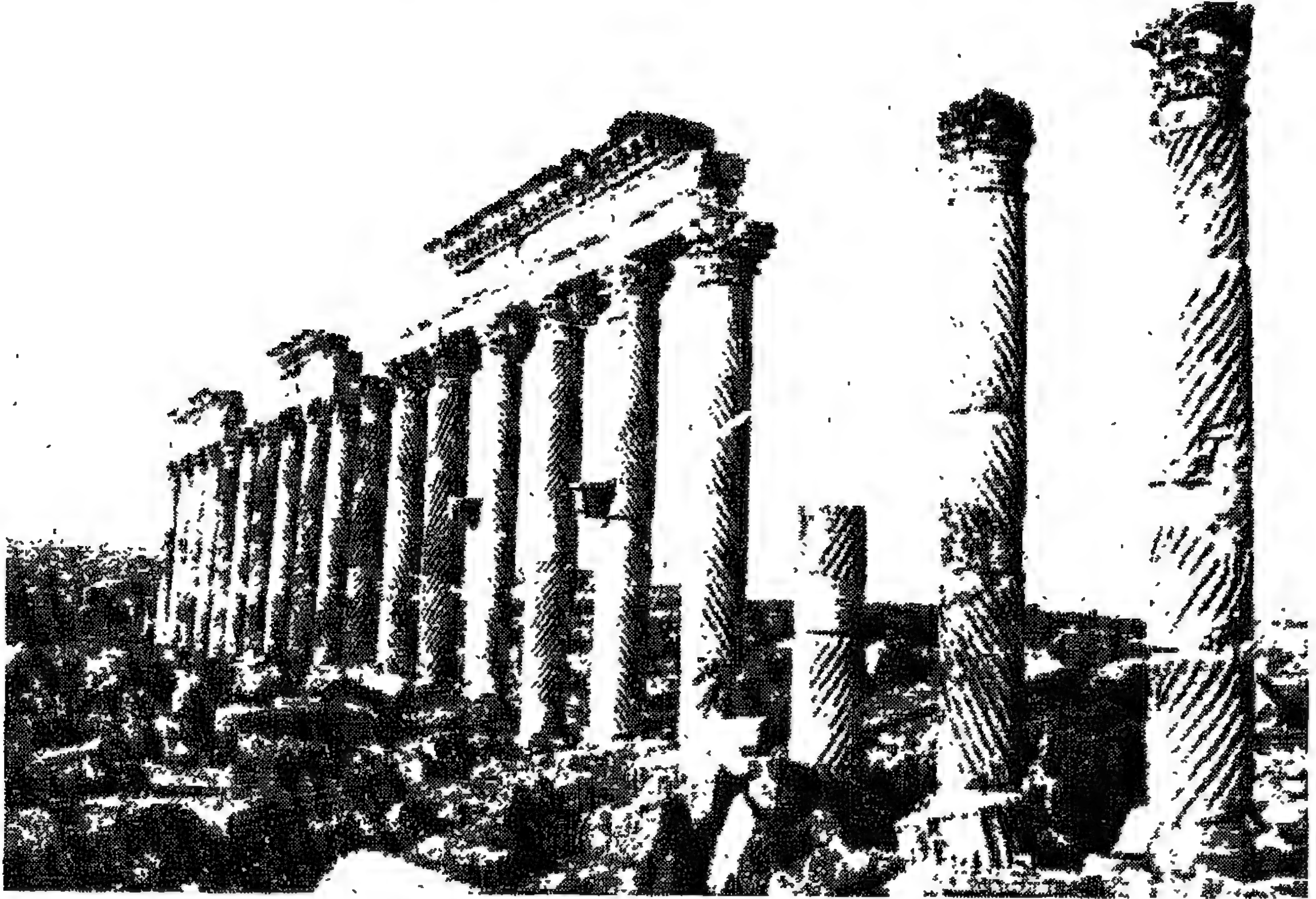
وقبيل عام (١٩١٤م) تخلت أغلبية المنظمات العربية السياسية والجمعيات السرية عن التكتيك التوفيقي وسلكت طريق الانتفاضة المسلحة وقد بددت السياسة الشوفينية التي اتبعها أعضاء تركيا الفتاة آخر الاوهام حول امكانية التوصل الى أي نوع من الاتفاق .

متحف افاميا

الأستاذ
عبد الرزاق قزوين

* مقدمة تاريخية :

تقع افامية فوق هضبة قليلة الارتفاع ، تشرف غربا على وادي الفساب
وتبعد عن مدينة حماة حوالي (٦٠) كم الى الشمال الغربي ، كما تبعد عن حلب
(١٣٠) كم وعن اللاذقية (١٢٥) كم الى الجنوب الشرقي منها .
لعبت افامية دورا هاما في التاريخ ولم يبق منها حاليا سوى قرية
"محصورة بين اسوار القلعة القديمة تعرف (بقلعة المضيق) ، وقد قامت
"ثرية بلجيكية بأول حفريات خلال اعوام (١٩٢٨ - ١٩٣٠ - ١٩٣٨ - ١٩٤٧ -
(واستأنفت هذه التنقيبات منذ عام (١٩٦٥) مركز الابحاث الاثري
البلجيكي بالاشتراك مع المديرية العامة للآثار والمتاحف التي اضطلعت ايضا
بمهمة الترميم في اجزاء من الشارع الرئيسي (الصورة رقم ١) والجامع الاثري
والخان الذي حولته الى متحف رائع لهذا الموقع الهام .



— الصورة رقم ١ / بعض اعمدة الشارع الرئيسي (الكار دوبا فامية) —

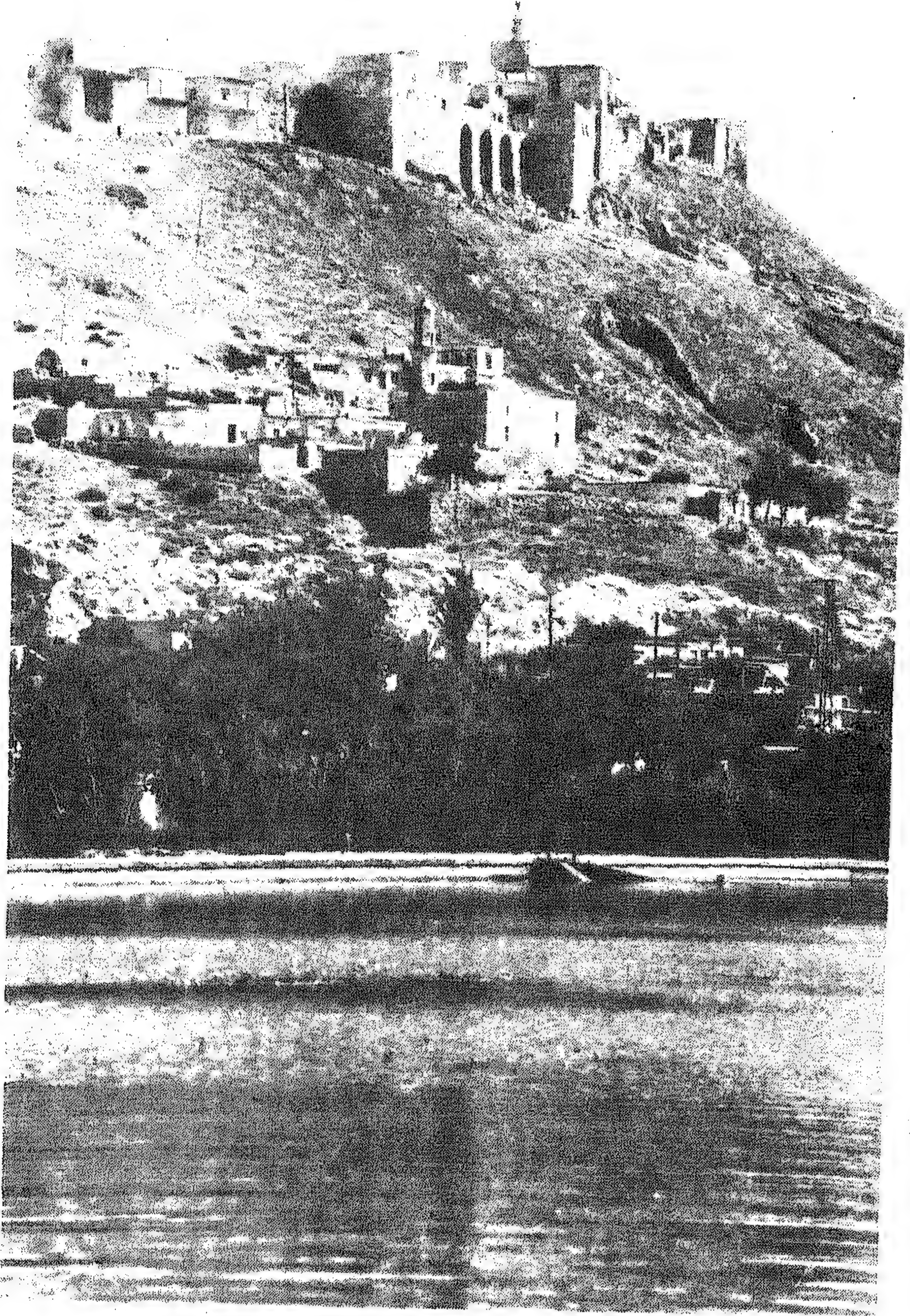
يحتوي موقع افامية على سويات ترقى للعصور الهلنسية والرومانية والبيزنطية والاسلامية ، وأصبحت افامية مركز عاصمة اقليم سورية الثاني منذ بداية القرن الخامس الميلادي .

تتوضع المخلفات الحضارية الرئيسية على الهضبة الواقعة شرق القرية الحالية ، كما توجد مخلفات بشرية ترقى للعصر الحجري الوسيط وما بعده تتوضع بوضوح على الاكروبول (حيث تقوم القلعة الحالية) . والسفح الشمالي للاخدود المواجه له ، فضلا عن انتشار سكاني زراعي يرقى للعصر الحجري الحديث دلت عليه الاسوار التي حفرت هناك .

وهناك مستوطن ذو طبقات حضارية متعاقبة يرقى للعصر البرونزي وما بعده ، اثبتته تنقيبات قمنا بها منذ عام (١٩٧٠ م) كشفت عن لقى فخارية عديدة ومدافن غنية ، وهذا ما يرجع بأن لهذا الموقع علاقة وثيقة باسم (نعي) التي ورد ذكرها في النصوص الحثية والاكادية والفرعونية وخصوصا في رسائل تل العمارنة ، وكانت لافامية اسماء متعددة قبل أن تعرف بهذا الاسم ، فهناك اشارة الى وجود موقع يرقى لتاريخ ابكر من العصر السلوقي كان يسمى كما يقول الجغرافي سترابو (بارناكه) يرقى لنهاية القرن الخامس قبل الميلاد ، ولعل لهذا الاسم علاقة مع اسم (فارناكة) ابن المرزبان الفارسي ، وبعد معركة آيسوس (٣٣٣ ق م) سميت بشكل واضح باسم (بيلا) ، وزودت بحامية مقدونية ، ثم اعيد تأسيس هذه المدينة في زمن سلوقس نيكاتور (الاول - ٣٠٠ - ٢٩٩ ق م) تحت اسم افامية الذي مازالت تعرف به حتى الان .

ثم خضعت افامية للرومان بعد أن فتحوا سورية عام (٦٤ ق م) وخضعت بعدهم للبيزنطيين الى ان فتحها المسلمون صلحا عام (٦٣٨ م) .

وقد دمرت الزلازل التي اجتاحت المنطقة بين عامي (١١٥٧ - ١١٧٠ م) المدينة تدميرا كاملا حيث اقتصر الاستيطان بعدها في الحصن القديم (قلعة المضيق حاليا) حيث توجد كتابات على بعض الابراج تشير لعمال الترميم ، ترقى لبداية القرن الثالث عشر الميلادي ويتميز العصر العثماني بوجود خان واسع للحجاج وهو متحف افامية . مع مسجد صغير يقع في نقطة أعلى منه (الصورة رقم ٢) وكلاهما يرقيان لاولئ القرن العاشر الهجري (السادس عشر الميلادي) .



— الصورة رقم ٢/ — جامع افامية مع جزء من البحيرة والقلعة الاسلامية

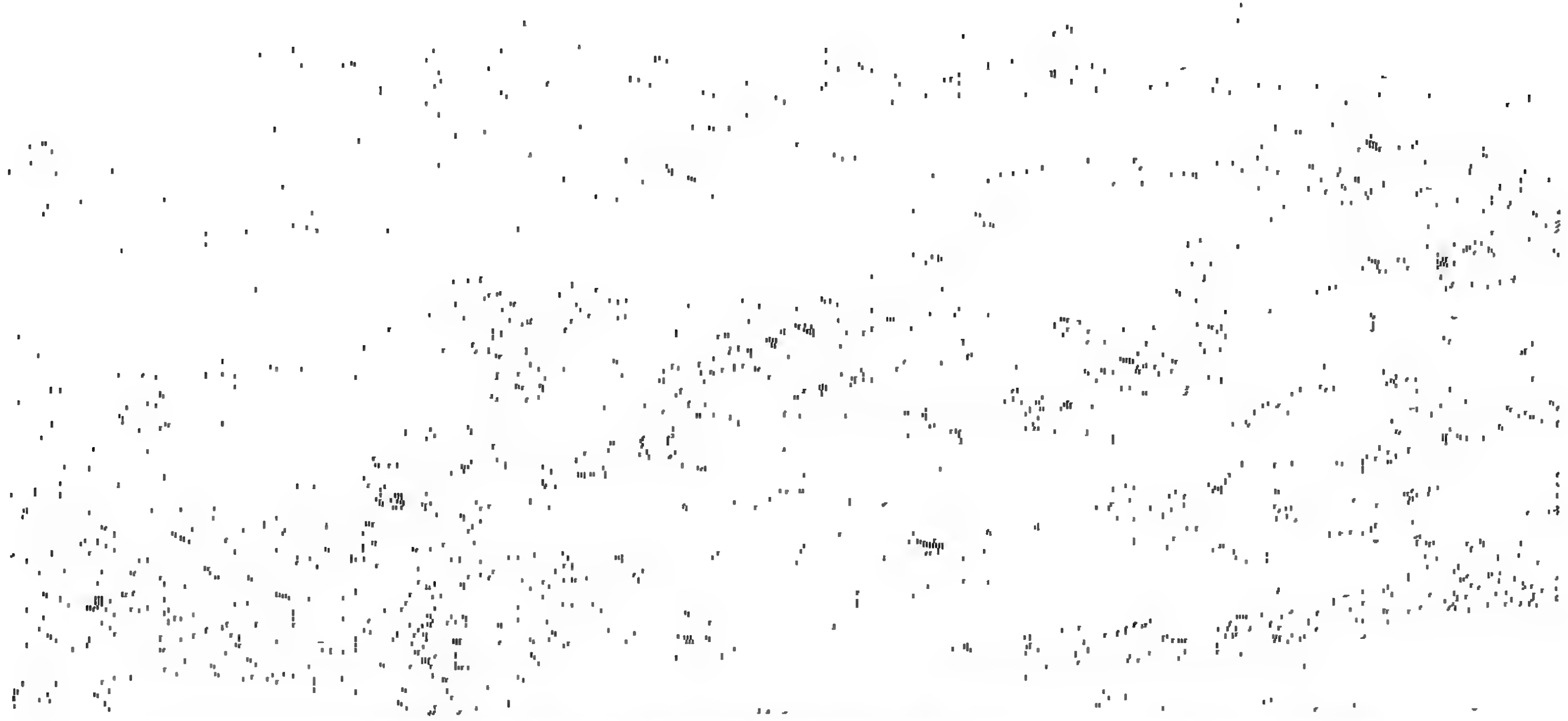
* متحف افامية (خان الحجاج سابقا) :

كان متحف افامية خاناً للحجاج والمسافرين يحطون فيه رحالهم لقضاء فترة من الراحة يستعدون فيها لرحيل جديد .

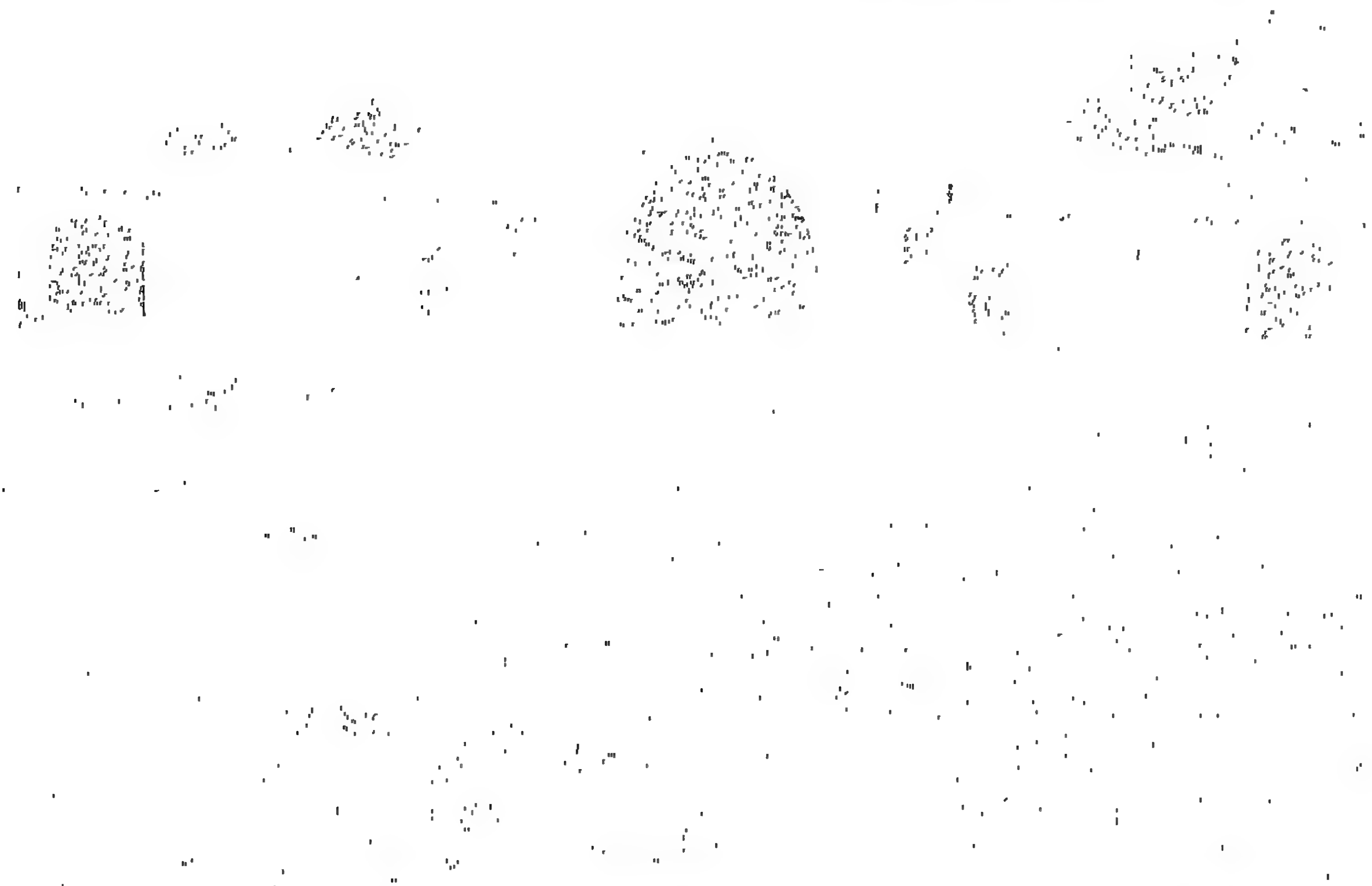
يرقى هذا الخان لبداية العصر العثماني ، وقد ذكر لنا الرحالة الغزي الذي نزل فيه سنة (٩٣١ هـ) م بأنه كان جديداً عند ما حل به ونسبه الى محمد آغا قزلار - وهذا يعني أنه بني زمن السلطان العثماني سليمان خان الاول (سليمان القانوني) الذي تولى السلطنة بين عامي (٩٢٦ - ٩٧٤ هـ) وذكر الرحالة ابراهيم الخياري الذي زار المنطقة عام (١٠٨٢ هـ / ١٦٦٩ م) اثنا سفره من المدينة المنورة الى القسطنطينية ، بأنه مر بمنزل يقال له المضيق به خان جديد عمره محمد آغا قزلار ، وبني بالقرب منه جامعاً ومنارة ، فيقول الرحالة الخياري في كتابه الذي ألفه عن رحلته تلك وسماه (تحفة الادباء وسلوة الغرباء) ، فوصلنا منزلاً يقال له المضيق به خان جديد عمره وجدده محمد آغا قزلار ، وبني قلعة جديدة بقرب الخان ، وبها مسجد ومنارة ، والقديمة بأعلى الجبل وفيه ناس ساكنون ، وبه مجتمع ماء وبه عنب نفيس رقيق القشر جدا احلى عنباً كلنا في سفرنا هذا .

يحتل هذا الخان مساحة واسعة تقارب سبعة آلاف متر مربع ، ويتكون من بناء ضخم مربع الشكل (الصورة رقم (٣) يبلغ طول ضلعه (٨٣) م المخطط (١) ، تتوسطه باحة واسعة مرصوفة بالبلاط الحجري ، وبها منهل ماء عمقه سبعة امتار كانت تأتيه المياه بواسطة اقنية فخارية من البحيرة الواقعة الى الغرب من الخان وعلى بعد لا يتجاوز المائة متراً .

تحف بهذا الخان من جوانبه الاربعه قاعات وغرف واسعة ، ويقع مدخله في ضلعه الشمالي وهو مدخل واسع على جانبيه صفتان حجريتان ، ويكتنف هذا المدخل من جانبيه غرفتان عن يمين وشمال تنفتحان على باحة (الصورة رقم (٤) ، واهم اجزاء هذا الخان جناحان طويلان ورائعان يربطان بين اثنتين من الغرفتين الواقعتين على جانبي المدخل الرئيسي ، وهما الجناح الشرقي والجناح الغربي ، ومن الملاحظ أن جناحه الشرقي يناظر جناحه الغربي تناظراً تاماً ، اما القسم الجنوبي فقد كان مشابهاً لجناحيه الشرقي والغربي ، واغلب الظن أنه تهدم في فترة من الفترات ، ولم يكن

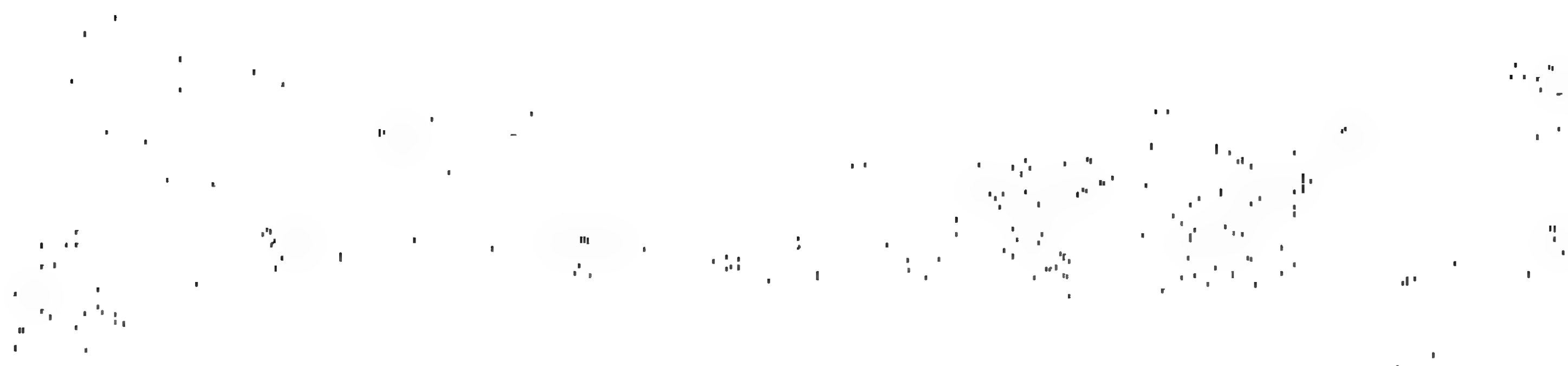


– الصورة رقم ٣/ – منظر للمتحف وما حوله يرى من القلعة



– الصورة رقم ٤/ – الواجهة الشمالية في المتحف ، مع جزء من بلاطه الحجري

بالامكان اعادته الى ماكان عليه في ذلك الحين ، فتم بناء سبع غرف صغيرة بدل الجناح الجنوبي (الصورة رقم ٥) هذا ، وبقي جزء صغير منسه فقط ، هو ما اطلق على تسميته بالجناح الجنوبي الغربي .



— الصورة رقم ٥/ — الغرفة الجنوبية — وجزء من الباحة — مع منهل الماء —

ان جميع قاعات الخان وغرفه مبنية بالحجارة الكبيرة ومسقوفة باقبية برميالية الشكل تحملها عقود حجرية نصف دائرية ، ماعدانقطة تقاطع الجناح الجنوبي الغربي فانهامغطاة بقبومتقاطع وتوجد في جميع غرف هذا الخان واجنحته مواقد كثيرة ، تتقدمها مصاطب عريضة كان الحجاج والمسافرون يستعملونها للنوم ، وتختص كل مجموعة او عائلة بموقد من هذه المواقد تطبخ فيه طيلة مدة اقامتها ، ويواجه هذه المصاطب في الجهة الثانية كوى تنفتح كل منها على الباحة الخارجية بنافذة تشبه فتحات السهام ، ولكنها مدروسة بشكل يسمح للنور الكافي بالدخول الى قاعات الخان فتبقى منيرة طوال النهار .

لقد تعرض هذا الخان للاهمال بعد انتشار وسائل النقل الحديثية وأثرت عليه عوامل الزمن فانهار قسم كبير من سقف جناحه الغربي ، وكادت بقية سقوفه تنهار ، وراحت تتغلغل فيها مياه الامطار وتهدمت اقسام كبيرة من واجهاته وابوابه ، وازيلت جميع مصاطبه وتغيرت معالمه

تغير اكبرا، وامتلاء فناؤه الرحيب بالروث والأتربة، وضاع منهل الماء الموجود في باحته بعد ان ملأته الاوساخ والاقدار، وسكنه بعض الاعراب مع مواشيهم منذ بداية القرن العشرين، فتأثرت جدرانه وسقوفه من دخان النيران التي كان يشعلها السكان في داخل قاعاته وتراكمت عليها طبقة شخينة من الهباب الاسود، فاصبح من المتعذر على الداخل الى تلك القاعات ان يرى لمسافة بعيدة فيها، كما استخدمه بعض الخزافين لصناعة الجرار في بداية القرن العشرين ايضا، ولان واحد من افران شي الفخار موجود حتى الان في الزاوية الجنوبية الغربية من باحته، وتحولت بعض اقسامه في السنوات الاخيرة الى اصطبلات تربي فيها الابقار والاعنام .

وتقدير القيمة هذه الابدعة العمرانية الرائدة وحرصا على انقاذها من الدمار المحتم ان بقيت على ماهي عليه فقد باشرت مديرية الاثار اعمال الترميم وبذلت في سبيل ذلك جهوداً مفضية طيلة سنوات خمس، فتم الكشف خلالها عن باحته المرسوفة بالبلاط الحجري وترميم الناقص منها، وكشف حوض الماء الذي يبلغ عمقه سبعة امتار، كما اعيد بناء جدرانه المنهارة كما كانت عليه سابقا، وتم الكشف عن جميع اسطحته واعيد بناء المتهدم منها واكمل بناء الناقص من الواجهات والمداخل بنفس الاسلوب المعماري القديم، وازيلت جميع الاحداثات فيه، وتم تنظيف جدرانه وعقوده مما علق به من هباب واوساخ، كما اعيد بناء جميع المصاطب وترميم المواقد، وتلييس السقوف بالكلس المقنب طبقا لاسلوب الاثري القديم وتم تصنيع ابواب خشبية وحديدية تتلائم مع طبيعة هذا الخان الرائع واعيدت جميع الحلقات الحديدية التي كانت تربط بها الخيول في الفناء ودخل القاعات الى اماكنها الاصلية وباسلوبها القديم،

ورافق ترميم الخان، اعمال ترميم الجامع الاثري على سفح القلعة شمالي الخان، والذي يرقى لنفس التاريخ فعاد الى سابق عهده بعد ان كان مهجوراً تأوى اليه بعض الحيوانات، وتناولت اعمال الترميم في هذا الجامع اللطيف نفس المراحل التي تمت في الخان .

وبعد الانتهاء من اعمال ترميم الخان واعادته الى بهائه ورونقه القديمين تم تحويله الى متحف اقليمي لمدينة افامية وتم افتتاحه في (٢٤ تشرين الثاني من عام ١٩٨٢)، وقد خصص النصف الشرقي من هذا

المتحف للعهد الوثني في افامية ، بينما ترك النصف الغربي للعصريين البيزنطي والاسلامي ، وهرفت مديرية الاشارجل اهتمامها التي رصفه من الفسيفساء المكتشفه في افامية وحورته ومواقع أثرية اخرى في محافظة حماة وغلبت هذه الصفة عليه ، واصبح المتحف الوحيد الخاص بالفسيفساء في القطر العربي السوري .

* اقسام المتحف واجنحته :

آ- الجناح الشرقي :

١- القسم الشمالي :

بعد أن يعبر القادم الى المتحف مدخله الواسع ، تواجهه باحة رحبة يتوسطها منهل ماء ذو سلم حجري كانت تستقي منه القوافل التي تحط رحالها في هذا الخان الرحيب واذا امامت الزائر نظره بهذه الباحة وما يحيط بها من غرف وقاعات ، ينعطف نحو اليسار ليدخل الى القاعة الشمالية الشرقية ، وهي الجزء الشمالي من الجناح الشرقي (المخطط رقم ٢) حيث تم عرض مجموعة من الكتابات والتوابيت الحجرية مع فسيفساء رائعة .

فسيفساء سقراط : تم عرض هذه الفسيفساء امام الباب ، وقد عثر عليها تحت بناء الكاتدرائية الكبرى في افامية ، وتؤرخ بسنتي (٣٦٢-٣٦٣ م) وتمثل سقراط وحوله ستة حكماء ، ويمثل الجانب الايمن من هذه الفسيفساء زخارف هندسية رائعة ، ضمن اطار نباتي جميل ، ويحيط برأس سقراط كلمة بأحرف يونانية تشير الى اسمه ، وتوجد الى يسار المدخل حنية عرضت فيها التحفتان التاليتان :

١- تمثال نسرم من الحجر الكلسي : عثر على هذا النسرم في المقبرة الشرقية بأفامية ، ومن المعروف انه قد تم العثور على كثير من شواهد القبور تزيينها نسور مجنحة في منطقة منبج وشمال سورية .

٢- شاهدة قبر حجري : تخص هذه الشاهدة رجلا وزوجته وتؤرخ بسنة (١٦٠) م ، وقد عثر عليها في احد ابراج الاسوار الشرقية نصوص كتابتها :

الطران العلويان : سنة (٤٤٤) حسب التاريخ السلوقي الذي يبدأ عام (٣١٢) ق م .

في (٦) من شهر ديسبوس .

هيرايوس ، المأسوف عليه ، وداعا .

السطران السفليان : سنة (٤٧٢) (حسب التاريخ السلوقي) .

في ١٠ من شهر ديستروس .

ميلينا ، المأسوف عليها وداعا .

وفي مواجهة الزائر، وعلى طول الضفة التي تحاذي الجدار الشمالي من هذه القاعة تم عرض عدد من شواهد القبور والتوابيت الحجرية التي تحمل كتابات يونانية ولاتينية ، رتبت حسب التسلسل التاريخي ، ونوع الكتابة واسلوب النحت .

فالشاهدة رقم (١)٣ ، ذات طراز هلنستي تخص اوجينا ابنة ابـو لونيوس المأسوف عليها ، وبجانبها شاهدة اخرى (الرقم ٤) من الحجر الكلسي ذات طراز هلنستي ايضا ويمكن ارجاعها الى القرن الثاني او القرن الاول قبل الميلاد وتحمل اسم ديمونيغوس المأسوف عليه ، اما الشاهدة التالية (الرقم ٥) فقد عثر عليها بجانب بحيرة افامية الواقعة غرب المتحف وتؤرخ بسنة (٤٤٠) سلوقية ، اي (١٢٨ / ميلادية ، وتخص مالخا المأسوف عليه ، وعثر على الشاهدة (رقم ٦) ، المعروضة الى جانب الشاهدة رقم (٥) في مقبرة افامية الشرقية وتؤرخ بسنة (٤٣٠) سلوقية ١١٨ / م ، وتحمل اسم غوروس المأسوف عليه .

وتحمل الشاهدة (رقم ٧) اسم أموس المأسوف عليها وتؤرخ سنة ٤٤٧ / سلوقية ، ١٣٦ / م ، وقد عثر عليها في المقبرة الجنوبية الشرقية لافامية .

وعثر على الشاهدة التالية (رقم ٨) في الاسوار الشرقية من افامية حيث اعيد استعمالها هناك وتؤرخ بسنة (٤٤١) سلوقية ١٣٠ / م وتحمل اسم باتروخيلا المأسوف عليها .

اما الشاهدتان رقم (٩ - ١٠) فتخصان جنديين خدما في افامية وماتافيهما ، وتؤرخان بين سنتي (٢٣١ - ٢٣٢ / م) وتحمل الاولى اسم اوليبوس بريفاتوس سيروس الذي كان فارسا عظيما كما تذكر الكتابات

(١) - اعطيت هذه المعروضات ارقاما متسلسلة طبقا لمكان عرضها في المتحف اما الفسيفساء فتم عرضها في ارضيات الاجنحة ولم تعط ارقاما لها لكونها مميزة .

الموجودة عليها ، بينماتحمل الثانية اسم ماركوس اوريليوس فلورنتينوس الجندي في الفيلق الثاني الذي كان موجودا في افامية وقد خدم (٢١) سنة ومات وعمره (٤١) عاما .

وبعد الشاهدة الاخيرة تم عرض تابوت حجري (الرقم ١١) وعشرعليه مع تابوت آخر (الرقم ١٢) في مقبرة افامية الشمالية ، وأحدهما هذين التابوتين لواحد من قواد الجيش في افامية في القرن الثاني الميلادي ، والثاني لزوجته ، ويلاحظ من النهرين المكتوبين على هذين التابوتين ان الزوجة (وهي انتوناكارا) قد توفيت قبل زوجها فصنع لها زوجها (بروبوس سانكتوس) هذا التابوت (التابوت رقم ١٢) ويبدو انه تزوج زوجة أخرى بعد وفاة زوجته الاولى ، ثم توفي قبل زوجته الثانية فقامت الاخيرة واسمها كما يذكر النص (مارسيا فيفا كريسنتينا) بصنع تابوت لـ (وهو التابوت رقم ١١) ودفنته بجانب زوجته الاولى .
واليكم شرحاً موجزاً لهذين التابوتين مع نص الكتابة اليونانية الموجودة عليهما .

١١- تابوت حجري :

يرقى هذا التابوت للقرن الثاني الميلادي ، وقد عشرعليه في المقبرة الشمالية بافامية ، ضمن حجرة تضم تابوتا آخر ، هو التابوت الاتي ذكره يعلوه غطاء يبدو انه ليس الغطاء الاصلي ، اذ ان هذا التابوت قد استخدم مرة ثانية بغطاء آخر هو الغطاء الحالي ، اما الغطاء الاصلي فغير موجود .
نميز على وجهه منحوتات آدمية ونباتية ربة النهر في زوايا التابوت مع بعض اكاليل الزهور ووجه الفرغون ، فضلا عن طفلين مجنحين يمسكان بطرفي اطار يضم بداخله كتابة لاتينية ، كما نميز سطر من الكتابة على طرف التابوت العلوي ، والفرغون (Gorgone) هن اخوات ثلاث معروفة في الاساطير اليونانية (ميدوزا واوربالة وستينو) لهن ملامح مخيفة وشعور افعوانية الشكل ، وانياب الخنزير وكانت عيونهن قادرة على تحويل من تنظر اليه الى حجر ، وكن يسكن عالم الظلمات ، وفي العصور اللاحقة للعصر اليوناني خفت من شدة تعابير الفرغون ولطفت ملامحها وأصبحت اقل خافة كما هو الحال في غورغون التابوت الروماني هذا (للمزيد من الاطلاع

انظر معجم الاساطير اليونانية والرومانية ، اعداد سهيل عثمان وعبد الرزاق
الاصفر منشورات وزارة الثقافة دمشق سنة ١٩٨٢) .

وتوجد على ظهر التابوت هذامنحوتات تمثل اسدين متقابلين
يختلفن اسلوب نحتهماعن اسلوب المنحوتات الموجودة على وجهه ، ويرجعان
لفترة لاحقة ، وهي الفترة التي استعمل فيها التابوت مرة ثانية ، وطبقا
لاسلوب النحت فانه يمكن تأريخ هذه الفترة بسنتي (٢٣١ و ٢٣٣ م) نص
الكتابة الموجودة على هذالتابوت هي :

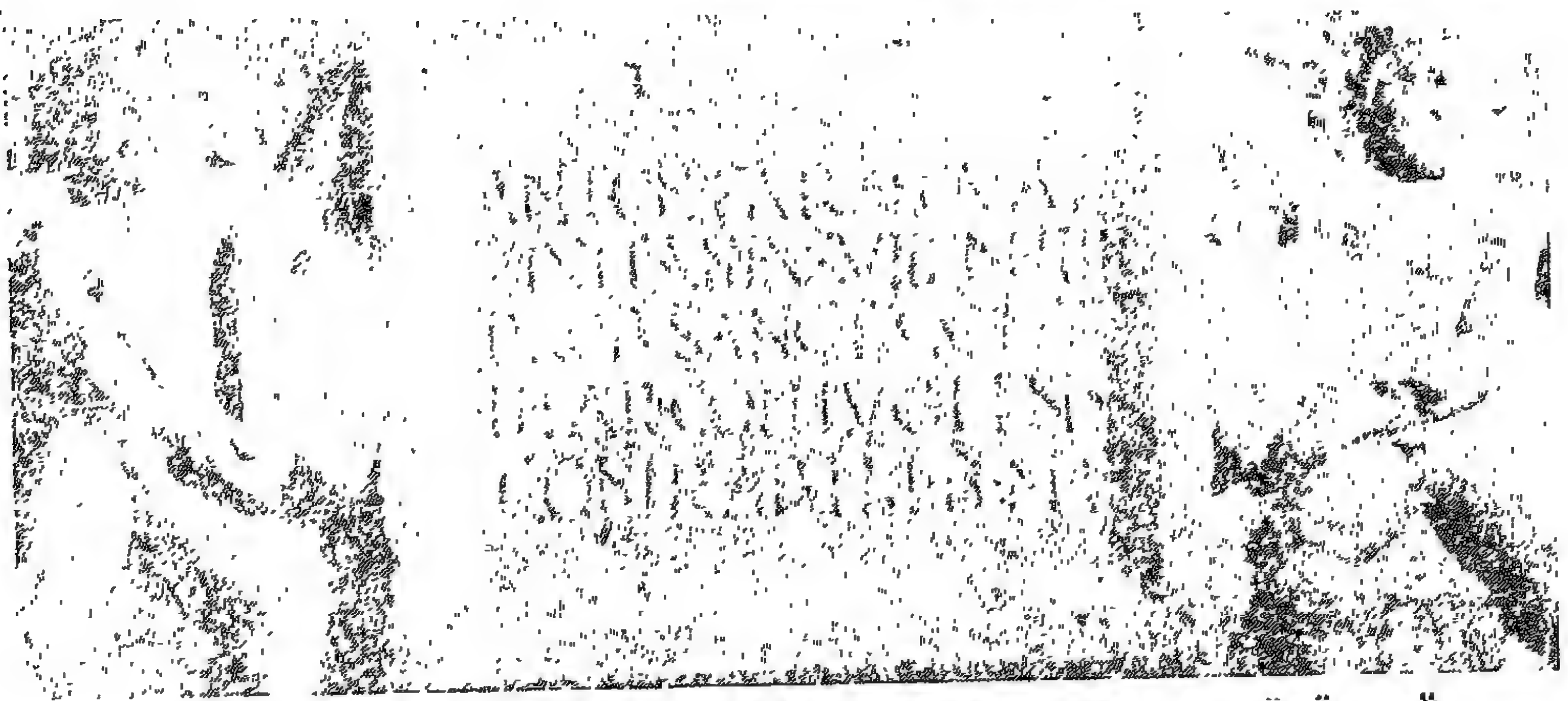
(. . الذي عاش ٤٣ / سنة ، و ٥ اشهر و ٩ ايام ، خدم في الجيش بصفة
خيال لمدة اربع سنوات ، وحارس لمدة (٤) سنوات وابتيو (اي ضابط)
١٣ سنة ، وقائد مائة لسنة واحدة ، ان مارسيا فيفاكريسنتينا زوجته
ووريثته صنعت (هذالتابوت) لزوجها الفذ .) .

وقد عرضناه في الحنية المقابلة للتابوت الثاني تحت رقم (١٢) .

١٢- تابوت من الحجر :

عشر عليه بجانب التابوت الانف الذكر وله نفس اسلوب الصناعة والنحت
ويحمل نفس الزخارف .

تنص الكتابة الموجودة ضمن الاطار على مايلي : (الصورة رقم ٧) :
لانتولنياكارا (البالغة من العمر ٢٨) سنة ، و (٤) اشهر ،
بروبيوس سانكتوس قائد المائة في الفيلق البارثي الثاني ، قدم صنع
(هذالتابوت) ، لزوجته التي لانظير لها . .



- الصورة رقم ٧/- الكتابة الموجودة على القبر رقم ١٢ .

ونعود للصفة الشمالية حيث تم عرض ثلاث شواهد قبور حجرية اخبري بعد التابوت الحجري عشر على الاول منها وهي الشاهدة رقم (١٣) ، قرب البوابة الشمالية لافامية وترقى للفترة الواقعة بين (٢٣١ و ٢٣٣) م على وجهها صورة جندي واقف تحته كتابة لاتينية نصها ——— .

((في ذمة الالهة المحلية ، سبيتموس موكابورين كايوس ، الجندي الذي خدم في الفرقة البارثية الثانية براتب مضاعف ، النقي ، الوفي ، الميمون الخالد ، من الفصيلة الرابعة في الفرقة الاولى ، خدم ٢١ سنة و ٣٠ يوما ، عاش ٤١ سنة ، ان وريثيه سبيتموس اندرا ، ضارب البوق : واوريليوس موكيانوس ضارب البوق ، قد صناعاله ما يستحقه (١) .)) .

أما الشاهدة رقم (١٤) فقد عشر عليها في احد ابراج السور الشرقي وتحمل كتابة لاتينية فقد جزء منها بسبب كسر لحق الشاهدة فاضاع اسم صاحبها وبقي اسم فالنتينوس وريثه الذي انشأ له هذه الشاهدة .

وتحمل الشاهدة رقم (١٥) وهي الشاهدة الاخيرة في القسم الشمالي من الجناح الشرقي اسم اوريليوس باللغة اللاتينية واسم وارثه بوليوس فيكتوريس الذي صنع له هذا الرمس الذي يستحقه ، ويمكن ارجاع هذه الشاهدة لنفس تاريخ الشاهدة رقم (١٣) .

ولنبداً الان زيارتنا للقسم الشرقي من الجناح الشرقي فقد عرضنا على ارضيته مجموعة من روائع الفسيفساء الرومانية والبيزنطية المكتشفة في افامية ، كما عرضنا على طول الصفة مجموعة من الكتابات المنقوشة على حجارة بعضها كانت قواعد لتمثيل ، وبعضها الاخر حجارة تدشين فلما عن بعض التماثيل والتيجان .

فالاشهر رقم (١٦) ، هو حجر تدشين خاص بأغريبا الاول او أغريبا الثاني ويرقى للقرن الاول الميلادي ، كسر قسمه العلوي ولا زال الجزء الاسفل من كتابته اللاتينية موجودا ، نصها :

(الملك العظيم ، صديق (القيصر ، او صديق الرومان)

(١) — جميع النصوص اليونانية واللاتينية الموجودة على شواهد القبور والتوابيت وقواعد التماثيل المعروضة بمتحف افامية منشورة في الكتاب الذي ألفناه عن متحف افامية (متحف افامية الفسيفساء) تأليف عبد الرزاق زقزوق ، منشورات المديرية العامة للإشغال والمتاحف .

أما الاثر رقم (١٧) فقاعدة تمثال من الحجر الكلسي ترقى للقرن الاول من المرجح انها كانت تحمل تمثالا من البرونز، عليها كتابة لاتينية تبين ان التمثال مهدى الى تيتوس فلافيوس - سلوقس . يلي الاثر السابق تمثال رجل رخامي (رقم ١٨) يمثل شخصا واقفا (الصورة رقم (٨) ، يرتدي وشاحا يغطي نصفه الاسفل وكتفه الايسر يرقى للقرن الثاني والثالث الميلاديين .

يلي هذا التمثال جزء من قاعدة من الحجر الكلسي رقم (١٩) كان عليها تمثال ، تحمل كتابة لاتينية باسم لوقيوس يوليوس اغريبا . يلي هذه القاعدة قاعدة أخرى رقم (٢٠) ذات اهمية كبرى ، اذ تشير الى اسم اغريبا احد مشاهير سكان افامية في القرن الثاني الميلادي ، (الصورة رقم (٩) ، ترقى لسنة (١١٦-١١٧) م وقد اعيد استعمالها ثانية اثنا عشر عمليات الترميم القديمة التي جرت في القرن السادس الميلادي ، حيث اعيد نحتها لتصبح ساكفا لاجد نوافذ الجدار الخلفي في الرواق الشرقي بالشارع الرئيسي او واجهة الحمام الشمالي الذي بني من قبل اغريبا وقد عشر عليها ملقاة في الرواق الشرقي قرب الحمام المذكور ، نص كتابتها :

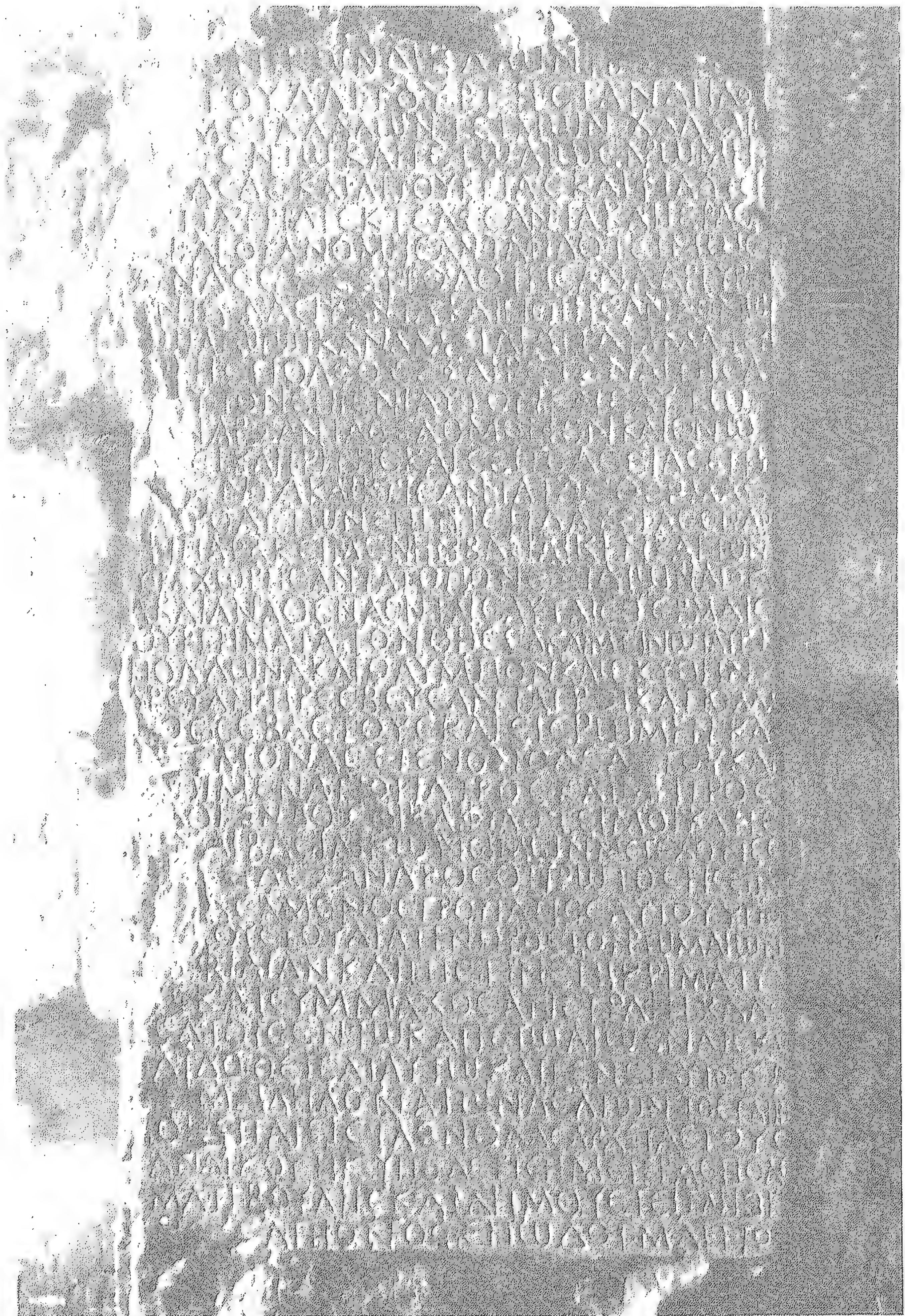
(له حقوق اجداده جميعها ، واستثناء خاص بشأن الطقوس الدينية وكل الامجاد الاخرى المسجلة على الواح البرونز في الكابيتول بروما ، لقد انجز اعمالا هامة من أجل وطنه ، وطقوسا دينية ، كان قسيقسا ، وكسان حاكما مكلفا بمراقبة السوق بشهامة ومروءة ، واشرف على توزيع القمح خلال ستة أشهر بدفع مبلغ قدره عشرة دينارات فضية ، لقد قدم الزيت للدهن بسره وانشأ القناطر مسافة عدة اميال ، وكان امين سر المدينة متخذا اسلوبا غير عادي ، وطالب بذاته ان تكون الاجازة لمدة عام ، واختار بنفسه زملاءه في القضاء ، وفي العام ذاته كان مفوضا للسلام ، ومسؤولا عن توزيع القمح وقد انشأ الحمامات والرواق الذي يتقدمها على الشارع ، والبازيليكا التابعة لها ، مانحا الارض من ماله الخاص ، واقفا اعمالا برونزية في هذه الحمامات : مجموعة تيسيوس والمينوتور . ومجموعة ابولو ، واولمبوس ومارسياس والسكيتي .

وقد تطوع بالقيام بسفارات لدى الباطرة والحكام وكان له ، من جهة امه وابيه ، اجداد ، شرفاء كرماء ، ورؤساء ولايات ، واشخاص لهم نصيب



(الصورة رقم /٨/)

جذع تمثال رجل رخامي



(الصورة رقم /٩/)

قاعدة تمثال حجرية عليها كتابة يونانية تخص أغريبس

باللقاب الشرف الملكية ، من بين هؤلاء ، ديكساندروس جده الاكبر ، اول كاهن كبير في الولاية ، ونظر الصداقته ووفائه للشعب الروماني . . فقد سجل صديقاً وحليفاً على الواح البرونز في الكابتول ، من قبل اغسطس المعظم وعلى هذه الالواح ذكرت ايضا بقية لقاب الشرف الاستثنائية الممنوحة له ولعائلته ، ومن بين هذه الالواح ، الخلاصة المحفوظ (هنا في الوثائق السنة . . . شهر كسانديكوس ، اليوم ٢٨ ، من قبل مدينتنا) وطبقا لقرار المجلس والشعب ، فقد منح (ديكساندروس) لقب شرف ، في شهر بيريتيوس اليوم الثالث قبل نهاية الشهر ، في هذا القرار .

ويلى الاثر السابق حاملتا تماثيل من الحجر الكلسي (الرقم ٢١ و ٢٢) ترقيان لسنة (١١٦ - ١١٧) تحمل كل منهما اسم لوقيوس يوليوس اغريبا الاول مقدمة من كايوس يوليوس ثيوبومبوس والثانية مقدمة من لوقيوس يوليوس تروفيموس .

وبعد الحاملتين الانفتي الذكر قمتا بعرض قاعدتي تمثالين من الحجر الكلسي الرقم (٢٣-٢٤) عثر عليهما في منصة المسرح الروماني ويمكن تأريخها لسنتي (٣٦٢-٣٦٣) م نقش على الاولى كلمة (المعظم) باللغة اللاتينية اما الثانية فتحمل النص التالي (المعظم ، السيد الابدي ، الخالد المدعو بالافامي .

ويلى القاعدة رقم (٢٤) تمثال امرأة من الرخام (الرقم ٢٥) يمثل امرأة واقفة ترتدي ، ثياباً شفافة تنم عن بعض تفاصيل الجسم التشريحية ولهذه الثياب طيات وثنيات ابداع الفنان في نحتها . رأس هذا التمثال مفقود ، وكذا ذراعه اليمنى وجزء من الذراع اليسرى . واذا قارنا هذا التمثال باشباهه ، فاننا نرى ان الفنان قد اتبع اسلوبنا رائعاً و نادراً في طريقة تركيب وتثبيت الرأس والذراعين على الجسم . تم العثور على هذا التمثال خلف سبيل الماء الواقع وسط الشارع الرئيسي ، ولعله يمثل الهة الصحة ويمكن ارجاعه الى القرن الثاني والثالث الميلادي .

ومن الجدير بالذكر ان جذع تمثال آخري يمثل اسكلاب اله الطب كان وجد في رواق الشارع الرئيسي مقابل سبيل الماء . وبعد تمثال ربة الصحة تم عرض طاولة من الرخام الابيض (رقم ٢٦) ،

هذه الفسيفساء الغنية بالآلوان مقدمة من بولس ذي "الروح
الغنية والعقيدة السامية" () .

ويمكن ارجاع هذه الفسيفساء للربع الثاني من القرن السادس الميلادي

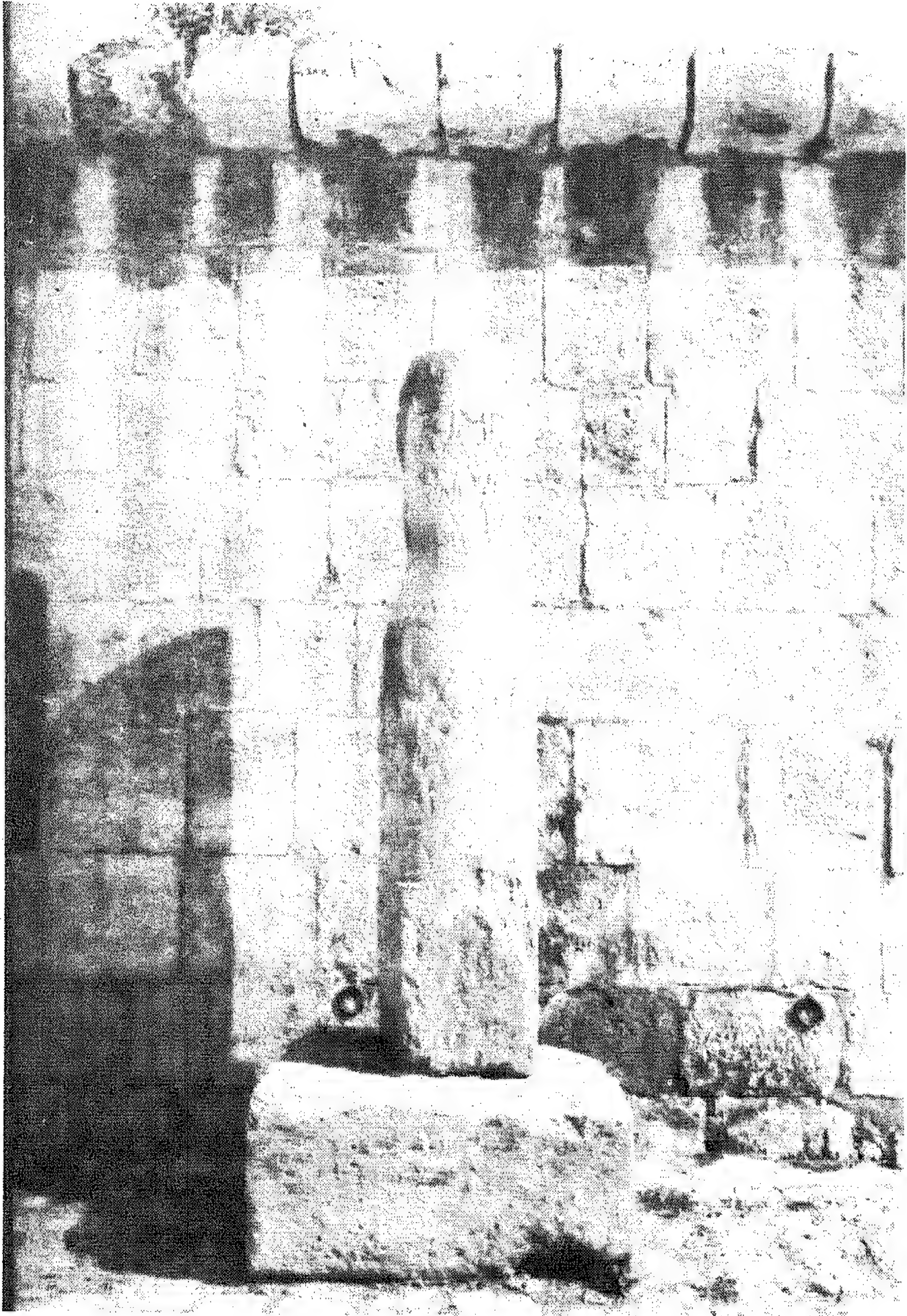
* فسيفساء الافرونيات :

عثر عليها في الغرفة (آ) في المبنى المسمى تريكلينوس والذي
يظن بأنه كان قصر الحاكم ، وتمثل هذه الفسيفساء فارسيتين في الوسط
تمتطيان سهوتي جواديهما تصطادان بعض الوحوش وقد تخرّب القسم الأكبر
من إحدى هاتين الفارسيتين تخريباً كاملاً ، ولم يبق إلا جزء من جوادهما ،
ويحيط بهذا المنظر الأوسط اطاران من الزخارف الهندسية والنباتية
المحورة عن الواقع ويمكن ارجاع هذه الفسيفساء إلى النصف الثاني من القرن
الخامس الميلادي والامزونات في الاساطير اليونانية فريق من النساء
المحاربات كن يعشن في القوقاز بآسيا الصغرى ، وكانت لهن ملكتهن ، وكن
يكوينن الشدي الايمن كي لا يعيق شدا السهم ، ومن هنا جاءت تسميتهن
(ألامازون - بلاثدي) وكن لا يقربن الرجال الامرة واحدة في العام كي
يحافظن على استمرار جنسهن ، وكن يقتلن اولادهن الذكور ؛

ب - الجناح الغربي :

تم عرض هذا الجناح بمجموعة رائعة من الفسيفساء المكتشفة في
حورثة (١) ، وصوران ومورك .
من الجدير بالذكر انه تم الكشف في موقع حورثة عن كنيسة
متجاورتين ترقيان لواخر القرن الخامس الميلادي أحدهما أكبر من الأخرى
وقد تم العثور في الكنيسة الكبرى على ثلاث طبقات من الفسيفساء ، تم عرض
فسيفساء الطبقتين العليا والوسطى في متحف افامية ، كما تم العثور على طبقة
واحدة من الفسيفساء في الكنيسة الصغرى ، تم عرضها في المتحف المذكور أيضاً .
وقبل ان يدخل الزائر إلى الجناح الغربي من باب الشمال يجد على
يساره عمود مسافات عثرنا عليه قرب تل د اديس جنوب افامية ، ويشير هذا
العمود إلى الميل (٢١) للطريق الرومانية بين افامية والرفنية القريبة من
مصيف (الصورة رقم (١٠) .

(١) - حورثة موقع اثري يبعد (١٥) كم إلى الشمال من افامية .



(الصورة رقم ١٠)

عمود مسافات للطريق الرومانية بين افامية والرفنية

وقد حفرت على سطحه كتابة لاتينية بها بعض النقص نصها :
الامبراطور - قيصر مسبا سيان (٢) المعظم ، الحبر الاعظم ، تقلد رئاسة
القضاء اربع مرات ، انتخب امبراطورا تسع مرات ، ابو الامة ، وقنصلا
ابح مرات ، مبعوث اغسطس ، صاحب الملك ، الميل (٢١) (من افامية) .
واذا ما دخل الزائر الى الجناح الغربي تواجهه فسيفساء واسعة هي
فسيفساء الطبقة الاولى من الكنيسة الكبرى بحورته تليها ارضيات فسيفسائية
اخرى تعد من اجمل ماتم العثور عليه من الفسيفساء في محافظة حماة .

* فسيفساء الكنيسة الكبرى بحورتها :

تبلغ مساحة هذه الكنيسة التي تتكون من كنيستين فوق بعضهما
(٣٦٥ - ١٥٦٠م) وقد عثر فيها على ثلاث طبقات فسيفسائية رائعة
وقمنا هنا بعرض فسيفساء الطبقة السطحية وهي فسيفساء المجاز الاوسط مع
الحنية في الكنيسة .

وتمثل زخارف الحنية بعض الحيوانات والطيور المختلفة ضمن دوائر
من اشجار الكرمه باسلوب زخرفي جميل و ألوان زاهية .
أما زخارف المجاز الاوسط فتتمثل مجموعة من الحيوانات المفترسة ،
كالنمر والفهد والخنزير البري تطارد او تفترس مجموعة اخرى من الحيوانات
البرية كالغزال ، والماعز وغيرها .

ويحيط بهذه المناظر اطاران ، الخارجي منها ذو زخارف هندسية
والداخلي ذو زخارف نباتية من أوراق الاكانت على شكل دوائر تضم بداخلها
مجموعة مختلفة من الطيور .

وقد عثر على الطبقة السطحية هذه على ثلاث كتابات يونانية ، احداها
وهي الكتابة الرئيسية تواجه المدخل الغربي للكنيسة وهو المدخل الرئيسي
وتؤرخ بناء هذه الكنيسة (كنيسة الرب المظهرة في ٢٠ نيسان عام ٤٨٣ م
وتذكر اسم فوتيوس رئيس اساقفة افامية والمطران دوروته والقسيس
ستيفانوس ، واسم الشماسين جاكوسيمون ، اما الكتابة الثانية التي عثر
عليها في الغرفة الواقعة شمال الحنية (المسماة غرفة المذبح) ، فمؤرخة في
أيار عام ٤٨٤ م) وتعيد ذكر المطران والقسيس اللذين لازال موجودين في
الكنيسة حتى ذلك التاريخ .

أما الكتابة الثالثة الموجودة في الطرف الشرقي من الرواق الجنوبي فمؤرخة بعام (٤٨٥م) وتذكر اسم المطران فقط ، وقد لحق بهاتخريب قديم اضاع اسماء أخرى .

* فسيفساء الرواق الشمالي بالكنيسة الكبرى بحورثة :

ولهذه الفسيفساء صلة بالفسيفساء الانفة الذكر فهي نفس الكنيسة الكبرى بحورثة وكانت تزين الرواق الشمالي في هذه الكنيسة ، ومن الحدير بالذكر ان جزءا بسيطا من الرواق الجنوبي موجود في المتحف ولم نتمكن من عرضه لضيق المكان ، وأما الجزء الأكبر منه فلزال موجود في مكانه تحت بيت احد سكان القرية هنا .

وتمثل هذه الفسيفساء مجموعة من الوحوش المفترسة ، تصطاد حيوانات برية مختلفة كما هو الحال في الفسيفساء الانفة الذكر ، فضلا عن بعض الاشجار الكبيرة بعضها يحمل ثمر الرمان ، وقد نفذت هذه الزخارف جميعها فوق ارضية بيضاء تتكرر عليها زهرة محورة عن الواقع تحويرا جميلا .

ترقى هذه الفسيفساء لنفس تاريخ الفسيفساء الانفة الذكر (٤٨٣م) .

* فسيفساء المعمودية :

كانت تزين هذه الفسيفساء ارض رواق صغير لا يتجاوز طوله (٦٠م) يقع بين الكنيسة الكبرى بحورثة والسلم الحجري المؤدي الى المعمودية والى الكنيسة الصغرى بكنيسة ميخائيل .

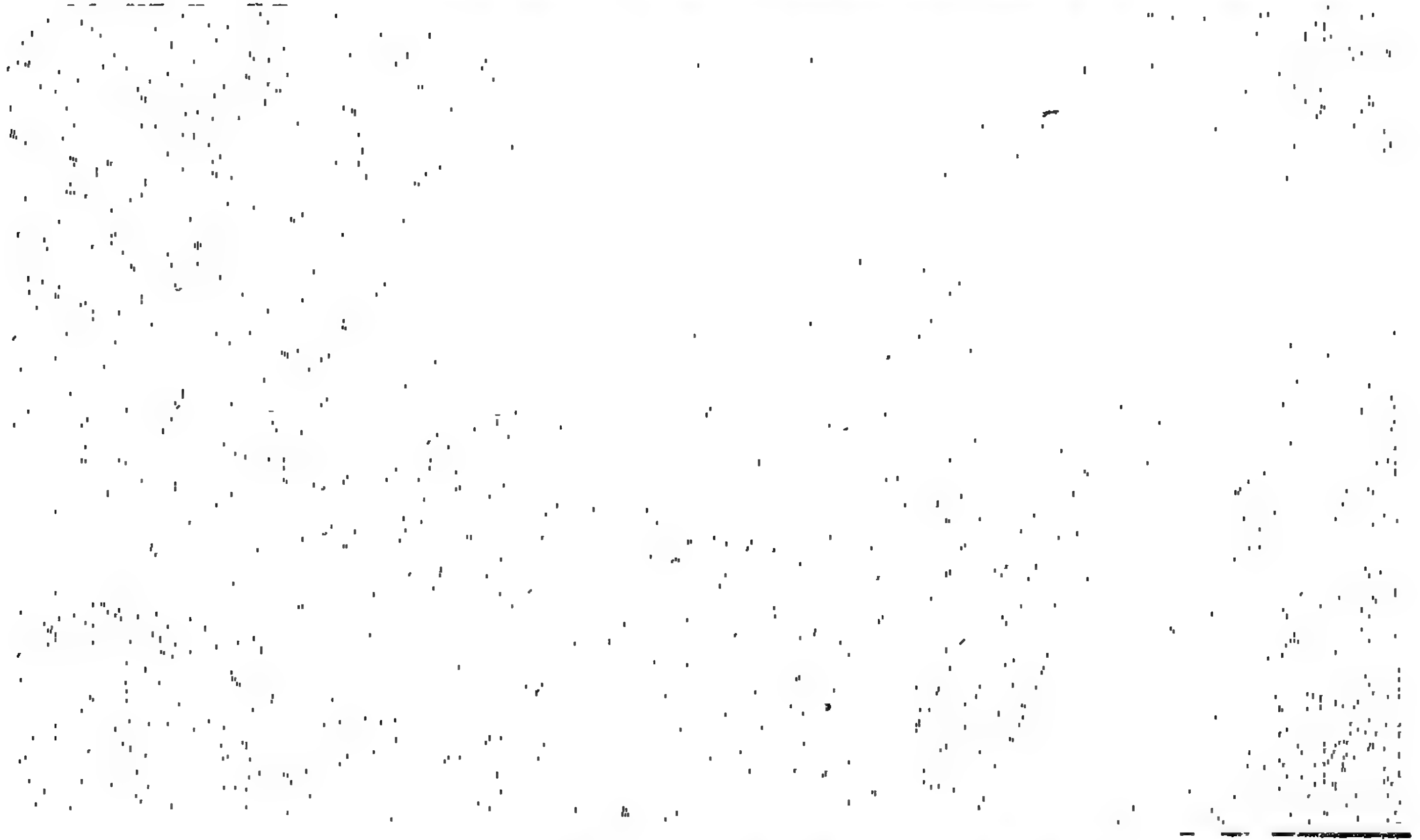
تتكون هذه الفسيفساء من اطار ذي زخارف نباتية محورة عن الواقع ممثلة بعنصر مكون من ورقتين نباتيتين متقابلتين ، تشكلان فيما بينهما شبه دائرة ، ومن الملاحظ ان هذا العنصر يتكرر على طول الاطار بأوضاع متعاكسة .

يحيط هذا الاطار بمنظر في الوسط تمثل طيوراً واشجاراً وحيوانات فوق ارضية بيضاء ، وتشكل الحيوانات العنصر الرئيسي وهي ثلاثة ، اسد في الوسط وغزال وخروف على الجانبين ، وقد تعرض ، للأسف ، جزء من اطار هذه اللوحة الرائعة ، ووسطها لتخريب قديم .

ترقى هذه الفسيفساء الى منتصف القرن الخامس الميلادي .

✽ فسيفساء خربة الشيخ مسعود في صوران : (الصورة رقم ١١) :

ترقى هذه اللوحة لواخر القرن الرابع او بداية القرن الخامس الميلادي ، تتوسطها زخارف هندسية قوامها ضفائر متقاطعة ، تشكل معينات تحصر فيما بينها ثلاثة عشر طائرا ، ويحيط بالمنظر الاوسط هذا اطار يتكون من زخارف هندسية متنوعة غاية في الدقة والابداع .



(الصورة رقم ١١ / فسيفساء صوران)

✽ فسيفساء خربة المجدلية في مورك (الصورة رقم ١٢) :

هي من روائع فن الفسيفساء في العهد البيزنطي ، يحار الناظر في جمالها ، تضم عددا من الطيور المختلفة اهمها الطاووس ، فضلا عن زخارف هندسية و ضفائر ابداع الصانع في اتقانها ، كما تتميز فيها ثلاث حيوانات مختلفة قرب الزوايا (الرابع مخرب) هي ، ثور وخروف وغزال كما يوجد في الزوايا الاربع اربع مزهريات تنبثق منها بعض الاغصان والازهار ، ويتوسط هذه اللوحة طاووس فخور بريشه المتعدد الالوان وعلى جانبه طاووسان آخران .

ترقى هذه اللوحة لواخر القرن الخامس او بداية القرن السادس الميلادي .

الكنيسة (أي الباب الغربي) وقد لحق بهاتخريب بسيط ازال بعض
كلماتها نصها ما يلي :

(تخليد الذكرى ٥٠٠٠ وسيمون بن دوروته ، وجميع اقربائه
تم صنع فسيفساء ميخائيل ، بفضل اهتمام ابنه د ٥٠٠٠ في زمن
قسيسنا الشديد الورع .

في شهر آذار من سنة ٥٥٥٥ ، ستفانوس وليونتيوس الشماسان .

* فسيفساء الكنيسة الكبرى بحورته :

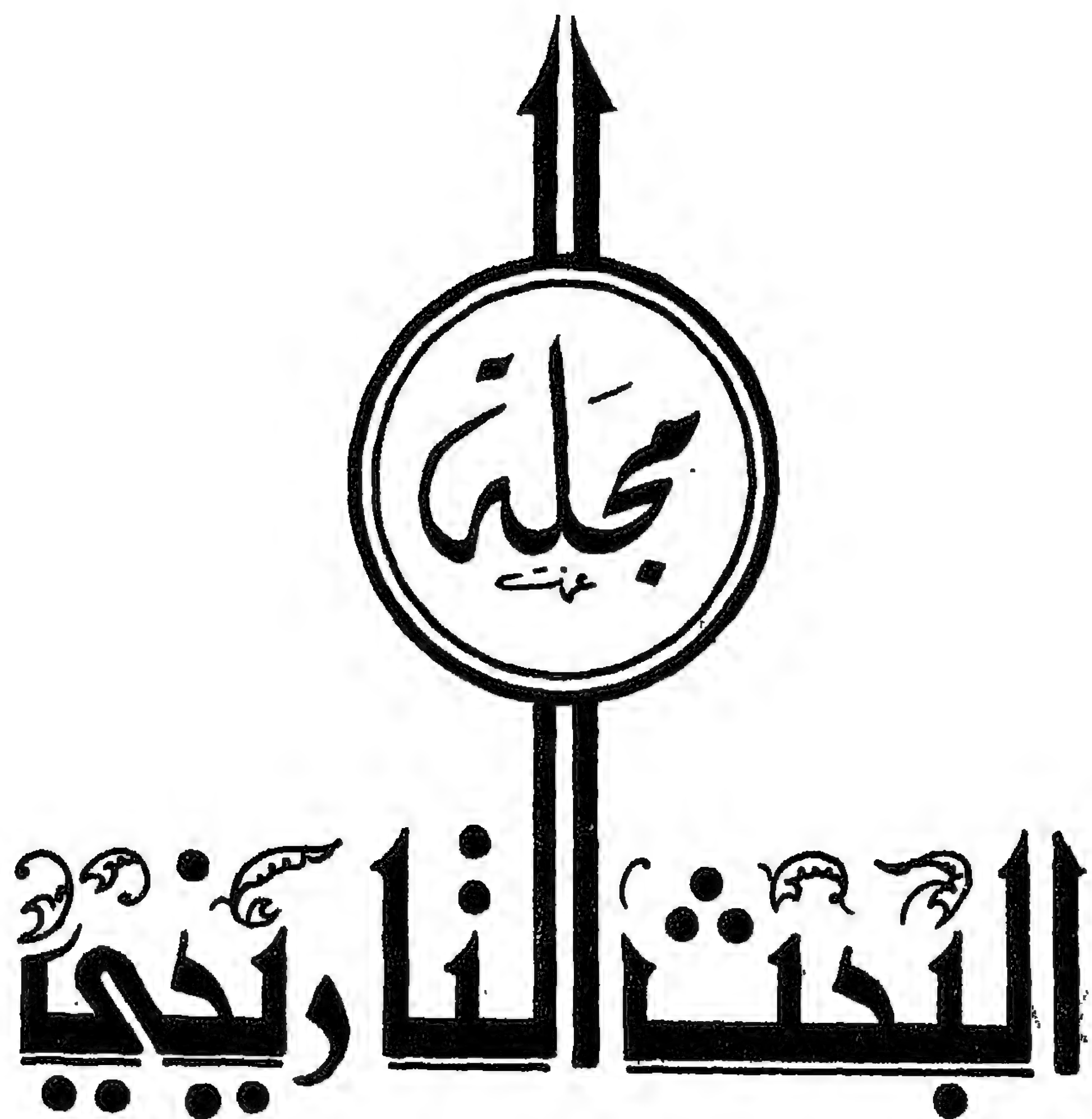
وهي فسيفساء الطبقة الثانية في (كنيسة فوتيوس) وترقى
لمنتصف القرن الخامس الميلادي وتمثل في الوسط مجموعة من الحيوانات
المفترسة تنقض او تطارد بعض الحيوانات الاخرى ، ويحيط بهذا المنظر
اطار ذو زخارف نباتية رائعة .

* فسيفساء الرواق الشمالي في كنيسة ميخائيل بحورته :

(الصورة رقم (١٣) وهي من روائع الفسيفساء المكتشفة ، كانت
تغطي ارض الرواق الشمالي في الكنيسة الصغرى (كنيسة ميخائيل) بحورته
وتمثل هذه الفسيفساء مجموعة من الحيوانات المفترسة تطارد حيوانات
برية أخرى ، واهم ما فيها منظر قافلة مكونة من هودج يحمله بغلان شديدا
يقود احدهما شخص يحمل بيده سوطا ، تعلوه كتابة يونانية باسم جورجيس
كلوديوس ، وتحيط بهذه القافلة بعض الطيور و كلاب الهيد ، وفي مقدمة هذه
الفسيفساء كتابة يونانية مؤلفة من خمسة اسطر نصها ما يلي :

في عهد الاقدمين ، اليوثر ، سيرج ، توماس دوروته ، وفي عهد
الكهنة الخمسة دوروته ، حنا ، توماس ، جورج ، وتوماس الاخير
قد رصفت كنيسة ميخائيل بالفسيفساء .

ان زائر متحف افامية لن ينسى ما عاش زيارته لهذا المرح الحضاري
الهام الذي يعد فريدا من نوعه في الشرق الاوسط ، ستحدثه
معروضاته عن عظمة اجدادنا الاقدميين الذين خلفوا لنا تلك
الحضارة الرائعة على مر العصور .



صدر عن اجمعيه التاريخيه

- ١- العدد الاول من مجلة البعث التاريخي
- ٢- العدد الثاني من مجلة البعث التاريخي
- ٣- العدد الثالث من مجلة البعث التاريخي
- ٤- ندوة عملي الاثرية التاريخية الاولى
- ٥- العدد الرابع من مجلة البعث التاريخي

مجلة البحث التاريخي
تصدره الجمعية التاريخية بمصر

العدد الرابع - شبان ١٤٠٧ هـ - نيسان ١٩٨٧ م

رئيسة التحرير الدكتورة
تقريب الهادي شامي

المدير المسؤول الأستاذ
محمد عبد الصمد الشاطر

لجنة التحرير بمه لسانة

محمود عمر السباعي جرجس مخول

سمير عبد الحميد عبد الله بنها

منذر محمودي عبد الحفيظ شما

راجحة لغزالي أستاذة جليل منصور

الغلاف : تصميم الفنان الدكتور عبد المنان شما

عنوان الجمعية

مصر - الجمعية التاريخية - شارع عبد الحميد الدروبي - ص. ب. ٨٤٨

هاتف ٢٦٣٨٠

ملاحظات :

- البحوث والمقالات التي ينشرها الكتاب في هذه
المجلة تعبر عن آرائهم الشخصية .
- ترتيب مواد العدد يخضع لاعتبارات فنية فقط .
- المراسلات باسم المدير المسؤول . حمص . الجمعية التاريخية .

* الفهرس *

=====

<u>الموضوع</u>	<u>رقم الصفحة</u>
* الفهرس *	
* المقدمة *	
<u>* المقالات :</u>	
- امارة بني عمار في طرابلس	٧ - ٥٥
الدكتورة امينة بيطار *	
- اولترا اعظم اسرار الحرب العالمية الثانية	٥٧ - ٦٩
ترجمة وتقديم الاستاذ محمود عمر السباعي *	
- أبو لودور الدمشقي اعظم معمار في التاريخ *	٧١ - ٧٩
الدكتور عدنان البني *	
- حول اعادة كتابة التاريخ العربي	٨١ - ٩٧
الاستاذ عبدالرحمن بدر الدين *	
- دراسة مقارنة لروايات فتح الشام	٩٩ - ١١١
الاستاذ محمد عبدالصمد الشاطر *	
- كفر البارة ومدنها الست *	١١٣ - ١٢٥
الاستاذ كامل شحادة *	
- رومانية الشرق من خلال النقود *	١٢٧ - ١٤٠
الاستاذ محمد الخولي *	

- علم المتاحف ١٤١ — ١٤٤
الاستاذ بشير زهـدي •
- السفارات العربية عند العرب المسلمين ١٤٥ — ١٥٣
الاستاذ جرجس مـسـول •
- اسرائيل وليدة سياسة الامبريالية العالمية ١٥٥ — ١٨٥
الاستاذ منذر حـمـوي •
- تاريخ التنقيب عن الاثار ١٨٧ — ١٩٧
الاستاذ ماجد الموصلي •
- الانطلاقة العربية في الحقل التجاري ١٩٩ — ٢١٣
الاستاذ عبدالرحمن آيسوب •

* افتتاحية العدد *

=====

بين يدي القراء العدد الرابع من مجلة البحث التاريخي وبصدوره نوكد التزامنا بالخط الذي رسمته المجلة لنفسها وهو البدء بكتابة التاريخ العربي على أسس علمية نقدية معترفين مسبقا بأن الالتزام بهذا الخط دونه عقبات كثيرة ، لم يكن بوسعنا تجاوز الكثير منها لولا نخبة خيرة من الزملاء المعنيين بآلام أمتهم وتراشها المجيد .

كتب الكثير في التاريخ العربي وقيل به أكثر وتزاحمت في تدوينه الآراء والأفكار بعضهم أنصف غيره وموضوعية وحبا فسي الحقيقة مرضين بذلك ضمائرهم محافظين على شرف الكلمة والفكرة ، وبعضهم كتب ليحقق أهواء ورغبات خاصة ، من هذا وذاك كان تاريخ أمتنا العربية المجيدة لم يوجد حادثة أو مناسبة إلا وأغرقتها الأقلام بمدادها السيل ، بعضها كان مدمرا كالطوفان والبعض الآخر كان خصبا ونضارة .

ماكتب شيء ولن يكتب إلا لهدف أو أهداف محددة والموضوعية نسبية وغالبا ماتجد الأهواء طافية على السطح بحده أو مسببته مقنعة بأقنعة شتى وبما أن الانسان هو العنصر الفاعل ، والانسان لا يكون بلا أهواء وقلائل جدا من ينسبون الهنات لانفسهم ممن يلتقون معهم في المقاصد .

الهوى آفة ، والنسيان آفة ، وثالثة الاشافي التملق والمداهنة والعناصر الفاعلة والصانعة للتاريخ تلك التي لاتلين ولاتنحني أمام عواصف التعطيل والاعاقة ، فالاعواد الطرية تنحني وتخدش بسهولة .

هناك فترات من تاريخنا المجيد دونها الخصوم والمخالفون فهل تراهم أنصفوا الاموات أو سمحوا بانصافهم في وقت كانت موضوعيتهم مع الاحياء مفقودة ؟ .

كما أن هناك كتب تاريخية كاملة من أجل تغطية فترة محددة لحكام وسلاطين محددين فماذا نتوقع من أمثال هذه الاعمال ؟ . أما ماكتبه الاجانب والمستشرقون فغالبا ماكان مشوها مغرضا ناجما عن

سوء فهم لاتجاهات التاريخ العربي ومراميه وطبيعة هذه الامة أو أن
كتابتهم موجهة يراد بها خدمة غرض معين . مهمة من سيكتب في
التاريخ العربي المسير في هذه الحقول الوعرة وعليه أن يتحرى دائما
دائما ماذا لدى الطرف الاخر وملاحظة هذه الزوايا . من هنا كانت
مسيرتنا الوعيدة متأنية وصعبة المرام وبامكانات مادية تكننا
لاتذكر . فان قصرنا عن الهدف فهذا واقعنا وان أصبنا وحققنا
نجاحا يذكر فالفضل لذوي الشأن .

نسأل الله العون وهو ولي التوفيق .

محمد عبد الصمد الشاطر .

إمارة بني عمار في طرابلس

الكتوة أمينه بيطار

منذ أن ألفت كتابي موقف امراء العرب بالشام والعراق من الفاطميين حتى منتصف القرن الخامس الهجري ، كنت أرى أن أضيف اليه موقف بني عمار منهم ، حتى أتيت لي الفرصة الآن لاكتب في هذا الموضوع ، وأحببت أن لاأقتصر على الحديث عن موقفهم من الفاطميين ، بل أتحدث عن هذه الاسرة سياسيا وعسكريا لابراز صمودهم ضد الاستعمار الصليبي ، والكفاح المستميت الذي بذلوه لدفعهم عـيـن طرابلس من جهة ، اضافة للحديث عن اسهاماتهم الحضارية وعـلـسـى رأسها مكتبتهم الشهيرة التي أنشؤوها ، والخدمات الجلـى الاخرى التي اسهموا فيها في المجالات العلمية .

وما قدمته هذه الاسرة في المجالات المختلفة أشعـرنـي أنها تستحق منا أن نعطيها اهتماما كافيا لابراز ماقدمته الى العالم العربي الاسلامي . وقبل الحديث عن أصل هذه الاسرة ، وأشهر رجالاتها لابد لي من اعطاء فكرة عن المدينة التي أقامت فيها دولتها ، وجعلتها مركزا للاشعاع الحضاري في تلك الازمنة .

لمحة عن تاريخ طرابلس الشام :

كانت طرابلس تتبع من الناحية الادارية لكور دمشق ، وكانت من مدنه الشهيرة (١) ، وتشكل احدى مدن اقليم الغرب الذي يضم عداها المدن الساحلية التالية ، عرقة ، وجبيل ، وصيدا ، وبيروت (٢) .

(١) : المقدسي : احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم ، مطبعة بريـل

سنة (١٩٠٩) ، الطبعة الثانية ص (١٥٤) .

(٢) : ابن شداد : الاعلان الخطيرة في ذكر امراء الشام والجزيرة

قسم دمشق ، تحقيق سامي الدهان طبعة المعهد الفرنسي ، ص

٩٤ - ٩٦ - ٩٨ - ١٠١ - ١٠٦ .

وحين قرر الفاطميون فتح بلاد الشام بعد فتحهم لمصر^(١) للضرورات
سياسية وحربية ، على رأسها تأمين حدود مصر من ناحية الشمال
الشرقي للوقوف في وجه البيزنطيين والقرامطة^(٢) ، عينوا على رأس
جيوشهم المتوجهة اليها القائد الفاطمي المشهور جعفر بن فلاح الكتاني
وقد تمكن هذا القائد من دخول دمشق في محرم سنة (٣٥٩ هـ) تشرين
الثاني نوفمبر (٩٦٩ م)^(٣) .

ثم مالبت أن تتبعها بطرابلس سنة (٦٣٠ هـ - ٩٧٠ - ٩٧١ م) التي بقيت
من الناحية الادارية على ماكانت عليه في العصور السابقة تابعة
لكورة دمشق ، وهي جزء من اقاليم الغرب وعين عليها الامير عز
الدولة تميم بن النعمان بن عامر بن هانيء التنوخي^(٤) . لكن الامر
لم يستمر طويلا ، اذ مالبت الخليفة الفاطمي المعز لدين الله في
سنة (٩٧٣ هـ / ٩٧٤ م) أن فصل طرابلس عن اقليم الغرب ، ولم تعد
تابعة لكورة دمشق ، بل غدت ولاية قائمة بذاتها^(٥) وعهد بحكمها

(١) الذهبي : تاريخ الاسلام ، مخطوط بدار الكتب ، رقم (٤٢) تاريخ
ج ٢١ ، ص ٢٨٧ .

(٢) صلاح الدين الصفدي : امراء دمشق في الاسلام ، طبعة دمشق ١٩٥٥

تحقيق المنجد ص ٢٤ .
حسن ابراهيم حسن : الدولة الفاطمية في المغرب ومصر وسورية
وبلاد العرب ، الطبعة الثالثة (١٩٦٤ - ص ١٥١) .

(٣) ابو المحاسن ابن تغري بردي الاتابكي : النجوم الزاهرة في
ملوك مصر والقاهرة ، دار الكتب المصرية ، القاهرة
ج ٤ ، ص ٣٣ .

(٤) محمد محمد مرسى الشيخ : الامارات العربية في بلاد الشام في
القرنين الحادي عشر والثاني عشر الميلاديين ط (١٩٨٠ ،

ص ١٩٣) .
(٥) ابن الفرات : تاريخه ، تحقيق زريق ونجلاء عز الدين

ج ٨ ، ص ٧٧ .

الدكتورة أمينة بيطسار

الى ريان الخادم ،الذي اتخذها قاعدة له ،وأصبحت منذ ذلك الحين من أهم قواعد الخلافة الفاطمية في الشام^(١) . لانها قاعدة متقدمة تتجمع فيها القوات البرية ، وفي مينائها الاسطول الحربي ، وهي في همزة الوصل بين مصر والشام . وأصبحت لذلك هدفا للحملات والغزوات البيزنطية .

وقد تتابع في حكم طرابلس بعد ريان الخادم عدد من الولاة حكموها باسم الفاطميين ، وكانوا على التوالي (نزال الكتامي - وجيش بن محمد بن المصامة - وعلي بن جعفر بن فلاح وعز الدين تميم التنوشي - وميسور الخادم المبقلي - والقاضي أبو الحسن علي بن عبد الواحد^(٢) بن حيدره الكتامي - والقائد ابو سعادة ، ثم مختار الدولة محمد بن نزال الكتامي .) وهناك خلاف بين المؤرخين على مدد حكمهم وتسلسلهم .

تبني أهل طرابلس مذهب الخلافة الفاطمية ومالوا اليها ، مما أدى الى صعوبة نجاح الثائرين الذين يحاولون الاستقلال عن الفاطميين قبل عهد القاضي أمين الدولة بن عمار ، كما أن حصانة طرابلس ومناعة موقعها وشدة حراس أهلها وتكاتفهم مع الجند الفاطمي حفظتها من السقوط اكثر من مرة في أيدي البيزنطيين الذين حاولوا منذ منتصف القرن الرابع الهجري العاشر الميلادي أن يجعلوها تابعة لهم . فقد هاجمها في العصر الفاطمي الامبراطور البيزنطي

(١) محمد مرسي الشيخ : المرجع السابق ، ص ١٩٣ .

(٢) هكذا ورد اسمه عند محمد مرسي الشيخ : المرجع السابق ص ١٩٤

أما عبدالسلام التدمري : في كتابه تاريخ طرابلس السياسي والحضاري عبر العصور ، مطابع دار البسلام طرابلس ، ط ١ ، ج ١ ، ص ٢٢١ فقد أورد اسمه علي بن عبدالرحمن .

يوحنا تزيمكس ، ابلان حملته على بلاد الشام سنة (٣٦٥هـ / ٩٧٥ - ٩٧٦م) في غياب اميرها ريان الخادم الذي أرسله الخليفة الفاطمي الساسي دمشق^(١) فاستعصت عليه بفضل الامدادات العديدة التي أرسلها الفاطميين اليها عن طريق مدن الساحل الشامي بقيادة نصر الخسادم الصليبي^(٢) . فما كان من يوحنا تزيمكس الا أن أتلّف الضياع المحيطة بها ودمر بساتين الكروم والزيتون .

وقد علم ريان الخادم بما جرى لطرابلس فسار من دمشق بعسكر الفاطميين الذين كانوا معه لنجدها ، ورأى تزيمكس أن الخطر بات يهدد مؤخرة جيشه وطريق مواصلاته ، فتوجه الى الشمال عن طريق الساحل^(٣) .

كما صمدت طرابلس في وجه البيزنطيين حين تعرضت لهجوم جيوش الامبراطور باسيل الثاني في السنوات (٣٨٥هـ / ٩٩٥م و ٣٨٩هـ / ٩٩٩م و ٣٩٠هـ / ١٠٠٠م)^(٤) .

(١) ابن الاثير : الكامل في التاريخ ، دار صادر بيروت (١٩٦٦) م ج ٨ ، ص ٦٤٣ .

(٢) الدواداري : الدرة المضيئة في اخبار الدولة الفاطمية (وهو الجزء السادس من كنز الدرر تحقيق المنجد) القاهرة (١٩٦١) ص ١٧٠ - التدمري : المرجع السابق ص ١٩١ - ١٩٢ .

(٣) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ، تحقيق سهيل زكار ، دار حسان للطباعة والنشر (١٩٨٣ - ص ٢٦ ، ٢٧) .
- الدوداري : المصدر السابق ص ١٧١ - التدمري : المرجع السابق ص ١٩١ .

(٤) الانطاكي : تاريخه ، طبعة بيروت ١٩٠٩م ، ص ١٧٨ و ص ١٨٢ و ص ١٨٤ - ١٩٨٥ .
ابن القلانسي : المصدر السابق ، ص ٧٣ و ٨٣ .

أما عن وصول بني عمار هؤلاء من المغرب الى الشام فلا نستطيع تحديد هذا التاريخ بالشهر والسنة ولكن يمكن القول بأنه حينئذ انتقل مركز الحكم الفاطمي الى مصر ، وامتدت الاراضي التابعة لهم الى بلاد الشام استقر بها عدد كبير من الكتابيين المغاربة الذين جاؤوا في البداية مع جيش القائد جعفر بن فلاح الكتامي ، وتسلموا مراكز كبيرة في الجيش والادارة ، ومن هؤلاء عدا جعفر بن فلاح أبناءه الذين تسلموا مراكز هامة في بلاد الشام ، ومنهم سليمان بن جعفر بن فلاح الكتامي ابو تميم الذي تولى دمشق ، وهو الذي جعل أخاه علي بن جعفر واليا على طرابلس سنة (٣٨٦ هـ / ٩٩٦ م) (١) .

وقد كان وصول أبناء جعفر بن فلاح الى مراكز ادارية وقيادية في الشام بفضل ابي محمد الحسن بن عمار الكتامي الذي صلبت أن قتل في عهد الخليفة الحاكم بأمر الله سنة (٣٩٠ هـ / ١٠٠٠ م) (٢) . وكان للحسن بن عمار وهو كبير كتامة وشيخها وسيدها دور كبير فيسي الخلافة الفاطمية . فقد تولى النظر في الظلمات وحوائج الناس وتدبير الاموال ، ومحاسبة ارباب الدواوين (٣) . وازدادت مكانته بعد وفاة الخليفة الفاطمي العزيز بالله ، وتلقب بأمين الدولة فغلب على الملك . كما غلبت كتامة على الامور وبسط يده في العطاء والصلات بالاموال والشباب والحباء وتفرقه الكراع ، ووهب من الجواري لمن أحب وأثر . كما باع من باع وأعتق من أعتق (٤) .

(١) انظر ابن القلانسي : المصدر السابق ، ص ٨٢ و ٩٣ .

(٢) ابن منجب الصيرفي : الاشارة الى من نال الوزارة ،

المقريزي : ايقاظ الحنفيا بأخبار الائمة الفاطميين الخلفاء ،

طبعة المجلس الاعلى للشؤون الاسلامية ص ٢٧ تحقيق الشيبان

ج ٢ ، ص ٣٦ .

(٣) المقريزي : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٢٧٧ .

(٤) ابن القلانسي : المصدر السابق ، ص ٧٥ .

لم يكن ظهور الحسن بن عمار مفاجئاً في مصر ، فقد كان له دور قبل ذلك حين تسلم قيادة الجيوش التي حاصرت رمطة في جزيرة صقلية (١) . وبعد مقتل ابي محمد الحسن بن عمار انقطعت المعلومات عن اسيرة بني عمار على الرغم من وجود قطعة نقود سكت في طرابلس باسم الامام محمد بن عمار ، ولاتذكر المصادر الا قتل الوزير رئيس الرؤساء خطير الملك ابي الحسن عمار بن محمد (٢) . والذي كان يتولى ديوان الانشاء في مصر . وتعود المصادر لذكر اسماء رجال من آل عمار منذ النصف الاول من القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي) فنقرأ عن رجلين من بني عمار في طرابلس بالذات وهما أحمد بن محمد بن عمار المعروف بأبي الكتائب ، وعبد الله بن محمد بن عمار المعروف بالقاضي الجليل ابي طالب . وقد صنف أبو الفتح الكراچكي المتوفى سنة (٤٤٩هـ) لابي الكتائب كتابين هما نهج البنيان ، وعمدة البصير في حج يوم الغدير ، ولابي طالب كتاب البستان في الفقه (٣) ولما كان الكراچكي موجوداً في طرابلس سنة (٤٣٦ هـ / ١٠٤٤م) كما يذكر في احدى مصنفاته . فهذا يعني أنه وضع المصنفات لبني عمار في العقد الرابع من القرن الخامس . ويشير لقب القاضي الذي تلقب به عبد الله بن محمد بن عمار الى أنه تولى القضاء في طرابلس ومتولسي القضاء للفاطمييين داعية لهم في نفس الوقت ، وبالتالي فان مكانته أسمى من مكانة البوالي أو قائد الجيش .

وبناء على ذلك فان الدكتور التدمري (٤) يرى بأن ظهور بني عمار

(١) ابن خلكان : وفيات الاعيان وابناء ابناء الزمان ، تحقيق

احسان عباس ، دار صادر بيروت (١٩٧٧) ج ٥ ، ص ٣٧٤ .

(٢) ابن خلكان : المصدر السابق ، جزء ١ ، ص ١٦٠ .

(٣) عمر عبدالسلام التدمري : المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٢٤١ .

(٤) التدمري : المرجع السابق ، ص ٢٢٦ .

في طرابلس كان في مطالع القرن الخامس الهجري ، على عكس من سبقه من المؤرخين الذين يرون أن ذلك حدث في النصف الثاني من القرن الخامس الهجري . وفي رأيي وبناء على مجريات الاحداث أن ظهور الاسرة كان في مطلع القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي) ، ثم مالبث أثرهم في الاحداث السياسية والعسكرية أن اتضح في المنصف الثاني من القرن الخامس الهجري .

ويمكن القول بأن ظهورهم بدأ بأبي طالب محمد بن أحمد في طرابلس منذ سنة (٤٢٠ هـ / ١٠٢٨ م) وهو غير أبي طالب المعروف بأمين الدولة وأبو طالب هذا هو علي ابن عمار الذي ضربت قطعة النقود فسي طرابلس باسمه ، وقطعة النقود هذه تحمل على أحد وجهيها اسم الامام محمد بن عمار ، وان اشار هذا الى شيء فانما يشير الى تمكن بني عمار من ضرب النقود ، وذكر أسمائهم عليها في تلك الفترة المبكرة من القرن الخامس الهجري .

وقد حدثت بعض الاحداث في طرابلس أدت الى ظهور اسم أبي طالب أمين الدولة ، حتى أصبح من رجالات طرابلس البارزين في سنة (٤٥٧ هـ / ١٠٦٥ م) وذلك اثر مساعدته للفاطميين في القضاء على أسرة أبي الفتح القضاة في طرابلس والذين أثاروا فتنة فيها في السنة المذكورة ، واستحوذوا على السلطة ، وخلعوا طاعة الفاطميين وأعلنوا الاستقلال . وهم ينتسبون الى عبدالحاكم بن سعيد الفارقي فقد ساعد ابو طالب بن عمار قائد الفاطميين ابن منزو الكتامي والذي كان برفقته والي الرملة ، وتمكنوا جميعا من القبض على بني أبي الفتح الذين ارسلوا الى مدينة صور^(١) . وقد لعب ابو طالب بن عمار دورا كبيرا في القضاء على هذه الفتنة ، فقد حبب لابني الفتح الخروج معه لمقابلة ابن منزو والمفاوضة في امر الصلح . وقد يكون سبب مساعدة ابن عمار لقائد الفاطميين ، عداة بين الاسرتين اللتين امتهنتا نفس المهنة ، ولم يتضح هذا العداة بشكل علني

(١) سبط بن الجوزي : مرآة الرمان ، ٩ ، ص ٢٩٣ مطبوع .

الدكتورة امينة بيطار

الا بعد منتصف القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي) . ويرى الدكتور محمد مرسي بأن اشتراك أمين الدولة بن عمار فسي هذه الفتنة الى جانب الفاطميين له أهمية كبيرة ، فقد ظهر بعمله هذا بمظهر المؤيد للفاطميين ، حين احتال على أبي الفتح للخروج معه لمقابلة ابن منزو والمفاوضة في أمر الصلح ، بينما كان يعمل سرا على التخلص منه ومن أسرته ، واستطاع أن ينتزع منهم أنصارهم من الاحداث حين جعلهم يستأمنون اليه ، وكان منهم ثمانية وعشرون رجلا من قادة المقاتلة (١) .

أدى هذا التصرف السياسي الذكي من قبل أمين الدولة بن عمار الى ارتفاع مكانته عند الفاطميين ، حتى انه توصل الى أن يصبح وسيطا بينهم وبين الامير المرزاسي محمود بن نصر المعروف بابن الروقيلية وكان قد وصل محمود هذا مع ابن خان التركماني (٢) سنة (٤٥٦ هـ / ١٠٦٤ م) فسوى له ابن عمار أموره مع الخليفة الفاطمي المستنصر بالله ، وأخذ منه مبلغا من المال ليؤمن به طريق التجارة من شمالي الشام الى ميناء طرابلس ، وذلك ضمانا لعدم تهديد التركمان للتجارة وخاصة وأنهم كانوا قد استقروا في جنوبي حلب (٣) .

ويمكن القول بأن أمين الدولة بن عمار أصبح يتمتع منذ سنة (٤٥٦ هـ / ١٠٦٤ م) بمكانة بارزة عند الخليفة الفاطمي . وكان رأييه

(١) سبط بن الجوزي : المصدر السابق ج١٢، ص ١٠٢-١٠٣ مخطوط .

(٢) هو من الغز التركمان ، ويقال بأنه ابن ل أحد ملوك الشرك كان

أول من دخل الى بلاد الشام من الغز (اس العديم :

زبدة الحلب في تاريخ حلب ، تحقيق سامي الدهان

ج٢، ص ٣٧٣ و ١٣١ .

— زكار — مدخل الى تاريخ الحروب الصليبية .

(٣) شاعر مصطفى : دخول الغز الى الشام ، المؤتمر الدولي لتاريخ

بلاد الشام الاول عمان (١٩٧٥ - ص ٢٤٣) .

مسموعا وكلمته نافذة في طرابلس، ولولا ذلك لما استطاع أن ينجح في وساطته . وقد أورد أبو المحاسن عبارة تشير الى هذه الوساطة فقال (فدخل القاضي ابن عمار المقيم بطرابلس بينهم ، واصلح الحال) (١) . وما لبث أمين الدولة بن عمار في سنة (٤٦٢ هـ / ١٠٧٠ م) أن استغل مكانته وما أصاب الخلافة الفاطمية من كوارث وفوضى فسي هذه السنة (٢) ، اضافة الى أن والي مدينة طرابلس من قبل الفاطميين وهو ابن نزال قد توفي ، فسارع الى اعلان استقلاله بها وتلقب بأمين الدولة ، وأخذ يباشر السلطة كحاكم مستقل (٣) . وهكذا جمع ابن عمار بين القاضي والوالي ، وأخذ يحكم طرابلس بشيء من الاستقلال الذاتي . وقد أحسن السياسة لأنه كان رجلا عاقلا ذكيا ، بعيد النظر ، اضافة الى أنه كان على جانب كبير من الدهاء والفطنة فضلا عن أنه كان فقيها شيعيا محبوبا (٤) ، وقد وصفه أبو المحاسن بقوله (كان كريما ، كثير الصدقة ، عظيم المراعاة للعلويين) (٥) . كما وصفه سبط بن الجوزي بأنه كان عظيم الصدقة ، كثير المراعاة للعلويين (٦) .

تعرضت طرابلس في عهد أمين الدولة بن عمار الى هجوم محمود بن نصر المرداسي الذي أراد أن يوسع امارته على الرغم من أن أمين الدولة حاكمها كان له الفضل الاكبر في التوسط بينه وبين الخليفة الفاطمي المستنصر بالله ، ولما لم يستطع دخول طرابلس اكتفى

-
- (١) أبو المحاسن : المصدر السابق ، ج ٥ ، ص ٧٩ .
 (٢) أبو المحاسن : المصدر السابق ، ج ٥ ، ص ٨٣ و ٨٤ .
 (٣) محمد مرسى الشيخ : المرجع السابق ، ص ٢٠٠ .
 (٤) ابن الفرات : المصدر السابق ، ج ٨ ، ص ٧٧ .
 (٥) أبو المحاسن : المصدر السابق ، ج ٥ ، ص ٨٩ .
 (٦) سبط بن الجوزي : المصدر السابق ، ج ٩ ، ص ٤٠٣ - ٤٠٤ .

الدكتورة امينة بيطار

بأخذ الاموال منها وعاد الى حلب (١). وقد يكون سبب ذلك احتواء أمين الدولة بن عمار لسديد الملك علي ابن المقلد بن منقذ ورفضه لتسليمه الى محمود بن نصر الذي ألح في طلبه (٢). ويبدو أن نفوذ الفاطميين في ذلك الحين أخذ في الانحسار لا عن طرابلس وحدها بل عن مناطق متعددة في بلاد الشام كدمشق وصور والرملة وغيرها. ولم يكتف أمين الدولة بالاستقلال في طرابلس بل تغلب على مدينة جبيل وضمها الى نفوذه ، وخلق طاعة أميسر الجيوش بدر الجمالي ، وبذلك وضع النواة الاولى لقيام اماره بني عمار المستقلة ، لكنه مع ذلك لم يستقل نهائيا عن الفاطميين بل استمر يسك النقود باسمهم ، ويؤكد ذلك ما سكه في سنتين (٤٦١ هـ / ١٠٦٩ م و ٤٦٣ هـ / ١٠٧١ م) فالوجه الاول لنقده سنة (٤٦٣ هـ) نقش في وسطه :

معهده

عبد الله وولده

الامام أبو تميم

المستنصر بالله

أمير المؤمنين

ويحيط به : بسم الله الرحمن الرحيم (ضرب هذا الدينار بطرابلس سنة (١١١) وستين وأربعمائة .

أما وسط الوجه الثاني فنقش فيه :

علي

لا اله الا الله

وحده لا شريك له

(١) : ابن الاثير : الكامل في التاريخ ، طبعة دار صادر بيروت

(١٩٦٦) ، ج٩ ، ص ٢٣٤ .

(٢) : ابن العديم : المصدر السابق ، ج٢ ، ص ٣٥ .

امارة بني عمار في طرابلس

محمد رسول الله

وولي الله

ويحيط به : محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون .

ومع ذلك يمكن القول بأن سياسته العامة غلب عليها الحياد بين القوى المتصارعة ، وكان هدفها الحفاظ على امارته وسط تطلعات القوى المحيطة به . فتقرب من السلاجقة الاتراك ليدعم موقفه في طرابلس . وسمح لفسم من التركمان الناوكية بالاقامة عنده طرابلس (١) .

توفي أمين الدولة بن عمار في رجب سنة (٤٦٤ هـ / نيسان ابريل ١٠٧٢ م) (٢) . ورثاه ابن حيوس في ديوانه بقصيدة مطلعها :

رد العراء لهم عن طلبه

لا سحطن الله في مرصانه (٣)

أما الاسباب التي شجعت أمين الدولة على الاستقلال الداخلي عن الفاطميين ، فيمكن تلخيصها بما يلي :

١- ضعف الخلافة الفاطمية في تلك الفترة ، والذي كان

سببه :

آ- تعدد الاجناس المكونة للجيش الفاطمي ، ففقد

تألف من المغاربة والاتراك والسودانيين ولقسم

(١) ساكر مصطفى : المرجع السابق ، ص ٣٥٩ .

(٢) ابن الاثير : المصدر السابق ، د ١٠ ، ص ٧١ .

ابو المحاسن : المصدر السابق ، د ٥ ، ص ٨٩ .

(٣) ابن حيوس : ديوانه : تحقيق خليل مردم بك ، طبعه

المجمع العلمي دمشق (١٩٥١) .

الدمري : المرجع السابق ، د ١٠ ، ص ٢٥٠ .

يكن التفاهم سائدا بين هذه العناصر ، فكثيرا ما كان الصراع يدب بين بعضها البعض ، وخاصة ماجرى بين الاتراك والسودان في سنتي (٤٥٩ - ٤٦٠ هـ / ١٠٦٧ - ١٠٦٨ م) .

ب - تولي خلفاء الفاطميين في الفترة الثانية من حكمهم وهم صفار في السن ، وليست لديهم الخبرة والمقدرة على تسيير أمور الدولة ، فاستبد الوزراء بالحكم من دونهم حتى عرف العصر الفاطمي الثاني بعصر الوزراء العظام ، وأصبح منصب الوزارة في هذه الفترة محط اطماع كبار رجال الدولة وقادة الجيوش ، فنشبت صراعات دامية أدت الى ضعف الدولة (١) ، ويضاف الى ذلك ضعف الخليفة المستنصر وطول مدة حكمه .

ج - تعرض الاقتصاد في مصر الى هزات عنيفة نتيجة انخفاض النيل مرات عديدة ، وصحب ذلك حدوث مجاعات وأوبئة أدت الى ضعف الأوضاع العامة (٢) .

٢- عدم استقرار امور الخلافة الفاطمية الداخلية بسبب :

أ- تسلط الامراء والوزراء على الخلفاء .

ب- اتصال الفتن بين العربان .

ج - قيام الفتن والثورات والحروب في بلاد الشام أيضا بين بدر الجمالي والي دمشق حينئذ ، وبين جنس

(١) الشيال : مصر الاسلامية ، دار المعارف (١٩٦٧) ج٢ ، ص ١٣ .

(٢) المقرئزي : المصدر السابق ، ج٢ ، ص ٣٣٢

- اغاثة الامة بكشف الغمة ، نشر زيادة والشيال ، ط٢ سنة

(١٩٥٧) م ، ص ٤ وما بعدها و ص ٢٨ .

- راشد البراوي : حالة مصر الاقتصادية زمن الفاطميين

ط ١ ، القاهرة (٩٤٨ م) ص ٨٥ وما بعدها .

دمشق وأهلها ، فصارت الحرب عامة في الشام ومصر (١) .
ويتضح مما أورده المقرئزي ، أن هذه الاوضاع كانت من نتائج الشدة
العظمى التي تعرضت لها مصر في سنة (٤٥٧ هـ / ١٠٦٥ م) في أيام الخليفة
المستنصر بالله ، والتي أدت الى حدوث مجاعة وقحط استمرت سبع سنين
متوالية ، عم فيها الغلاء والابوثة . ومما جاء في قول المقرئزي :
((ضعف السلطنة ، واختلال اموال المملكة ، واستيلاء الامراء على
الدولة ، واتصال الفتن بين العربان ، وقصور النيل ، وعدم من
يزرع ماشمله الري)) (٢) .
وقد شبه ابن ميسر هذه الشدة بما حدث في مصر في عهد النبي يوسف
بن يعقوب عليه السلام فقال :
(يمد فيها النيل ويطلع وينزل ، فلا يجد من يزرع أراضي مصر
من اختلاف العسكر وانقطاع الطرقات في البحر والبر) (٣) .
٣- نشاط السلاجقة وتقدمهم في املاك الفاطميين ، وكانوا قد
ظهروا كقوة جدت شباب الخلافة العباسية في الوقت الذي دخلت
فيه الخلافة الفاطمية عصرها الثاني عصر الضعف .
٤- ظهور دويلات وقوى متعددة في الشام في هذه الفترة وقبلها
وتعرضها للاكتساح من قبل التركمان من امثال ابن خشان
واخشين (٤) . ولذلك فان مدن ومناطق الشام أخذت تستقل
عن الفاطميين ، أو تصبح تابعة للقوى الجديدة التي دخلت
الشام .

(١) ابن ميسر : تاريخ مصر ، جزءان تصحيح هنري ماسبي ، مطبعة
المعهد العلمي الفرنسي القاهرة (١٩١٩) ص ١٨-١٩-٢٠ .

(٢) ابن ميسر : المصدر السابق ، ص ٣٤ .

(٣) العظيمي : تاريخه ، دمشق ١٩٨٥ ، ص ٣٢٦ - ابن العديم : المصدر

السابق ج ٢ ص ٢٩٦ - ٢٩٨ و ٣٧٤ - ٣٧٥ - ٣٨٠ .

- شاعر مصطفى : المرجع السابق ، ص ٣٤٣ - ٣٤٨ .

فقد قطعت الخطبة للخليفة الفاطمي المستنصر بالله في حلب ، كما استولى التركمان على بيت المقدس والرملة ، واستقلت صور تحت حكم قاضيها ابن أبي عقيل واستقلت طرابلس تحت حكم ابن عمار . وقد أدت هذه الكوارث الاقتصادية والطبيعية والإدارية والسياسية إلى فقد الخلافة الفاطمية لمقدرتها على السيطرة على مراكز حكمها وبالتالي فقدتها للسيطرة على الولايات التابعة لها .

— حكم جلال الملك أبي الحسن —

ما أن توفي أمين الدولة بن عمار حتى دب النزاع بين أفراد أسرته طمعا في الحكم ، واختلف المؤرخون حول هذا النزاع . ومما ذكر حوله هو أنه لما كان ابن أمين الدولة بن عمار الملقب بأبي المناقب شمس الملك محمد لم يبلغ سن الرشد ، فإن نزاعا دب بين أقاربه . فيرى التدمري أن هذا النزاع دب أثر وفاة أمين الدولة بين ولدي أخيه محمد ، وهما جلال الملك أبو الحسن وفخر الملك أبو علي^(١) على حين أن محمد مرسى^(٢) يرى أن النزاع لم يقع بين ولدي محمد المذكورين ، ويؤكد رأيه بأنه في عهد جلال الملك الذي حكم قرابة ثلاثين عاما لم نسمع عن مصاعب لقيها حكمه من جانب أخيه فخر الملك ، بل تشير الدلائل إلى سيادة روح الإخاء والود بينهما ، هذا فضلا عن أن جلال الملك وفخر الملك لم يكونا الولدين الوحيدين لمحمد ، فقد كان لهما أخ ثالث يدعى جمال الدولة الذي يرجح أنه مولى بدر الجمالي الذي نسب إليه . كما أن النزاع لم يقع بين جلال الملك ووالده محمد ، لأننا لانجد إلا نصا واحدا يشير إليه ، إضافة إلى أن محمدا توفي في حياة أخيه أمين الدولة أي قبل قيام هذا النزاع بوقت ليس بالقصير ، كل هذا يجعلنا

(١) التدمري : السيرة ، ص ٢٥٦ .

(٢) محمد مرسى : السيرة ، ص ٢٠٤ — ٢٠٥ .

نعتقد أنه كان هناك أخ آخر لامين الدولة غير محمد أسمه أبو الفتح ، لابد وأنه طمع بالامارة بعد وفاة أخيه من دون أبناء أخيه محمد . وما يؤكد هذا ما أشار به سبط بن الجوزي حين ذكر أحداث سنة (٤٦٤ هـ / ١٠٧٢م) حيث ذكر أن جلال الملك قام بعهد أن نجح بالحصول على الامارة بنفي عمه أبي الفتح ، ونكل بمعاونيه وعلى رأسهم ابن الماسكي^(١) ، ويعود التدمري^(٢) ليذكر أن هذا الصراع المذكور بين جلال الملك وأبي الفتح هو صراع بين أبناء عمومة لابين العم وابن أخيه ، أي يجعل أبا الفتح ابن أخ ثالث لامين الدولة بن عمار . ومهما كانت درجة القرابة بين الرجلين المتصارعين ، فإن ما يهمنا هو أن جلال الملك نجح بالاستئثار بحكم طرابلس .

كان الفضل في نجاح جلال الملك في عرش طرابلس يعود الى مساعدة سديد الملك ابن منقذ له ، والذي كان قد لجأ الى طرابلس ، وألقى بكل ثقله ، وعاضده بمماليكه ومن كان معه من أصحابه^(٣) . وبعد نجاحه أصبح ابن منقذ من خواص جلسائه ، حتى أنه كان كالشريك له في حكم طرابلس^(٤) . وبقي ابن منقذ مع جلال الملك في طرابلس حتى تملك قلعة شيرز في رجب سنة (٤٧٤ هـ / كانون الاول ديسمبر

(١) سبط بن الجوزي : المصدر السابق ، ج٩ ورقة ٤٠٣ - ٤٠٤ .

محمد مرسي الشيخ : المرجع السابق : ص ٢٠٤ - ٢٠٥ .

(٢) التدمري : المرجع السابق ص ٢٥٦ .

(٣) ابن العديم : المصدر السابق ، ج٢ ، ص ٣٥ .

— ابن الفرات : المصدر السابق ، ج٨ ، ص ٧٧ .

— التدمري : المرجع السابق ، ص ٢٥٦ — محمد مرسي الشيخ

المرجع السابق ص ٢٠٢ .

— عبدالعزيز سالم : طرابلس الشام في التاريخ ، ط

الاسكندرية (١٩٦٧) ، ص ٦٨ - ٦٩ .

(٤) ابن العديم : المصدر السابق ، ج٣ ، ص ٣٥ .

١٠٨١م) ، وكان خصمه محمود بن نصر المرداسي قد توفي منذ سنـة (٤٦٧ هـ / ١٠٧٥ م) (١) .

تمتع جلال الملك بصفات الامير من دهاء وحكمة ومرونة سياسية ، وقوة شخصية وقد ساعده ذلك على ضبط البلد أحسن ضبط ، فلم يظهر لفقد عمه أثر لكفايته (٢) . فقد نجح في الحفاظ على استقلال الامارة نحو ثلاثين عاما ، كما حافظ على الحياد بين الفاطميين والسلاجقة على الرغم من قوة السلاجقة في تلك الفترة ، وسيطرتهم على اجزاء واسعة من بلاد الشام (٣) .

اهتم جلال الملك بتنظيم شؤون طرابلس وسيادة الامن فيها ، فعيـن لها قاضيا للشيعة هو عبدالعزيز بن البراج ، وقام بتصفية العناصر ذات الميول المشبوهة في امارته مثل الشاعر ابن حيوس ، كما قضى على مؤامرة كبيرة اكتشفها مصادفة ، قام بها عدد من وجوه طرابلس المدعـمين من بدر الجمالي في سنة (٤٦٨ هـ / ١٠٧٦ م) بعد أن وقـع بيده كتاب من بدر الجمالي الى المتآمرين معه يعلمهم فيه عـلى موافقته على القبض على جلال الملك ، فنهض جلال الملك للقضاء عليها فقبض على عناصرها وقضى بذلك على هذه المؤامرة (٤) .

وقد دفعته هذه المؤامرة الى جانب أسباب أخرى تتعلق بسياسة الدولة العامة الى العمل على كسب رجالات عصره . فقد اتخذ سياسة أقرب الى اللين مع الفاطميين وذلك كي يتجنب الصدام معهم ، ويضمن عدم اشارة القلاقل في طرابلس من قبل انصارهم ، وليظهر بمظهر التابع المطيع ومن مظاهر طاعته للفاطميين تسليم الامير معلى بن حيدرة بن منزو

(١) ابن القلانسي : المصدر السابق ، ص ١٧٣ ، ص ١٨٤ .

- ابو المحاسن : المصدر السابق ، ج ٥ - ص ١١٣ - ١١٤ .

(٢) ابن الاثير : المصدر السابق ، ج ١٠ ، ص ٧١ .

(٣) العاملي : الكشكول ، مصر (١٣١٦ هـ) ص ١٠٠ .

(٤) سبط بن الحوزي : المصدر السابق ، ج ١٢ ، ق ٢ ، ص ١٦٥ ب و ١٦٦ م

والي دمشق الفار منها للسلطات الفاطمية حين لجأ اليه ، على الرغم من أنه أخ لزوجته (١) . ومع ذلك فقد تعرض لهجمة فاطمية قادها نصر الدولة الجيوشي الذي خرج لاعادة بلاد الشام الى طاعة الفاطميين . كما تعرض لهجمات اتز ابن أوق التركماني الذي استطاع أن يستولي على دمشق وغيرها ولكن جلال الملك صده عنها (٢) . كما سمح للغساسنة بالتجارة في طرابلس ، ووطد علاقته بتاج الدولة تتش ، حتى أنه طلب منه عدم تزويج ابنته لبدر الجمالي ففعل ، كما تزوج مسن ابنة الامير حيدرة بن منزو الكتامي (٣) .

تعرضت طرابلس لخطر السلاجقة ثانية في سنة (١٤٧١ هـ / ١٠٧٩ م) على يد تاج الدولة تتش . وكانت أولى بوادر ذلك حين تعرض لقافلة تجارية كانت متوجهة الى طرابلس من ريفية فقتل منهم جماعة ، ولكن جلال الملك صانعة وهادنه ولاطفه (٤) ، وبهذه السياسة استطاع جلال الملك أن يجعل السلاجقة في صفه دون أن يكون لهم نفوذ في طرابلس وكل ما كان يقوم به تجاههم هو تقديم بعض ما يطلب منه مسن مساعدات ، مثل الطلب الذي جاءه من ابن قتلمش والذي يتلخص فسيحي أن يرسل له قاضيا وخطيبا الى طرطوس بعد أن فتحها ، فلبى ذلك (٥) . ووصل الامر بحسن العلاقات الى أن تتش استولى في سنة (٤٧٧ هـ / ١٠٨٥ م) على طرطوس فسلمها لجلال الملك بن عمار نظير مبلغ من المال (٦) .

- (١) ابن القلانسي : المصدر السابق ، ص ١٦٢ - عبد العزيز سالم : المرجع السابق ص ٦٨ - ٧٠ .
- (٢) ابن القلانسي : المصدر السابق ، ص ١٧٦ وما بعدها .
- (٣) سبط ابن الجوزي : المصدر السابق ، ج ١٢ ، ق ٢ ، ص ١٨٠ .
- ابو المحاسن : المصدر السابق ج ٥ ، ص ١١٦ .
- (٤) ابن القلانسي : المصدلا السابق ، ص ١٨٢ وما بعدها ، وحاشية ٢ نفس الصفحة .
- (٥) ابو المحاسن : المصدر السابق ، ج ٥ ، ص ١١٣ و ١١٥ .
- (٦) سبط ابن الجوزي : المصدر السابق ، ج ١٠ ورقة ٦٨ — محمد مرسي الشيخ : المرجع السابق ، ص ٢٠٩ .

الدكتورة امينة بيطار

وقد وضع ابن خياط فيما أنشده من شعر ، سياسة جلال الملك الحياضية بين القوى ، والعدالة في حكم الناس فقال :

ليعلم من بأرض النبل أضحى ومن حل الفرات الى الصراة
سالك منهم للعدل أشهى وأرغب في التقى والصالحات
وأعضبهم لدين الله سيفاً وأقتلهم للجبايرة العتاة (١)

كما تمكن من أن يجعل من طرابلس قبلة للخائفين والعلماء ، فقد لجأ اليه الفارون من دمشق اثر المجاعة والغلاء الذي حدث في سنة (٤٦٧ - ٤٦٨ هـ / ١٠٧٥ - ١٠٧٦ م) ومن كبار اللاجئين اليه الشاعر أحمد بن الحسين النقار الحميري ، وأخوه القاضي محمد بن الحسين والشاعر ابن الخياط . وأخوه يحيى بن محمد (٢) كما لجأ اليه قاضي صور ابن أبي عقيل الثائر على الخلافة الفاطمية ، فسلمه ابن عمار للفاطمييين حيث لقي حتفه (٣) .

قام جلال الملك بن عمار بتشجيع العلم ، فعمل على تجديد دار العلم في سنة (٤٧٢ هـ / ١٠٨٠ م) كما كان ينفق على طلاب العلم جرات من النقود الذهبية ، وضرب النقود باسمه كما سمح بتداول النقود المضروبة في طرابلس والتي كانت تحمل اسم الخليفة الفاطمي والتي توقف سكها منذ سنة (٤٧٥ هـ / ١٠٧٣ م) (٤) .

نهض جلال الملك بن عمار بتوسيع حدود امارته التي وصلت حتى جبلة شمالا والى جونييه جنوبا والى حصن المنيطرة في الجنوب الشرقي (٥) وكان هذا أقصى اتساع لدولة آل عمار التي شملت شريطا ساحليا

(١) ابن الخياط : ديوانه ، ص ٤٣ - التدمري : المرجع السابق ص ٢٦٤ .

(٢) التدمري : المرجع السابق ص ٢٥٨ .

(٣) محمد مرسي الشيخ : المرجع السابق ص ٢٠٨ .

(٤) حسن ابراهيم حسن : تاريخ الدولة الفاطمية ، مكتبة النهضة

المصرية (١٩٦٤) -

(٥) سبط بن الجوزي : المصدر السابق ، ج ١٢ ق ، ورقة ١٧٠ م و ب .

ابن الاثير : المصدر السابق ، ج ١٠ ، ص ٣١٠ .

امتد من جبلة شمالا الى مشارف بيروت جنوبا ، وضم جبلة وطرطوس وعرقه وجبيل .

لم تبق دولة بني عمار على هذا الاتساع ، بل تعرضت منذ مطلع العقد التاسع من القرن الخامس الى اخطار متعددة ، جاء الاول منها من قبل جيوش بدر الجمالي التي توجهت الى الشام في سنة (٤٨٢هـ/١٠٩٠م) وتمكنت هذه الحملة من اقتحام المدن الساحلية مثل عكا وصيدا وصور وانتزعت كذلك جبيل من يد ابن عمار (١) .

أما الثاني فقد جاء من قبل تتش الذي حصل على تصريح من السلطان السلجوقي ملك شاه بالتوسع على حساب الامارات المستقلة في بلاد الشام ، والتي لاتدين للسلاجقة ، وطلب من اتباعه آق سنقر وبوزان بمساعدته بهذا العمل (٢) . وقد تمكن هذا الجيش المجتمع من الاستيلاء على حصن عرقه (٣) . ثم قصد طرابلس ذاتها فألقى الحصار عليها ورأى جلال الملك بن عمار أن هذا الجيش السلجوقي المجتمع لايدفع بالقدرة لكثرة عدده بل بالحيلة فاستمال آق سنقر ومن معه بالاموال كما ادعى بأن ملك شاه اعطاه منشورا بحكم طرابلس ، فأصبح قسيم الدولة لدى تتش ، بأنه لايفاتل من كانت هذه المناشير بيده ، وقد أدى هذا الخلاف الى انسحاب قسيم الدولة ، فاضطر تاج الدولة تتش

(١) ابن الاثير : المصدر السابق ، ج ١٠ ، ص ١٧٦ .

— ابو المحاسن : المصدر السابق ، ج ٥ ، ص ١٢٨ .

(٢) عماد الدين الاصفهاني : تاريخ دولة آل سلجوق ، مصر (١٩٠٠)

ص ٦٥ — ٦٦ .

— ابن القلانسي : المصدر السابق ص ١٩٥ .

— ابن الاثير : المصدر السابق ، ج ١٠ ص ٢٠٣ .

— ابن العديم : المصدر السابق ، ج ٢ ص ١٩٧ .

— ابو المحاسن : المصدر السابق ، ج ٥ ص ١٢٥ و ١٢٨ .

(٣) ابن الاثير : المصدر السابق ، ج ١٠ ص ٢٠٣ .

الى الرحيل والعودة الى دمشق (١) .

أما الخطر الثالث فقد جاء من ابن هلاعب الذي شن غارات على الحصون القريبة وامتدت غاراته الى عرقة فاستولى عليها من جلال الملك بن عمار ، ولكن ابن عمار تمكن من استعادة الحصن منه (٢) . كما خرجت جبلة عن طاعة آل عمار والتي كانت بيدهم منذ سنة (٤٦٩ هـ / ١٠٧٧ م) وتبعت ابن صليحة (٣) بعد أن أعلن العصيان على ابن عمار ، مستندا الى مساعدة السلاجقة (٤) وقد استطاع فخر الملك بن عمار بعد وفاة اخيه جلال الملك في شعبان سنة (٤٩٢ هـ / تموز يوليو ١٠٩٩ م) من أن يستعيد هذه المدينة وبذلك بقيت دولة بنسي عمار محافظة الى حد ما على اتساعها حتى وصول الصليبيين (٥) .

-
- (١) ابن الاثير : المصدر السابق ، ج ١٠ ص ٢٠٢ .
- ابو المحاسن : المصدر السابق ، ج ٥ ص ١٢٥ .
(٢) زكار : مدخل الى تاريخ الحروب الصليبية ، مؤسسة الرسالة ط ١ (١٩٧٢) ص ٣٨٠ .
(٣) هو أبو محمد عبيد الله بن منصور المعروف بابن صليحة
انظر ابن الاثير : المصدر السابق ج ١٠ ص ٣١٠ .
(٤) ابن الاثير : المصدر السابق ج ١٠ ص ٣١٠ .
(٥) ابن الاثير : المصدر السابق ج ١٠ ص ٣٢٥ .
- ابو المحاسن : المصدر السابق ج ٥ ص ١٦٧ .

*** آل عمار والمواجهة الصليبية :**

آ- جلال الملك بن عمار والحملة الصليبية الاولى :

وصلت الحملة الصليبية الاولى لبلاد الشام في سنة (٤٩١ هـ / ١٠٩٨ م) (١) في الفترة التي كانت فيها القوى المتعددة الحاكمة فسي ارجاء الشام متصارعة . وكانت كل واحدة منها تهتم بأوضاعها الخاصة دون النظر الى مصلحة البلاد العربية الاسلامية . وقد استطاعت هذه الحملة أن تؤسس أربع امارات ، كانت أولاها امارة الرهبة التي أسست سنة (٤٩١ هـ / ١٠٩٨ م) (٢) . ثم تلتها في التأسيس امارة

(١) عن اسباب هذه الحملة ومجريات احداثها ، راجع ابن الاثير الكامل في التاريخ جزء ١٠ ص ٦٥ وما بعدها .

- ابن شداد : الاعلاق الخطيرة في ذكر امراء الشام والجزيرة

وزارة الثقافة ١٩٧٨ م تحقيق عبارة ج ٣ ق ١ ص ٤٠٢ وما بعدها .

- الراوندي : راحة الصدور وآية السرور نشر وتصحيح محمد اقبال

طبع ليدن (١٩٢١ م) ص ١١٨ وما بعدها .

- عاشور : اوربا في العصور الوسطى ، التاريخ السياسي ، مكتبة

الانجلو المصرية ط ٦ (١٩٧٥ م) ج ١ ص ٣٤٦ وما بعدها .

الحركة الصليبية : مكتبة الانجلو المصرية ط ٢ (١٩٧١) ج ١ ص

٩٦ وما بعدها .

- أسد رستم : الروم في سياستهم وحضارتهم ودينهم وثقافتهم

وصلاتهم بالعرب ، دار المكشوف ، بيروت (١٩٥٦ م)

ج ٢ ص ١١٠ - ١١١ .

- عبدالنعيم حسنين : سلاجقة ايران والعراق ، مكتبة النهضة

المصرية (١٩٥٩ م) ص ٩٠ .

(٢) حول تأسيس هذه الامارة انظر :

- رنسيما : المرجع السابق ص ٢٧٧ - ٢٩٥ .

- اسد رستم : المرجع السابق ، ج ٢ ص ١٢٩ .

- عاشور : المرجع السابق ج ١ ص ١٧٧ - ٨٨٠ .

الدكتورة امينة بيطار

امارة انطاكية^(١) وكانت امارة بيت المقدس والتي ستصبح مملكة في الدرجة الثالثة من حيث الفترة الزمنية ، وكان تأسيسها في سنة (٤٩٢ هـ / ١٠٩٩ م)^(٢) . وقد قاموا في اثناء احتلالهم لهذه المناطق وتأسيسهم لهذه الامارات بأعمال تقشعرونها الابسـدان ذكرتها المصادر التاريخية باشمئزاز ، ولم تكن المصادر العربية وحدها هي التي ذكرت مثل هذه الاعمال ، بل أيدها في ذلك شهود عيان من رجالات الصليبيين أنفسهم ، ومن هؤلاء صاحب كتاب اعمال الفرنجة ، الذي رأى بأم عينه كثرة القتل من المسلمين اثناء احتلال مدينة بيت المقدس من قبلهم ، فصور ذلك تصويرا بارعا فقال (ومدر الامر أيضا بطرح كافة موتى الشرقيين خارج البلدة لشدة النتن المتصاعد من جيفهم ، ولان المدينة كادت تكون بأجمعها

- (١) انظر ابن القلانسي : المصدر السابق ، ص ٢١٨ وما بعدها .
- ابن الاثير : المصدر السابق ، ج ١٠ ص ١٣٨ .
- ابو الفداء : المختصر في اخبار البشر ، دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت ج ٢ ص ٢١٠ .
- رنسيما : المرجع السابق ص ٣٠٥ وما بعدها .
- حسن حبشي : الحرب الصليبية الاولى ، دار الفكر العربي ط ٢ (١٩٥٨ م) ص ١١١ وما بعدها .
- (٢) حول تأسيسها انظر :
- مؤلف مجهول : اعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس ، ترجمة وتقديم حسن حبشي دار الفكر العربي (١٩٥٨ م) ص ١٠١ وما بعدها .
- ابن الاثير : المصدر السابق ج ١٠ ص ٢٨٣ وما بعدها .
- حسن حبشي : المرجع السابق ص ١٧٨ وما بعدها .
- عاشور : المرجع السابق ج ١ ص ٢٣٨ وما بعدها .
- رنسيما : المرجع السابق ص ٤٠٢ وما بعدها .

امارة بني عمار في طرابلس

مملوءة بجثثهم . فقام الشرقيون الذي قيضت لهم الحياة بسحب القتلى خارج بيت المقدس وطرحهم أمام الابواب ، وتعالى اكوامهم حتى حاذت البيوت ارتفاعا ، وما تأتي لاحد قط أن سمع أو رأى مذبحة كهذه المذبحة التي أمت بالشعب الوثني - يقصد المسلمين - وجمعت أكوام من الحطب كأنها الاعلام ، ولا يعلم أحد غير الله كم عددها (١)

بعد أن أتم الصليبيون تأسيس الامارات الثلاثة ، بدأوا بتأسيس امارة رابعة ، وهي امارة طرابلس ، والتي يحكمها في تلك الاونة جلال الملك بن عمار ووقعت أولى الهجمات الصليبية على مدينة جبلة وكان ذلك اثناء مسير هذه الحملة لاحتلال بيت المقدس وتأسيس امارتهم هناك . وكانت هذه المدينة مازال في يد ابن صليحة وقد استطاع ابن صليحة أن يقف موقفا حازما من الصليبيين حتى وصل المدد العربي الاسلامي الى قرب مرقية ، فاضطر الصليبيون الى فك الحصار عنها . وقد تكرر حصار الصليبيين لجبلة في هذه الجولة وكان ابن صليحة يستخدم الحيلة واسلوب الاشارة ، والتخويف من وصول نجدات عربية اسلامية ، سواء أكانت فاطمية أم سلجوقية كما أنه كان يعمل على خديعتهم ويتظاهر بالاستسلام ليعرضهم للخطر والقتل (٢) . وبعد أن نجح في صرف الصليبيين عنها بفضل ثباته وخطئه سلم المدينة الى طغناكين اتابك دمشق ، خوفا من تعرضها لثانية لهجمات صليبية الحملة الاولى دون أن يتمكن من الدخول عنها (٣) . وبقيت كذلك حتى استعادها فخر الملك أبو علي بن عمار

(١) مؤلف مجهول : المصدر السابق ص ١١٩ - ١٢٠ .

- امينة بيطار : تاريخ العصر الايوبي ، دار الطباعة الحديثة

دمشق (١٩٨١ - ١٩٨٢) ص ٢٩ - ٣٠ .

(٢) ابن الاثير : المصدر السابق ، ج ١٠ ، ص ٣١٠ - ٣١١ .

(٣) ابن القلانسي : المصدر السابق ، ص ٢٢٦ .

- سبط بن الجوزي : المصدر السابق ، ج ١٢ ، ق ٣ ورقة ٢٣٤ م .

- ابن الاثير : المصدر السابق ، ج ١٠ ، ص ٣١١ .

صاحب طرابلس الذي خلف أخاه جلال الملك (١). وبعد أن حقق الصليبيون نجاحا ملموسا في طريقهم لببيت المقدس استولوا على حصن الاكراد بعد أن حاصروه حصارا محكما حتى سقط في أيديهم في صفر سنة (٤٩٢ هـ / ٢٩ كانون الثاني يناير ١٠٩٩ م) (٢). بعد أن استولى الصليبيون على حصن الاكراد خشيهم جلال الملك بن عمار ، فأرسل رسله لمفاوضتهم راجيا من ذلك أن يخلص امارته من شرهم . وقد سمح لهم بعبور أراضي امارته ، وأعطى صلاحيات لرسله بالتشاور مع الصليبيين لاتخاذ التدابير اللازمة لمرور الحملة عبرها ، موافقا على رفع اعلام تولوز على اسوار المدينة (٣). سر القائد الصليبي ريموند من ذلك ، وأرسل رسله الى طرابلس لمناقشة المسائل المعروضة فشهد هؤلاء عظمة طرابلس وثروتها وخصبها ، فعادوا وأخبروا أميرهم بذلك وأشاروا عليه بمهاجمة احدى القلاع التابعة لجلال الملك بن عمار لاجباره على دفع المزيـد من الاموال والتنازلات . وقد دفع هذا الامر بريموند الى القيام بمهاجمة قلعة عرقة . كما أرسل فئة من رجاله لحصار طرطوس وجبله . وما لبثت طرطوس أن سقطت بأيديهم في ربيع الاول سنة

-
- (١) ابن الاثير : المصدر السابق ، ج ١٠ ، ص ٣١٢ .
من أجل تولي فخر الملك لعرش الامارة انظر : زامبارو : معجم الانساب والاسرات الحاكمة في التاريخ الاسلامي ، ترجمة زكي محمد حسن ، وحسن محمود وآخرون ، القاهرة (١٩٥١-١٩٥٢) ص ١٦٠ .
(٢) عاشور : الحركة الصليبية ، ج ١ ، ص ٢٢٨ - ٢٢٩ - حسن حبشي المرجع السابق ص ١٦٤ - رنسيما : المرجع السابق ، ص ٣٧٩ - ٣٨١ بيطار - المرجع السابق ص ٢٧ .
(٣) مؤلف مجهول : اعمال الفرنجة ، ص ١١١ - ١١٣ .
- رانسيما : المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٣٨٠ .

(٤٩٢ هـ / شباط ١٠٩٩ م) فشكّل ذلك خطراً كبيراً على طرابلس نفسها (١). على حين أنّ الحصار فشل في الاستيلاء على قلعة عرقة بعد حصار دام أربعة أشهر وتكبد الصليبيون للكثير من الخسائر في المـــــــســــال والعتاد ، وذلك في جمادي الثانية سنة (٤٩٢ هـ / ١٣ مايو أيســــار سنة ١٠٩٩ م) (٢) . وما لبث جلال الملك أنّ توفي في هذه الفترة الحرجة .

— فخر الملك بن عمار (٤٩٢ ت ٥٥١ هـ / ١٠٩٩ — ١١٠٨ م) : —

توفي جلال الملك في آخر شعبان سنة (٤٩٢ هـ / تموز يوليــــســــو ١٠٩٩ م) (٣) ، فتولّى حكم دولة بني عمار أخوه فخر الملك أبو علي عمار بن محمد بن عمار ، وكان رجل سياسة وعلم ورجل دولة وحرب تمتع بالكياسة واللياقة ، ولكنه كان سيء الحظ ، إذ تسلم الامارة في وقت كانت فيه الاحداث تتطور بشكل خطير في بلاد الشام . وقد وضع الذهبي صفاته وأوضاع امارته في عهده فيما كتبه لنا فقال : (كان من دهاة الرجال ، وأفراد الزمان شجاعة واقداما ورأيا وحزما . ابتلي بلده بحصار الفرنج خمسة أعوام وهو يقاومهمهم وينكي في العدو ، ويستظهر عليهم ، ويراسل ملوك الاطراف ويتحفهم بالهدايا وهم حائرون على انفسهم ، ولم ينجده أحد وقد راسل صاحب الروم مرات . وكان حسن التدبير في الحصار ، جيد المكيــــدة والمخادعة برا وبحرا ، شتاء وصيفا ، حتى تفانت رجاله وكلت ابطاله (٤) .

— — — — —

- (١) محمد مرسي الشيخ : المرجع السابق ، ص ٢١٩ .
- (٢) مؤلف مجهول : المصدر السابق ، ص ١١٢ .
- عاشور : الحركة الصليبية ، ج ١ ، ص ٢٣٣ — ٢٣٤ .
- (٣) ابن شداد : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ١٠٨ .
- ابن الفرات : المصدر السابق ، ج ٨ ، ص ٧٧ .
- (٤) التدمري : المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٢٧٠ نقلا عن الذهبي سير اعلام النبلاء .

وأهم ماواجهه فخر الملك في ولايته الدفاع عنها تجاه الصليبيين .
- موقف فخر الملك من الصليبيين :

وصل فخر الملك الى حكم الامارة في فترة عصيبة ، فكان عليه أن يتبع سياسة متوازنة ، يعمل من خلالها على الحفاظ على استقلال امارته . وهذه السياسة كانت سياسة اسلافه من قبله ، الذين عملوا على الاحتفاظ باستقلالهم وسط النزاع بين الفاطميين من جهة ، وسلاجقة الشام من جهة أخرى . ولما أصبح الوضع اكثر خطورة في عهده ، ولذلك فانه عمل على أن يمسك العصا من الوسط بين الفاطميين وحكام دمشق من ناحية الصليبيين من ناحية أخرى (١) .

ويمكن القول أن امارة بني عمار حين تولوها فخر الملك ، كانت امورها سيئة للغاية فقد كثر الطامعون حولها ، وأصبح السلام فيها معرضا للخطر مما جعلها محط أنظار ريموند الصنجلي الذي رأى أن امارة بيت المقدس ذهبت من يده وتزعّمها جود فرى بوايون ومن ثم اخيه بلدوين ، كما ذهبت انطاكية قبلها لبوهيموند (بيمنت بيمند) ولما كان يريد أن يؤسس امارة كغيره ، رأى أن يوجه اهتمامه الى طرابلس (٢) .

عمل فخر الملك باصرار على الحفاظ على استقلال امارته مسددة حكمه وابعاد خطر الصليبيين عنها . ويمكن تقسيم عهده الى ثلاثة مراحل :

(١) وانظر عن سياسته :

- ابن الاثير - المصدر السابق ، ج ١٠ ، ص ٣١٢ .

- عاشور : الحركة الصليبية ، ج ١ ، ص ٣٥٥ .

(٢) أمينة بيطار : المرجع السابق ، ص ٣٣ .

امارة بني عمار في طرابلس

١- المرحلة الاولى:

مرحلة استعادة المدن المفقودة وارساء قواعد الحكم ، واعسادة الهدوء والسلام الى الامارة وتمتد ثلاث سنوات من سنة (٤٩٢ - ٤٩٥ هـ / ١٠٩٩ - ١١٠٢ م) .

٢- المرحلة الثانية:

مرحلة الكفاح ضد ريموند الصنجلي والذي دام سنتين من ٤٩٥-٤٩٧ هـ / ١١٠٢ - ١١٠٥ م) .

٣- المرحلة الثالثة:

مرحلة الكفاح ضد وليم جوردان من سنة (٤٩٨ - ٥٠١ هـ / ١١٠٥ - ١١٠٨ م وتنتهي بسقوط طرابلس في يد الصليبيين في سنة (٥٠٢ هـ / ١١٠٩ م) (١) .

*** المرحلة الاولى:

بعد وفاة جلال الملك مباشرة تعرضت طرابلس الى الحصار الاول ضدها . فقد توجه اليها الجيش الصليبي الذي فك الحصار عن عرقة ، وأراد فخر الملك تجنب ويلات الحرب بعد أن رأى تعطش الصليبيين لسفك الدماء - وذلك حين اعملوا السيف في جماعة من الأمنين خارج المدينة فتعهد لهم بدفع الجزية واطلاق سراح ثلاثمئة أسير ، ودفع خمسة عشر ألف دينار كغرامة حربية ، مع تقديم عدد من الخيول لهمسم وأضاف بأن تعهد بتسليمهم طرابلس ان استطاعوا احتلال مدينسة القدس (٢) كما تعهد باعتناق الديانة المسيحية (٣) .

وهذه الرواية تحتاج الى كثير من التأمل ، ولا يمكن التسليم بها

(١) محمد مرسي الشيخ : المرجع السابق ، ص ٢٢٦ - ٢٢٧ .

(٢) مؤلف مجهول : المصدر السابق ، ص ١١٣ .

- عمر كمال توفيق : مملكة بيت المقدس الصليبية الاسكندرية

(١٩٥٨ ، ص ٦) .

(٣) مؤلف مجهول : المصدر السابق ، ص ١١٣ .

لان الذي ذكرها هو صاحب كتاب أعمال الفرنجة ، على حين أن المؤرخين العرب كانوا يشيدون بفخر الملك وموقفه من الصليبيين وجهاده ضدهم لمدة طويلة وبشكل متواصل . وهذا الكفاح لا يتفق مع رغبته فسي النصر . وان كان هذا الوعد بالنصر قد صدر عن فخر الملك ، فهسو من قبيل الخدعة ليصرف عنه الصليبيين ، وليتمكن من تهيئة نفسه للدفاع عن امارته في تلك الظروف الحرجة من التاريخ وتهاون الامراء به مع الصليبيين (١) .

— محاولة استعادة جبلة وطرطوس —

كان ابن صليحة قد رأى تكالب الصليبيين على احتلال جبلة ورأى عدم استطاعته الوقوف طويلا في وجههم بمفرده بعد أن تخلست عنه القوى المحيطة ، وخشي أن تسقط المدينة في أيديهم فرأى أن يسلمها الى سلاجقة دمشق مقابل اعطائه الامان على نفسه وماله (٢) ، فتسلمها بوري بن طغتكين منه . ولما لم يحسن معاملة السكسان فانهم راسلوا القاضي فخر الملك آبا علي بن عمار وطلبوا من نفسه أن يرسل اليهم بعض اصحابه . وأرسل قسما من جيشه دخل المدينة فأسروا بوري وحملوه الى طرابلس فافرج عنه ابن عمار واحسن اليه وسيره معززا الى والده بدمشق ، وكتب طغتكين يعتذر له عما حدث ويبرر فتحه لجبلة بخوفه من خضوعها للصليبيين (٣) .

كما استغل فخر الملك بن عمار انشغال ريموند بمشاكله فأرسل قواته الى طرطوس حيث استعادها ، وبذلك استعادت امارة طرابلس المدن التي كانت قد فقدتها ، وعادت حدودها الى ماكانت عليه مسن قبل ، وغدت من جديد تسيطر على الساحل الممتد من اللاذقية شمـسالا

(١) التدمري : المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٢٨٢ .

(٢) ابن القلانسي : المصدر السابق ، ص ٢٢٦ .

(٣) ابن القلانسي : المصدر السابق ، ص ٢٢٦ .

— ابو الفداء : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٢١٣ — ٢١٤ .

حتى حدود بيروت جنوباً (١) .

أرسى فخر الملك في هذه الفترة قواعد حكمه ، لكي يباين خطر الصليبيين ، ورأى أن يتبع سياسة معتدلة تجاههم ولذلك فأنه احتفى ببلدوين أمير الرها الذي اجتاز طرابلس في ذي القعدة سنة ٤٩٣هـ/ في ٢١ تشرين اول اكتوبر سنة ١١٠٠م ، وهو في طريقه الى بيت المقدس ليتولى عرشها بعد وفاة أخيه جودفري ، فأمدّه بما كان بحاجة اليه من الميرة والغذاء وتعهد بأن يحيطه علما بتحركات دقاق ملك دمشق السلجوقي (٢) .

ولكنه سرعان ما اضطر الى تغيير هذه السياسة المعتدلة حيّسن تعرض للخطر الصليبي تحت قيادة ريموند الصنجيلي ، وبادر للاستعانة بالقوى الاسلامية المجاورة وطلب حمايتها ونجدها .

* المرحلة الثانية :

الكفاح ضد ريموند الصنجيلي :

بعد فشل ريموند بتأسيس امارة خاصة به رغم محاولاته المتكررة رأى أن يستعين بالامبراطور البيزنطي في ذلك ، وحين كــــان بالقسطنطينية ، وصلت اليها مجموعة كبيرة من الصليبيين جعلهم الامبراطور البيزنطي تحت رئاسة حليفه ريموند (٣) . وتعرض هؤلاء للخطر في آسية الصغرى ففر ريموند ناجيا بنفسه ، عاذا الى القسطنطينية (٤) ، حيث جمع فلول الفارين وأبحر بهم الى انطاكية فوقع

(١) رنسيما : المرجع السابق ج ١ ، ص ٤٣٩

(٢) عاشور : الحركة الصليبية ، ج ١ ، ص ٢٨٤

— محمد مرسي الشيخ : المرجع السابق ، ص ٢٣٠

(٣) عاشور : الحركة الصليبية ، جزء ١ ص ٣٤٤ وما بعدها .

(٤) ابن الاثير : المصدر السابق ، ج ١٠ ، ص ٣٤٣ — ٣٤٤ .

الدكتورة امينة بيطسار

في يد أميرها الذي اعتقله بحجة خيانة الصليبيين ، ولم يطلق سراحه الا بعد أن تنازل عن مطالبه في انطاكية واللاذقية (١) . وقد اتساح هذا الاتفاق لريموند العمل في بلاد الشام لحسابه الخاص ، وبمساعدة طرابلس منذ ذلك الوقت تعاني من هجماته عليها .

بدأ ريموند جهوده الجديدة في سواحل الشام منذ سنة ١١٠٢م / ٤٩٥ هـ فآلقت الحصار على مدينة طرطوس مستعينا بفلول اللومبارديين من واسطول جنوة الذي كان مارا بسواحل الشام ، فاستولى عليها في سنة ٤٩٥ هـ / شباط فبراير سنة ١١٠٢م (٢) .

اعلن ريموند عزمه على السير الى طرابلس لتكون قاعدة امارته فوصل اليها في جمع قليل لايزيد عن ٣٠٠ رجل (٣) وعندما علم فخر الملك بقلّة عدد رجاله قرر التصدي له مستعينا بالقوى الاسلامية المحيطة ، طالباً النجدة من أمير حمص وأمير دمشق ، فوصله عدد منهم واتحد هؤلاء مع قوات طرابلس ، والتقى الطرفان بقربها في سنة ١١٠٢م / ٤٩٥ هـ فانهمزمت قوات العرب المسلمين ، وعاد المساعدون الى دمشق وحمص (٤) . ويبالغ ابن الاثير في عدد القتلى من اهالي طرابلس ويجعلهم حوالي سبعة آلاف ، وهذا يعادل $\frac{1}{7}$ سكانها المعروفين في ذلك الحين تقريباً (٥) .

(١) ابن الاثير : المصدر السابق ، ج ١٠ ، ص ٣٤٥

— عاشور : المرجع السابق ، ج ١ ص ٣٥٣ — ٣٥٤

(٢) عاشور : المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٣٥٥

(٣) ابن الاثير : المصدر السابق ، ج ١٠ ، ص ٣٤٤

— ابو الفداء : المصدر السابق ، ج ٢ ص ٢١٦ ويشك في هذا العدد ولا بد

أن يكون أكثر من ذلك بكثير حتى تمكن ريموند بفضله من الانتصار على القوى المتحالفة .

(٤) ابن القلانسي : المصدر السابق ص ٢٢٨ .

— ابن الاثير : المصدر السابق ، ج ١٠ — ص ٣٤٤ .

شجع هذا الانتصار ريموند على حصار طرابلس ، وخاصة بعد أن وصلتته نجدات من نصارى الجبل والمواد من الموارنة الذين كانوا يسكنون جبال طرابلس وما حولها ، والذين اشتهروا بالرمي على القوس الثقيل بالنشاب الخارق (١) ، والذين مالوا منذ البداية الى الصليبيين ، وساعدوهم وأرشدوهم الى طرق ومسالك الشام ومعابرهما وأمدوهم بالميرة والمون (٢) ، ومع ذلك فقد واجه ريموند صعوبة في اخضاع طرابلس لقوة تحصينها ، فهادن فخر الملك على مال وخيل وانصرف عنها الى طرطوس التي اتخذها قاعدة للهجوم على الجهات المجاورة ، منتظرا الفرصة للهجوم ثانية والقاء الحصار .

وفي شتاء سنة (٤٩٧ هـ / ١١٠٣ م) وصل اسطول جنوى الى اللاذقية مكونا من أربعين سفينة (٣) ، فطلب ريموند مساعدته للهجوم على طرابلس ، ولكن هذا الحصار لم يؤد الى نتيجة ، بسبب صمود طرابلس ومناعتها ، ووصول الامدادات اليها عن طريق مينائها المفتوح ، وقيام فخر الملك بارسال رجاله في المراكب للاغارة على بلاد الصليبيين وقتل من يجدونه (٤) ، فانسحب الاسطول الجنوبي ، وابحر ناحية الجنوب حيث ألقى الحصار على جبيل (٥) وكانت قلعة صغيرة تابعة لبني عمار فلم تستطع المقاومة طويلا ، واستسلمت أواخر سنة (٤٩٨ هـ / ١١٠٤ م) .

(١) ابن الاثير : المصدر السابق ، ج ١٠ ، ص ٣٤٤ .

ابن الشحنة : الدر المنتخب في تاريخ مملكة حلب ، نشر يوسف

سركيس ، بيروت (١٩٠٩) ص ٢٦٤ .

(٢) حتي : تاريخ سورية ولبنان وفلسطين ، دار الثقافة بيروت

(١٩٥٩) ج ٢ ، ص ٢٢٨ .

لبنان في التاريخ منذ أقدم العصور التاريخية

ترجمة فريحة ، دار الثقافة بيروت ص ٣٩٢ .

(٣) رنسيما : تاريخ الحروب الصليبية ، ج ٢ ، ص ٩٩ .

(٤) ابن الاثير : المصدر السابق ، ج ١٠ - ص ٣٦٥ - ٣٦٦ .

(٥) ابن الاثير : المصدر السابق ، ج ١٠ - ص ٣٧٢ .

اندتورة امينة بيطار

وتعرض أهلها للتنكيل والعذاب (١)، فمنح ريموند ثلثها للجنوبية مكافأة لهم على مساعدته (٢).

وباحتلال جبيل من قبل الصليبيين أصبحت طرابلس مطوقة من الشمال والجنوب وأخذ ريموند يعمل على ترتيب حصار دائم من الجهة الشرقية، ليمنع عنها الاتصال مع البلاد العربية الإسلامية في الشام والعراق، وقد تمثل هذا الحصار في بناء حصن يشرف على المدينة فشرع أولا في إقامة معسكر كبير في الضياع القريبة من طرابلس ثم أقام الحصن المعروف باسمه على الضفة اليسرى من نهر قاديشا على تلة أبي سمرة الحالية، وكانت تعرف باسم بلدة الحجاج. وقد أطلق على هذه القلعة اسم حصن سان جيل نسبة إلى ريموند دي سانت جيل، وسماه العرب سنجيل. وقد أعانه على بناء الحصن الامبراطور البيزنطي الذي أرسل له الميرة والاشخاب والمعدات اللازمة من جزيرة قبرص (٣)، مقابل طرده لسنكرد من اللاذقية.

اهتم ريموند ببناء الحصن، وشحنه بالاموال والرجال والسلاح (٤) وأخذ يتربص منه الفرصة السانحة، بعد أن أحكم الحصار على طرابلس وكان الانتهاء من بنائه في ربيع سنة (٤٩٨ هـ / ١١٠٤ م) ومن المحتمل أن يكون هذا الحصن قد بني في نفس المكان الذي كانت عليه القلعة التي بناها القائد العربي سفيان بن مجيب الأزدي عند حصاره لطرابلس في العهد الراشدي وفي ولاية معاوية بن أبي سفيان (٥).

(١) أبو الفداء : المصدر السابق، ج ٢ - ص ٢١٧.

(٢) عاشور : المرجع السابق، ج ١ - ص ٣٥٩.

(٣) رنسيمان : المرجع السابق، ج ٢ - ص ٩٩ - عاشور الحركة الصليبية

ج ١ - ص ٣٦٠.

(٤) ابن الاثير : المصدر السابق، ج ١٠ - ص ٤١١ - ٤١٢.

(٥) عبدالعزيز سالم : المرجع السابق ص ٩٥ - ٩٦.

أحدث بناء القلعة اضطرابا في طرابلس لخطورتها وتهديدها للمدينة ولذلك فإن فخر الملك بن عمار خرج بنفسه من طرابلس ، على رأس قواته وهاجمها ، فقتل من بها ونهب وأحرق وأخذ من السلاح والمال الكثير وعاد الى طرابلس (١) . وكان ذلك في (١٩ ذي الحجة ٤٩٧ هـ / ١٤ ايلول سبتمبر ١١٠٤م) (٢) . ويبدو أن فخر الملك لم يوفق كلية في هدم الحصن ، وبقي سقفه متصدعا ، حيث انخسف على ريموند وأصابه بجروح . ويقال أن ذلك أدى الى مرض ريموند وموته فسي (٤ جمادي الاول سنة ٤٩٨ هـ / ٢٨ فبراير سنة ١١٠٥م) .

كان من نتيجة هذا الهجوم أن قام ريموند قبل وفاته بعقد هدنة مع فخر الملك تنص على أن يكون لريموند ظاهر طرابلس ، مقابل أن لا يقطع الميرة . ولا يمنع المسافرين من المدينة واليها (٣) . وهكذا توفي ريموند دي سانت جيل قبل أن يحقق امنيته بالاستيلاء على طرابلس ، فحمل الى القدس ودفن هناك (٤) .

المرحلة الثالثة :

الكفاح ضد وليم جوردان :

بعد وفاة ريموند تولى ابن خالته وليم جوردان المعسرف بالسراذني أمرة الصليبيين في طرطوس وجبيل وصنجيل (٥) والذي تابّع

-
- (١) ابن القلانسي : المصدر السابق ، ص ٢٣٦ .
 - (٢) سبط بن الجوزي : المصدر السابق ج ٨ ، ق ١ - ص ٩ .
 - (٣) ابن القلانسي : المصدر السابق ص ٢٣٨ .
 - سبط بن الجوزي : المصدر السابق ، ج ٨ ، ق ١ ، ص ١٢ .
 - ابو المحاسن : المصدر السابق ، ج ٥ ، ص ١٧٨ .
 - (٤) ابن القلانسي : المصدر السابق ، ص ٢٣٨ .
 - (٥) عاشور : المرجع السابق ، جزء ١ ، ص ٣٦٢ - رنسيما : المرجع السابق ج ٢ ص ١٠١ .

سياسة سلفة في حصار طرابلس (١) لاضعافها والاستيلاء عليها، وقد بدأ باعادة بناء قلعة صنجيل وترميم ما تهدم منها ، كما حصل على مساعدة الامبراطور البيزنطي بالموّن من قبرص . وعندما علم فخر الملك بن عمار بذلك ، خرج باسطوله ، فواجه السفن البيزنطية وجرى بينه وبينهم قتال شديد اسفر عن هزيمة سفن البيزنطيين وظفر فخر الملك باحدى هذه السفن فأسر من فيها (٢) ، على الرغم من ذلك فان الامدادات البيزنطية عن طريق قبرص كانت متواصلة وكذلك فان البيزنطيين قاموا بحصار المدينة بحرا بين الحين والآخر .

احكم وليم جوردان حصار طرابلس بواسطة قلعة صنجيل المتحكمة بالطرق الرئيسية الى طرابلس ومنع تسرب الامدادات اليها ، فعانت طرابلس من الحصار وارتفعت فيها الاسعار بشكل فاحش على الرغم من تسرب بعض الامدادات عن طريق البحر سواء من ساحل الشام أو من مصر لكن ذلك لم يكن كافيا لطول مدة الحصار حتى بلغ ثمن كيلو التمر دينارا من الذهب ، وحدثت المجاعة وأكل الناس الجيف (٣) . وقد وصف ابن الاثير الوضع في المدينة بشكل مؤثر ، ومدح صلابة ابن عمار وقوة موقفه من الصليبيين فقال : (وظهر من ابن عمار صبر عظيم وشجاعة ورأي سديد (٤) .

فكر فخر الملك بن عمار بالاستنجاد بحكام العرب المسلمين القريبين منه ، فلم يجد أفضل من سقمان بن آرتق التركماني أمير مارددين وحصن كيفا في ديار بكر (٥) ، فطلب معونته مقابل مبلغ من المال (٦) .

-
- (١) عاسور : المرجع السابق ، ج ١ - ص ٣٦٧ .
 (٢) اسر الاسر : المصدر السابق ، ج ١٠ - ص ٤١٢ .
 (٣) السدمر : المرجع السابق ، ج ١ - ص ٢٩٧ .
 (٤) اسر الاتير : المصدر السابق ، ج ١٠ - ص ٤١٢ .
 (٥) اسر الفلانسي : المصدر السابق ، ص ٢٣٦ - ٢٣٧ .
 (٦) اسر السلاسي : المصدر السابق ، ص ٢٣٦ - ٢٣٧ .

كان استنجد فخر الملك بن عمار بسقمان أمر أملتته ضرورة ملحة وتفهم كامل لطبيعة القوى الاسلامية المجاورة من ناحية وقوة وشهامة التركمان في أقصى شمال العراق ، وما أبداه سقمان من مهارة أمام الصليبيين من ناحية أخرى^(١) ولكنه مالبث أن توفي قبل الوصول الى طرابلس في صفر سنة (٤٩٨ هـ / ١١٠٥ م) وعاد رجاله الى حصن كيفا يحملون جثمانه ، وبذلك فقد ابن عمار مساعدته وفقد الامل في أي معونة .

عانت مدينة طرابلس من ضائقة اقتصادية على الرغم من غناها فقام فخر الملك بن عمار ببعض الاجراءات الاقتصادية ، ومن ذلك أنه صادر اموال الاغنياء ، واخذ في توزيعها على الفقراء ، كما أجرى الجرايات على الجند والضعفاء ، ثم فرض على الناس اقساطا يؤدونها من أجل الجهاد^(٢) . ثم أن ثراء المدينة أدى الى وصول المؤن من مناطق متعددة كقبرص وانطاكية وعرقه .

لم ترق هذه السياسة للبعض ، فالتجأ رجلان منهم الى الفرنسج الصليبيين ، ونبهاهم الى الامكنة التي تصل منها المؤن والاقوات الى طرابلس ، فأفاد الفرنج فائدة كبيرة وأرسلوا قوات تمنع وصول هذه الامدادات^(٣) . وعلى الرغم من ذلك فان طرابلس وقفت وحيدة صامدة للحصار على يد جوردان من سنة (٤٩٨ - ٥٠١ هـ / ١١٠٥ - ١١٠٨ م) . نهض فخر الملك بن عمار بمراسلة القوى الاسلامية المحيطة به

فراسل محمد بن ملك شاه السلجوقي سلطان بغداد ، كما ارسل ضهير الدين طغتكين أتابك دمشق واستصرخهم وحضهم على مد يد المعونة

(١) ابن القلانسي : المصدر السابق ، ص ٢٣٦ - محمد مرسى الشيبخ :

المرجع السابق ص ٢٤٦ .

(٢) ابن الاثير : المرجع السابق ، ج ١٠ - ص ٤١٢ .

(٣) ابن الاثير : المصدر السابق ، ج ١٠ - ص ٤١٢ .

ابو الفداء : المصدر السابق ، ج ٢ - ص ٢٢١ .

الدكتورة امينة بيطسار

فانتدب السلطان محمد بن ملك شاه عسكريا كشيئا لنجدته، وراسل امراء العراق لتقديم يد المساعدة (١). ولما تأخرت هذه القسوسات بالوصول، فان فخر الملك قرر أن يسافر بنفسه الى بغداد، ليبحث القائمين بالامر على ارسال المعونات فوصلها في رمضان (٥٠١ هـ / ايار مايو ١١٠٨م) بعد أن أناب عنه في طرابلس ابن عمه أبا المناقب يعاونه لفيف من اصحابه، ورتب معه الاجناد برا وبحرا واعطاهم راتب ستة أشهر سلفا، ونظم امور كل موضع، وكل سيف فرقة بحمايته (٢).

لكنه ما أن وصل الى دمشق حتى علم أن ابن عمه أبا المناقب نادى بشعار الافضل بن أمير الجيوش بمصر، وأعلن خروجه على ابن عمه فخر الملك، فطلب من اصحابه بيامرهم بالقبض عليه، وسجنه في حصن الخوابي (٣).

تابع فخر الملك بن عمار وبرفقته تاج الملوك بوري رجليهم الى بغداد، واستقبل ابن عمار بالكثير من الحفاوة والتكريم لمواقفه المشرفة ضد الصليبيين.

فقد أنفذ السلطان لاستقباله الامراء ورجال الدولة ومركبته الخاصة، كذلك فعل الخليفة، وكان هذا يتناسب مع دوره فني جهاد الصليبيين (٤).

(١) ابن القلانسي : المصدر السابق ، ص ٢٥٠ .

(٢) ابن القلانسي : المصدر السابق ص ٢٥٧ .

ابن الاثير : المصدر السابق ج ١٠ - ص ٤٥٢ .

المقريزي : اتعاظا لحنفا ، ص ٣٨ .

(٣) ابن القلانسي : المصدر السابق ، ص ٢٥٧ .

ابن الاثير : المصدر السابق ج ١٠ - ص ٤٥٢ .

(٤) ابن الاثير : المصدر السابق ج ١٠ ص ٤٥٢ .

شرح فخر الملك للخليفة والسلطان ظروف الامارة ، وما تتعرض لـه من مصاعب بسبب قوة الاعداء وشدة حصارهم ، وطلب انقاذ جيشه ينفق عليه بنفسه ، فوافق السلطان على أن يسير الجيش أولاً لتأديب والي الموصل جاولي سقاوة الخارج على السلطان ، ففضل فخر الملك بن عمار أن ينتظره في بغداد^(١) ولما طال انتظاره ترك بغداد وعاد الى الشام دون أن يحصل على بغيته أو يحقق رجاءه . فوصل الى دمشق في منتصف المحرم سنة (٥٠٢ هـ / آب اغسطس ١١٠٨ م) أي بعد رحيله بنحو شهر .

وفي هذه الاثناء حدث انقلاب في طرابلس أدى الى دخولها فسي حوزة الفاطميين ، فسار فخر الملك الى عرقة ، فرأى أنها قريبة من الصليبيين الفرنجة ، فتحول عنها الى حصن الخوابي ثم استقر أخيراً في جبلة فدخلها واطاعه أهلها^(٢) ، وهكذا انتهى دور فخر الملك في قتال الصليبيين .

— الانقلاب والتناقض حول —

تحدث حول هذا الانقلاب عدد كبير من المؤرخين ، منهم من كان عهده قريباً من الاحداث ، ومنهم من بعد العهد به . ومن هؤلاء ابن القلانسي ، وسبط بن الجوزي ، وابن الاثير ، وابن ميسر ، شمس ابن شداد ، وابن الفرات ، والتفاصيل التي وردت في روايات هؤلاء المؤرخين متفاوتة من حيث الدقة وذكر التفاصيل ، والطريقة التي جرى فيها الخضوع لحكم الفاطميين^(٣) .

-
- (١) ابن القلانسي : المصدر السابق ، ص ٢٥٧ .
- ابن الاثير : المصدر السابق ، ج ١٠ ، ص ٤٥٣ .
- سبط بن الجوزي ، مرآة الزمان ، ج ١٢ ، ق ٣ ، ص ٢٦٠ ب .
- (٢) التدمري : المرجع السابق ، ج ١ — ص ٣٥٧ .
- (٣) ابن القلانسي : المصدر السابق ، ص ٢٥٨ .
- سبط ابن الجوزي : المصدر السابق ج ١٢ ، ق ٤ ، ورقة ٢٦٠ ب .
- ابن الاثير — المصدر السابق ، ج ١٠ ، ص ٤٥٢ — ٤٥٤ .
- المقرئزي : المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ٤٢ — ٤٣ .
- ابن الفرات : المصدر السابق ، ج ٨ — ص ٧٨ .

ويرجح أن الامر تم على الشكل الاتي ، خالف أبو المناقب ابن عمه فخر الملك بتأييد من أهالي طرابلس الذين كانت غالبيتهم لا يرغبون في التعاون مع الخلافة العباسية وسلاطين السلاجقة ، واتصل بالافضل ابن بدر الجمالي وزير الخليفة الفاطمي ، وتخلص من سعد الدولة المؤيد لابن عمه فخر الملك ، فقام أصحاب فخر الملك بالقبض على أبي المناقب بأمر من فخر الملك حين كان مايزال في دمشق في طريقه الى بغداد . حينذاك نهض أهل طرابلس انمويدون لأبي المناقب مستنجدين بالفاطميين لاتمام الحركة الانقلابية ، عسى أن يحصلوا منهم على المعونة اللازمة ، وخاصة البحرية التي كان وصولها ممكنا .

ورحبت الخلافة الفاطمية بهذه الخطوة ، ووجدت فيها الفرصة سانحة لاعادة نفوذها فأرسلت من قبلها الى طرابلس والباهوتاج العجم ، ثم سم اتبعته بشرف الدولة بن أبي الثيب ، أخـرج بنو عمار مؤيديهم منها . كما وقبضت على اعوان فخر الملك بن عمار واهله ، وصودرت أموالهم واثاثهم وذخائرهم ، وحمل الجميع الى مصر ، وبذلك انقطع الطريق على فخر الملك ولم يعد قادرا على العودة الى عاصمة ملكه ، وتنقل بين مناطق امارته ثم ذهب الى جبلة^(١) فخسرت بذلك مدينة طرابلس جزئيا^(٢) كبيرا من ثروتها ، وعددا من رجالها الاشداء الذين كانوا يدافعون عنها^(٢) .

ويبدو أن ما قام به أهل طرابلس كان بسبب تأخر فخر الملك ابن عمار في بغداد ، وعدم استطاعته تقديم أي معونة لفك الحصار عن طرابلس . وقد يكونون قدروا أن القوات العباسية فيما لو جاءت من المشرق ، فأنها ستستخدم مع الصليبيين في مواقع متعددة قبل وصولها

(١) اس التلاسي . المصدر السابق ، ص ٢٥٨

(٢) ابن الفراء : المصدر السابق ج ٨ ص ٧٨

امارة بني عمار في طرابلس

الى طرابلس، وقد لاتنجح في الوصول، ولذلك فان أعصابهم كانت متوترة وترقبهم طال، وقد أخذ حزب ابن عمار بالضعف في المدينة، في الوقت الذي رغب فيه السكان بالحصول على النجدة والميرة والذخائر، والقوات الصليبية تشدد قبضتها وحصارها على المدينة.

وقد تبع خروج طرابلس عن يد فخر الملك بن عمار، خروج حصن عرقة على يد غلام لفخر الملك، الذي استقل بها في شهر رمضان سنة ٥٠٢ هـ/ نيسان ابريل ١١٠٨ م. ولكنه كاد يفشل في الحفاظ عليه أمام الفاطميين، فسلمه الى طغتكين الذي لم يستطع الحفاظ عليه، ومالبت أن سقط بيد جوردان بعد حصار دام ثلاثة أسابيع (١).

كان سقوط عرقة نذيرا بسقوط طرابلس، فقد أصبحت محاصرة بالقوات البرية من كافة جهاتها. وازداد الامر سوءا حين وصل برتراند الابن الاكبر لريموند الصنجيلي مع أربعة آلاف فارس على متن اسطول مؤلف من أربعين سفينة للمطالبة بآثاره في املك أبيه. واستطاع في طريقه أن يضم اليه سفينة من اسطول جنوة مشتبها بحونة بالمقاتلة، مقابل امتيازات يمنحها لهم (٢). وقد نزل برتراند بهؤلاء المقاتلة في طرطوس، حيث اخذ يعمل على ايجاد حلفاء من الفرنجة الصليبيين، وكذلك فعل جوردان. وانتهى الامر على أن يكون لجوردان عرقة وطرطوس لانه فتحهما بنفسه، وأن يكون لبرتراند جبيل وقلعة صنجيل. وتعاهد الجميع على التعاون من أجل فتح

(١) ابن القلانسي : المصدر السابق، ص ٢٦٠

— ابن الاثير : المصدر السابق، ج ١٠، ص ٤٦٨

— عاشور : المرجع السابق، ج ١، ص ٣٦٦

— رنسيما : المرجع السابق، ج ٢، ص ١١٠

(٢) ابن القلانسي : المصدر السابق، ص ٢٦١ - ٢٦٢

— عاشور : المرجع السابق، ج ١، ص ٣٦٧ - ٣٦٨

طرابلس • ومالبت جوردان أن قتل في عرقه، فمفي انجو لبرتراند^(١)

سقوط طرابلس :

جاءت المصالحة بين القوات الصليبية على حساب اماره طرابلس اذ تعاون جميع الزعماء ، وتكاثفت قواتهم لحصارها • وقد ضمت هــ هــ هذه القوى أربعة آلاف فارس بروفنسي ، قدموا مع برتراند ومثلهم أو أقل منهم من الحنوية الذين أتوا معه في عشرين سفينة و (٥٠٠ فارس) اتى بهم بلدوين ملك بيت المقدس مع عدد كبير من الرحالة^(٢) ، و (٧٠٠) فارس من انطاكية بقيادة تنكرد ، بالاضافة الى عدد غير معروف وصل من اماره الرها ، وعاضدهم جموع المردة ونصارى جبل لبنان^(٣) .

تحرك الاسطول البروفنسي والجنوي ليحاصرا المدينة بحرا ، بينما أخذت الفرق البرية المجتمعمة من الامارات الصليبية جميعا لحصارها . برا في رمضان سنة ٥٠٢ هـ / ١١٠٩ م • وليستطيعوا الوصول الى الاسوار فانهم صنعوا ابراجا من الخشب والحديد على عجلات ، تمكنوا بها من الاقتراب من سور المدينة واسندوها عليه ، وأظهر اهاليها براعة في افشال ابراج الصليبيين ومع ذلك فانه ضاقوا بهذا الحصار^(٤) ، وكان عليهم التحرك بسرعة لانهاؤه •

فكر والي المدينة الفاطمي شرف الدولة بالاستنحاد بالخلفاء الفاطمية ، فارسل ملحا بطلب النحدة وارسال الميرة والذخيرة والمسؤن

(١) ابن القلاسي : المصدر السابق ، ص ٢٦١

— ابن الاثير : المصدر السابق ، ج ١٠ ، ص ٤٧٥

(٢) رنسيما : المرجع السابق ج ٢ ، ص ١١١

(٣) رنسيما : المرجع السابق ج ٢ ، ص ١١١

(٤) ابن القلانسي : المصدر السابق ، ص ٢٦٢

— ابن الاثير : المصدر السابق ج ١٠ ، ص ٤٨٨ — ٤٨٩

— ابو المحاسن : المصدر السابق ج ٥ ، ص ١٨١

عن طريق البحر ، ووجهز اسطولاً من أجل هذه المهمة .
لكن خلافاً نشب بين قادة ذلك الاسطول وهو لايزال في موانئهم
الدلتا . ومرت الشهور والامير الافضل بن بدر الجمالي عاجز هن حسرتهم
تلك الخلافات وتسيير الاسطول الى طرابلس . وبعد تردد خرج الاسطول
الفاطمي قاصداً اياها ، فتعرض للعواصف التي ردتته المرة بعد المرة عن
الوصول الى المدينة ، عندئذ ايقن أهل المدينة بالهلاك وانقطعت
رجاؤهم (١) .

أشر هذا الفشل في الحصول على معونة من الخلافة الفاطمية ، انقسم
أهل المدينة الى قسمين غير متكافئين ، مثل احدهما امير المدينة
الفاطمي شرف الدولة ، والذي رأى طلب الامان والاستسلام ، على حين رأت
الفئة الاخرى الاستمرار في مقاومة الصليبيين ؟ . ولما كانت الفتنة
الاولى أقل عدداً فانها خرجت من المدينة مستأمنة ، وبقي الفريسيق
المدافع في داخلها (٢) .

عمل رجال الفئة الثانية الذين أقروا الكفاح على الاستبسال، ولكن
الظروف كانت تسير لغير صالحهم . فقد تمكن الصليبيون من إلحاق
ابراجهم بسور المدينة ، ثم عكسوا الاسوار ، ومالبثوا أن هاجموها
من الابراج ، وتمكنوا من دخول المدينة ، فملكوها بالسيف في يوم
الاثنين ١١ ذي الحجة من سنة ٥٠٢ هـ ، ونهبوا ما فيها وأسروا رجالها
وسبوا نساءها وأطفالها ، وحصل في ايديهم من امتعتها وذخائرها

(١) ابن القلانسي : المصدر السابق ، ص ٢٦٢ - ٢٦٣ .

(٢) ابن القلانسي : المصدر السابق ، ص ٢٦٢ .

.. ابن الاثير : المصدر السابق ج ١٠ ، ص ٤٧٥ .

.. أبو العداء : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٢٢٤ .

.. التدمري : المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٣١٦ .

ودفاتر دار علمها ، وكان موجودا في خزائن اربابها مالا يحد عدده ولا يحصر . ونزلت العقوبة في أهلها وأخذت أموالهم ، وقتلوا ، ومسن نجا منهم مات جوعا . ونهبت الكتب من دور العلم ، كما أحرقت مكتبة ابن عمار (١) .

وهكذا قاتلت مدينة طرابلس بشرف ، وكافحت حتى النهاية حتى سقطت مرغمة في أيدي الصليبيين ، وأصاب المدينة الخراب والدمار والسلب والنهب والقتل واشتعال الحرائق ، حتى دمرت مكتبة آل عمار فيها وكتب دور العلم الموقوفة على يد العزاة كنتيجة لاقتحام المدينة عنوة ، ودخلها بحد السيف (٢) .

وبذلك يمكن القول أن أهالي طرابلس قاموا بشرف الدفاع عسى مدينتهم حتى آخر لحظة دون أن يحصلوا على معونات من القسوى المحاورة .

* نهاية فخر الملك بن عمار :

ما ان سيطر الصليبيون على آخر معقل لامارة بني عمار حتى ادرك فخر الملك أن وجوده فيها أصبح مخاطرة كبيرة ، فخرج منها الى شيزر ثم اى دمشق حيث اقطعه طغتكين الزبداني وأعمالها (٣) . وتنقل بعد ذلك بين يدي السلطان السلجوقي مسعود بن محمد والخليفة العباسي

(١) ابن السلاسي : المصدر السابق ، ص ٢٦٢

— ابن الانير : المصدر السابق ، ج ١٠ ، ص ٤٧٦

— المقربى : المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ٤٤

— رنسيما : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ١١٣ — ١١٤

(٢) ابن القلانسي : المصدر السابق ، ص ٢٦٢

— ابن الاسير : المصدر السابق ، ج ١٠ ، ص ٤٧٥ — ٤٧٦

— محمد مرسي الشبح : المرجع السابق

(٣) ابن القلانسي : المصدر السابق ، ص ٢٦٤

— ابن الاثير : المصدر السابق ، ص ١٠ — ص ٤٧٧

امارة بني عمار في طرابلس

المسترشد بالله ونجم الدين ايلغازي بن ارتق صاحب مارددين ، ثم ذهب الى مصر الى الخليفة الفاطمي الامر بالله حيث توفي فيها (١) .

وهكذا تكاثفت عدة عوامل أدت الى سقوط اسرة بني عمار وتبعية امارتهم للصليبيين . وكان على رأس هذه العوامل :

- سقوط المدن الساحلية القريبة من مناطقهم أمام الصليبيين .
- تهاون الفاطميين في ارسال النجدات والدفاع عن هذه المنطقة الهامة ، وخاصة بعد أن أصبحت طرابلس تابعة لهم .
- اضافة الى تهاون الخلافة العباسية وسلاطين السلاجقة في ارسال النجدات في نفس الوقت الذي تكاثف فيه الصليبيون لفتحها ، وتمكنوا من الحصول على معونات خارجية من جنوة وبيزنطة والمردة وغيرهم .
- وأهم من كل ذلك الانقسام الداخلي الذي حدث في طرابلس بين القوى المدافعة عنها في الفترة الاخيرة .

* الحضارة في دولة بني عمار :

تقدمت الحضارة في دولة بني عمار حتى بلغت شأواً بعيداً ، وفاق بنو عمار في مناحي الحضارة اقرانهم من المعاصرين في بلاد الشام كبنو مرداس . وقد يكون للتبارات السياسية المختلفة ، والنزعات الدينية اثرها على النواحي العلمية والفكرية . وكان أبرز مناحي الحضارة ، التقدم العلمي الذي ظهر بشكل واضح . ولم يكن ذلك الا بفضل اهتمام بني عمار بالعلم والعلماء . وكان من أبرز المظاهر العلمية عندهم مكتبة دار الحكمة التي كانت في مدينة طرابلس ، والتي اهتم بها أمين الدولة بن عمار اهتماما كبيرا وذلك انه كان هو نفسه كاتباً قديراً ومصنفًا باراً ، كما كان قاضياً شيعياً متفقها على

(١) ابن القلانسي : المصدر السابق ، ص ٢٦٥ وما بعدها .

- المقرئزي : المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ٧٩ - ٨٠

الدكتورة امينة بيطار

المذهب الشيعي ، ألف كثيرا من الكتب النفيسة ، منها : (ترويح الارواح ومصباح السرور والافراح) وقد سبقه كتاب آخر بنفس الاسم لجساراب الدولة وهو أحد بن محمد بن علوية السجزي ، وسماه أيضا النوادر والمضاحك في سائر الفنون والنوادر^(١) . ولم يقتصر على ذلك بل شجع العلماء وطلاب العلم على الوفود الى طرابلس في طلب العلم ، فغسست المدينة مركز اشعاع فكري وعلمي هام ومحط رجال العلم والباحثين^(٢) .

أما مكتبة دار الحكمة فقد أصبحت في عهدهم من أغنى مكتبات العالم ، ومن أشهر المؤسسات العلمية في بلاد الشام بأسرها وفي العالم المحيط بها^(٣) . وقد وقف عليها أمين الدولة بن عمار مايزيد على مائة ألف كتاب ، وذهب البعض الى أنها حوت نحو مليون مجلد ، ويسرى ابن أبي طيء أنها كانت تحوي ثلاثة ملايين مجلداً وكانت المؤلفات الموجودة فيها تتألف من كتب عربية ، إضافة الى كتب العجم واليونان . وكانت شاملة للعلوم المختلفة ، كما أنه كان لكل كتاب عدد من النسخ بفضل النساخ الموجودين فيها . وقد استطاع أمين الدولة بن عمار أن يجمع هذه الكتب بفضل ما كان يقوم به من مراسلات الى الاقطار المختلفة ، باذلا الاثمان الباهظة لجلب اليها الكتب النادرة^(٤) .

ويرى البعض أن هذه المكتبة كانت قبل عهد بني عمار ، اذ زارها أبو العلاء المعري انشاعر المعروف ، وكان على علم دقيق بكافة محتوياتها . ويتضح ذلك مما ذكر حول رحيله الى بغداد طلبا للعلم حيث زار مكتبة دار العلم فيها والتي يتولى النخر في كتبها عبيد السلام البصري ، وطلب أبو العلاء منه قراءة أسماء ماتحتويه

(١) الصعدي : الوافي بالوفيات ، ج ٨ ، ص ٧ .

(٢) محمد مرسي الشيخ : المرحع السابق ، ص ٢٠١ .

(٣) محمد كرد علي : خطط الشام ، ج ٦ ، ص ١٩٠ - ١٩١ .

(٤) محمد بهت ورفيق التميمي : ولاية بيروت ، ص ٢١٥ .

مصنفات ، فوجد ان جميعها موجودة في مكتبات طرابلس سوى كتاب واحد هو ديوان تيم اللات ، فاستعاره منه (١١) .

ومن الثابت ان بني عمار أوقفوا عليها الاوقاف ، واشتروا لها الكتب من شتى البقاع ، وعينوا لها النساخ والموظفون ، وحولوها الى جامعة دينية لدراسة المذهب الشيعي بصفة خاصة ، واهتموا بتشجيع طلاب العلم . على اراضيها حتى غدت طرابلس محط رجال العلم والدارسين ومصدر اشعاع فكري وثقافي ، ومركز أول جامعة دينية اسلامية في بلاد الشام قبل استيلاء الصليبيين عليها (١٢) .

ولم يقتصر الاهتمام بالمكتبة على أمين الدولة ، بل سار سيره جلال الملك الذي قام بتجديدها في سنة ٤٧٢هـ / ١٠٧٩م لاهميتها في نشر الدعوة (١٣) ، ووفر لها الكتب فصارت طرابلس في ذلك الوقت دار علم . وما يميز هذه المكتبة تنظيم رفوفها وفهرسة كتبها ، ووجود عدد كبير من النساخ فيها ، وكانوا من الموظفين الرسميين الذين كانت لهم جارية وجامكية . وقد بلغ عدد هؤلاء النساخ مئة وثمانين ناسخا هذا فضلا عن الموظفين والاداريين الاخرين كمتولي النظر في المكتبة وغيرهم .

وقد استقبلت هذه المكتبة الكثير من العلماء والفقهاء والشعراء وعلى رأسهم أبو العلاء المعري وابن الخياط الدمشقي وشيخ المعتزلة هبة السلام بن يوسف وغيرهم من العلماء لاسيما من الشيعة باعتبار طرابلس كانت مركزا شيعيا في عهدهم ، فضلا عن غيرهم من المبرزين في شئتي

(١) القطفي : انباه الرواة على انباء النحاة ، ج ١ ، ص ٥٠

— التدمري : المرجع السابق ، ج ١ ، ص ١٩٨ — ١٩٩

(٢) كرد علي : المرجع السابق ، ج ٤ ، ص ٣٨

(٣) التدمري : الحياة الثقافية في طرابلس .

الدكتورة امينة بيطار

العلوم في اللغة والفقه والشعر والادب (١).

وقد مدح ابن خياط الدمشقي آل عمار بقصائده نال من أجلها الهبات والجوائز، وعقدت ندوات الشعر ومجالسه في قصور الامراء في المدينة، وغيرها من البيوت والدور، بل وفي الحدائق وعلى ضفاف الانهار. ولكن يبدو أن يد بني عمار لم تكن في سقاء بني مرداس ولذلك فانهم تعرضوا احيانا للهجاء من قبل بعض الشعراء (٢).

وقد قلد بنو عمار بالاهتمام بالعلم اثرياء دولتهم وقضاتها الذين عملوا على وقف مكتبات غنية بالمصنفات عامة والمصنفات الدينية والفكرية خاصة، اشار اليها المؤرخون فقالوا: (وكان بها خزائن كتب موقوفة قد وقفها ذور اليسار من أهلها) (٣). وقد ساعد على كثرة الكتب وانتشار المكتبات اضافة الى نضج الحياة الفكرية، تقدم صناعة الورق في طرابلس وكثرة انتاجها، مما أمن للمكتبات ما تحتاج اليه. وكان لذلك أثره على حركة التأليف والكتابة والترجمة والنسخ. فكثر فيها الوراقون والنساخ والكتّاب والمؤلفون والمجلدون. وقد جاءت هذه النهضة العلمية والفكرية عند آل عمار في سواحل الشام في وقت انفصلت فيه عرى الوحدة السياسية في بلاد الشام، وسيطرت على أهل نزعات انفصالية واتجاهات انعزالية داخل حواضره ومدنه ومراكزه.

وهذه المكتبة الهامة ضاعت واندثرت بما فيها من نفائس اثر احتلال الصليبيين لطرابلس الذين قاموا باحراقها جورا وجهما بأهميتها، ظانين أنهم بعملهم هذا يفقدون العرب المسلمين حضارتهم ومجدهم التليد. وقد ذكروا أنهم حين دخلوا قاعاتها وجدوا فيها

(١) محمد مرسي الشيخ : المرجع السابق، ص ٤٣٧

(٢) سبط بن الجوزي : المصدر السابق، ج ١٠، ص ٢٥

(٣) التدمري المرجع السابق، ج ١، ص ١٩٨

كتبنا دينية ، فظنوا أن كل ما فيها من هذا القبيل .
ولم تثر هذه الهمجية لهؤلاء الفرنجة - الذين يدعون أنهم ممثلين
للحضارة وأصلا لها ، علما بأن هذا الحريق ثابت عليهم بالأدلة
القاطعة - على حين أن قضية حرق مكتبة الاسكندرية التي اتهم بها
العرب زورا وبهتانا ، والتي لم يجد أصحاب الأدلة الدامغة لاثباته ،
استغلها الحاقدون والناقمون وأصحاب الأغراض وأثاروها ممثلين
باسرائيل التي أثارَت الموضوع في هيئة الأمم المتحدة لظهار أن العرب
عنصر هدام ، ليسوا أهلا للحضارة ، ونسوا أن يذكروا حريق مكتبة
طرابلس الذي يعد من أكبر الدلائل على همجية هؤلاء الغزاة .

أما من الناحية السياسية ، فقد حرص بنو عمار على ضمان
استقلالهم أولا ، وعملوا على ملائمة سياستهم ومواءمتها مع القسوى
الأخرى كلما احتاج الأمر إلى ذلك .

فعلى الرغم من أنهم استقلوا بطرابلس والمدن المحيطة بهـ
واقترضوها من أملاك الخلافة الفاطمية ، إلا أنهم حرصوا على عدم
إثارتها وإعلان العداء لها أو معارضة سياستها ، والتزموا خطا
حياديا بينها وبين السلاجقة ، بل أنهم عرضوا عن محمود المرداسي
الذي انحاز إلى الخلافة العباسية والسلاجقة منذ سنة ٤٦٢ هـ / ١٠٧٠ م --
واثبتوا بذلك أن هدفهم الأساسي حفظ استقلال أمارتهم ، والوقوف
بحياد بين المعسكرات المتنازعة .

وقد ظل بنو عمار في حيادهم يرفضون الارتقاء في أحضان القوى
الإسلامية الكبرى ، على الرغم من تعرضهم للخطر الصليبي المتزايد ،
إلى أن غدا دفع الفرنج عن طرابلس أمرا خارجا عن قدرتهم ، فمالوا
حينئذ للاستنجاد بالقوى الإسلامية الكبرى ، فطلب فخر الملك العون من
السلطنة السلجوقية سنة ٥٠١ هـ / ١١٠٨ م ، طالبا النجدة على أن يمول
الجيش بنفسه إشارة إلى استقلاله الذاتي في الإمارة .

كما اهتم بنو عمار بالناحية الاقتصادية اهتماما بالغاً حتى

الدكتورة امينة بيلسار

بلغت طرابلس الذروة في ازدهار الاقتصادي . وقد أطمع هذا الازدهار الاقتصادي الصليبيين بها ، حين وفدوا اليها للمفاوضة في أمـرـ الصلح (١) .

وقد ساهم في ازدهار امارة بني عمار الاقتصادي ملائمة الظروف الطبيعية ، من جريان النهر الكبير وخصب التربة في طرابلس وضواحيها فضلا عن توفير الحماية والامن ورعاية السكان ، فكثرت بساطتها وحدائقها مما جعل انتاجها متنوعا . وقد ادى هذا التنوع الزراعي الى قيام كثير من الصناعات الزراعية والحيوانية ، لاسيما تلك التي تعتمد على الحرير والصوف والورق وقصب السكر والزيتون والكروم . وقد كانت طرابلس تحوي حين هاجمها الصليبيون في مطلع القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي نحو أربعة آلاف من مصانع الحرير والصوف (٢) فضلا عن مصانع الورق التي كانت احدى الصناعات الهامة في ذلك الوقت .

وكانت طرابلس سوقا تجارية هامة ، اقيمت فيها الاسواق المحلية وفرضت المكوس على السفن القادمة من اتجاهات مختلفة ، وكانت مركز حركة تجارية ساهمت في زيادة الرخاء في المدينة ، واستفاد السكان دون شك من ذلك وأثروا . وقد مكنها هذا الشراء من شراء المسوقين بأثمان باهظة من جهات متعددة اثناء الحصار الصليبي ، من جزيرة قبرص وجزائر البنادقة ، بل ومن انطاكية الصليبية ذاتها (٣) .

وهذا يمكن القول أن بني عمار كان لهم دور مشرف في الدفاع عن امارتهم امام الصليبيين ، كما انهم نهضوا بهمة واقتدار لجعل امارتهم من أكثر الامارات تقدما في كافة مناحي الحضارة سواء في الناحية العلمية أو العمرانية أو الاقتصادية .

(١) انظر فيما سبق ، وانظر ابن الفرات : المصدر السابق ، تاريخه ، ج ٨ ص ٧٧ - حتي : لبنان في التاريخ ، ص ٣٥٣

(٢) محمد بهجت ورفيق التميمي : ولاية بيروت ، ج ٢ ص ٢١٤

(٣) عاشور : الحركة الصليبية ، ج ١ ، ص ٣٦٣

أولترا

أعظم أسرار الحرب العالمية الثانية

ترجمة وتقديم الأستاذ محمود عمر السباعي

لم يكن أحد من المؤرخين ، يعطي دورا رئيسا لـ أعمال الجاسوسية في تقرير مصير الحروب ، فاحراز النصر النهائي على العدو ، كانت تقريره القوات المسلحة في ساحات المعارك الطاحنة ، أما انجاسوسية المخابرات أو المخابرات كما أصبحت تدعى الآن ، فلم يكن لها الا دور ثانوي هو تقديم المعلومات الى القيادات العليا ، لتستفيد في اعطاء الممارك وتوجيهها ، الا أن المعلومات التي بدأت تنشر منذ عشر سنوات عن اسرار الحرب العالمية الثانية وأثر انظمة المخابرات في تقرير النتيجة النهائية للحرب ، اخذت تغير نظرة المؤرخين الى المخابرات وتحملهم على اعطائها دورا اكثر أهمية مما كانوا يولونها اياه ومن أهم الكتب التي صدرت حتى الان كتاب (Body guard of lies) - (معقل الاكاذيب) لمؤلفه Anthony cave brown انتوني كيف براون الذي صدر عام ١٩٧٥) وصدر بلالفرنسية بعنوان La guerre secrète سنة (١٩٨١) عن دار بجماليون Pygmalion في باريس . وفي هذا المقال نقدم الفصل الاول منه المعنون بـ : (اولترا) منقولا عن الترجمة الفرنسية بتصرف .

بعد نهاية الحرب العالمية الاولى (١٩١٤ - ١٩١٨) خرجت انكلترا منتصرة مع حلفائها على المانية وحليفاتها ، ولم يكن أحد ممن المسؤولين البريطانيين يهتم بما يحدث في المانية حتى وصول هتلر الى الحكم في مطلع الثلاثينيات وعمل على تمزيق معاهدة فرساي فأعاد تشكيل الجيش الالمانى وفرض التجنيد الاجباري ورفع من عدد وعسدة القوات المسلحة . وعندئذ بدأت المخابرات البريطانية بالاهتمام بتلك

اولترا أعظم أسرار الحرب العالمية الثانية

المظاهر ذات الدلالة الخطرة .

كان القسم المسؤول عن تلقي الاخبار وجمعها في المخابسات البريطانية هو : مصلحة الاستعلامات السرية ويرمز اليها بالرمز: Mi - 6 "م.ي - ٦" .

كان رئيس هذه المصلحة في العام ١٩٣٨ الاميرال السير هيوغ سانكليير واخذ يشعر نتيجة لتطور الاحداث في المانيا ، بالحاجة الملحة للحصول على معلومات نابغة من قلب المانيا ، تعطيه القيمة الحقيقية للقوات المسلحة الالمانية وتكشف نيات القادة الالمان ، ولاسيما هتلر ، وكانت الوسيلة الوحيدة في نظره التي تحتاج اليها انكلترة ، هي آلة تستطيع فك رموز الرسائل والتعليمات السلكية واللاسلكية التي تصدر عن القيادة الالمانية مباشرة .

كان هتلر يعلم بأهمية السرية التامة في العمل ، ولذلك بدأت الحكومة الالمانية منذ العام ١٩٣٤ بوضع نظام جديد للشفرة الالمانية وهذا ماكانت مصلحة الاستعلامات السرية البريطانية / Mi - 6 / تبحث عنه على نطاق واسع ، وكان على مانزيس أن يستمر في جهوده أربع سنوات ليصل الى غايته من البحث والتحري ، هذا التحري المستمر بدأ في اللحظة التي علم بها الميجر فرنسيس فولي F.Foley عميل Mi - 6 في برلين والمعروف في دائرته بالرقم (١٢٠٠) بأن الجيش الالمانسي يجري التجارب على آلة للشفرة تدعى / ENIGMA / .

وعندما نقل هذه المعلومات الى رئيس دائرته كلف هذا معاونيه (منزيس) بالامر وأوعز لرجاله بالتحقق من الخبر ، اكتشف رجال منزيس أن (ENIGMA) من اختراع احد الهولنديين المدعو (هوغو كوخ دوديلفت H.K.de delft) الذي كان قد حصل على براءة اختراع آلة كاتبة سرية منذ تشرين الاول ١٩١٩ في لاهاي وقد شكل الرجل شركة لتطوير واستثمار اختراعه ، وعندما عجز عن ذلك

ترجمة وتقديم الأستاذ محمود عمر السباعي

تنازل عن براءة اختراعه لاحد الالمان المدعو : آرثر شرببيوس - وهو مهندس - مخترع كان يقيم في برلين ، وقد نجح في صنع آلة استنادا الى مخططات /كوخ/ دعاها : انيغما - ENIGMA ، وكانت في الاصل مخصصة لحفظ اسرار التجار واصحاب الاعمال وليست للاغراض العسكرية وفشل شرببيوس في تسويقها فباع امتيازها الى شركة أخرى . في هذه الاثناء ، وصل هتلر الى الحكم وبدأ باعادة تسليح الجيش الالمانى وتنظيمه ، وبذل الجنرالات كل جهودهم ليحصلوا على مخبر أو مصنع قادر على صنع آلة جديدة للشفرة قادرة على حمايتهم اسرارهم .

كان أول من اهتم بـ ENIGMA الكولونيل : اريك فليجيبيل الذي أصبح فيما بعد رئيس سلاح الإشارة للجيش الالمانى وعضو القيادة العليا الالمانية . واصبح انشط العناصر في جهاز مكافحة الجاسوسية الالمانى ، ومنذ أن بدأ / فليجيبيل / باجراء التجارب والاختبارات على ENIGMA اختفت هذه الالة من الاسواق نهائيا ، وكانت تلك الالة ثقيلة الى حد ما ، ومتينة ، وقابلة للحمل / Portative / وسهلة التشغيل ، قادرة على تقديم الرموز بغزارة ، وعلاوة على ذلك جعلوها لايمكن فك رموزها وبالتالي عديمة الجدوى ، اذا وقعت فسي يد عدو لايعرف مفاتيح شيفراتها ، وبهذه الصفات كانت تستجيب ، بكل دقة ، لحاجات الجيش الالمانى .

كانت مصلحة الاستعلامات السرية البريطانية MI - 6 / ملمة بمميزات / انيگما ENIGMA / ولكنها لاتعرف اكثر من ذلك .

في حزيران ١٩٣٨ تلقى / مانزيس / رسالة كانت أهم رسالة في تاريخ الجاسوسية خلال الحرب العالمية الثانية ، وكانت صادرة عن عميله في / براغ / المدعو جيسون يقول فيها : (انه وجد في فارسوفية ، عاصمة بولونية ، يهوديا عرض عليه أن يبيعه كـ مايعلمه عن / ENIGMA / وهذا اليهودي البولوني كان اسمه المستعار

اولترا أعظم اسرار الحرب العالمية الثانية

(ريتشارد لوينسكي) وكان يعمل كخبير في الرياضيات ومهندس في المعمل الذي صنعت فيه (انيكما) في برلين ثم طرد من المانية بسبب ديانتته ، وقد طلب الرجل ثمنا لمعلوماته (١٠٠٠٠ ليرة) وجواز سفر بريطاني والسماح له ولزوجته بالاقامة في فرانسة لعدم وجود أقارب أو معارف له في انكلترة ، وادعى لوينسكي أن لديه معلومات كافية لصنع نموذج عن ENIGMA ورسم للاقسام الدقيقة والداخلية فيها .

عندما وصلت الرسالة الى (مانزيس) عرضها على خبراءه فأقروا بصحتها ، فقرر ارسال رجلين من رجاله الفنيين الى وارسو ليقابلوا لوينسكي شخصيا . وكانت تعليماته لهما أن يذهبا الى وارسو وان يقابلا لوينسكي ويسبرا معلوماته ، فاذا وجداها صادقة ، فعليهما أن يرتبا مع جبسون نقل البولوني وامراته الى باريس وأن يعهدا بهما الى المقدم (ويلفريد دوتديرهال) العميل المحلي لـ (Mi - 6) في باريس والمعروف لديها بالرقم (٢٤٠٠) . وعلى لوينسكي ، عندئذ أن يركب الآلة تحت مراقبتهم . وبعد ثمانية واربعين ساعة كسان الرجلان في وارسو عاصمة بولونية ، فمن هما هذان الرجلان ومكانياتهما ؟؟؟ .

الاول يدعى (الفريد نوكس) وهو الاكبر سنا ، كان ابن اسقف (مانشستر) ودخل ، مثل ابناء طبقتة مدرسة ايتون / ETON / على نفقة الملك . ثم دخل كلية الملك في / كامبردج / حيث تجلت مواهبه وعبقريته في الرياضيات مما سمح له أن يصبح بسرعة فاشقة استاذا محاضرا في الكلية . وعلاوة على القابه الجامعية ، كانت الصفة المهمة فيه : انه خير اختصاصي انكليزي في حل الشيفرات والرموز السرية .

أما الثاني فيدعى ألان تورنج / A - Turing / وكان أيضا لامعا جدا في الرياضيات فاستقبلته كلية الملك - ثم جامعة برنستون

في الولايات المتحدة ، حيث كان تلميذا لانيشتاين ، وكان يراسل
اصدقاءه باشرطة مثقبة كالشيفرة ، بحيث لم يكن احد يتمكن من حل
رموزها أو يعلم مصدرها ، وعند عودته الى انكلترا اصبح معاون
لـ نوks Knox ، في شعبة / فك الرموز / التابعة لوزارة الخارجية
وكان المع الرياضيين في جيله .

عندما وصل هذان العالمان الى وارسو انصرفا الى اتمام اكثر المهمات
سرية واعظمها اهمية خلال الحرب العالمية الثانية وهي تهريب
- ENIGMA الى انكلترا .

وفي العاصمة البولونية اجتمعا بـ لوينسكي ودار بينهم حديث طويل
ابتدأوه في متحف (كوري) وتابعوه في منزل لوينسكي الواقع في
السحي اليهودي / الغيتو GHETTO .

لا يمكن الاستغناء عن نظام الشيفرة في كل دولة حديثة ، ولكن هذا
النظام يجب أن يبقى في سرية مطلقة ، وعلى ذلك فلم تكن الشيفرة في
ذلك الوقت ، لا يستطيع رياضي متوفق أن يحلها بملاحظة نظامها الذي
تعمل بموجبه .

اجتازت ENIGMA هذه العقبة بفضل مجموعة من المفاتيح المتعددة
التي تجعلها تغير شيفرتها عند كل رسالة ترسلها ، مما يجعل
رموزها تستعصي على الحل بدون معرفة مفاتيحها . ومنذ أن أدرك
نوks KNOX - وتورينج Turing أهمية الالة المعروضة ، عملا
فورا على نقل لوينسكي وامراته وكل مايتعلق بالالة الى باريس
مانحين اياه وامراته جواز سفر بريطاني ، ومارين بالسويد
ليتجنبوا المانية ، ومن السويد الى باريس حيث عهدا به الى المقدم
دوندرال ، وقد حصل المقدم للرجل وامراته على اذن بالاقامة ،
بفضل صلاته مع المخابرات الفرنسية ، مما جعل لوينسكي وامراته
بمنأى عن كل تطفل .

اولترا أعظم أسرار الحرب العالمية الثانية

كان لوينسكي يعمل في شقة على الضفة اليسرى من السين ،والالة التي صنعها اثبتت انها تقليد رائع للاصل ،فقاعدتها يبلغ طولها (٦١) سم ،وارتفاعها (٤٦) سم ووضعت في علبة خشبية وربطت بآلتي كتابه كهربائيتين ولكي تحول رسالة مقروءة الى شيفرة يكفى للعامل عليها أن يطلع على دليل المفاتيح فيختار المفتاح المناسب لسساعة الارسال في اليوم ،واليوم من الشهر والشهر من ربع السنة ،فيصل المفاتيح المطلوبة حسب النظام المذكور ويطبع الرسالة المقروءة على آلة الكتابة الواقعة على يساره وعندئذ تعمل مجموعة اهتزازات كهربائية لايصالها بوساطة نظام معقد من الاسلاك الى كل الاجزاء المتحركة داخل الالة ،وعندئذ تصبح الرسالة شيفرة ثم تنتقل الى الالة الكاتبة اليمنى التي تبثها بالرموز ،وعندما يصل نص بالشيفرة يقوم الرجل المختص باختيار المفاتيح المطابقة للنظام المذكور سابقا من حيث تحديد الساعة واليوم والشهر وربع السنة وعندما يطبع محتوى الشيفرة على الالة اليسرى يظهر النص المقروء على الالة الكاتبة اليمنى باللغة الانكليزية ،واكتشف (نوكس وتورنيج) ان باستطاعة هذه الالة تقديم عدد لا حصر له تقريبا من الحروف الرمزية وذلك بتعديل نظام المفاتيح فيها .

لقد وثق هتلر بهذه الالة (ENIGMA) وعمم استعمالها على كل القيادات العليا في الجيش والاسطول والطيران ،كما أنه سمح ببيع بعضها الى اليابان ورومانية وبلغارية ،ولكن أهم من ذلك كله ان الاميرال (ويلهلم كاناريس) رئيس دائرة الاستعلامات ومكافحة التجسس في القيادة العليا العامة الالمانية ،كان يستعملها فني اتصالاته الهامة ،وبصورة خاصة بين برلين ومريد ،وبذلك أصبح كاناريس العدو رقم (١) في حالة الحرب بين انكلترا وبين المانية .

ويمكن أن نتوقع أن الالمان كانوا يحمون مخططهم بكل عناية فائقة وعلى ذلك فان الطريقة الوحيدة للوصول الى اسرار ENIGMA

هي تصور آلة أخرى قادرة على تقليد وشرح كل الشيفرات التي يرسلها كل نموذج من آلاف النماذج الموجودة لدى الجيش الألماني من (الانيكما) - ENIGMA . وان تكون هذه الآلة قادرة أيضا على حساب التغيرات المستمرة على أنظمة المفاتيح ويمكنها أيضا ان تقوم بعدد لا يحصى من العمليات الرياضية وبسرعات تتجاوز كثيرا من القدرات البشرية ، ومثل هذه الآلة لم تكن موجودة الا نظريا وهي النظرية التي تصورها تورينج Turing لصنع الآلة العالمية ، ولكن هل يستطيع تورينج والخبراء في حل الرموز ، صنعها فعلا ؟؟ .

أوليس ذلك يفوق القدرات التكنولوجية المتوافرة في ذلك الوقت ؟؟ . ومع ذلك استطاع الخبراء الانكليز ، بسرية تامة أن يصنعوا تلك الآلة وكانت قطعة من الاثاث يبلغ ارتفاعها (٢٠ر٢م) وعرضها مثل ذلك عند قاعدتها . وفي داخلها انجاز تكتيكي يعجز عنه الوصف وليس هناك آلة شبيهة لها . فقد كانت فريدة من نوعها وصنعت لهدف معين : هو أن تكون جوابا عن - ENIGMA - ، ويكمن سرها في الدارات الكهربائية لقسمها الداخلي التي كان عليها أن تتجاوب مع دارات الانيكما . واطلق عليها اسم (القنبلة) .

ووضعت الآلة في الكوخ رقم (٣) تحت اشجار حديقة (بلتشلي) حيث كان كل ماتبثه (الانيكما) الألمانية ، يتلقى بوساطة مجموعة من اجهزة الاستقبال المقوية منتشرة على الارض فتتلقفه (القنبلة) ، واذا نجحت (القنبلة) في ايجاد المفاتيح التي استخدمت في ارسال الشيفرات فان الفنيين في (بلتشلي) سيتمكنون من حل رموزها .

استثمرت التجارب على (القنبلة) وكانت النتائج في البداية غير كافية ، فالآلة تصدر ضجيجا غريبا كالضجة التي تصدر عن عدة انوال ميكانيكية تعمل في وقت واحد . وبفضل الاصلاحات المتعددة ، زال الضجيج . واصبحت الآلة عملية في الوقت نفسه الذي كان الالمــان يهاجمون (بولونية) ، وكانت توجي بانها ستقدم اثنان - مواد

اولترا أعظم أسرار الحرب العالمية الثانية

التجسس - خلال الحرب كلها .

أول عمل للقنبلة كان في أحد ايام نيسان ١٩٤٠ عندما كسـان هتلر بعد العدة لغزو هولندة ، وبلجيكة ، وفرنسة ، اذ تلقت برقيات صادرة عن قيادة الطيران الالمانى ففكت رموزها وطبعتها باللغة الانكليزية . لقد حصلت المعجزة واستبدل باسم القنبلة الاسـم الجديد (اولترا - ULTRA) تخليدا للاسم الذي كان يطلقه الاميرال نلسون على شيفرته - اثناء معركة الطرف الاغر - ١٨٠٥ وبدأ آن هذه الالة ستكون سلاحا أثمن من عشرات الجيوش المسلحة ، ومنذ ذلك الوقت وبفضل دائرة الاستعلامات البريطانية (Mi-6) وصبر نوكس وتورينج كانت الحكومة الانكليزية تتلقى يوميا أكثر المعلومات سرية والتي كانت تتبادلها المراكز الحساسة في آلة الحرب الالمانية .

أول خدمة قدمتها (اولترا) للحلفاء كانت انذارهم بالهجوم الالمانى ، منذ نيسان ١٩٤٠ على اوروبا الغربية . الا أن سوء فهم للمعلومات والشك بها وتضارب الاراء حولها ، جعل رئاسات الاركان لاتحسن التصرف مما عجل بنصر الالمان وجلب للحلفاء كارثة حزيران - ١٩٤٠ - ، اذ اجتاحت اوروبا الغربية والقت فرانسة السلاح ووجدت انكلترا نفسها وحيدة امام قوات هتلر المتمركزة على سواحل بحر المانش واصبح مصير المملكة المتحدة متعلقا بما بقي لها من اسلحة وهي : الاسطول ، وسلاح الطيران ، وجهاز اولترا .

كانت مصلحة الاستعلامات البريطانية تحسب لهذه الحالة حسابها - ولذلك ، عمدت منذ وقوع الهجوم الالمانى ، الى نقل (لوينسبـسكى وزوجته) وكل مايتعلق بآلته الى انكلترا ، حيث وضعت تحت حماية المخابرات البريطانية ، ثم اختفى الرجل من الوجود ولم يعلم كـيف كان مصيره .

بعد استسلام فرانسة عرض هتلر على انكلترا اجراء محادثات

للملح فلم يرد تشرشل على عرض الالمان ولم يعد مواطنيه (الا بالدم والعرق والدموع) وتنبأ لبلده بقتال دون رحمة ضد اعظم خطر تعرضت له انكلترا منذ الحروب النابوليونية في مطلع القرن التاسع عشر، وعندئذ اصدر هتلر أوامره الاولى لتنفيذ عملية (اسد البحر) أي : غزو انكلترا في عقر دارها .

وفي الوقت نفسه القى المارشال (غورنغ) بسلاح الطيران الالمانسي ضد سلاح الطيران الانكليزي ، ومنذ الغارات الالمانية الاولى ، ظهرت قيمة جهاز اولترا بالتعاون مع اجهزة الرادار الذي كانت انكلترا تحتكره في ذلك الحين .

كان تشرشل وهيئة اركان الطيران الملكي ، يندران ، في اغلب الاحيان ، بطلعات واهداف سلاح الجو الالمانى ، فتمكنوا بذلك مسبب تركيز اسرابهم الجوية على أخطر الغارات الالمانية ، بدلا من انهك احتياطي الطيران الملكي في عمليات المراقبة ، وتوزيعه على انحاء البلاد المتفرقة ، وهذا مامكنهم من التوفير في الرجال والطائرات وسمح للدفاع الانكليزي أن يقاوم مدة أطول بكثير مما توقعها (هتلر وغورنغ) .

الخدمة التي قدمتها (اولترا) بانذاراتها المبكرة ومعلوماتها الدقيقة جعلت الستراتيجيين يتساءلون هل يفامر هتلر بعملية انزال بحري في انكلترا قبل القضاء على سلاح الجو البريطاني وتأمين السيادة الجوية ؟ وهل يقوم بهذه المعامرة بسرعة ، معتمدا على حظه كما حصل في غرب اوروبة وبالهجوم على فرانسة ؟؟ .

منذ منتصف صيف ١٩٤٠ كان تشرشل يخشى مثل هذا الهجوم ولذلك كان عليه أن يركز كل قوى الامبراطورية للدفاع عن انكلترا ولذلك خفف الى الحد الادنى نشاط القوات البريطانية في ماوراء البحار للدفاع عن مستعمراتها هناك ، وجاءت اولترا بالنجدة وفكت رموز

اولترا أعظم أسرار الحرب العالمية الثانية

الشفيرات الالمانية وأوضحت بجلاء أن أية محاولة للانزال لن تتم طالما بقيت مقاومة سلاح الجو الملكي .

استمرت المعارك الجوية حتى أول آيلول ١٩٤٠ اذ نقلت اولترا الخبر القاطع : أن غورنغ سيأمر سلاح الجو الالمانى بشن هجوم على انكلترا في (١٥) آيلول ،فان اخفق هذا الهجوم الجوي على انكلترا فان مشروع غزوها سيلغى نهائيا .

في اليوم المحدد كان تشرتشل في غرفة عمليات سلاح الطيران الملكي وإمام خرائط العمليات كان ينظر الى الضباط وهم ينقلون اسرار الطائرات كما تنقل احجار الشطرنج على رقعته .

وعلى بعد بضع عشرات من الكيلو مترات كان المارشال غورنغ فسي لباسه الرسمي ،يتطلع من (وكر النسر) الى التشكيلات الالمانية التي تحمل شعار الصليب المعكوف وهي تغطي سماء بحر المانش .

وفي السابع عشر من آيلول فكت اولترا رموز تعليمات المانيسة افعمت قلوب رجال هيئة الاركان العامة لسلاح الطيران الملكي بالسورور وادخلت الى نفوسهم الشعور بالراحة وازالت عن كواهلهم الحمل الثقيل الذي كانت تنوء به ،لقد كانت التعليمات صادرة عن هتلر وهي تقضي بازالة كل المنشآت الارضية التي كانت ستستخدم في نقل القسوات المحمولة جوا من هولندة وبلجيكة وفرانسة في حالة غزو انكلترا وفشل مشروع (اسد البحر) .

ان فشل غزو انكلترا سمح لتشرتشل بارسال القوات البريطانية من دبابات ومدافع وسفن للدفاع عن قناة السويس أو لمساعدة الجنرال ديغول في حمل القوات الفرنسية في (داكار) على الانضمام الى حكومة فرنسة الحرة التي كان يرأسها ،بينما كانت انظار العالم مثبتة على ذراع البحر الذي يفصل انكلترا عن القارة الاوروبية ،وانصرف تشرتشل لتوجيه اهتمامه على جبهات أخرى .

ترجمة وتقديم الاستاذ محمود عمر السباعي

لقد ظهرت الاهمية الاستراتيجية لـ (اولترا) بشكل رائع ، واصبحت وزارة الحرب منذ فشل مشروع الغزو الالمانى ، أكثر استعدادا لبذل كل التضحيات ، مهما بلغت في سبيل المحافظة على استمرار اولترا وعلى سريتها التامة اذ أصبح وجود تلك الالة شرطا أساسيا لربح الحرب ، لذلك يجب المحافظة على سريتها مهما بلغت التكاليف والتضحيات فعندما يشعر الالمان بأن آلتهم (ENIGMA) انكشفت رموزها ، فسيغيرون انظمة شيفراتهم وقد تمر سنوات طويلة قبل أن تتساح لانكلترا فرصة كالتى أتاحتها لها لوينسكي . وفي سبيل ذلك كله تعرضت اعصاب ووحدات المسؤولين البريطانيين ، لاسيما الكبار منهم الى اختبار رهيب في الحادثة التالية :

* تدمير كوفنتري Coventry :

في الثاني عشر من تشرين الثاني ١٩٤٠ اعلنت اولترا المسؤولين بأن الطيران الالمانى مصمم على انزال ضربة كبرى تهدف الى تشييط عزيمة الشعب البريطانى واضعاف مقاومته من جهة ، ومن جهة أخرى تهدف الى محو اثار فشل الهجوم الجوى الصيفى السابق ، وكان يدور في ادمغة استراتيجيين الالمان مشروع رهيب أطلقوا عليه اسما شاعريا هو : (سوناتا^(١) في ضوء القمر) وتهدف هذه العملية الى قصف مدينة كوفنتري ليلا . وهي مدينة صناعية كبرى في قلب انكلترا تضم كل أنواع الصناعات الكهربائية والميكانيكية اللازمة للمجهود الحربى البريطانى ويبلغ عدد سكانها (٢٥٠) الف نسمة وفيها اثار تاريخية عزيزة على قلوب الانكليز مثل كنيسة (كوفنتري) نفسها وكنسان مصيرها كمصير ميناء (روتterdam) الهولندي الذي دمرته سبع وخمسون طائرة من طراز (هنكل) وجعلته قاعا صفصفا ، وبينت (اولترا) أن عدد الطائرات التى ستهاجم كوفنتري يبلغ (٥٠٩) طائرات قاذفة من

(١) معزوفة موسيقية تعزفها آلة واحدة كالكممان والبيانو والاشنتين معا .

اولترا أعظم أسرار الحرب العالمية الثانية

طراز هنكل .

فماذا يفعل (تشرتشل) هل يتخذ الاجراءات الكفيلة بافشال الهجوم ويدافع عن المدينة وينقذها ؟ وعندئذ يشعر الالمان بأن شيفرتهم قد حلت فيعمدون الى تغييرها ،وتفقد انكلترا سلاحها الاساسي فـفي الحرب ضد المانية ،وعرض عليه أن تهاجم المطارات الالمانية في فرنسا وهولندا وبلجيكة أو يتمدى الطيران الملكي للطائرات الالمانية المقيمة المفيرة ،كما عرض عليه ترحيل السكان من النساء والاطفال والعجسز ،وتفريغ المستشفيات من المرضى ولكنه رفض ذلك كله لانه سيهتك سر اولترا ولذلك ترك المدينة لمصيرها دون أن ينذر حتى المسؤولين فيها ليظهر الهجوم وكان الانكليز قد فوجئوا به تماما .

فما المصير الذي أعده الالمان لتلك المدينة الشهيدة كما عدها الانكليز فيما بعد ؟؟؟ .

في ليلة (١٤-١٥) تشرين الثاني ١٩٤٠ كان القمر ساطعا ،وقليل من دخان المعامل يتصاعد الى الجو ،وكانت مدينة (كوفن تري)تستريح مستحمة في ضوء القمر الفضي وفي الساعة (١٩و٥) دقائق بدأت صفارات الانذار تدوي ،وبعد خمس دقائق حلقت طائرات (هنكل) فوق المدينة وعندئذ فقط علمت سلطات المدينة (الشرطة والاطفاء ،والدفاع المدني) بأن مدينتهم تهاجم . وبدأت السماء تمطر المدينة بقنابل حارقة ثم بقنابل متفجرة كانت أصواتها تصم الاذان وبدأت الحرائق مسمع الانفجارات تعمل حرقا وتدميرا في انحاء المدينة . وكانت المقاتلات الليلية عاجزة عن تشتيت امواج القاذفات الالمانية ،ولم تكن نيران المدفعية المضادة للطائرات كافية نظرا لتحليق القاذفات الالمانية على ارتفاعات عالية واحياء كاملة سويت منازلها بالارض تماما .

استمرت الغارة عشر ساعات كاملة خربت فيها المعامل والمشافي والكنائس ،وبلغ عدد المنازل المهدمة (٥٠٧٤٩) منزلا وانقطعت الكهرباء وخربت خزانات الماء وانفجرت أنابيب الماء والغاز مما جعل مهمة

ترجمة وتقديم الاستاذ محمود عمر السباعي

الدفاع المدني عسيرة جدا فكيف تطفأ الحرائق دون ماء ؟ . وكان من شدة القصف المتناوب بين القنابل الحارقة والقنابل المتفجرة أن بعض الأماكن بقيت أسبوعا بعد الغارة مشتعلة حتى تم إخماد النار فيها وان خراب (٥٠٠) مركز تجاري عرقل لعدة أيام توزيع المواد الغذائية .

وقد أدت عملية معزوفة في ضوء القمر مهمتها بصورة كاملة ووفق المخطط الذي نقلته (اولترا) وأصبح هتلر بإمكانه أن يفخر بثأره لهزييمته في الصيف الماضي .

وقد وصف أحد الصحفيين الألمان ، الذي كان في إحدى قاذفات القنابل ، الغارة على (كوفنتري) ب : (أنها أعظم هجوم في تاريخ الحرب الجوية ، حتى يمكن القول بأن الأرض تشققت وبدأت ترسل طوفانا من (المهل LAVE) الجهنمي ، وعند العودة كان بوسعنا أن نرى ، على البعد وراءنا ، أعمدة الدخان واللهب الساطع ترتفع بمقدار كيلو متر واحد فوق المدينة) .

كانت خسائر الألمان طائفة قاذفة اسقطتها وسائل الدفاع الجوي أما سلاح الجو الملكي فقد قام بـ(١٦٥) طلعة واذيع ، فيما بعد ، بأنه لم ير إلا سبع طائرات عدوة هوجمت اثنتان منها دون نجاح ، كما أذاع راديو لندن ، وقد وصف مراسل (نيويورك تايمز / في لندن) ، الذي زار كوفنتري بعد الغارة منظر المدينة بهذه الكلمات : (تشبه كوفنتري الآن مدينة خربت بها الزلازل) ، أما صحيفة (التايمز) فقد أطلقت عليها اسم (المدينة اسهيدة) وفعلا استشهدت المدينة فسي سبيل المحافظة على بقاء اولترا وسريتها ، ولقي الموت من سكانها (٥٥٤) نسمة و(٨٦٥) نسمة كانت جراحهم خطيرة جدا وبضعة آلاف آخرين يعانون من الجروح والحروق . أما المدينة فقد أصبحت ركاما وكان ذلك هو الثمن الذي دفع من أجل الأبقاء على (اولترا) .

أبولودور الرسقي أعظم معماري السارنخ

الدكتور عدنان البني

ولد أبولودور في دمشق حوالي العام ٦٠م ومات منفيا حوالي العام ١٢٥م في قمة نضوج عبقريته وكمال شخصيته . ورغم عدم انتمائه للطبقة الارستقراطية فقد فرض على المجتمع الروماني الاحترام لنفسه والتقدير لمواهبه وعاش في أعلى مستوى الحكم ، وفي عهد الامبراطور الروماني تراحان (٩٨-١١٧م) بلغ منصبا معادلا لمنصب وزير الاشغال العامة في لغة اليوم .

كان حورا في عمله ، يتصدى لاصعب المعضلات التقنية والفنية كما كان جسورا في حياته ، ومن تماشاه النصف الموجود حاليا في متحف ميونخ ينتزع أنه كان متين البنية قوي الشكيمة متوازن الشخصية نبيل القسمات ، حميل الرحولة ، وفيه مهابة ، ووجهه سمات شرقية لاشك فيها .

وعلى الرغم من بعض المعلومات المتناثرة هنا وهناك عن حياته العملية أو الرسمية فاننا نجهل الكثير عن حياته الشخصية . وفي هذا المجال يقول "مورتمرهويلر" : (ان أبولودور الدمشقي الذي يكمن اسمه خلف اعظم المنجزات المعمارية في عهد الامبراطور - تراحان - يقابل لعزا من الالغاز) ، وفي رأي " بيانكي باندينيلي " : (ان اكتشاف الدفعات الثقافية حيوية كانت تأتي غالبا من مقاطعات الشرق سواء في الفكر أم الفن ، ومنها يأتي أنشط رجال السياسة والموظفين والقادة العسكريين . وهذا التداخل بين روما والولايات برز بشكل خاص في السلالة الانطونية / سلالة ترفا وترجان وهادريان . الخ . / لدرجة يستحيل معها النظر للفن الروماني بعد ذلك العصر ، من زاوية النظر لروما وحدها) .

ويذكر تاريخ كمبردج أن بعض العلماء يعتقدون (بأن سورية في مجال العمارة كانت متقدمة على روما بل كانت بالنسبة لها نموذجا يحتذى .. وأن سورية تفوقت على روما في عبقريتها المبدعة وفي معارفها التقنية وفي مهارة عمالها ، ويفترض أن ابو لودور الدمشقي قد اقتبس مخططات المباني في سفح الكورينال عن موطنه الاصلي) .

وهنا نذكر قول الشاعر اللاتيني الهجاء الشهير جوفينال الذي يقول :
ان العاصي السوري يصب مياهه منذ وقت طويل في نهر التيبر حاملا معه لغته وعاداته . وبذلك يؤكد على طريقته حضور السوريين ونفوذهم في روما . " حاتم ، الذكريات ص ٨٣ " .

كان أبو لودور وتراجان (الامبراطور) صديقين حميمين ، وقد تعود صداقتهما لايام خدمة تراجان كمحام عسكري في سورية عندما كان أبوه واليا عليها . ويعتبر الرومان تراجان أفضل الحكام ، كما يسمون عهده الزمن السعيد ، قضى أكثر سنوات حكمه في جبهات القتال ومع ذلك كان يجد الوقت ليحكم بفعالية ويتمتع بشعبية ويجمع لروما ويحقق اصلاحات اجتماعية لصالح الطبقات الافقر . ثم يموت دون أن يخلف ولدا أو يكون له رسميا ولي عهد . ولكن زوجته بلوتينا قالت أنه أوصى لابن عمه هدرين الذي كان قد تبناه .

وفي عهد الامبراطور تراجان انتهت في الفن الصور المحورة المؤلهة للامبراطور وأصبحت تعطي رسميا صورته الحقيقية . وبدأ في ذلك العهد - في رأي باندنيلي - تعبير عن عالم فني جديد يختلف بنيويا عن العالم الهلنستي . وظهرت منحوتات بمفاهيم جديدة تمثل لأول مرة الطبقات الشعبية في العديد من المشاهد بمناسبة المساعدة الاجتماعية وتثبيت الارض .. وراء ذلك كله شخصية فنية مبدعة ويرى - باندنيلي - ان هذه الشخصية هو أبو لودور .

وفيما يلي نعطي سردا مجملا للمعروف مما حققه في روما وفي مسكن ومناطق أخرى من العالم الروماني ، أما اعماله في موطنه الاصلي قبل أو خلال منصبه الجديد في روما فلا يعرف أحدها شيئا ولعل

المستقبل وجود بشيء يضيء لنا السبيل في هذا المجال .
بعض أعماله متعاصر وبعضها متداخل وبعضها متكامل مع بعض شمس
أن نقاد الفن من قدامى ومحدثين لم يعاملوهما بتنسيق بل أوردوها
حسب سياق البحث وهي ، كما تحقق في الدراسات الحديثة ، خمسة عشر على
الأقل .

السوق على سفح رابية الكوديرنيال - الفوروم التراجاني - دار العدل
الأولبية - المكتبان عمود تراجان - الجسر العملاق على الدانوب - قوس
النصر في بنيفانت - قوس النصر في انكونا - حمامات وجمنزيوم -
توسيع مرفأ اوستيا - تجفيف المستنقعات البوننتية - اصلاح قناة من
النيل للبحر - مؤلف في آلات الحصار .

١- السوق :

عندما عهد لابو لودور بنشاء الفوروم (الميدان) التراجانسي
في حوالي (١٠٨ - ١٠٩ م) وجد نفسه أمام معضلة وجود مرتفع رابية
الكوبرنيال في الجهة الشرقية من الارض المتاحة له . وهذا المرتفع
يعيق حركته ويشوه المنظور العام من جهة ويحدث الانهيئات من جهة
ثانية ، خرج أبو لودور بحل يحقق الغايتين الجمالية والعملية في
وقت واحد فاقطع طرف الرابية وأنشأ مكانه سوقا مجمعة ومغطاة على
الاسلوب الشرقي وعلى شكل قوس كبيرة تتدرج على السفح ، تضم هذه
السوق فيما نعرف حتى الآن ، حوالي مائة وخمسين دكانا في الطابق
الارضى ، احد عشر دكانا في القوس الكبيرة ، ويصعد منها بدرجيين
الى الطابق الثاني وفيه عشرون دكانا أمامها ممر مزود بنوافذ
مؤطرة جميلة تطل على الفوروم . وفي الطابق الثالث دكاكين أخرى
تنفتح على طريق خلفية على سوية سطح الرابية ، تسمى (فيابيراتيكا)
وتعني طريق التوابل (أي البزورية) . فاذا عبرنا الطريق الى الجهة
الشمالية نجد مدخلا واسعا يؤدي كما ذكرنا الى ردهة رحبة معقودة
بعقد متصلب طولها حوالي ثلاثين مترا (لعلها مقر حاكم السوق
أو مكانا للمضاربات التجارية والمزايدات) وعلى جانبي الردهة
صفان من الدكاكين ، وتتتابع بعد ذلك الدكاكين على طابقين آخرين

أبو لودور الدمشقي أعظم معمار في التاريخ

بحيث يبلغ المجموع ستة طوابق .

ومن الدراسات والمجاذلات حول وظيفة هذا السوق اتضح أنها كانت متعددة النشاط تباع فيها التوابل والحبوب والخمور والزيوت والسمك ويظن البعض أن قسما من الدكاكين حول الردهة العليا كان يديره موظفون حكوميون يتعاملون في تجارة الجملة ويبيعون المواد الغذائية العامة بأسعار مخفضة .

إن سوق أبو لودور الشرقية حققت مركزا تجاريا واجتماعيا ضخما في أقل من أشغال للأرض وظلت حلا يستهوي المصممين في كل العصور من حيث الجمال والبساطة الأخاذة مع الفائدة القصوى ومنعت انهيار أطراف ربوة الكورينال فضلا عن أنها حققت خلفية بديعة للمجتمع المعماري العمراني الذي هو الفوروم التراجاني .

٢- الفوروم التراجاني :

بعيد بدء بناء السوق أو في وقت واحد معا بدأ أبو لودور العمل في الفوروم - أي الميدان - التراجاني ، أنجزه في عام (١١٢م) وتكف كل ماعداه من ميادين في روما وفي العالم ، لأنه أولا أكبر خمس مرات من فوروم الامبراطور أوغسطس مثلا أما من حيث الجمال فهو في رأي تاريخ كمبريدج القديم : (اعجوبة كل العصور) ومن الممكن كما يرى بيانكي باندنيلي أنه استوحى من الساحة الرحيبة المروقة التي كانت موجودة حول معبد جوبتر في دمشق ، ويضيف : وعلى كسب حال أن فكرته شرقية أكثر مما هي رومانية .

ضم الفوروم التراجاني (٣٠٠ x ١٨٥م) الذي بناه أبو لودور ساحة رحيبة وأواوين وقوسي نصر ، وعمودا تذكاريين عملاقا وتمثالا فروسيا ودارا للعدل ومعبدا وتفاصيل أخرى كثيرة وسكب على ذلك كل شيء زخارف على أرفع ما يكون من الانسجام والتساوق. وتضافر ذلك كله ليجعل من الفوروم التراجاني مجمعا رائعا بهر به القدماء واعتبروه واحدا من أكثر لآلئ الفن الروماني صنعا .

٣- العمود التذكاري التراجاني :

طلب الامبراطور من أبو لودور أن يشيد له عمودا شاهقا ليكون له قبرا وشاهدا على المنشآت المنفذة في هذا الميدان الراشع فقادته عبقريته الفذة الى خلق عمود لم يسبق له مثيل في تاريخ الفن العالمي وقد انجز هذا العمود في (١١٣م) في حياة الامبراطور تراجان .

يرى النقاد أن هذا العمود العملاق المزين بافريز منحوت ملتف حول جزعه كفيلم تسجيلي ، هو صيغة جديدة استنبطها أبو لودور الذي ولد بدمشق ، الامر الذي جعل بعض الاثاريين يستنتجون من ذلك انه عرّف في موطنه النماذج السابقة لابداعه هذا حتى أنهم أكدوا أن الإفريز والاسلوب المتتابع استوحاه من المنحوتات الاشورية التي كانت قد ماتت ولم يعد لها اثر في الفن الهلنستي .

ارتفاع العمود (٣٣مترا) " مائة قدم روماني " والشريط المنحوت في الذي كان ملونا يلتف على جزعه بشكل حلزوني طوله مائتا متر . وهو يحدثنا حديث الحربيين اللتين قام بهما تراجان في داكيا (رومانيا) بين (١٠١م - ١٠٦م) ان سرد الاحداث يبدأ من قاعدة العمود حيث نرى خروج الجيش من مدينة محصنة واجتيازه الدانوب على صفين احدهما بقيادة تراجان والنشاط النهري الممثل بكل واقعية . ثم الامبراطور يعقد مجلسا حربيا ثم في زي الكاهن الاعظم يتسراسر حفل تقديم قربان قبل المعركة ، ثم على مرتفع يعطي الاوامر ويخطب في الجنود وغير ذلك . ويستمر في سرد القصة بأدق التفاصيل عن الازياء والاسلحة والالبسة والشعوب حتى اننا نعرف لأول مرة بشكل واضح زي الرماة التدمريين . يقول مورتيمر هويلر : (ان هذا الشريط هو الاعظم بين انجازات الفن التاريخي الروماني .

ان العمل يسير دون تردد ومن مرحلة الى اخرى والنحات يبرهن عن تمكن تام وحساسية فائقة) .

فكرة الشريط هي السينما احدث منجزات الفن التصويري وأكثرها شعبية في الوقت الحاضر وهو قريب من عقليتنا الحاضرة وانه يسجل عملا

أبو لودور الدمشقي أعظم معمار في التاريخ

بكل واقعية في الزمان والمكان . وقد قلد هذا العمود مرات عدة ، ففي عهد اركاديوس (٤٠٨م) بني عمود مماثل في القسطنطينية وهنـاك عمود برونزي مشابه في كاتدرائية Hildesheim بهانوفر بني في (١٠٢٢) تقليدا لعمود تراجان والمنحوتات فيه تمثل حياة السيد المسيح ، وفي فرنسا اقيم عمود فاندوم تقليدا لحملات نابليون ونقوشه البارزة تقليدا لاسلوب المستمر في عمود تراجان .

٤- الجسر العملاق على الدانوب :

كان أبو لودور في الاصل المهندس الحربي للامبراطور تراجان وقد رافقه في حروبه الداكية (في رومانيا) وقد ذكر ذلك بروكوبيوس في الفترة بين الحربين الداكيتين الاولى والثانية (١٠٤-١٠٥م) ، وضع تصاميم هذا الجسر وأنشأه على الدانوب عند مضيق ابواب الحديد قرب مدينة دوبريتي (دوبريسين الحالية فـي هنغاريا) وقد عمل في اقامته جيش بأسره خلال عام كامل تقريبا ، وقد وصف ابو لودور نفسه هذا الجسر في دراسة له ذكرها المؤرخ البزنطي بروكربيوس :

كان يصعب على الرومان أن يقيموا أسس وركائز في سرير النهر اذا كان من الغزارة بحيث لا يستطيعون تحويله . ولكن أبو لودور ولاول مرة في التاريخ تصدى لمثل هذا العمل الذي يتطلب جسارة تقنية عالية ، فنجح في ارساء عشرين ركيزة قوية جدا في لجة النهر ثم مد الجسر بطول ألف ومائة متر وبعرض مرجح بين (١٣ و ١٩م) .

وكانت فرجة القناطر بين الركائز بين (٣٥-٣٨م) وحصن طرفي الجسر بالابراج - ثم ازال هادريان سطح الجسر حتى لا يستخدمه العدو ، ثم اصلحه قسطنطينيوس في (٣٢٨) وماتزال بعض اشارته باقية .

٥- أبو لودور والبانشيون :

ان معبد البانشيون (ويعني معبد مجمع الارباب) وهو أهم المعابد الرومانية المستديرة الباقية وأروع المباني الدينية الرومانية في كثير من الوجوه . وهو يتألف من جسم مستدير قطره (٨٠م) - (١٤٢ قدما) مكون من جدار من الكونكريت - المصفح بالاجر سماكته ٦ متر

تقريباً (٢٠ قدم) ، وتتناوب فيه من الداخل محاريب مستديرة ومستطيلة يتقدم كل منها عمودان . وكذا جدار من الداخل مصفح بالرخام الثمين وبلاط الأرضية منه أيضاً . وتعلو جسم المعبد قبة رحبية من الكونكريت - دون رقبة بارتفاع (٤٣م) وقطر مماثل مدعوم بأقواس من الحجر مخفية وهي أكبر القباب في العالم القديم وللقبة في ذروتها فتحة مستديرة قطرها (٨.٥م) . ومدخل البانثيون يطله (١٦) عموداً بأسفل وجبهة مثلثة ، وتحت هذا المدخل يحس المرء بشيء من الثقل وما أن يصل إلى الداخل حتى يحس بالرحابة والامتداد والنور يتدفق من القمة ويعظم ويجسم كل شيء .

على واجهة البانثيون كتابة تذكارية تؤرخ ببناء المعبد الأقدم في زمن أغريباً (١٢ ق م - ١٤م) وقد تهدم ذلك البناء في (٨٠م) في حريق الحي الذي يقوم فيه فأصلحه الإمبراطور دوميتيانوس ثم احترق مرة ثانية في (١١٠م) - وينسب إلى الإمبراطور هادريان (١١٧ - ١٣٥م) إنجاز الشكل الذي وصلنا به . ويحدد تارة زمن إنجاز (هادريان للبانثيون بين ١٢٠ - ١٢١) والأمر موضع الشك. الآن فإذا كان قد احترق في (١١٠م) فلماذا يبقى عشر سنوات على الأقل دون إصلاح وإكمال وترد اعتراضات أخرى على نسبة البانثيون لهديان حتى أصبح في حكم المؤكد أن البانثيون هو من منجزات أبو لودور الدمشقي وقد عقد (ولف ديتر هيلماير) بحثاً مطولاً عن الموضوع بعنوان (أبو لودور الدمشقي معمار البانثيون) ولخص فيه الآراء المختلفة في هذا الموضوع الهام وخلص إلى هذا البناء كان من إنشاء أبو لودور وأن تصميمه له يعود إلى (١١٤م) وأسلوبه هو أسلوب أبو لودور بمزجه بين العظمة والبساطة والوضوح ، وتصميم يعتمد على العناصر الأفقية والعمودية وزخارف معمارية تنزع إلى أشكال عهد أغسطس وهي أشياء واضحة في البانثيون .

٦- منجزات باهرة أخرى :

وأولى تلك المنجزات هي الحمامات التي شيدها على رابية الاسكوبيلبنوس لتراجان ، ويرى ليورهومو : (أن الحمامات التي

بناها أبو لودور لتراجان هي التي حددت شكل الحمامات النهائية
اذ أصبح على التصميم أن يلبي حاجتين أساسيتين هما الاستحمام
بأشكاله ومراحله المتعددة من جهة ، والترويح والرياضة من جهة
ثانية .

وينسب لأبولودور قوس النصر في مدينة بيتغانتوم ، وقوس النصر في
مدينة انكونا وكذلك أفريز ضخمة منحوت كان معدا ليقام في مكان ما
من الفوروم . ومن منجزاته أيضا مسرح موسيقي (أوديون) في
مونتيفورديانو . أما في مجال السباقات فقد أنشأ أبو لودور
حلبة بطول مرحلتين (أكثر من ثلاثمائة متر) إلى الشمال من موقع
مدفن هدریان على ضفة التيبر في روما وكان مخصصا للمعارك البحرية
(نوماكيا) وتنسب الدراسات الحديثة لأبو لودور تعديل مرفأ أوستيا
وانشاء حوضه المضلع الذي يشبه من حيث الشكل النماذج الهيلينية
- السورية . وكذلك مرفأ (كنتوم كيللي) بأرصفتها المقوسة الرحيبة
وهو مرتبط بفيللا تراجان .

ومن أعمال أبو لودور في أيام هدریان البدء بتشيد المعبد
المكرس لتراجان وقد حدد مكانه في صدر الفوروم ، وأكمله الامبراطور
هدریان نفسه فيما بعد . وفي ختام هذا السرد المتعجل عن أعمال
أبو لودور في عهد هدریان من الضروري أن نذكر مؤلفا عن آلات
الحصار وصلت بعض رسوم مستنسخة منه في مخطوط بيزنطي . ومنها آلة
لاقتحام الاسوار عممت في القرون الوسطى ، ويتضح من بحث بيزنطي آخر
عن آلات الحصار ان دراسة أبو لودور ارسلت لهدریان وهو يتهيأ
لحملة الدانوب في العام الذي مات فيه تراجان والعام الذي يليه
(۱۱۷ - ۱۱۸ م) .

وجاء في مخطوط منياس قول أبو لودور مخاطبا الامبراطور بما أني
صنعت نماذج مفيدة من آلات الحصار فاني مرسل لك هذه الرسوم عنها .
وكذلك احد مساعدي وقد اطلعته على كل شيء ، ونفذت أمامه العمل
فيمكنه أن يبني وفق نماذجي متى شئت . . . ويتحدث أيضا عن ارسال
سقائل وعمال متخصصين ويتضح من هذا أنه لم يكتف بما كان يحققه

الدكتور عدنان البني

في ميادين العمارة والنحت بل ظل يمارس حتى آخر ايامه مهمته
الاصلية في ميدان الهندسة العسكرية .

٧- نهاية مأساوية :

كان الامبراطور هدریان مأخوذا بالعمارة الاغريقية ،ولسه
آراء في فن العمارة ويقال انه صمم عددا من العماثر خاصة بمعبد
روما وفينوس والفيللا الشهيرة المسماة باسمه (فيللا هدریان) ولم
يكن على وفاق مع ابو لودور الذي كان ينتقد تصاميمه . وقــد
اورد المؤرخ ديوكاسيوس (ان ابو لودور كان يتدارس مرة مـع
تراجان بعض المشاريع فتدخل هدریان في المناقشة فطلب منه ابـو
لودور أن يذهب الى يقطينة - تعريضا بالقباب التي كان يصممها -
ولما أصبح هدریان امبراطورا ارسل لابلودور تصميما للمعبد
العلاق الذي يزمع اقامته للربتين روما وفينوس فلم يعجبه ذلك
التصميم وانتقده دون مواربة ،وكان انتقاده صحيحا من وجهة نظر
نقاد فن العمارة فهذا المعبد الذي يبلغ طول هيكله المركزي (١٣٦ م)
وعرضه (٦٦م) ويحف به ستون معبدا لم يرفع على منصة عالية
(بوديوم) على عادة الرومان (كما في بعلبك مثلا) مما جعل له
درجات واطئة وفق التقاليد الاغريقية فبدا طويلا وواطئا جدا .
ان هدریان أعطى لمعبده نسبا يونانية ولكنه لم يسبغ عليه اناقة
المعبد الاغريقي الدوري ولا اطاره فكان معبد فينوس ورومبا
فاشلا من الناحية الجمالية .
يرى المؤرخ الروماني (دونكاسيوس) أن هدریان من أجل ذلك كـلـه
انهم ابو لودور بأشياء مختلفة ونفاه ثم امر بقتله .

— الدكتور عدنان البني —

حول إعادة كتابة التاريخ العربي

✽ الأستاذ عبد الرحمن بدر الدين

ليست فكرة إعادة كتابة التاريخ العربي بالفكرة الجديدة — كما أن الدعوة اليها لم تكن مقتصرة على القطر العربي السوري ، بسـل دعا اليها عدد من الاقطار العربية الاخرى ، ونادى بها العديد من الكتاب والمؤرخين والسياسيين العرب . ولقد كان في مقدمة المناديين بعض رجال الفكر والسياسة من السوريين ، وذلك منذ أكثر من عشرين عاماً (١) . ومن دراسة آرائهم وكتاباتهم بهذا الشأن تبرز هوياتهم الفكرية ومذاهبهم السياسية ، ولذا فان آراءهم جاءت معبرة عن معتقداتهم السياسية اكثر من تعبيرها عن الحقيقة العلمية الخالصة فهم يريدون من إعادة كتابة التاريخ العربي تحليل احداث هذا التاريخ وتوجيهها كل حسب مذهبه الفكري ، وانتمائه السياسي ، كما انهم لا يعدمون حجة أو مثلاً يضربونه من احداث التاريخ العربي للتدليل على صحة تفسيرهم لاحداث ذلك التاريخ ، مبررين بالتالي صحة مذاهبهم السياسية التي ينتمون اليها وان انتماءهم جاء نتيجة دراسة وتحليل لاحداث التاريخ ومعرفة للقوى الصانعة له .

لقد نبش هؤلاء السادة احداث التاريخ العربي للعثور على شهود اثبات تدل على صحة نظرياتهم غير عابئين بمئات الاحداث التـسيـسي تقوم شهود نفي وادانة لما يعتقدون . ولذا فان معظم ابحاثهم وآرائهم جاءت مجانية للصواب لانها لم تعتمد طرق البحث العلمي الرصين واساليبه ، بل كانت صادرة عن خلفيتهم الفكرية والسياسية ومع هذا فانهم يبررون عملهم بحجة ان التاريخ وسيلة هامة من

(١) : كيف نكتب تاريخنا القومي — وزارة الثقافة في سورية ١٩٦٦ .

من وسائل التوجيه ، لذا كان لابد من استخدامه بما ينمي الايمان بعقيدة أو هدف سياسي معين ، أما الحقيقة العلمية فلا قيمة لها بنظرهم ان لم تكن موظفة في خدمة الهدف المنشود ، فهم بذلك لا يفرقون بين كتابة التاريخ كمادة علمية وسجل لاحداث الامة يقوم به فريق من العلماء المختصين يتصفون بالموضوعية وسعة الافق وسلامة المنطق ، وبين كتابة هذه المادة لتثبيت مفاهيم وقيم معينة من خلال سرد احداثها سواء عن طريق اجهزة الاعلام المختلفة أو الكتب المدرسية التي توضع بين أيدي الطلاب في المدارس بعد اعتمادها من قبل السلطات المختصة في الدولة والتي تتمشى مع اهداف الدولة من تربية الناشئة .

من المعروف أن من أهم اهداف دراسة التاريخ هو القاء اضاء على مستقبل الامة ، ولن يتحقق هذا الهدف الا بدراسة الماضي بكل أبعاده واحداشه لمعرفة التيارات التي أدت الى صنع هذا بالإضافة الى استنتاج خصائص الامة التي ندرس تاريخها من خلال الاحداث التي انعكست عليه ، وردود فعل تلك الامة على مالاقتته من تحديات وليس بمقدورنا معرفة تلك الخصائص اذا لم نستخلصها من مجمل تاريخ الامة عبر مئات السنين وبعد دراسة موضوعية له . ولكي تكون دراستنا علمية لابد لنا من الاجابة عن بعض الاسئلة وهي :

- متى بدأ تاريخ العرب . ؟
- ماهي السارات الفكرية التي سيطرت عليه خلال امته
- الطويل . ؟
- هل دون كاتو هذا التاريخ احداثه بكل امانة ودقة علمية . ؟

للإجابة على التساؤل الاول لابد لنا من التعرف على البقعة التسي عاشت عليها الامة العربية عبر عصورها الطويلة اذ ان الزمسان والمكان في التاريخ ضروريان لتحديد اطار الحادثة التاريخية وموقعها . وفي الواقع إن هنالك اختلافا بين المؤرخين حول الموطن الاصلي للعرب ، فمنهم من يعتقد أن بلاد ما بين النهرين هي الموطن

الاول لهم على حين يعارضهم آخرون فيعتبرون جنوب الجزيرة العربية هو المهد الاصلي للعرب ، ويدل كل فريق على صحة نظريته بحجج يعتبرها دامغة ومقنعة ، الآن النظرية الاكثر اعتمادا واقتناعا تلك التي نادى بها عدد من كبار المؤرخين امثال :

شبرنكر ، وبروكلمن ، وماير ، دي خيسوي (١)

والتي تجعل من شبه الجزيرة العربية الموطن الاصلي للعرب ومنهجا اتجهوا على شكل موجات ولاسباب عدة كالجفاف والتزايد السكاني وقلة الاراضي الصالحة للزراعة والرعي نحو الشمال والغرب أي إلى منطقتي الهلال الخصيب ووادي النيل .

ان الاخذ بهذا الرأي في تحديد موطن العرب الاصلي أو بالسراي السابق، لا يخرج عن كون ما نطلق عليه اسم الجزيرة العربية هي الموطن الذي عاش فيه العرب منذ أقدم الأزمنة وحتى الوقت الحاضر ، ومعنسى ذلك أن جميع الاقوام القديمة التي عاشت في هذه المنطقة كالكاديين والبابليين ، والاشوريين ، والكلدان ، والكنعانيين ، والاراميين والانباط ، والسبعيين ، والحميريين ... الخ ، هي اقوام عربية لعبت دورا في التاريخ فأسست دولا وأنشأت حضارات ثم زالت لتحل محلها اقوام عربية أخرى ، ولقد اوضحت الدراسات الانتروبولوجية واللغوية والانتولوجية وشائج القربى بين هذه الاقوام عامة مسن جهة وبينها وبين العرب المسلمين الذين خرجوا من شبه الجزيرة لنشر الدين الاسلامي من جهة ثانية (٢) .

وعلى هذا فان الوجود العربي موغل في القدم ، يرجع تاريخه الى وجود الانسان العاقل على هذه الارض التي نسميها اليوم بالارض العربية ، وتكاد تكون معلوماتنا معدومة عن الاقوام الاولى التي

(١) : تاريخ العرب قبل الاسلام للدكتور جواد علي الجزء الاول ص ١٥٢

(٢) : يذهب السيرجون فليبي في دراساته الى القول بأن الاقسام

الجنوبية من شبه الجزيرة العربية هي الموطن الاصلي للساميين ومنها هاجروا بسبب الجفاف الذي بدأت تظهر بوادره منذ عصر الباليوليتيك (العصر الحجري القديم) مما أدى حسب رأيه

حول اعادة كتابة التاريخ العربي

سكنتها ، وكل ما استطاعه المؤرخون والمنقبون تحديد تواريخ تقريبية للهجرات التي تدفقت من قلب شبه الجزيرة العربية الى اطرافها وهي لاتعدو الالف الرابعة قبل الميلاد . أما ما قبل ذلك فان اثباته وتوضيحه متوقف على الاكتشافات الاثرية التي تزيد من ثروتنا التاريخية يوما بعد يوم . وهذا ما يستدعي اعادة النظر فيما كتب عن تاريخنا القديم من حين الى آخر على ضوء الاكتشافات التي تظهرها معاول علماء الآثار ، اذ ان هذه المكتشفات تسهم في زيادة الثروة التاريخية من جهة ، كما تصحح بعض المفاهيم والأراء من جهة ثانية ، أو تعمل على ترسيخها وتزويدها بالدليل العلمي الصحيح وبمعنى آخر نقلها من مرحلة الفرضية الى موقع الحقيقة العلمية .

أما بالنسبة للتساؤل الثاني المتعلق بالتيارات الفكرية التي سيطرت على تاريخنا فان دراسة المعلومات المتوفرة لدينا عن تاريخ العرب القديم ، واستقراء العوامل التي اثرت في صنع احداشه نجد أن ابرز تلك العوامل هو العامل الغيبي ، مما جعل تاريخ العيسيرب القدماء الحضاري والسياسي مرتبطا ارتباطا وثيقا بالقوى الغيبية فالملوك هم آلهة أو نواب عن الالهة والشواب والعقاب موكسون امرهما للالهة ومدى رضاها عن المحاسب وتقديرها لتفانيه في خدمتها والقيام بشعائر وطقوس عبادتها . كما أن المجتمع وتنظيمه وطبقاته المختلفة تعتمد بالدرجة الاولى على اسس اخلاقية تعتبر من صلب العقائد الدينية التي كانت شائعة ومعمولا بها آنذاك وكذلك كل مناحي الفكر من علم وادب وفن موظفة في خدمة الالهة أو من يمثلها على الارض ، فما التشريع الا وحي من الاله كما ان بنسباء المعابد الكبيرة والاهرامات الضخمة ناتج عن الرغبة بالحفاظ على الجسد

الى نزوح موجات متعاقبة من البشر من العربية الجنوبية سالكة الطرق البرية والبحرية حتى وصلت الى المناطق التي استقرت بها وقد حمل هؤلاء المهاجرون معهم آلهتهم وثقافتهم وخطهم الذي اشتقت منه سائر الاقلام ومنه القلم الفينيقي .

عن (تاريخ العرب قبل الاسلام للدكتور جواد علي الجزء الاول ص ١٦١) .

من عبث العابثين ليقف صاحبه بين يدي الاله بشكله السليم كما كان عليه في الحياة الدنيا وكذلك الامر بالنسبة للعلوم والادب فانها جميعها يبرز فيها العامل الغيبي وتسخر لتأكيدده والحفاظ عليه وحتى المعارك والحروب التي كانت تنشب بين اقوام ذلك العصر كسان للالهة دور بارز فيها فهي صراع بين الهة المتحاربين وبأمر منها وكان انتصار فئة على أخرى يؤدي الى تضحية عدد من رجال الجيوش المقهور على مذبح الالهة تقربا منها وتكريما لها لانها اكسبتهم النصر على اعدائهم . وكان العديد من اسماء الالهة تدون على المعاهدات بين المتحاربين كشهود وعليها ان تصب لعناتها وجسام غضبها على كل من يخرق المعاهدة أو يعمل على تمزيقها . الا ان هذا لايعني عدم وجود عوامل أخرى أسهمت في صنع الاحداث التاريخية كالعوامل الاقتصادية والاجتماعية والنفسية ... الخ . ولكنها جميعها تبقى ضمن الاطار الايديولوجي للعصر والذي كان يسيطر على كل مناحي الحياة ويوجهها .

ويحدثنا التاريخ القديم من محاولة فرعون مصر اخناتون وضع الاله (اتون) الشمس في مقدمة الالهة المصرية الكثيرة ، مما جعل كهنة معابد تلك الالهة واتباعهم يتآمرون عليه ، وما إن لاقى حتف نفسه حتى عادت عبادة تلك الالهة الى ماكانت عليه . وعاد فراعنة مصر القديمة الى استرضاء الكهنة واغداق الهبات عليهم تمكينا لعرشهم واستمرارا لاعتبارهم كممثلين وابناء للالهة .

واذا ما انتقلنا الى العصر الاسلامي فان التاريخ العربي يبدو اكثر وضوحا وان الايديولوجية الجديدة التي جاء بها الاسلام وهي ايديولوجية التوحيد غدت اكثر عمقا وترسيخا ، ودفعت بالعرب المسلمين الى تأدية الدور الذي ندبوا لتأديته في التاريخ مما جعلهم محط انظار العالم اجمع في العصور الوسطى كقوة سياسية وحضارة مزدهرة . والمتفحص لتاريخ العرب في هذه الحقبة من الزمن يسترعي انتباهه ثلاثة امور وهي :

١- ظهور نزعات فكرية ارادت أن تعود بالامة العربية الى ظهور المسلمين عامة الى تعاليم الاسلام كما فهمها اصحاب

تلك النزعات .

٢- بروز العصبية القبلية من جديد بعد أن اضعفها الاسلام

بتعاليمه واحل محلها الرابطة الدينية .

٣- النزعة الشعبوية ، وقد برزت بشكل واضح في فترة اشتد

فيها نفوذ الفرس سياسيا ، واتسمت بالتسامح الفكري .

لقد برز الامر الاول في الثورة التي قامت ضد الخليفة الراشدي عثمان بن عفان ، ذلك الخليفة الذي لانشك مطلقا بايمانه وتقواه كان ضحية اقربائه وابناء عشيرته الذين استغلوا شيخوخته ولينته فجعلوه يصدق عليهم الاموال الطائلة ويوليهم المناصب الكبيرة في الدولة (١) . مما أثار بعض الصحابة وفي مقدمتهم ابو ذر الغفاري

(١) : عزل عثمان بن عفان المغيرة بن شعبه عن الكوفة وولاهـ

سعد بن ابي وقاص ثم عزله وولى الكوفة الوليد بن عقبة بن

ابي معيط وكان أخا لعثمان من امه . وفي سنة (٢٦) هـ عزل

عثمان عمرو بن العاص عن مصر وولاهـ عبد الله بن سعد بن ابي

سرح العامري وكان أخا لعثمان من الرضاعة وكان رسول الله (ص)

قد اهدر دم عبد الله بن سعد المذكور يوم الفتح وشفع فيسه

عثمان حتى اطلقه الرسول . وفي ايام عثمان فتحت افريقية

وكان المتولي لذلك عبد الله بن سعد بن سرح فبعث بالخمس الى

عثمان فاشتراه مروان بن الحكم بخمسمائة ألف دينار فوضعها

عنه عثمان وهذا من الامور التي انكرت عليه .

وفي السنة (٢٩) هـ عزل عثمان أبا موسى الاشعري عن البصرة وولاهـ

ابن خاله عبد الله بن عامر بن كريز .

عن كتاب المختصر في اخبار البشر لابي الفداء الجزء الاول ص

١٦٦- ١٦٧ . كما نقم الناس على عثمان لرده الحكم بن العاص

طريد الرسول وطريد ابي بكر وعمر ، واعطى مروان بن الحكم

خمس غنائم افريقية وهو خمسمائة ألف دينار ، واقطعه فذك وهي

صدقة رسول الله (ص) ، المصدر السابق ص ١٦٩ .

الذي ساءه ما رآه من سلوك بعض المسؤولين من المسلمين وتبذيرهم
للاموال واستغلالهم لمناصبهم بعد أن تدفقت على بيت المال الغنائم
من كل مكان . لقد عرف ذلك الصحابي الجليل ما كان عليه المسلمون
زمن الرسول (ص) من ايمان وتفان في نشر الدعوة والتبشير بها
وما بذلوه من اموال وأرواح في سبيلها ، وما حملته تعاليمها
من دعوة لانصاف المظلومين والمساواة بين الناس ، ووآد للعصبية
القبلية واستنكار للتفاخر بالاحساب والانساب ، وما آل اليه أمرهم
من ترف وغنى وخلود الى الحياة هنيئة الرضية بعد أن استتب لهم
الامر في المناطق التي فتحوها فاستقطعوا الاراضي وجمعوا الثروات
وتنافسوا في بناء البيوت والقصور ، كل ذلك بسبب تدفق الاموال
الطائلة والغنائم الكثيرة عليهم . لقد حمل هذا الوضع الغريب ابا
ذر وكان آنذاك في دمشق على انتقاد معاوية بن ابي سفيان واصحابه
والتشهير باعمالهم المنافية لما عرفه عن مبادئ الاسلام وسلوك
المسلمين الاوائل ، مما جعل معاوية يضيق به ذرعا فاشتكاها السى
الخليفة عثمان الذي استقدمه الى المدينة ليكون تحت اشرافه ، الا أن
أبا ذر أثر أن يعيش في الربذة فنفى نفسه اليها وقضى فيها وحيدا .
لقد كانت معالجة الخليفة عثمان لمشكلة أبي ذر مطمئنة لطبقه
الاثرياء الجدد ، الا أن آراء ذلك الصحابي مالبت أن وجدت لها
صدى عند الفئات المحرومة واستجابة عند الملتزمين بالاسلام وتعاليمه
وقد مهد ذلك للقيام بالثورة على الخليفة عثمان . ثم كان النزاع
بين علي بن ابي طالب ومعاوية بن ابي سفيان ونجم عنه حركات
الخوارج ، وهي محاولة لوضع السلطة في طريقها القويم واعطائها
سمة ديموقراطية بعيدة عن شيوقراطية الحكم وذلك خلافا للشيعة
الذين أرادوا اعادة الحق الى اصحابه الشرعيين على حد تعبيرهم
ان جميع هذه الحركات وجدت انصارا ومؤيدين انطلقوا من فهم
للايديولوجية الاسلامية . وحتى ثورة الزنج تلك الثورة التي يبرز
فيها العامل الاقتصادي بوضوح ، وكان قيامها بسبب سوء اوضاع
الزنج والعبيد الاقتصادية والاجتماعية في العراق عمد قائدها الى

ادعائه أن له صلة قرابة مع آل البيت لتدعيم مركزه القيسادي وليستطيع تحريك الجماهير التي ارمضها الفقر واستحوذ على قسم كبير منها الايمان بضرورة مجابهة الانحراف عملا بروح الشريعة وتعاليم الاسلام .

أما الامر الثاني وهو بروز العصبية القبلية من جديد ، بعد أن حاول الاسلام القضاء عليها محلا الرابطة الدينية بديلا عنها فجعل المسلمين متكافئين ، فهم متساوون كأسنان المشط ولا فضل لعربي على أعجمي الا بالتقوى . ولكن هل استطاع العرب التحرر من عصبيتهم القبلية التي كانت خبزهم اليومي في الجاهلية ؟ ، كما تحرروا من وثنييتهم بفضل الاسلام ؟ . والى أي مدى نجح الدين الجديد فـسـسـي القضاء على تلك الرابطة ؟ .

ما إن توفي الرسول الكريم حتى ظهرت بوادر الخلاف بين الانصار والمهاجرين في سقيفة بني ساعدة على من يخلفه ، ولولا ما أدلى به أبو بكر من حجج أمام المجتمعين (ان العرب لاثنين الا لهذا الحي من قريش) وقول الرسول (الاثمة من قريش) كما ذكرهم بـسـان الخلافة لو آلت الى الاوس لنافسهم عليها الخزرج ، وفي هذا مافيسه من عصبية جاهلية ، ولولا حسم عمر بن الخطاب الامر ومبايعتـسـه لابي بكر لتأزم الوضع وانتهى الى قتال بين الانصار والمهاجرين (١) .

كما تبرز العصبية القبلية بوضوح اشد في موقف ابي سفيان عنـد مبايعة عثمان بن عفان بالخلافة . اذ يذكر المسعودي صاحب مسـروج الذهب أن عمار بن ياسر دخل دار ابي سفيان ومعه بنو أمية فقال أبو سفيان : (أفيكم أحد من غيركم ؟ وقد كان عمي قالوا لا قال يا بني أمية

(١) : قال الحباب بن المنذر وهو من الخزرج : يامعشر الانصار املكوا على ايديكم ولا تسمعوا مقالة هذا (يعني عمر بن الخطاب) واصحابه فيذهبوا بنصيبكم من هذا الامر ثم قال :

أنا جديله المحكك وعزيقها المرجب أما والله ان شئتـسـم لنعيدنها جزعة .

تلقفوها تلقف الكرة فو الذي بحلف به أبو سفيان مازلت أرجوها لكم ولتصيرن الى صبيانكم ورائة (١) .

فانتهاز عثمان وساءه ما قال . كما ظهرت العصبية القبلية بشكل واضح جدا اثناء حروب الردة التي خاضها المسلمون زمن الخليفة أبي بكر لتثبيت مفهوم الدولة (٢) .

والمنتبغ لاحداث التاريخ العربي في العصر الاموي ، يلتمس بشكل واضح الاثر السئ الذي نتج عن تشجيع خلفاء هذا العصر للقيسيين أو اليمنيين وتآليبهم بعضهم على البعض سواء في المشرق أو في الاندلس ، مما عجل بزوال دولتهم ، ومع هذا كله فإن عودة العصبية للبروز وما نتج عنها من نتائج سيئة بقي ضمن الاطر المادية والمكاسب الانية دون أن يجرو أي متعصب على الخروج عن الايديولوجية الاسلامية .

وفي العصر العباسي برزت عناصر أخرى أخذت تسهم في صنع الاحداث التاريخية كالفرس والأتراك والشيعة وبقايا الامويين . . . مما أدى الى ظهور نزعات مختلفة متأثرة الى حد كبير بالثقافات الاجنبية من فارسية وهندية ويونانية . . . ولكن جميع هذه النزعات لم تستطع الخروج عن الاطار الايديولوجي للدولة التي أخذت تتهم خصومها بالالحاد أو الزندقة لتآليب الرأي العام عليهم بغية التخلص منهم . كما عمد خلفاء الدور الثاني من الحكم العباسي الى تدعيم مركزهم الدنيوي عن طريق الالقاب والكنى التي أضافوها الى اسمائهم كالمستعصم بالله والمتوكل على الله والمعتمد على الله ، والمعتز بالله . . .

(١) : مروج الذهب للمسعودي - الجزء الثاني ص ٣٥١ - ٣٥٢ طبعة دار الفكر

(٢) : يذكر الطبري في تاريخه الجزء ٣ ص ٢٤٦ طبعة خياط أن أبا

عمير بن طلحة جاء اليمامة فقال ابن مسيلمة فقالوا :

رسول الله فقال لا حتى أراه ، فلما جاءه قال انت مسيلمة

قال نعم قال من يأتيك ؟ قال رحمن . قال اخي نور او ظلمه

فقال مسيلمة في ظلمة فقال : اشهد انك كذاب وان محمدا

صادق ، ولكن كذاب ربيعة احب الينا من صادق مضر .

أما الشعوبية فقد كانت من أبرز النزعات التي تكونت جذورها فسي
العصر الأموي ، ومالبثت ان ازدهرت هذه الحركة في العصر العباسي
فامتلات كتب التاريخ والادب بنتائجها الفكرية وباسماء العديد من
الكتاب والادباء والشعراء الذين اعتنقوها أو شجعوا على اعتناقها .
وأخذ كل من انصارها وخصومها يحاولون ايجاد سند لدعواهم من
القرآن أو الحديث أي من خلال الايديولوجية الاسلامية مما أدى الى
وضع كثير من الاحاديث التي تؤيد جانباً دون آخر (١) .

وفي الواقع ان الشعوبية لم تقتصر على التهجم على العرب والنيل منهم
والتشهير بمشالبهم بل اساءت الى الفكر فشوهته ، كما أفسدت الدين
بالزندقة ، وشجعت النحل وأبدع والخرافات والاساطير التي ارادت
ادخالها في صلب العقيدة وهي براء من كل ذلك .

(١) : روى الشعوبيون عن رسول الله (ص) انه تلا الآية الكرسي
" وان تتولوا يستبدل قوما غيركم " فقالوا : من يستبدل
بنا فضررب صلي الله عليه وسلم على منكب سلمان الفارسي ثم
قال هذا وقومه ، والذي نفسي بيده لو كان الايمان منوطاً
بالثريا لناله رجال من فارس .
كما روى ان رسول الله (ص) قال :لانا بهم أوثق مني بكم
يريد بذلك الاعاجم . وفي حديث موضوع "لاتسبوا فارسا فما
سبه احد الا انتقم منه عاجلا أو آجلا " . وفي حديث آخر :
ان آدم افتخر بي وانا افتخر برجل من امتي اسمه نعمسان
وكنيته ابو حنيفة هو سراج امتي .
كما وضع العرب بعض الاحاديث منها " من غش العرب لم يدخسل
في شفاعتي ، ولم تنله مودتي " .
ومثل : احبوا العرب لثلاث ، لاني عربي ، والقرآن عربي
ولسان أهل الجنة في الجنة عربي ، عن ضمي الاسلام
الجزء الاول للدكتور احمد أمين .

أما في المجال السياسي فقد ساندت الشعوبية النزعة الوطنية وعملت على النيل من العرب واسقاط دولتهم ، وقد وصل بعض معتنقيها الى مناصب عليا في الدولة فأحاطوا انفسهم بابناء قومهم ممن يؤمنون بنزعتهم ، واغدقوا الاموال والحماية على اتباعهم سرا تارة وعلانية أخرى ، وهم في ذلك يظهر ن خلاف ما يبطنون فسادا ما اتاحت لهم الفرصة للبطش بالعرب ، بادروا الى انتهازها بحجة الحرص على الاسلام والذود عن الخلافة .

والخلاصة ان السمة العامة للعصر الوسيط في تاريخ العرب هي العصبيّة القبلية فما انتقل الخلافة الى معاوية الا انتصارا لبني امية على بني هاشم ، واستعادة لنفوذهم السابق الذي كان لهم زمن الجاهلية وان انتقل الخلافة الى بني العباس ، هو استعادة بني هاشم مركز الصدارة الذي كان لهم زمن الرسول الكريم وبمجيء آل العباس الى الخلافة انتقل الصراع فأصبح بينهم وبين ابناء عمومهم العلويين بتشجيع عناصر جديدة اظهرت تأييدها لاحدى الفئتين .

لقد كان ذلك كله ضمن الاطار الديني والتنافس على احقية فئة دون أخرى بالخلافة ، ولم تجرؤ اية فئة من الفئات المتناحرة على الخروج على العقيدة أو النيل منها ، بل كانت تتهم الواحدة الاخرى بالاساءة الى الدين والخروج على تعاليمه ، مما أدى الى تعميق الخلافات بين ابناء الاسرة الواحدة ، وسمح بالتالي بتدخل عناصر غريبة اخذت تنشط في المجال السياسي وتبث سمومها عن طريق الفكر ونتائجاته مستهدفة اضعاف الفئات المتناحرة لتحقيق اهدافها السياسية والدينية . لقد بقيت الايديولوجية الاسلامية مهيمنة باطارها العام على احداث التاريخ العربي طوال قرون عدة ، ولذا فان حكم المماليك وما تلاه من سيطرة الدولة العثمانية لم يكن بالامر المستهجن مادام الجمهور يؤمنون بالاسلام ويعملون على رفع شأنه ، والسلطان العثماني ينظر رعاياه المسلمين من عرب أو غيرهم هو المسؤول الاول عن حمايتهم فهو خادم الحرمين الشريفين والمتمسك بأهداب الدين الحنيف والعامل

حول اعادة كتابة التاريخ العربي

على نشره وتعزيز مكانته ، وهو الرئيس الاعلى للمسلمين والممثل لهم وهو الذي يوعز بالدعوة الى الجهاد ان أحوج الامر لقتال أعداء الدين . ومن واجب المسلمين عامة اطاعته مادام مطيعا لله ومنفسدا لاحكام شريعته ، وبذلك انتهت العصبية القبلية كموثر سياسي والتي تتميز بها العصر الاموي ، كما انتهى العرب كأصحاب سلطة رئيسية لعبوا دورا بارزا في تاريخ العصور الوسطى ، ولم يعد لعواصمهم السابقة كبغداد ودمشق والقاهرة تأثير كبير في صنع الاحداث التاريخية .

لقد استمر الحكم العثماني للبلاد العربية نحو أربعة قرون ركزوا خلالها على أهمية الرابطة الدينية ، وشجعوا الطرق الصوفية وبنساء الزوايا والتكايا ، ليصرفوا الناس عن الاحداث السياسية التي كانت تجري على مسرح التاريخ ، وليوظفوا تلك الطرق واصحابها في خدمة توطيد عروشهم واستمرار تسلطهم .

وما أن أطل القرن التاسع عشر حتى بدأت فترة يمكن أن نطلق عليها اسم البحث عن الذات واكتشاف الهوية بالنسبة للعرب ، واستمرت حتى مطلع القرن الحالي حيث أخذ العرب يتلمسون موقعهم بين الامم الاخرى مناضلين للتخلص من نير المستعمر الغربي بعد أن تخلصوا من حكم العثمانيين طارحين شعار وحدة الامة العربية الذي أخذ يتحول الى ايديولوجية جديدة ترسم الطريق وتوضح المعالم لهم . بعد هذا العرض السريع للايديولوجيات التي أسهمت في صنع احداث التاريخ العربي آن لنا أن نتساءل لماذا نريد اعادة كتابة تاريخنا ؟ .. وهل يجب أن نفسر أحداثه سواء في العصور القديمة أو الوسطى أو الحديثة بالعامل الغيبي أو بدافع العقيدة الاسلامية وحدها أو بالعامل القومي ؟ .

ان الغاية من اعادة كتابة تاريخنا يجب أن تهدف بالدرجة الاولى الى ابراز وحدة تاريخ هذه الامة منذ أقدم الازمنة وحتى

العربي الاسلامي فان العديد من المستشرقين أيضا أساءوا الى تاريخنا مدفوعين بحقدهم على العروبة والاسلام أو بدوافع استعمارية هدفها النيل من الامة العربية والغاء دورها أو تقليصه من تاريخ الانسانية لذا فان اعادة كتابة تاريخنا يهيء لنا الفرصة للتخلص من كسل ما هو هجين أو غريب أو مدسوس عليه ، كما أنها تسمح لنا باعادة النظر في كتب المصادر المتوفرة والتدقيق في صحة احداثها آخذين بعين الاعتبار ميول مؤلفيها الدينية أو العنصرية ، ومدى تأثرهم بالسلطات الحاكمة التي كانت آنذاك ، وبالسبب عن المفقود مسـن مصادر التاريخ العربي الاسلامي ودراسة ما يمكن العثور عليه منها ، هذا بالإضافة الى الاطلاع على المؤلفات التي كتبت في ذلك العصر مسـن قبل مؤرخين اجانب تحدثوا فيها عن بعض احداث التاريخ العربي الاسلامي وذلك بحكم مجاورة بلادهم للدولة العربية الاسلامية وقـيام علاقات اقتصادية أو سياسية أو عسكرية . الخ بينهما .

والتساؤل هو تفسير احداث التاريخ العربي سواء في العصور القديمة أو الوسطى أو الحديثة . . وهل يجب تفسير احداثه بالعامل الغيبي أو بدافع العقيدة الاسلامية وحدها أو بالعامل القومي ؟ . .

ان فكرة تفسير التاريخ بعامل وحيد مرفوضة لعدم ثباتها علميا اذ من المؤكد أن هنالك عدة عوامل تنتج عنها الحادثة التاريخية وربما كان أحد هذه العوامل هو أكثرها أهمية وأبرز من غيـره في صنع الحادثة ، ولكن هذا لا ينفي وجود العوامل الاخرى التي تشارك في صنعها . فالعامل الغيبي الذي نراه بارزا في التاريخ القديم كان متمشيا مع المرحلة الفكرية التي كان يعيشها الانسان آنـذاك والتي تعتبر متقدمة نسبيا عن المرحلة الطوطمية التي عاشها اسلافه

لقد استغل أصحاب السلطة السياسية آنذاك العامل الغيبي ووظفـوه لتحقيق أهدافهم مستعينين برجال الدين والكهنة ومغدقين عليهم الاموال والهبات ومشيدين لهم المعابد والهيكل ، كل ذلك لتكريس

فكرة آلهويتهم أو صلة القربى بينهم وبين الاله مما جعل العامية يندفعون في خدمتهم وتحقيق رغباتهم التي يعتبرونها رغبة الاله نفسه .

وكذلك الامر بالنسبة لاحداث التاريخ العربي الاسلامي ، اذ أن العقيدة الاسلامية كانت في أول الامر الحافز القوي لنشر الدعوة والاستشهاد في سبيلها ، وما أن اتجه العرب المسلمون لتحرير اطراف الجزيرة العربية حتى ظهرت عوامل أخرى اسهمت في عملية التحرير كالعامل الاقتصادي من رغبة في الثروة والارض الى جانب الايمان بنشر الرسالة بالاضافة الى ظهور بذور للنزعة القومية ولكن في نطاق محدود جدا اذ لم تكن قد توضحت تماما .

أما في التاريخ الحديث فان العامل الاقتصادي يلعب الدور الرئيسي في صنع احداث التاريخ ، هذا بالاضافة الى العامل القومي عند الامم التي قاست من ويلات الاستعمار والتي لم تستطع التحرر منه وبنتها وحدتها .

ومما لاشك فيه ، ان عملية اعادة كتابة التاريخ العربي يجب أن تكون من خلال المفاهيم التي كانت سائدة ابان الاحداث التي ندرسها وبمعنى آخر انه من المغالطة أن نفسر احداث التاريخ القديم أو الوسيط بمفاهيم عصرنا الحاضر ، اذ أن لكل عصر عوامل صنعها وهي عوامل متطورة ومتغيرة وليست ثابتة وهذا مايجعل التاريخ في حركة دائمة ومستمرة ، ويبعده عن القوالب والصيغ الجامدة التي تتحكم بالعلوم التجريبية .

سؤال اخير يطرح نفسه عند كتابتنا للتاريخ وهو هل يجب أن نتوخى الحقيقة العلمية أولا وآخرا في كتابتنا ، فنذكر كل ما فيه مسن حسانت وسيئات ، من مواقف مشرفة ناصعة وأخرى ملطخة قاتمة ؟؟ .

ان الحقيقة العلمية يجب أن تحترم سواء أكانت بصالحنا أو ضدنا اذ أن الامانة في البحث العلمي تتطلب ذلك ، ورب قائل ان التاريخ اداة توجيه وتربية ، فلا بد من استبعاد مايشين تاريخنا مسن

المواقف والاحداث كي لايتولد لدى الناشئة شعور بالنفور منه بسدلا من الاعتزاز به . وعندي أن الحقيقة العلمية فوق كل اعتبار ، أما مايتعلق بالناشئة وتوجيههم فأمره موكول الى كتب التاريخ المدرسية والى أجهزة الاعلام المختلفة التي تملكها الدولة ، وهي جميعا تترجم الاهداف التربوية للامة عن طريق عرض المادة التاريخية المختصرة وابرار العوامل الصانعة لها بغية خلق الاعتزاز لدى الناشئة بمسا قدمه اجدادهم من بطولات ، وما أسهموا فيه لبناء الحضارة الانسانية وأخيرا :

بعد هذا العرض السريع لجوانب من تاريخنا نخلص الى القول : ان فكرة إعادة كتابة التاريخ العربي يجب تحقيقها لانها مطلب قومي وعلمي بآن واحد . وان يتم ذلك اذا لم يهيا للقائمين على إعادة كتابته الجو العلمي السليم والحرية الفكرية التامة لتأتي ابحاشهم واستنتاجاتهم بعيدة عن كل ضغط أو اغراء وخالية من كل مايسس الى الحقيقة العلمية ويعمل على طمسها . كما لا بد من توفر بعض الشروط الاساسية فيمن سيتصدى لهذا العمل الجليل من أهمها :

- ١- يجب ان يتميز المكلفون بإعادة كتابة التاريخ العربي بايمانهم العميق بطرق البحث العلمي وباحترامهم لما تسفر عنه من نتائج وحقائق ، وان يكونوا حياديين نسبيا واقسول نسبيا لان الحياد المطلق لايمكّن توفره ، وبمعنى آخر أن لا تكون لهم هوية سياسية أو مذهبية تحد من موضوعيتهم وتحجب عنهم الحقيقة العلمية .
- ٢- ان يتصف هؤلاء بالنظرة الشاملة ، واستشفاف ما وراء الاحداث التاريخية والمهارة بالربط فيما بينها وفق المنطق التاريخي وان لا ينظر الى احداث التاريخ العربي وكأنها في معزل عما يجري في المناطق المجاورة للوطن العربي أو في العالم .
- ٣- أن يكون هؤلاء المكلفون من المختصين المشهود لهم بالمناسسة

والبحث وسلامة المنطق وعملية الانتاج ، وان يعمل كل منهم في مجال تخصصه . فالمختص بالتاريخ القديم مثلا تكون رؤيته لاحداث تاريخ ذلك العصر أوضح وأشمل من غيره من المختصين في عصور التاريخ الاخرى . وكذلك الامر بالنسبة للمختصين في تاريخ العرب والاسلام أو تاريخ العرب الحديث .

- ٤- ومن الضروري ان يكون المؤلفون ممن يتقنون معرفة بعض اللغات التي كتبت بها وثائق أو معاهدات أو دراسات تتعلق بتاريخ العرب سواء القديم منه أو الوسيط أو الحديث ، أي لابد لدارسي تاريخ العرب الحديث مثلا من معرفة اللغة الانكليزية أو الفرنسية أو التركية التي كانت تكتب بالاحرف العربية .
- ٥- وأخيرا لابد من التنويه أن لجان إعادة كتابة التاريخ العربي يجب أن تضم مشاهير العاملين في حقل التاريخ في الوطن العربي وأن لا تقتصر عضويتها على فئة دون أخرى أو أبناء قطر عربي دون آخر . وباستطاعتها الاستعانة بمن تراه مناسبا لها في عملها ، سواء داخل الوطن العربي أو خارجه ، وفي مختلف حقول المعرفة المساعدة للتاريخ ، كي يأتي عملها مدروسا دراسة علمية وافية لاشاعة فيها .

والخلاصة :

ان إعادة كتابة تاريخنا ، ليس بالامر السهل اذ يتطلب فحصة من الزمن وحشد جمهور كبير من المؤرخين ، وامكانيات مادية ضخمة تسهل لهم مهمتهم ونضم بين أيديهم مختلف المصادر والوثائق وبكل اللغات التي تنطرق الى بحث تاريخنا في مختلف عصورنا ،

دراسة مقارنة لروايات فتح الشام

★ الأستاذ محمد عبد الصمد الشاطر

اختلف المؤرخون اختلافاً بينا عند تدوين الفتوح العربية واخبارها وتاريخ وقوعها فقامت نجد رواية تتفق مع رواية اخرى كان ذلك في الشرق بأخبار الجهاد على الجبهة الفارسية ، كما كان في العرب على الجبهة البيزنطية ومن مقارنة المصادر الاساسية بعضها مع بعض قلما تجد وفاقاً فيما بينها ، في معظم الحوادث العادية وحتى الهامة منها كفتح الشام والقادسية وحمص وغيرها . ولاتتفق أيضاً في عدد الجيوش التي سيرها أبو بكر وفي خط سير خالد بالصحراء في طريقه لنجدة المسلمين في بلاد الشام ورغم الخلاف في وجهات النظر والتفاصيل يبقى الواقدي هو الاساس والاقدم والمفصل بالنسبة للفتوح في بلاد الشام .

أخذ عنه معظم من كتب بعده في هذا المجال كالطبري والبلاذري وابن الاثير وغيرهم ، فقد روى عنه أحياناً ، وزادوا ، وجاءوا بروايات جديدة في أحيان أخرى . ولكنهم تخلصوا من ضروب المغالاة التي جاء بها الواقدي الى حد بعيد . سواء في مجال تقدير اعداد الجيوش المتحاربة ، أو ضروب الشجاعة التي كان يبديها قادة الجيوش المتقدمة بشكل لا يقع ولا يمكن أن يقع حسب الامكانيات والقوى الجسدية المتاحة لبني الانسان^(١) والمرجح أنها من الروايات المنسوبة والملحقة بكتابات الواقدي في فتوح الشام^(٢) .

(١) فتوح الشام الواقدي ص ٩٧ في تقدير اعداد الجيوش البيزنطية في اليرموك حتى تصل الى المليون جندي وص ٧٤ في لقاء خالد

ابن الوليد مع جموع جيلة بن الايهم وأمثالها .

(٢) خير الدين الزركلي / الاعلام / المجلد السادس ص ٣١١ طبعة دار

العلم بيروت - ١٩٨٠ - .

لقد اتفق المؤرخون ان دمشق وحمص لم تفتحا حربا وعنوة ولكنهم اختلفوا اختلافا بيينا في التفاصيل والتاريخ ولمن كانت القيادة أو الخلافة خلال هذا الفتح أو ذاك .

* تسيير الجيوش :

بناء على دعوة ابي بكر الصديق آقبلت قبائل اليمن وعسكرت حول المدينة ، منتظرة أوامر الصديق للتوجه للجهاد . ولما طال أمد المكوث حول المدينة ، واضر بها المقام ، طلبت من الخليفة أن يوجهها الى الفتح والجهاد . فعقد الرايات لقيادات حجازية شمالية :

١- الراية الاولى كانت ليزيد بن أبي سفيان ، يساعده ربيعة ابن عامر على أن يسلك طريق تبوك فالبلقاء الى فلسطين .

٢- الراية الثانية لعمر بن العاص على أهل مكة والطائف وهوازن ، وبني كلاب ، ووجهته فلسطين ايضا بطريق العقبة .

٣- اما الراية الثالثة فهي من نصيب ابي عبيدة بن الجراح ووجهته الجابية^(١) ومعه معظم الصحابة والانصار على أن تكون القيادة العامة لابي عبيدة حال اجتماعهم . ولكن عمرو بن العاص جاء يوسط عمر ابن الخطاب لدى الخليفة لتكون القيادة العامة له ، ولكن عمر رفض القيام بمثل هذه الوساطة ، لانه يرى أن ابا عبيدة هو المؤهل للقيادة .

٤- أما شرحبيل بن حسنة فكانت رايته ملحقة وذلك بعد عودته من العراق فقد حققه أبو بكر بجيوش الشام بدلا من الوليد بن عقبة .

٥- وراية العقاب كانت لخالد بن الوليد ووجهته فارس والعسراق وأمره على لحم وجذام^(٢) وكان العقد في بادئ الامر على ثلاثة آلاف

(١) فتوح الشام ص ٨ - أما ابن الاثير فيقول إن ابا بكر جعل ابا عبيدة على من اجتمع وأمره على حمص (ابن الاثير الجزء الثاني ص ٢٧٧) . وكذلك رواية ابي جعفر في الطبري ص ٣٩٤ ج ٣ .

(٢) راية العقاب راية رسول الله (ص) ولايختلف الطبري مع الواقدي في في هذه الناحية الا في أمر خالد فانه يرى أن مسيره الى العراق كان سنة ١٢هـ بعد انتهائه من حروب الردة مباشرة .

رجل فلم يزل أبو بكر يمددهم حتى صار مع كل أمير سبعة آلاف وخمسمائة وأصبح عدد المجموع (٢٤) ألفاً (١).

بعد نصر كبير حققه عمرو بن العاص على القائد البيزنطي (روبليس) في فلسطين، أرسل مع أبي عامر الدوسي الغنائم وكتاباً إلى الخليفة أبي بكر الصديق يعلمه بالفتح. هنا يسأل أبو بكر عن أحوال أبي عبيدة، فيجيبه: إنه قد أشرف على أوائل الشام ولم يجسر على الدخول إليها. فعلم أن أبا عبيدة لين العريكة لا يصلح لقتال الروم وعول أن يكتب إلى خالد بن الوليد ليوليه على جيوش المسلمين وقاتل الروم (٢)، بل كتب إليه الرسالة التالية:

(من عبد الله عتيق بن أبي قحافة إلى خالد بن الوليد سلام عليك .
أما بعد فاني أحمد الله الذي لا اله الا هو وأصلي على نبيه محمد (ص)
واني قد وليتك على جيوش المسلمين وأمرتك بقتال الروم وأن تسارع
إلى مرضاة الله عز وجل وقاتل أعداء الله وكن ممن يجاهد في الله حق
جهاده، ثم كتب: يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم
من عذاب اليم (الاية) ، وقد جعلتك الأمير على أبي عبيدة ومن معه)
بينما نص الرسالة التي وجهها أبو بكر إلى خالد - حسب ما ذكره الطبري -
تنبيء بالغضب وأنه جعل له هذا النقل عقوبة لأنه حج سراً . دون
أن يعلم الخليفة . ونص الرسالة هذه :

(ان سر حتى تأتي جموع المسلمين باليرموك فانهم قد شجوا أو أشجوا
واياك أن تعود لمثل ما فعلت فانه لم يشج الجموع من الناس بعسـون
الله شجاك ، ولم ينزع الشجى من الناس نزعك ، فليهنئك أباسليمان النية
والحظوة فاتمم يتمم الله لك ، ولا يدخلنك عجب فتخسر وتخذل . واياك
أن تدل بعمل فان الله له المن وهو ولي الجزاء (٣).

(١) البلاذري ص ١١٢-١١٣ حيث يشهد رواية أخرى للواقدي مضمونها ان الأمير في حال الاجتماع للحرب هو الذي يكون في عمله .

(٢) فتوح الشام ج ١ ص ١٣ القاهرة ١٩٥٣ .

(٣) الطبري ج ٣، ص ٣٨٥ دار المعارف بمصر ١٩٦٢ .

الاختلاف واضح في التفاصيل والدوافع . بالرسالة الاولى نصا صريحا بتولية خالد على عمل أبي عبيدة وقيادة جيوش المسلمين . ولكنها لاتذكر المكان الذي سيجتمع به بجيوش المسلمين . بينما الرسالة الثانية بالاضافة لمزيج الغضب والرضاء تجعل الاجتماع بجيوش المسلمين في اليرموك دون أن تأتي على ذكر القيادة بشيء . فقام خالد بدوره واعلم أبا عبيدة بأنه أصبح القائد العام فلا يبرح مكانه حتى يوافيه - طبقا لرسالة الواقدي - ولن أتعرض لمسير خالد من العراق والمصعوبات التي تغلب عليها بين قراقروسى ، وقصته المشهورة مضطربة تحتاج الى تنسيق بين الروايات المختلفة وخاصة وصوله الى دومة الجندل . وسأترك ذلك لبحث خاص . اخيرا وصل خالد الى بلاد الشام وبعد أن تم للمسلمين فتح بصرى توجهوا الى حصار دمشق .

* رفع الحصار عن دمشق والتوجه الى أجنادين :

بدأ الحصار هنا بتقسيم الجند الى فرقتين ، فرقة مع أبي عبيدة ومكانها على باب الجابية واخرى مع خالد بن الوليد ومكانها على الباب الشرقي . وقد تضايق اهالي دمشق من جراء هذا الحصار فطلبوا الغوث من هرقل . فارسل جيشا كبيرا بقيادة وردان حاكم حمص فتوجه نحو اجنادين وهناك تجمع له حوالي ٩٠ الفا من الجنود . فكتب خالد الى القادة المسلمين كافة ، بأن يجتمعوا في اجنادين حيث كانت معركة كبرى في (٦) جمادي الاولى سنة (١٣هـ) قبل وفاة ابي بكر ب ٢٣ ليلة ، وبعد نصر اجنادين ووصول اخباره الى الحجاز خرج بعض سادة قريش والحجاز واليمن يريدون الجهاد ، فكان رأي عمر أن لا يسمح لهم لانهم جاؤا ليحصدوا الغنائم ، وجرت مناظرة بين أبي سفيان وعمر ، استحق على اثرها عمر وسمح لهم بالجهاد^(١) . وفي

(١) فتوح الشام للواقدي ج ١ ، ص ٣٨ القاهرة ١٩٥٣ .

الوقت نفسه التحق عمرو بن معد يكرب الزبيدي ومالك النخعي (الاشتر) بالشام . وجاء الى خالد كتاب ابي بكر يقول فيه : (سر الى دمشق ثم حمص فلانطاكية...) فعاد خالد الى حصار دمشق ثانية . فجعل ابا عبيدة على (باب الجابية)^(١) ويزيد بن ابي سفيان على (الباب الصغير) وشرحبيل بن حسنة على (باب توما) وعمرو بن العاص على (باب القواديس) وقيس بن هبيرة المرادي على (باب الفسرج) وخالد على (الباب الشرقي)^(٢) وضرار بن الازور على الخيالة . انظر المصور رقم (١) .

وبعد حصار طويل وجد المدافعون أن ابا عبيدة هو الالين عريكة ففاوضوه على الصلح . فكتب لهم كتاب الصلح والامان ، ولم يسم فيه اسمه ولا أثبت شهودا .

ودخل أبو عبيدة من باب الجابية ولم يعلم خالد بن الوليد بذلك . بينما استطاع خالد أن يدخل عنوة بمساعدة القسيس (يونس بن مرقص) . والتقىا عند كنيسة مريم ، فنظر أبو عبيدة فوجده الانكار بوجه خالد فقال له : (يا أبا سليمان قد فتح الله على يدي المدينة صلحا ، وكفى المؤمنين القتال) . فقال خالد : (وما الصلح لأهلح الله بهم ، واني لهم الصلح وقد فتحتها بالسيف ؟) فقال

(١) ابواب دمشق هي (الباب الشرقي) (باب الفراديس) بالجهة الشمالية للمدينة وهو بمعنى الجثات ويدعى أيضا الكرابيس من تكوم الجثث قريبا . وفي الشمال الشرقي باب يدعى (باب توما) والاسم يشير الى صهر الملك توما . وفي الغرب بوابة باسم باب الجابية وفي الجنوب مدخلان يعرف احدهما باب كيسان والاخر باب الصغير (فتح العرب للشام جورج حداد ص ٥٩ - ٦٠) .

(٢) يختلف البلاذري مع الواقدي حيث يقول أن شرحبيل بن حسنة كان على باب الفراديس ، بينما عمرو بن العاص على باب توما ولاذكر لباب الفرج لديه - البلاذري ص ١٢٣) .

أبو عبيدة : (ايها الامير : اعلم اني مادخلتها الا بالصلح) .
فقال له خالد بن الوليد : (انك لم تزل مغفلا وانا مادخلتها الا
بالسيف عنوة . وماقي لهم حماية) . وكان دخولهم اليها يوم وفاة
أبي بكر (١) . ثم اتفق رأي القادة أن يقرروا الصلح في منطقة أبي
عبيدة وأن يحتكما للخليفة ، فرضي خالد وأمن أهل دمشق الا (توما)
(هربيس) فعليهما أن يخرججا بأموالهما وكان ذلك . ثم أن خالد
ابن الوليد كتب كتابا الى الخليفة أبي بكر يعلمه بأمر الفتح ،
وخلافه مع أبي عبيدة ، وكان أبو بكر قد توفي ، وأصبح الخليفة عمر
فوصل اليه الكتاب ، فتعجب وسأل : ألم يعلم المسلمون بوفاة أبي بكر؟
فأجابوه بالنفي . فقال : كنت أعلمت أبا عبيدة ووليته علي
المسلمين وعزلت خالدا . ثم سعد المنبر يعلم المسلمين بما فعل
وكان . فقال : (يامعاشر الناس اني امرت أبا عبيدة الرجل الامين
وقد رأيته لذلك أهلا ، وقد عزلت خالدا عن امارته) . فقال رجل من
بني مخزوم : أتعزل رجلا قد اشهر الله بيده سيفا قاطعا ونصر به
دينه . وان الله لا يعذرك في ذلك ولا المسلمين ان أنت اغمدت سيفا
وعزلت أميرا أمره الله ، لقد قطعت الرحم) ثم سكت الرجل فنظر عمر الى
الرجل المخزومي فرآه غلاما حدث السن ، فقال : (شاب حدث السن غضب لابن
عمه) . ثم نزل عن المنبر (٢) ، ونام وهو يفكر في عزل خالد ، وفي
الصباح سعد المنبر وخطب خطبة برز فيها سبب عزل خالد بأنه مسرف
ويعطي المجد والفارس فوق ما يستحق ولا يبغي لفقراء المسلمين
والضعفاء شيئا . وكتب كتابه ثانية بعزل خالد وتوليته أبي
عبيدة ، وأوصاه بالرحمة وعدم التغرير بالمسلمين ، قائلا له :
(وبعد فقد وليتك أمور المسلمين فلا تستحي فان الله لا يستحي من الحق
وأما اختصامك انت وخالد في الصلح والقتال فأنت الوالي وصاحب الامر
وان صلحك جرى على الحقيقة انها للروم فسلم اليهم وذلك والسلام) .

(١) فتوح الشام ص ٤٦ ، ج ١ القاهرة ١٩٦٣ .

(٢) المصدر السابق نفسه ص ٥٥ .

أما خالد بن الوليد فإنه أبدى السمع والطاعة ، وكان أشد من ذي قبل في حروبه ، وقد ظهرت أول بادرة تدل على ذلك عندما تضايق عبد الله بن جعفر في حصاره لدير (أبي القدس) فلما وصل الخبر إلى أبي عبيدة ، قال : (أنا لله وأنا إليه راجعون ، أياها عبد الله بن جعفر ومن معه تحت رايتك يا أبا عبيدة وهي أول أمارتك ؟) ثم التفت إلى خالد بن الوليد رضي الله عنه وقال : (يا أبا سليمان سألتك بالله الحق عبد الله بن جعفر فانت المعد لها) . فقال خالد : (أنا لها إن شاء الله تعالى ، وما كنت انتظر إلا أن تأمرني) . فقال أبو عبيدة : (استحييت منك يا أبا سليمان فقال والله لو أمر علي طفل صغير لأطيعن له ، فكيف أخالفك وانت أقدم إيماننا واسبق أسلامنا . سبقت بإسلامك مع السابقين وسارعت بإيمانك مع المسارعين وسماك رسول الله بالأمين ، فكيف أخالفك وإنال درجتك ، وإن أشهدك أنني قد جعلت نفسي حيسا في سبيل الله تعالى ولا أخالفك أبدا ولا وليت إمارة بعدها أبدا^(١) . بعد هذا الكلام انجز خالد المهمة بكثير من المغالة وخلص عبد الله بن جعفر وساروا يريدون حمص بمحاولتهم فتحها .

* ماذا في هذه الرواية ؟ *

أهالي دمشق يرسلون هرقل ويطلبون المدد فيجيبهم إلى ذلك بمدد قدره تسعون ألفا بقيادة (وردان) حاكم حمص ولكن هذا المدد يتوجه إلى جناديين ، وكان وردان قبلها قد هزم حول دمشق ، لقد نجحت مناورته إذ جعل المسلمين يرفعون الحصار عن دمشق ، ولكنه فسيحي جناديين تعرض لاجتماع قادة المسلمين كافة ، ولم يكونوا قد اجتمعوا جميعا قبلها . ولكن هذا لم يكن بحسبانه فيما يبدو . والاهم من ذلك دخول مدينة دمشق بعد حصارها الثاني المركز ، كيف يفـاوض

(١) الواقدي ح ١ ، ص (٦٠) .

أبو عبيدة ،ويوقع صلحا منفردا ،دون علم خالد ،وبيد الاخير القيادة العامة والجميع يعرفون من هو خالد ؟ .
هل وصل كتاب الخليفة عمر بعزل خالد قبل بدء هذه المفاوضات فعلم بها ابو عبيدة بطبيعة الامر كما علم بها الروم المحاصرون ليبدأوا مفاوضاتهم مع ابي عبيدة دون خالد ؟ .
واستحي ابو عبيدة وتردد باعلام خالد صراحة بعزله كما يستدل من كتاب عمر اليه . أما القول بأنهم لمسوا اللين في مواقف أبي عبيدة والشدّة في مواقف خالد ،فما يجديهم لين رجل لا يملك حـسـق اجراء مثل هذه المفاوضات وتقرير المصير ؟ .
ماذا قال الآخرون في ذلك ؟ وفي التاريخ لا يمكن النفي والاثبات مالم نحصل على الدليل فأين هو ؟ .

* حديث البلاذري حول هذه النقطة :

قالوا لما فرغ المسلمون من قتال من اجتمع لهم بالمرج أقاموا خمس عشرة ليلة ثم رجعوا الى مدينة دمشق لاربع عشرة ليلة بقيت من المحرم سنة أربع عشرة للهجرة ،فأخذوا الغوطة وكنائسها عنوة ،وتحصن أهل المدينة واغلقوا بابها ،فنزل خالد بن الوليد على (البـسـاب الشرقي) في زهاء خمسة آلاف ضمهم اليه أبو عبيدة . وقوم يقولون ان خالدا كان أميرا وانما اتاه عزله وهم محاصرون دمشق . وسمي الدير الذي نزل عنده خالد وهو (دير صليبا) دير خالد . ونزل عمرو بن العاص على (باب توما) ونزل شرحبيل بن حسنة على (بـسـاب الفراديس) ونزل أبو عبيدة على (باب الجابية) ونزل يزيد بن ابي سفيان على الباب الصغير أي الباب الذي يعرف (بكيسان) (١) .
كلتا الروايتين تجعل القيادة لابي عبيدة خلال حصار دمشق ،حيث أن أبا عبيدة هو الذي ضم الخمسة آلاف الى خالد ،بالإضافة لما يقوله القوم ... آنفا .

(١) البلاذري ص (١٢٣) .

أما بشأن دخول المدينة واقتحامها فالبلاذري يقول في رواية غير متثقة :

ان ابا عبيدة هو الذي دخل حربا من باب الجابية عندما قام الروم باخراج جنازة احد موتاهم فعمد الاسقف الى خالد بن الوليد وفتح له الباب الشرقي والاسقف معه ناشرا كتابه الذي كتبه له ، فقال بعض المسلمين والله ماخالد بأمرير فكيف يجوز صلحه ، فقال ابو عبيدة انه يجيز على المسلمين أدناهم وأجاز صلحه وأمضاه ولم يلتفت الى مافتح عنوة فصارت دمشق صلحا كلها ، وكتب أبو عبيدة بذلك الى عمر وأنفذه ، وفتحت أبواب المدينة فالتقى القوم جميعا (١) .

هنا أبو عبيدة يتصرف تصرف الأمير العارف بوفاة ابي بكر وخلافة عمر ولكنها رواية مفردة لم ترد في غير هذا المكان .
أما رواية الواقدي التي تقول ان اجنادين حدثت في ٦ جمادي الاولى

سنة ١٣ هـ :

قبل وفاة أبي بكر ب ٢٣ ليلة وان النصر تم واعلم خالد ابا بكر به ، وجاءه الرد بأن يسير الى دمشق ثم حمص فانطاكية المعركة تنتهي ويذهب الخبر بانتهائها الى المدينة ويعود منها .
ويبدأ حصار دمشق ثانية وينتهي والثلاث والعشرون ليلة لم تنته بعد ، اذ مازال أبو بكر هو الخليفة ؟ . على علم أن حصار دمشق دام بين ٧٠ ليلة والستة اشهر على اختلاف ما بين الروايات . هذا يصعب قبوله بمختلف المقاييس . ولا تفسير له سوى أن عمر أصبح خليفة ودمشق محاصرة للمرة الثانية . وعند الواقدي نفسه ما يشير الى ذلك قال الواقدي : (ولقد بلغني أن خالدا (رضي الله عنه) لما رجع من غزوته بملاحقة توما وهربيس بعد فتح دمشق ومسيره غاما ،

(١) المصدر السابق ص (١٢٤ - ١٢٥) .

دراسة مقارنة لروايات فتح الشام

ظن أن الخليفة ابا بكر الصديق (رضي الله عنه) حي لم يقبض، فهمم أن يكتب له كتابا بالفتح والبشارة وماغنم من الروم وابو عبيدة لا يخبره بذلك ولا يعلمه أن الخليفة عمر بن الخطاب (١) .

إذا فالخليفة عند الانتهاء من فتح دمشق هو عمر بن الخطاب وابو عبيدة يعلم ذلك، وخالد هو الذي يجهل هذه القضية لان ابا عبيدة كتمه الخبر واستحى أن يعلمه بمعزله .

والتاريخ الذي يعطيه البلاذري لاجناديين يمكن أن يكون أدق واكثر قبولاً فهو يقول : (ان اجناديين حدثت في ٢٨ جمادي الثانية سنة ١٣ هـ ، هذا اقرب الى الواقع اذا اعتبرنا مقالاه الواقدي وابن اسحاق صحيحا حيث يقولان : ان فتح دمشق تم سنة ١٤ هـ وحصارها دام ستة أشهر وان وقعة اليرموك كانت سنة ١٥ هـ (٢) .

أما رواية سيف بن عمر فتقول : كان فتح دمشق سنة ١٣ هـ ، وان المسلمين ورد عليهم البريد بوفاة أبي بكر وعزل خالد باليرموك وان عمر أمرهم بعد فراغهم من اليرموك بالمسير الى دمشق وزعم أن مخلا كانت بعد دمشق (٣) .

أما ابن الاثير فيجعل أيضا عام تسيير الجيوش عام ١٣ هـ ، بعد عودة أبي بكر من حجه (حج عام ١٢ هـ) ، وكانت الجيوش التي سيرها كتلك التي ذكرها الطبري والواقدي وانما يجعل اماره ابي عبيدة في حمص ، وانه بعد اجتماع الجموع الكثيرة من الروم كان رأي عمرو بن العاص

(١) فتوح الشام ص (٥٣) .

(٢) الطبري ج٣، ص (٤٤١) : هكذا وردت في الطبري المصدر المشار اليه ولكن البلاذري يقول ص (١١٧) : وكانت وقعة اجناديين يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة بقيت من جمادي الاولى سنة ثلاث عشر ويقال ليلتين خلتا من جمادي الاخرة ويقال لليلتين بقيتا منه .

(٣) المصدر السابق نفسه .

وابي بكر أيضا أن يجتمعوا فكان الاجتماع باليرموك ، وامدهم بخالد ابن الوليد وذلك في جمادي الثانية / عام ١٣هـ / والمعركة دائرية باليرموك اذ قدم البريد بوفاة ابي بكر وعزل خالد ، روايته تماما مثل رواية سيف بن عمر في الطبري ، كما أن حصار دمشق دام سبعين ليلة ولم يذكر توزيع القادة على الابواب ، وبعد تمام الفتح جاءه كتاب عمر باعادة جند العراق . أما ابو عبيدة فانه توجه نحو مغل (١) . انظر المصور رقم (٢) .

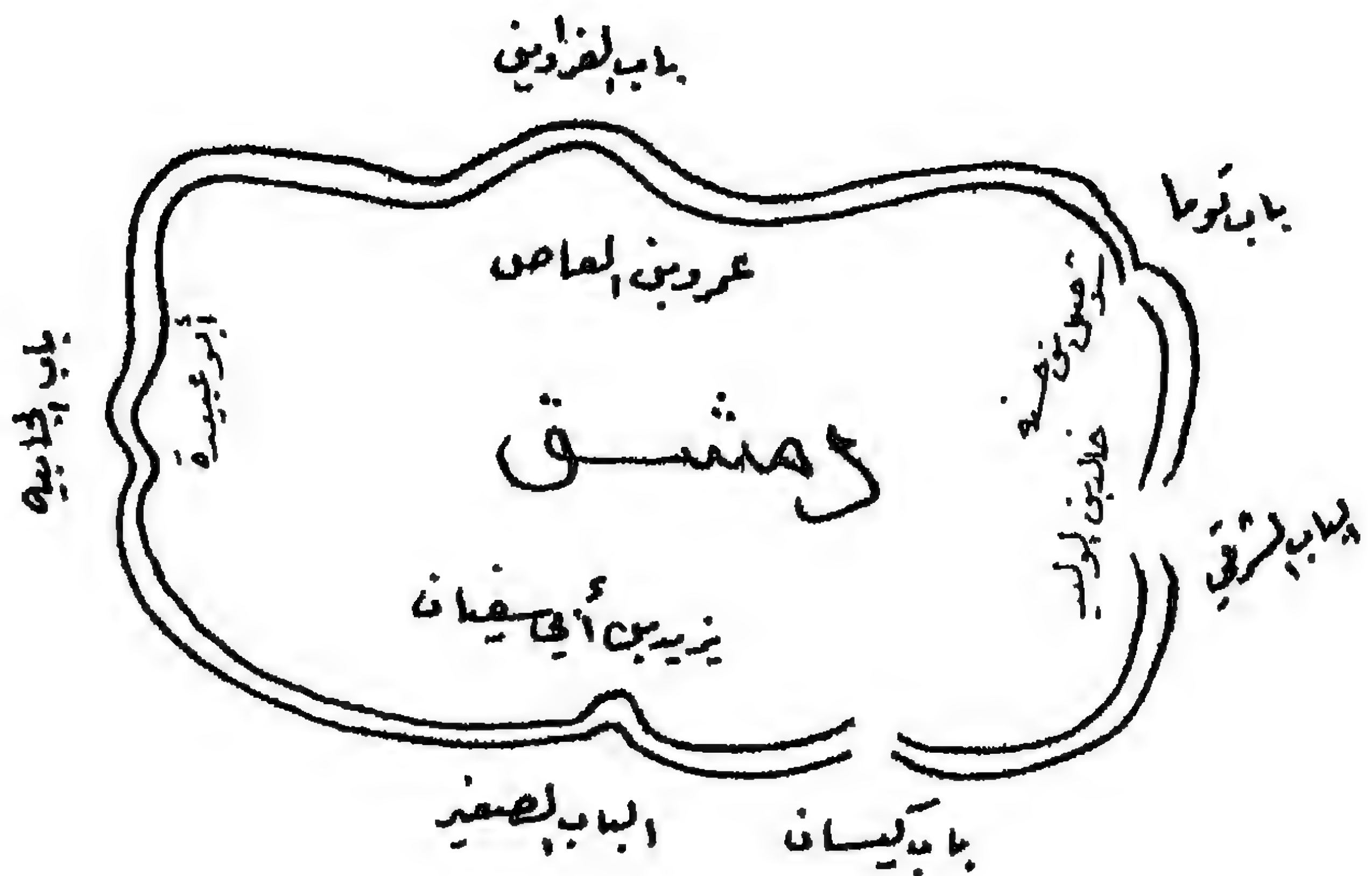
ويرى الدكتور جورج حداد رأي المستعرب الهولندي - دي غوي - وخلاصته أن سيف بن عمر خلط بين اجنادين واليرموك . فسبق الثانية وآخر الاولى . وان معركة اجنادين (يرموث) هي اليرموك الاولى ، و(هيروماكس) هي معركة اليرموك الثانية (٢) بالطبع كان ذلك بسبب تقارب الامكنة . وان البلاذري بعد أن تحدث عن اليرموك عام (١٣هـ) يعود للحديث عنها عام (١٥هـ) وهكذا نرى أن التناقض والاختلاف حاصل في معظم الحوادث والخطوات ومرد ذلك الى المصادر التي أخذ عنها متأخرة وان هذه الحوادث على جلالة قدرها لم تدون في حينها .

(١) ابن الاثير ج٢ ، ص ٢٧٥ وما بعدها .

(٢) د . جورج حداد (فتوح العرب للشام ص ٤٥) .



نقش



كفر البارة ومدنها الست

الأستاذ كامل شحادة

أحدى مدن المنطقة الافامية في العهد الروماني ، وأبرز مدن جبل
الزاوية وتتوسطه متوضعة بين مرتفعين صخريين وبنقطة ممر جبلي
ولها أهميتها الاستراتيجية منذ مطلع القرن الرابع الميلادي، وان
اشجار الزيتون تغطي أكثر أراضيها ، فضلا عن الكروم وزراعات محدودة
ومختلفة . وعلى كتف واديهما بئر قديمة لا ينضب ماؤها ، وغالبية
مبانيها الاثرية رومانية وبيزنطية العهد ، تنتشر على مساحة واسعة
جدا بطول (٤) كم ، وعرض (٣) كم وأوابدها الاثرية تتوزع في سبعة
مواقع اثرية مأهولة مكتظة بالعمران ، سكني واجتماعي وديني
وصناعي وجنائزي ، مشيدة من حجارة كلسية كبيرة الحجم وبمسئوى
عمراني رفيع جدا ومن جودته لم يتطلب مؤونة لازمة .

وابتدأت الحياة بمواقعها التاريخية منذ مطلع العهد الروماني ،
فاحتفلت بكثافة سكانها واهميتها الاقتصادية حتى نهاية الحروب
الصليبية ، وكانت ايضا ذات وسط دفاعي عربي واسلامي من قلاع وحصون
هامة ، تتبعها في ذلك المواقع الستة المحيطة بها وهي :
سرجلة - بعودا - بترسا - مجليا - بشله - دير دبانة .
وتتنوع مبانيها بين مبانى - فيلات - كثيرة تتوسطها ، واجتماعية
وابراج وحمامات ومقاصف رائعة ودفنية ، فضلا عن المباني الدينية
الكبيرة وهي ثلاث اديرة وكاتدرائية كبرى وخمس كنائس ، من أشهرها
دير سوباط وكنيسة الحصن .

أما المباني الاقتصادية فهي مؤسسات صناعية للزيت والعنب

استرجع المناطق من حولها (١) .

واذا ما استعرضنا الاوابد الاثرية في البارة ، فان ذلك يتطلب سبب
مجلدا كاملا ، مع أن المجال هنا ضيق جدا ولذا وجب الاقتصار على
تعداد الالهة منها وبالترتيب .

١- ففي كفر البارة من الشمال قلعة أبو سفيان ، وهي تسمية عامة
لذلك الحصن الكبير والاستراتيجي الموقع ، مبني من طابقيين ، يعاصر
بتحويله هذا الى حصن ، كنيسة سمعان في اواخر القرن العاشر (٢) . وكان
معدا كمركز كنائس للمراقبة فقط عند مفترق طرق الجبل القديمة الهامة
اذ يتوسط كثافة عمرانية ، سكنية منها ودينية مشيدة من حجارة
كلسية كبيرة الحجم .

٢- الكنائس : وهي تبلغ ثمانية كنائس ، واحداها اكليركية -
كهنوتية - واخرى كاتدرائية كبرى تسمى (كنيسة الحصن) فهي ابرز
الاوابد بكاملها ، تهيمن بموقعها الجغرافي على الطريق القديمة من
تحتها تجاه قلعة أبو سفيان ، ويحفظها سور من ثلاثة مدايك حجرية
وكلسية ضخمة (١٠٠ x ٦٠) مترا ، وابعادها بالذات (٣٠ x ١٦) متر .
فخمة البناء غنية النحت خضبة الزخارف النباتية منها والحيوانية (٣) .
وسقفها السنامي على صفين من الاعمدة المستديرة المتوجهة بنسج
كوارنتي جميل ، وكل صف من الاعمدة لهو من طابقيين من الاعمدة ،
يعطيها اكثر ارتفاعا واجمل اضاءة .

(١) تاريخ ابن الوردي ج ٢ ص ٥١ . وزبدة الحلب ج ٢ ص ٣١٢ و ٣١٣ .

(٢) المدن الميتة في سوريا الشمالية للاب ماتيريد ص (٣٩ و ٤٠) -

(بالفرنسية) .

(٣) القرى الاثرية في سورية الشمالية لتسناك كوج (ص ٢٨٤ و ج ٢)

مخططات ٨١ و ١٣٨ و ١٣٩ (بالفرنسية) .

وان في طرز تيجانها واشرطة زخارفها وضوح كامل للفن السوري في البناء^(١). وثمة كنيسة كبيرة بأبعادها (٢٥ x ١٦ر٠٦ م) وقسود تجمعت من حولها الافنية والاروقة والاعمدة اللاصقة بالبناء والمساكن الخاصة بالرهبان والرئيس المطران .

ويرى (فان برشم) ان هذه الكنيسة - تعود لفترة لم تكن فيها الهندسة العسكرية معروفة جيدا .

وكنيسة رابعة - كنيسة بيت جبر - تتوسط المدينة الاثرية وفي الحقيقة هي على غاية من الخصب الفني والزخرفي^(٢). وتقع جنوبي كنيسة الحصن بنحو (٥٠ م) . ومن أبرز خصائصها الفنية والعمرانية وجود هياكل - حنيات ثلاثة من الشرق - والحنية الوسطى منها حدوية الشكل ، وقوس الهيكل فيها يستند على عمودين ، ليعطي بذلك الخفصة والمرونة الرشيقة ، وان مبلغ الازدهار الفني والعمراني في البناء هنا يؤكد انتماءه الى القرن السادس الميلادي في سوريا الدينية ولم يخل بعض سواكف هذه الابنية من كتابة فثمة نص باليونانية على سقف باب الكنيسة الجنوبي ترجمته (نذرا ولصيانة بانتاليون عام ٥٩٥ م^(٣))

٣- هذا والجدير بالذكر هنا وجود بناء جامع مستحال من مبنى قاعة كبيرة قد توسط المدينة وتاريخه عام ٤٩٧ هـ ١١٠٣ م وفسق مايشير اليه النص الكتابي السافر بخط كوفي بسيط على حجر كبيسر بظاير الجدار الشرقي ، يذكر بناته مع التاريخ^(٤). ويعرف بجامع خراب عنكور وثمة اربعة جوامع أخرى صغيرة ، موزعة هنا وهناك

(١) مانيرك ٣٦ وآيس ٣ - ١٨٩ - ٢١٥ ، وبايس ٣ ب ١٠٦٢ و ١٠٦٥ .

(٢) المدن الميئة في سوريا العليا ج ١ ص ٤٠ .

١٢ : سرها احلس رقم ١٧٤٣ .

(٤) الشرقى الغربى في سوريا الشمالية ج ٢ مخطط ١٤٧ لنشالذكسور بالفرسية .

تشهد بفترة استرجاع المدينة واقامة المسلمين العرب فيها ، كما
تشبت ذلك شواهد القبور الاسلامية المنتشرة جانبها من الجامع وعلسى
احداها كتابة كوفية مؤرخة لعام (٥٢٠ هـ - ١١٢٦ م) تضمنت اسم
المتوفي (ذؤابة بن الحسن) (١) .

وعلى شاهدة ثانية عشرة اسطر بالكوفي ايضا مؤرخة بعام (٤٥١ هـ -
١٠٥٩ م) (٢) . وعلى شاهدة ثالثة نص بالكوفية تضمن البسمة والتوحيد
واسم سلطان بعام (٤٦١ هـ - ١٠٦٨ م) (٣) .

ان هذه الوثائق لتشهد بعروبة السكان ، عروبة سبقت تاريخ سسقوط
الولاية البيزنطية في انطاكية عام ١٠٨٤ م . وهي تشهد بوجود جمعيات
اسلامية قبل أن تسترد نهائيا من قبل نور الدين الشهيد كما سر
آنفا وان بناء قديما ذا قبة حوت حدره الداخلية ثمانى كتابات
عبرية تشير الى وجود جماعة موسوية في ذلك الوسط ، وقد أصبح البناء
هذا قبرا مشتركا (٤) .

٤- وفي المدينة أربعة أديرة كبيرة في الشمال الغربي منها
(دار الرهبان) وفي الجنوب الغربي دار سوبا ط ، وبالقرب منها الغرب
وبقمة الهضبة الصخرية دير دبانة ، وفي الجنوب الشرقي بناء الدير ذي
السور العظيم من حوله بين القرية الحديثة والمدينة الاثرية .

ثم في الجنوب من القرية حصن البريج الذي هو بحد ذاته مزرعة ديريسة
أثرية خاصة . على أن أبرز هذه الاديرة هو دير سوبا ط ، الذي يشبه

(١) القرى الاثرية في سوريا الشمالية - تشالكنو ج ٣ ص (١١٥) -

(بالفرنسية) .

(٢) ذكرنها مجموعة الخطوط العربية (اصدار المعهد الاثري الفرنسي
بالقاهرة تحت رقم ٢٦٣٠)

(٣) ذكرتها مجموعة الخطوط العرسة (اصدار المعهد الاثري الفرنسي
بالقاهرة بحرقم ٢٦٦٨) .

(٤) القرى الاثرية في سوريا الشمالية ج ٣ ص ١١٥ .

الاستاذ كامل شحادة

كلسية ، وحدثت فجوة في جدار البناء ، تستخدم لادخال المواد السلي داخل المعصرة (مما يؤدي الى انقاص اليد العاملة) وعلى مرتفع من الجدار الشمالي أيضا وتحت غطاء بارز توجد كتابة لاتينية من سطرين نصهمسا :

1-Nectareos Succos Baccheia Munera Cernis

2-Ruaebitis Genuit Aprico Sote Refecta(2)

وترجمتها الى العربية : (هذا العصير الرحيق هو منحة باخوس ، والذي ترون هو ثمرة الكرمة المغذاة بشمس حامية (٢) . ورغم وجود اسم باخوس فان الكتابة بيزنطية العهد تعاصر البناء . وثمة معاصر كثيرة منتشرة على اطراف الوادي خاصة بعصر العنب .

أما المؤسسات في المدن الملحقة بها فسنذكرها في حينها معها .

المباني الدفنسية :

هي من مميزات كفر البارة وهي النادرة كما ونوعا بسقوفها الهرمية (٢) من فوق قاعدة مربعة كبيرة أقيمت من حجارة كلسية كبيرة الحجم وفيها المدخل وكوى للنور ، وجميعها قد توجت بأشطرة زخرفية بارزة متكررة ، تزدان فيها اشارات الصليب بأنواعه ، وشيدت القاعدة مع الهرم بمدماك واحد فقط ، وقد برزت في حجارة الهرم مثلثات للاستناد تسهيلا للعمل في الصعود ، ولا يزال قبران هرميان فيها يحتفظان بسلامة البنيان والخصب الفني والزخرفي تمثيلا لورق الاكانتس - الخرشوف - على المحيط ، وأوراق العنب في تأطير الابواب ، ويذكرنا احدهما المسمى (المذوقة) - نسبة للاغراق بذوقته الزخرفية بالقبر الهرمي في الدانا الجنوبية - المعرة - وثمة مدافن وقبور مختلفسة حجما ونوعا وحفرا في الصخر ، وبناء تنتشر على اطراف المدينسة

(٢) (ويرتكتون - كتابة سورية ٢٦٤٤ . وايتز البعثة الامريكية الاثرية السورية ١٨٧ م .

(٣) طبوغرافية سورية لدوسو ص ٢١٠ .

الاثريّة • واذا ما انتقلنا الى المدن الاثريّة الاخرى الملحقة بقريّة البارة نبدأ :

١- سـرجـلا :

وهي ضاحية البارة من الشرق على مسافة (٣كم) ذات موقع استراتيجي ووضع جغرافي عظيم وبملتقى طريق قديمة ،بواد منخفض ذي ذراع^(١) ،وعلى كتفيه شيدت المدينة بمستوى عمراني عظيم ،ومن القرن الرابع الى السادس الميلادي وهو يعبر عن مدى عظيم لرخاء المدينة وترفها العمراني •

وتتألف المباني من مغاني - فيلات - فخمة ،جدا و غنية وكنيسة ودير^(٢) • وحمام ضخمة جدا ومقصف - اندرون - كبير وانواع من القبور المقامة بالهواء الطلق سنامية الغطاء ،فضلا عن بناء قبر هرمي صغير من الغرب على طراز المعابد اليونانية •

والكنيسة من القرن الرابع الميلادي ذات صحن ثلاثة وسقف سنامي كان يرتكز على صفين من الاعمدة المتوجة بنوع كوارنتي في كل صف ستة أعمدة ،ويضاف اليها ملحق خاص بالرهبان له بوابة مقنطرة تسمح بالمرور الى قاعة ذات مقاعد حجرية • وتاريخ الكنيسة عام ٣٧٠ م ،- تسبق بناء الحمام والاندرون بمائة عام •

أما الحمام والمقصف فمؤرخان حسبما اشارت كتابة بفسيفساء بعام (٤٧٣م) • وهما موهوبان الى المواطنين السكان من قبل ملك شري جدا اسمه (جولييانوس) وزوجته (دمنة) وبناء الحمام الى جانب المقصف ،تتوسطها قاعدة كبيرة لنزع الثياب (١٥ x ٨م) - بسقف سنامي وشريط زخرفي يحيط بهما وبنوافذها ،وتغذى بماء يخزن في صهريج ملاصق (١٦ x ١٤ x ٨م) مغطى بسقف من حجر عليه اقواس من

(١) القرى الاثرية في سوريا الشمالية ج ٢ ص ١٣٩ وج ٣ طراز المساكن •

(٢) القرى الاثرية في سوريا الشمالية ج ٢ مخططات ١٩ و ٢٠ و ١٤٠ و ٣٥ •

تحتة . وكان الماء يرفع آليا لبقاء معالمه ، ومن ثم يجري بقناة واسعة على مرتفع بالجدران تصل الى جميع أقسامها وتبرز القناة بنحو (٤٠ سم) أما المقصف فهو من ثلاثة شوابق بأروقة على المحيط . وان الطابق الارضي كان يخص لحجز الدواب وكفندق للزائرين (١) .

٢- بعـــــــودا :

وهي الضاحية الثانية البارة مع سرجلة من الشرق ، وعلى الطريق المؤدية لها بمسافة (٢ كم) تتوضع بوسط صخري تخلو من أي ساكن ، الا بفصل الربيع يؤمها الرعاة من أجل مواشيهم ولا تقل شأنا عن جاراتها من حولها . سرجلة والربيعه وبترسا ومجليا - وجميع مبانيها مشيدة من حجارة كلسية كبيرة الحجم مقتلعة محليا ، ويتميز من بينها قبر هرمي بحالة حسنة ، مؤطر المدخل ومربيع القاعدة ومتوج الاركان ، أبعاده (٤ر٥ x ٤ر٥م) . ويعلو القاعدة هرم مثلث الشكل يرتفع بواسطة (١٤) مدمكا ، تبرز في احجاسه مثلثات واسطة التمهيد في البناء (صورة ٦) وثمة قبور منفردة ، اقيمت في الهواء الطلق من قطعة واحدة وغطاء سنامي ، دونما تحديد في الاتجاه ، ومدافن كثيرة محدثة في الصخر ، ويتوسط المدينة بناء كنيسة ذات استطالة كبيرة (١٦ر٧٥ x ١٠ر٦م) . ولها صحن واحد ، والهيكل متسع من الشرق ، على يمينه غرفة الدياكونيكون لتحضير الصلاة ، وهي مؤرخة في القرن الرابع الميلادي .

٣- مجليـــــــا :

هي الضاحية الجنوبية للبارة على رمية منها ، وعلى طريق داخلية كبيرة ، وتغطي اوابدها مساحات واسعة من الارض وهي اكثبر قدما من البارة بل واعظمها شأنا وازدهارا بالفن والعمران (٢) .

(١) المدن الميثة في سوريا العليا ص ٥١ و ٥٢ .

(٢) القرى الاثرية في سوريا الشمالية للاشاري تشالنكو (بالفرنسية)

وتوحدت مجليا مع البارة في القرن السادس الميلادي بعد أن كانت مستقلة وهي تحتوي على ممتلكات أثرية على غاية من الأهمية والفخامة ومن أهمها :

كاتدرائية كبرى في الشطر الشمالي من المدينة ، وكنيسة كبيرة في الشطر الغربي منها ^(١) ، وبجانبها حمام واسعة ، وبقربها معصرة زيت كبيرة ^(٢) ، وكثير من المدافن والانصاب الجنائزية ^(٣) . فالكاتدرائية ذات صحن ثلاثي يفصلها صفان من الأعمدة المستديرة متوجة بنسوع كوارنتي وفي كل صف عشرة أعمدة وهيكلها من الشرق على طرفيها غرفتا الدياكوبينكون والبروتيز - للتحضير والهدايا ويتقدمها النارتكس من الغرب فيه خمسة أبواب تؤدي إليها ، وهي مؤرخة مسنن أوائل القرن الخامس الميلادي .

ويقوم مدفن من طابقين على يمين الكاتدرائية ، يتوضع سقفه على قناطر واقواس ، يضم ثمانية توابيت كبيرة وهو خاص برحناال الدين .

أما الكنيسة : فهي في الشطر الغربي من المدينة ، ذات مخطط نسيجي وحده ، مثنى الشكل تقريبا تعلوه قبة ترتكز على ثمانية أعمدة واقواس من تحتها ، ويتميز الهيكل بحجمه وقنطرة امامية تستند على عمودين وعن يمين وشمال الحنية غرفتان لتحضير الصلاة والهدايا والهبات ، وفي البناء روعة في التخطيط وابداع في النحت وخصب فني الزخرفة وهي مؤرخة في القرن السادس الميلادي ، وحمام المدينة يتوضع بوسط رئيسي بين شارعين ، شيد من حجارة كبيرة الحجم وبني السقف

(١) المدن الاثرية الميثة في سوريا العليين (ماتيرن) (بالفرنسية)

ص ٣٦ .

(٢) القرى الاثرية في سوريا الشمالية ج ١ ص ٤١ ترتيبا .

(٣) المصدر السابق ج ١ ص ٣٣ .

الاستاذ كامل شمسحادة

بالعوارض الحجرية وفرشت الارض كما في الكاتدرائية بالفسيفساء، باستثناء الكنيسة مرصوفة ببلاط حجري، واحسنت الانارة بالنوافذ وارتفاع البناء، كما استعيفض عن الباحة والرواق بقاعة كبرى لخلع الالبسة . وان عظمة البناء تثبت كون الحمام جماعية للعموم (١).

اما المعصرة فانها اقيمت بمنصف المدينة وباتجاه الشرق يتقدمها مدرج وتعلو مدخلها قنطرة وهي محدثة نقرا في الصخر وتضم بداخلها الرحى وادوات العصر ودراسة الزيتون، وعلى يمين المدخل لوحة كتابية باليونانية من أربعة سطور، تعلوها اشارة الصليب واحرف اسم المسيح وترجمتها الى العربية: (أيها السيد المسيح أغث جليانوس وديمترىوس، لانهما اكملوا هذا العمل (٢) ، وان هذا لهو دعاء يخص هذين المحسنين وبخاصة منهما جليانوس الذي له سابق فضل في بناء حمام سرجلا كما مر انفا . وعلى اساس ان المعصرة هنا من املاك وقفية، وهذا العمل الخيري يشير دون ريب لاهمية الاستثمار الزراعي في حياة المعابد والكنائس والأديرة .

وفي مجليا تتنوع المدافن والقبور فمن شكل هرمي المدخل مثلثا على طراز المعابد اليونانية الى ذات قنطرة وتوابيت من قطعة واحدة بغطاء سنامي وعليه كتابات تحفظ المتوفي وتؤرخ الوفاة .

٣- بترسسا :

ضاحية ثانية من الجنوب للبارة بعد مجليا المتجاورتين وكلتاهما تمر بهما الطريق القديمة بين جسر الشغور وقسطون، وبين معرة النعمان (٣) . تتوضع على كتف واد منحن يتصل بكفر البارة من الشمال وصارا بكفر نين وحاس وكفر روما ومعرة النعمان من الجنوب

(١) القرى الاثرية في سوريا الشمالية ج ١ ص ٣٦ .

(٢) القرى الاثرية في سوريا الشمالية ج ١ ص ٢٦ لتشالينكو بالفرنسية

(٣) المدن الميئة في سوريا العليا ص ٣٥ .

والشرق يجري به نهر الهرماس ، وتضم المدينة مجموعات عمرانية مختلفة ، بعضها ذو مخطط نسيج وحده وهو ما تتميز به كنيسة سبتية القائمة السقف على عوارض حجرية بدلا من الاقواس ، وكذلك في كنيسة الثانية ، وفي بعض مساكنها المحفورة في الصخر الكلسي ذات الاقواس والزخارف بسقوفها ، ومن بينها دار كبيرة تسمى محليا - القهسوة - ذات مناوور وسقوف منحنية غنية جدا بأطرها ومخارطها .

ويبدو أن الحياة بدأت فيها في القرن الثالث الميلادي ، واستمرت الى العهد الصليبي حيث هجرت من سائنها .

٥- بشالة :

تقع في الجنوب الغربي من البارة على مسافة (٤ كم) وفسوق مرتفع صخري صعب المسلك ، تهيمن على مواقع تاريخية واثرية من جهاتها وهي تخلو من السكان الا بفصل الربيع لرعي المواشي ، وانها قرية صغيرة تعد نحو خمسة عشر بيتا مشيدة من الحجارة المحلية كبيرة الحجم كلسية ، ويتميز بعضها ببوابة ذات قنطرة من فسوق مداخلها المزخرفة الجميلة تحمل شارة الصليب بأنواعها ، وتمثل ورق الخرشوف وثمة اغطية ببروز (٧٥ سم) .

لمداخل أخرى وقاية للزائر من حر ومطر ، ولكل من البيوت صحن مكشوف واروقة ومحاريب تزيينية وزخرفية في وجهاتها الرئيسية ولوضع التماثيل احيانا ، وابرز اوابدها بناء كنيسة متوسطة الحجم يقوم سقفها على صفين من اعمدة مستديرة ومتوجة بكل منها خمسة وبطرفي الهيكل غرفتان لتحضير الصلاة والهدايا . وعلى حجر فيهما نص كتابي بالعربية قديم منذ العهد الاموي يذكرنا بكتابات مماثلة في خربة الربيع في كنيسة لها بالذات المجاورة لها من الشرق ، وثمة

مقابر ومدافن غنية متنوعة بأطرافها ولانتقل شأنا عن أوابد بترسا
من قبلها .

٦- دير دبانية :

القرية الاثرية السادسة الملحقة بالبارة ، فوق قمة هضبة صخرية
وللجنوب الغربي منها على مسافة (٤كم) تجاور دير سوباط وبييــــن
الموقعين كتابة باليونانية من أربعة أسطر^(١)، على صخرة أبعادها
(٨٠ x ٧٠ سم) ترجمتها الى العربية :
(نذرا وللحفاظ على الكونت آجا تونيكوس ، كل هذه الطريق قد بلطت .
في شهر باتيموس (العهد الثاني) عام ٨٧٤ يونانية) .

ومع مقارنة التاريخ السلوقي بالميلادي يوافق صيف عام ٥٦٣ م
وهو عصر جوستنيان الذي مات عام ٥٦٥م والصيغة هنا ذات طبيعة
دينية خاصة باصلاح الطريق المؤدية الى مبنى الدير من فوقها (دير
دبانية) وقد حوى هذا الموقع عددا من المباني الاثرية والمدافسـن
من حول الدير .

(١) المصدر السابق ج٢ مخطط (١٤٨)

(٢) المصدر ذاته ج٣ ص ١٠٣٣

* * *

* *

*

رومانسية الشرق من خلال النقص

★ الأستاذ محمد الخولي

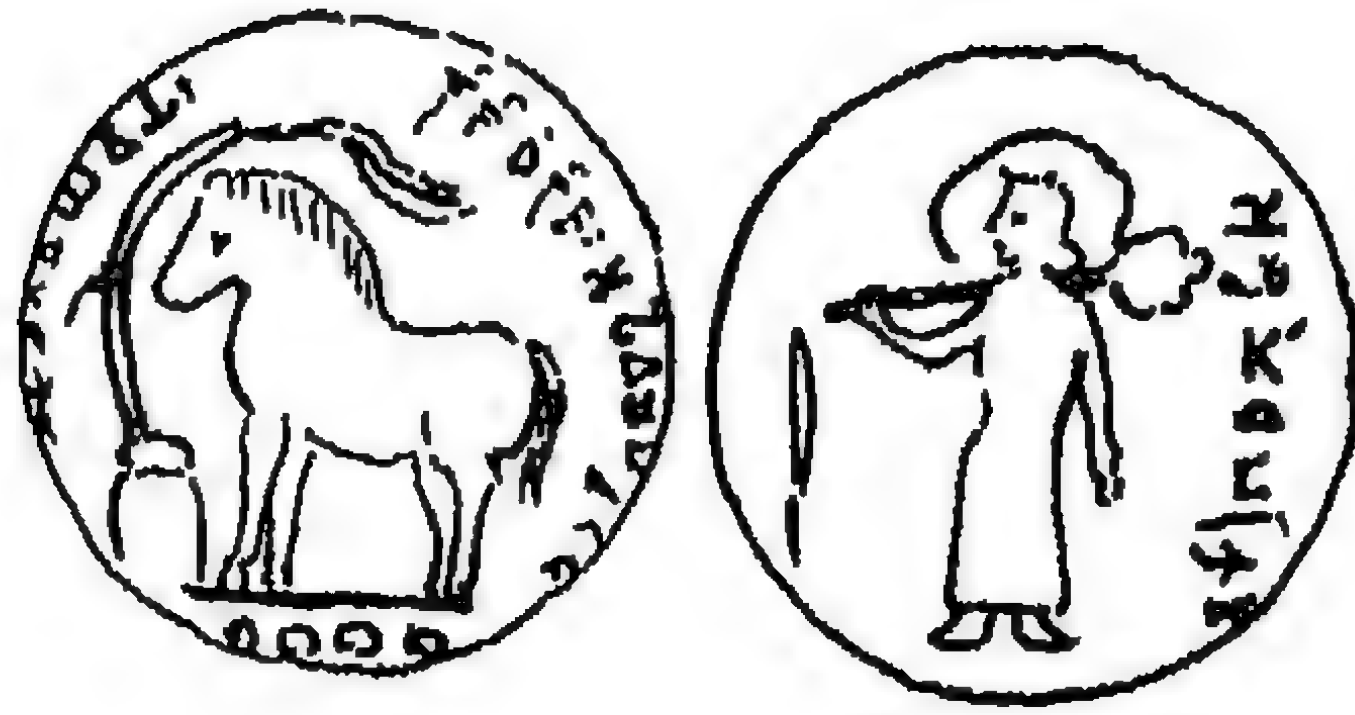
قرأت مقالا بهذا العنوان باللغة الانكليزية في مجلة النقود الانكليزية عدد تموز لعام (١٩٧٨) م كتبه ريتشارد بلانت فأعجبني الاطار الجميل الذي قدم فيه موضوعه ، ففكرت بترجمته لكي يطلع عليه أكبر عدد من جماهير قرائنا لعله يفيد في توطيد الصلة بين بعض من جماهير أمتنا وبين موضوع يستأثر الان باهتمام نفر كبير مبن شعوب العالم . ان موضوع النقود الثري يحتل مكانة هامة من تراث أمتنا الخالد الذي يمثل بدوره نبتة جنسية الثمار في دوحة الحضارة الشرقية . لقد أطلقت لنفسي العنان بالتصرف في الترجمة لاجعل هذا الموضوع سائفا لقرائنا كما أني حذفته بعضا من المقال وأدخلت عناصر بديلة من تراثنا بما أنه سيأدم الى جماهير أمتنا فأصبح كما يلي :

لشعوب الشرق عبر التاريخ حياتهما الخاصة بها التي تكتنفهما الاسرار التي كرسنها الاساطير والفلسفات الدينية التي انتقلت بالروح من عالم المادة المحسوس الى عالم الغيبيات الذي أضفى على الشبه شرق روحانية خاصة تتصف بالخيالية المجتحة والرومانسية المبدعة .

مما كان له اثره في طبع جانب كبير من النتاج الفكري بهـذا الطابع السحري الذي يمتع الروح ويغني المعرفة الانسانية بأسلوب مشوق سهل كالذي نجده في روايات ألف ليلة وليلة وعنترة والوزير سالم وسبق بن ذي يزن وغير ذلك مما عرف في الآداب العربية والفارسية والهندية .

خطر لي أن ارصد تلك الشخصيات التاريخية التي نسجت حولها
الاساطير من خلال النقود التي تعتبر من أفضل الوثائق المادية لتاريخ
رجال التاريخ . مما يفيد في القاء الضوء الجلي على بعض هؤلاء
الاشخاص . لعلني أستطيع أن أضفي على سحر الخيال متعة اليقين وبنفس
الوقت أضع أمام ناظر قرائنا نماذج من العملة القديمة بشكل مبسط
قد تفيده وتسعده معرفتها .

نبدأ بنقد ذهبي هندي أصدرته أسرة هندية تعرف بأسرة جبتا
Gupta (سكنت الهند خلال الفترة (٣٣٠ - ٣٧٥) ميلادية .



أصدرت هذه الأسرة أجمل سلسلة من النقود ، وكانت هذه النقود
ذات أهمية بالغة لأنها تخص أسرة من أبناء الهند نفسها ، والمعلوم
أن الهند كانت خاضعة خلال معظم تاريخها للحكام الغرباء كاليونانيين
والمسلمين والانكليز ومع أنه توجد نقود أجمل من النموذج المذكور
أعلاه ، لكن اختيار هذا النقد بالذات قصد منه الاطلاع على القصص
التي وراء الرسم المنفذ عليه ، إنها قصة (اضحية شفا ميذا) التي
تفيد : أن الامبراطور العظيم سامودرا ذا النفوذ الواسع كان ملتزماً
بتنفيذ مراسم هذه الاضحية التي تحري حوادثها على النحو التالي :
ينتقي حصان على أحسن ما يكون ويطلق له العنان في التجوال

خلال عام كامل حيثما يريد في أرض الهند وفي نهاية العام يدعـو
الامبراطور جماهير شعبه ليضحي أمام أعينهم ذلك الحصان المقدس في
احتفال مهيب .

يحمل النقود في وجهه صورة الحصان المقدس مواجهها للعمود الذي
تنفذ بواسطته عملية التضحية وعلى خلف النقود تبدو ملكة سامودرا
تحمل ريشة كبيرة على كتفها ولهذه الشخصية دور هام رئيسي في
هذه المراسم .

مما تجدر الإشارة اليه أن هذا الدينار الذهبي من طراز (اشفاميدا)
لم يصدر للتداول من قبل أي شخص . بل أصدر خصيصا ليدفع الى عدد
من الكهنة البراهميين الذين يحضرون مراسم الاضحية . وكل هذه
النقود تحتفظ بها الهند كتراث وطني تعتز به .

وهذا نقد نحاسي هندي آخر من منطقة البنجاب . سك لامر حاكم
يدعى (ميهيراجولا) حوالي الفترة (٥١٥ - ٥٢٨) ميلادي ، ومع ان



اسم الحاكم المذكور يعني (دوار الشمس) كان على نقيض الزهور
بشخصيته حيث أن اشتهر بغلظة طباعه وعنفه وجبروته .

وذات يوم بينما كان يتراجع بجيشه عبر الممرات الجبلية المؤدية
الى كشمير سقط أحد فيلته من فوق جرف جبلي سحيق وخلال سقوطه

أحدث صوتا ذا زعيق مرتفع فراق ذلك الصوت مبهير جولا فأمامه سر
أن تدفع فيلنته الواحد تلو الآخر من فوق ذلك الجرف حتى يتكسر
الصوت ويمتد نفسه بذلك الزعيق .

ولكن الصورة التي على النقد هي الثور وليس الفيل ، لقد فضّل
مبهير جولا أن يحمل نقده صورة هذا الحيوان الجبار الذي يمثل الاله
شيفا . هذا الاله الذي كان مبهير جولا ، يرجو أن ينال لديه الخطوة
فيقبله في عداد المؤمنين به المقربين اليه .

وهذا دينار ذهبي من ضرب بغداد في عهد الخليفة العباسي هارون
الرشيد (١٤٩ - ١٩٣) هجري - (٧٦٣ - ٨٠٩) ميلادي .

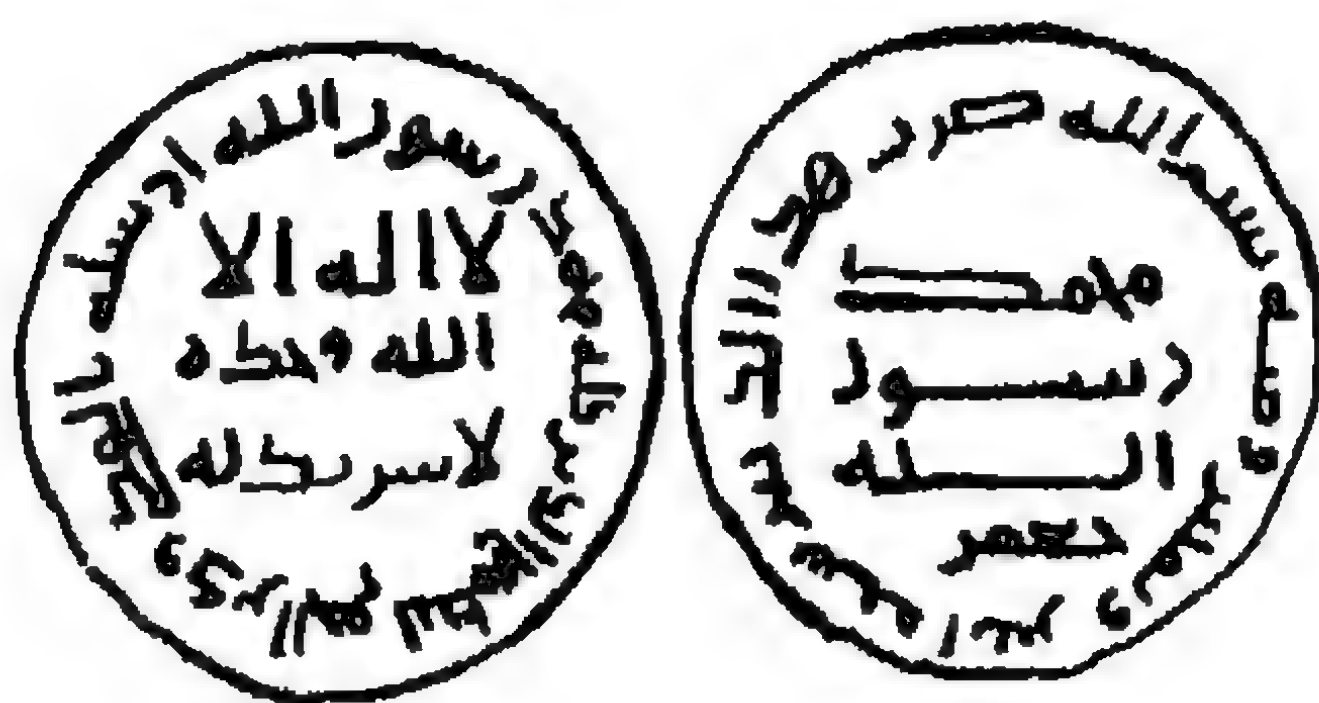
هذه الشخصية التي تمثل الحقيقة الشامخة الكبرى في التاريخ الاسلامي
والاسطورة المغرقة في الخيال بين شخصيات ألف ليلة وليلة التي
ترجمت الى اللغات : (الفرنسية والانكليزية والالمانية) والتي تصور
هارون الرشيد ذلك الشخص التادر المثل الذي يتمتع بالعائلة الفياضة
والاحساس المرهف ، الرجل النقي الذي يصلي كل يوم مئة ركعة ويحسج
ماشيا ، ومن ناحية أخرى يفرق نفسه بمجالس الانس والشراب والفناء
والرقص .

الرجل الذي يضحك حتى يستلقي على قفاه لسماع نكتة من ندمائه
ويقتل وينكل ويدمر اذا ماثار غضبه كما فعل بآل يرمك .

ولم تغفل الروايات ذكر مقدار كرمه ووصفه بالخليفة العظيم
العادل الشجاع الساهر على مصالح رعيته المتجول ليلا " متنكرا " في
شوارع بغداد متفقد احوال الناس وقد أضفت عليه علاقته بشارلمان
المزيد من الاهتمام من قبل شعوب الغرب ، حتى أصبح مجرد ذكر هارون
الرشيد يصور الشرق بفتنته العجيبة وجاذبيته الساحرة .

ان دينار هارون الرشيد لا يمثل شيئا محسوسا من حياة هذا الحاكم
العظيم ، وانما هو على شاكلة الدنانير الاخرى التي أصدرها الذين

سبقوه ، والاختلاف فقط هو التاريخ الذي تحمله دنائيره ودراهمه أو
أسماء اولاده أو أسماء بعض البارزين من اتباعه كدينارنا الذي يحمل



اسم جعفر والمقصود جعفر البرمكي وزيره الذي منحه هارون الرشيد
حق الاشراف على السكة وهذه أول مرة يتنازل فيها خليفة اسلامي بمثل
هذا الحق لوزيره .

بإضافة الى رموز تميز السكات بعضها من بعض . ولم تحمل هذه -
النقود اسم الخليفة الصريح الا في عهد لاحق .

كتابة هذا الدينار في وجهه :

في الوسط :

لا اله الا الله وحده - لا شريك له .

في المحيط :

محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله .

في خلفه .

في الوسط :

محمد - رسول - الله - جعفر .

في المحيط :

بسم الله ضرب هذا الدينار سنة اثنتين وثمانين ومئة .

يعتبر من أطرف النقود التي صدرت في عهد صلاح الدين هو ذلك النقود النحاسي الواسع المصور الذي يعد الوحيد بين النقود التي أصدرها صلاح الدين وتحمل صورته .



والمعروف أن المسلمين من الوجهة الدينية لم يشجعوا على تصويـر الكائنات الحية في مواضيعهم الفنية والحياتية بشكل عام ولكن عقب اتصالهم بالسلاجقة والاراتقة والاتابكة الذين لجؤوا الى تمثيـس الكائنات الحية على نقودهم وفي مواضيعهم الفنية المتنوعة وهن أثر القاعدة الدينية .

وهكذا اصدر صلاح الدين نقده على النحو الذي نرى وهو يحمل صورة السلطان جالسا فوق عرشه وبعظمة المنتصرين يتقبل هدية (ربما كانت درة ثمينة) قدمت اليه من قبل ريتشارد قلب الاسد . ان هذا الاصدار كان محدودا جدا حتى أن نماذجه تعد من نواذر - النقود وربما أصدر خصيصا بمناسبة استرجاع بيت المقدس من الصليبيين ليضعه بين أيدي سكان فلسطين الذين تعودوا على استعمال النقود الصليبية المصورة ، والصورة تعني أن أكبر قائد صليبي قد قدم ولائه وهذا ياه وأصبحت البلاد تحت سلطة صلاح الدين بلا منازع . ان حرب صلاح الدين كانت ضد الجيوش الصليبية القادمة من أوروبا واستطاع أن يحقق انتصارا باهرا على تلك الجيوش وقد أظهر ذلك البطل من

الاستاذ محمد الخولسي

تسامحه وشجاعته وعدله ماجعل لاسمه وقعا رائعا لدى شعوب الشرق والغرب على السواء حتى غدا اسطورة عصره .

✽ قراءة النقة — د :

في الوجه — ه :

صورة صلاح الدين جالسا فوق عرشه ويحمل بيده شيئا ثمينا يحيط بالصورة : (الملك الناصر صلاح الدنيا والدين يوسف بن أيوب) .

في الخلف — ف :

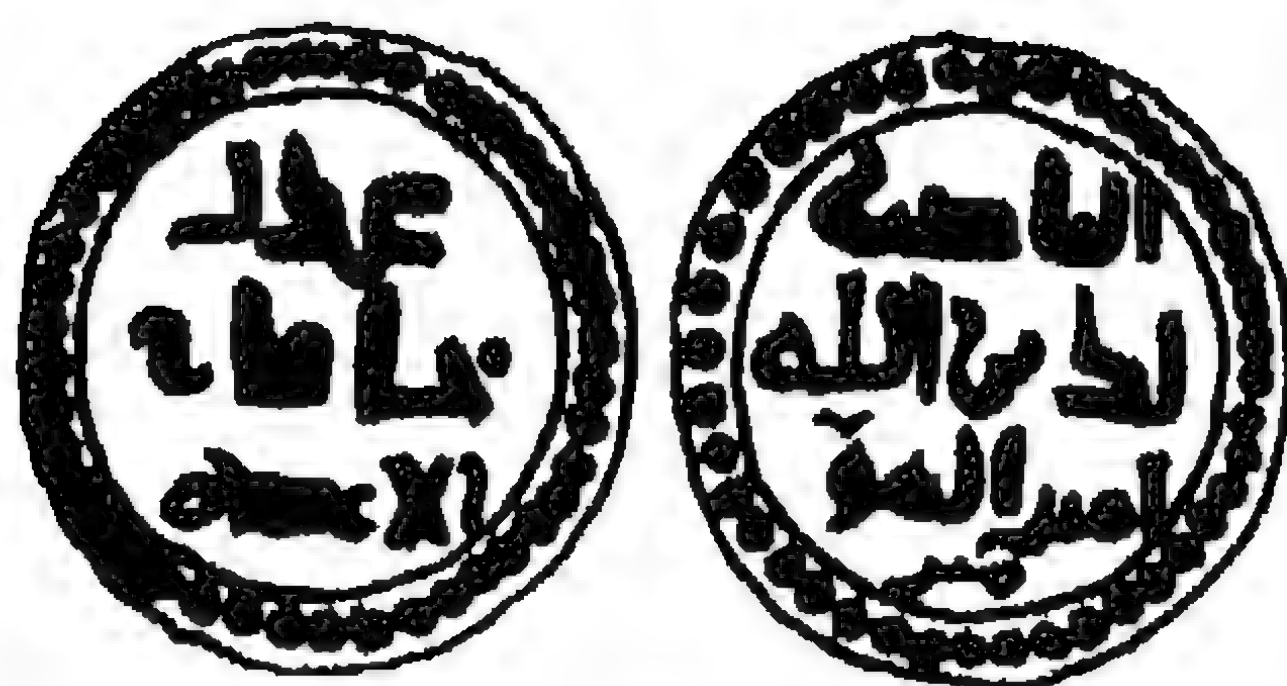
في الوسط — ط :

الامام الناصر لدين الله — أمير المؤمنين .

في المحيط — ط :

ضرب هذا الدرهم سنة ست وثمانين وخمسمائة .

سنتحدث عن نقد آخر يخص قائدًا ملأت شهرته الخافقين وهو معاصر للعهد الصليبي ولكنّه لم يكن مسيحيا ولا مسلما بل وثنيا موغوليا انه جنكيز خان الذي اجتاح رقعة واسعة من العالم الاسلامي في الشرق ثم لم يلبث اتباعه الذين انتشروا على الارض الاسلامية أن تحولوا الى مسلمين .



النقد بحد ذاته بسيط المظهر ، انه كنقد هارون الرشيد من حيث أنه -
لا يحمل اسم الحاكم وانما لقبه فقط (الخاقان الاعظم) وخلفه
اسم الخليفة العباسي في بغداد في ذلك الحين (الناصر لدين الله) .
يجتهد بعض المستشرقين أمثال ريتشارد وبلانت بأن عدم ذكر
اسم جنكيز خان الصريح على النقد كان بسبب أن المسلمين هم الذين
ضربوا له نقوده وهم وضعوا على السكة ما أرادوا واهملوا ما أرادوا .
ولكن مثل هذه الحال لا يمكن أن يتمتع بها شعب مغلوب مقهور لان
السكة أمر يهم السلطان مباشرة ولا يعقل أن يدعها بأيدي أناس
موتورين ، لذا أرى أن ظهور النقد بهذا القدر من التواضع لا يعدو
كونه دبلوماسية منه وتواضعا ، امام نفوذ الخليفة المسلم الديني
الى أن ترسخ قدمه في الحكم وقد خرقت هذه القاعدة من قبل خلفاء
جنكيز خان اذ أن هولاكو حمل نقده اسمه الصريح .
لقد أتى هذا النقد غير مذكر بشيء من التقاليد التي اشتهرت بها
الجحافل البربرية التي اجتاحت القارة الاسيوية في القرن الثالث عشر
والتي كانت تقتطع شرائح اللحم من فخذ الثور الحي ثم تخطط الجرح
وتتركه حتى يلتئم ويرخم نقشه خلال عام ، وربما عادت مرة ثانية
وثالثة لاقتطاع شرائح مماثلة من نفس الموضع من جسم ذلك الحيوان
المسكين .

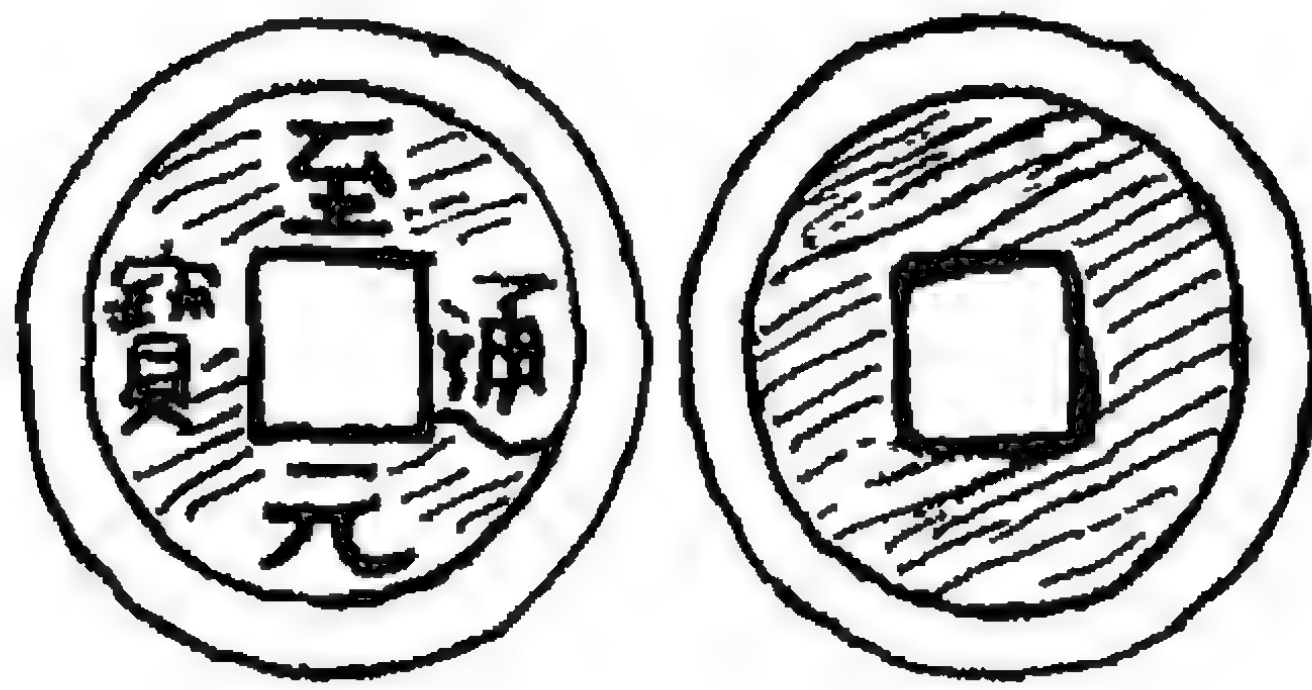
قبلاي خان هو حفيد جنكيز خان وشقيق هولاكو . اتخذ بكين حاضرة
لملكه بدلا من قرة فورم في الوقت الذي استقل به هولاكو ببلاد الفرس
وسورية وآسيا الصغرى . وقد أصدر قبلاي خان النقد التالي باللغة
الصينية تليدا لاتخاذ بكين حاضرة لملكه الذي استمر من
(٦٥٥ - ٦٩٣ هـ) (١٢٥٧ - ١٢٩٤ م) .

ومما تجدر الإشارة اليه ان الصينيين لم يذكروا اسم حاكمهم
قبلاي خان على هذا النقد شأن جميع نقودهم وانما حمل اسم الفترة



قبلي خان

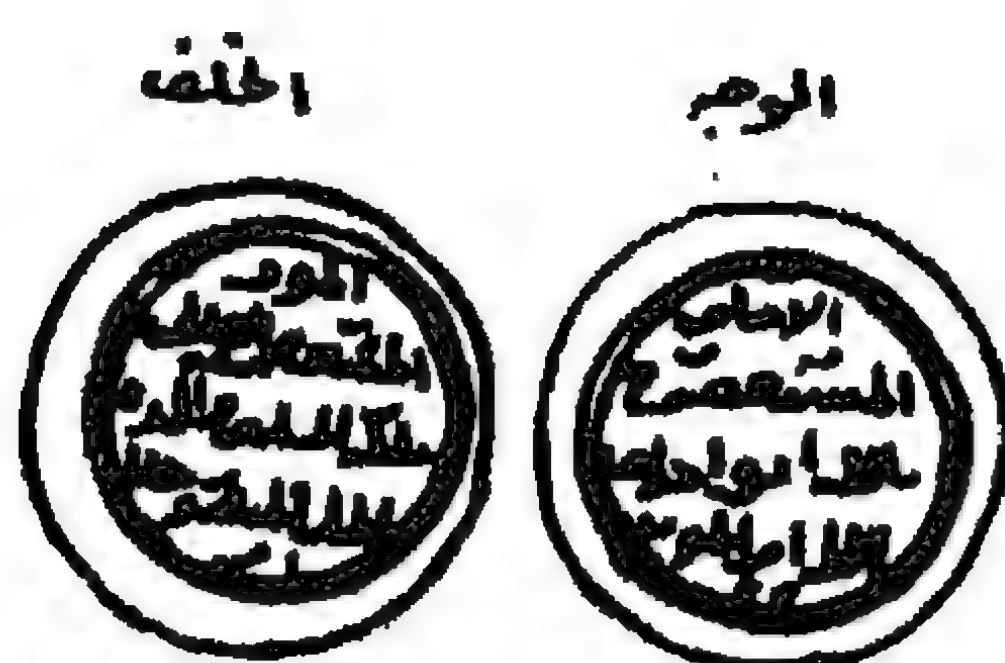
التي حكم خلالها أكثر من مرة اذا شاء، ومثلا على ذلك أن حاكما من أسرة سانغ ضرب نقودا تحمل تسعة اسماء مختلفة خلال فترة حكمه .



هذا النقد بالذات يعد من النادرة بمكان إذ أنه ضرب خلال الفترة التي زار خلالها ماركو بولو الصين، وبما أن الادب الغربي تابع رحلة ماركو بولو في بلاد الصين اثناء حكم قبلاي خان وروى الكثير

عن حياة هذا الشعب الحافلة بالاسرار الخاصة والتقاليد المتميزة ،لذا أصبح لهذا الحاكم وقع الاسطورة في اذهان الغربيين .

هناك قصص محببة لسيدات عريقات لعبن أدوارا في التاريخ...
الاسلامي وضربت نقودٌ باسمائهن أو شاركن برموزهن وأسمائهن في إصدار النقود مثل شجرة الدر .



✽ دراسة هذا الدينار :

في مركز الوجه :

الامام المعتمد بالله أبو أحمد عبد الله أمير المؤمنين .
نص المحيط (غير مذكور بالرسم) :

بسم الله الرحمن الرحيم - ضرب هذا الدينار بالقاهرة سنة ثمان وأربعين وستماية .
في مركز الخلف :

المؤسس [الملك] المستعصم الصالحية - ملكة المسلمين والددة الملك المنصور خليل - أمير .
نص المحيط (غير مذكور بالرسم) :

لا اله الا الله محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله .

* من هي شجرة الدر ؟ :

قدمت شجرة الدر الى مصر من بغداد كهدية من الخليفة المستعصم بالله الى نجم الدين أيوب فولدت له ابنه خليل. وأصبحت أم ولد في حريمه ، ولما اعتلى أيوب عرش السلطنة الايوبية في مصر ارتفع شأن شجرة الدر حتى أن أيوب اعتقها وتزوجها .

كانت شجرة الدر على جانب وافر من الذكاء والجمال وذات شخصية فذة ومزاج صعب ودهاء لايجارى وقد تجلى ذلك حين كتمت سر وفاة زوجها أيوب أثناء الحرب التي كانت قائمة بين المسلمين والصليبيين في مصر حتى لا يضطرب الجنود واستمرت هي في وضع الخطط الحربية والإشراف على تنفيذها ومراقبة سير المعارك وامتداد القواد بناراشها وقد تمكنت من حشد الاهالي الى جانب المماليك حتى استطاعت تمزيق جموع الاعداء في المنصورة .

تولت عرش مصر مدة ثمانين يوما من عام (٦٤٨ هـ) اظهرت خلالها من الكفاية والحكمة والبراعة في تصريف الامور مما جعلها قبله الانظار ولقبت بعدة القاب منها : (الملكة عصمة الدين شجرة الدر - وملكة المسلمين عصمة الدنيا والدين صاحبة الملك الصالح) . أخيرا تنازلت عن العرش الى الامير عز الدين ايبك تنفيذا لرغبة الخليفة العباسي ، ولكنها بحسن دهائها استطاعت حفظ العرش في بيتها بزواجها من الامير المذكور .

لقد اثرت هذه الشخصية الجذابة على كثير من الكتاب فألفت حولها كثير من القصص والروايات تناولت حياتها الخاصة والعامة بأساليب لا تخلو من الخيال المترف .

الدرهم التالي ضرب من قبل أحد سلاطين السلاجقة الروم في آسيا الصغرى ، انه السلطان كيخسرو (٦٣٤ - ٦٤٣ هـ) (١٢٣٦ - ١٢٤٥ م) الذي سم بحب زوجته الجرجية (نسبة الى مقاطعة جرجيا وهي ضمن حدود

• الاتحاد السوفياتي الان () •

أراد هذا السلطان أن يخلد ذكر زوجته الحبيبة وذلك بوضع صورتها على نقوده ولكن مستشاريه وحدوا في ذلك تطرفا شديدا ، لذلك نصحوه بأن يرمز لها على النقد ببرجها وكان مولدها ببرج الشمس وقد اختار صورة الاسد ليعبر عن نفسه وهكذا تضمن نقده هذين الرمزين الذي يعني أحدهما القوة والسيطرة ويعني الآخر الجمال والدفء والخصب .



* دراسة الدرهم :

— الوجه — :

الاسد وفوقه قرص الشمس

• بالاه أمير المؤمنين •

— في الخلف — :

السلطان الاعظم عماد الدنيا والدين كيكشرو بن كيكفياد •

القطاعات المحيطة :

• ضرب بقونية سنة سبع وثلاثين وستمائة •

هناك نقد آخر مزين ببرج وهو من سلسلة الاصدارات التي ضربها أباطرة الموغول في الهند في عهد جاهنجير (١٠١٤ - ١٠٣٨هـ) (١٦٠٥ - ١٦٢٨م) ولهذه السكة قصة تروي كيف أن نورجهان زوجة جاهنجير الاثيرة على قلبه توسلت الى زوجها أن يمنحها السلطان المطلق خلال أربع وعشرين ساعة •

وبما أنها تعلم مدى أثرتها على قلب زوجها وتعلم أنه سوف يلبي طلبها يوما ما لذلك أعدت برنامجا مكثفا لتنفيذه في هذه الفترة القصيرة وكان من برنامجها بل أهم فقرة في برنامجها ان تضرب نقودا تمثل زخرفتها برجها الفلكي الذي هو الجدي •



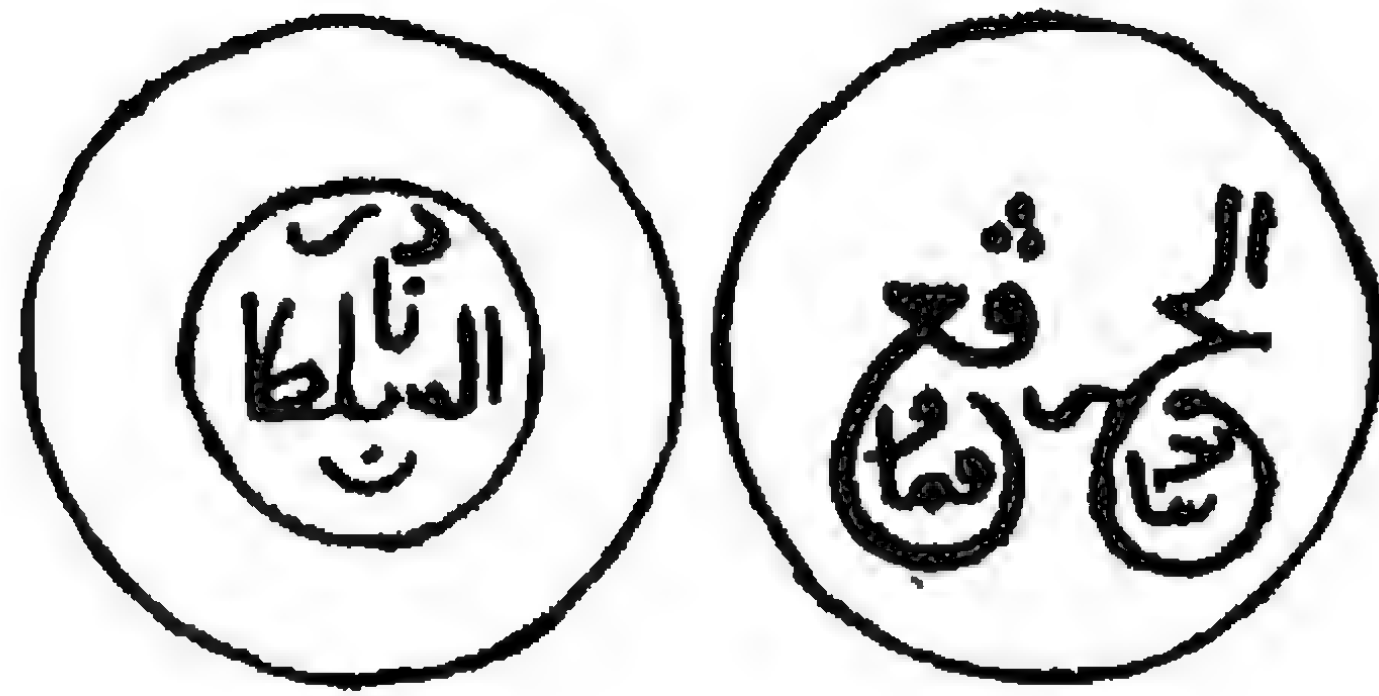
وقد هيأت من أجل ذلك كميات كبيرة من سبائك الذهب والفضة كما أعدت سكة تمثل الزخرفة المطلوبة ، وما أن ظفرت بموافقة زوجها على طلبها حتى شرعت فوراً بضرب نقودها وما أن انتهت الفترة الممنوحة حتى ضربت مقداراً كبيراً من هذه النقود تكفي لأغراق الأسواق .

وفي رواية أن جاهدنجير لكي يبدي إعجابه بذلك الإصدار وتأييداً لما أقدمت عليه زوجته المحبوبة أمر أن يرمز إلى الأشهر بالأبراج الفلكية حتى يعلم الجميع برج زوجته وبالتالي تنال تلك السكة الاهتمام اللائق من جماهير امبراطوريته .

النقد الأخير في هذا المقال هو من إصدار الفاتح الفارسي نادرشاه (١١٢٩ - ١١٦٠ هـ) (١٧٣٦ - ١٧٤٧ م) الذي غزا بلاد الهند وأضعا نصب عينيّه الاستيلاء على الماسة الشهيرة كوشينور التي أصبحت فيما بعد ١٨٤٩ م جزءاً من جواهرات تاج البريطانيين وقد ضمت إلى جواهر تاج الملكة اليزابيث قرينة جورج السادس أثناء حفلة تتويجها .
ومما يجدر ذكره أن باكستان تحاول الآن أن تستعيدها .

والطريف في هذا النقد أنه يحمل في خلفه عبارة (بتاريخ الخير فيما وقع) ، وإذا ما حطنا قيمة الأحرف العددية للعبارة (الخير فيما وقع) إلى أرقام حصلنا على الرقم (١١٤٨) وهو السنة الهجرية للإصدار الذي يساوي سنة (١٧٣٦) ميلادية .

وهي السنة التي اقتحم خلالها نادرشاه حدود بلاد الهند .



علم المتاحف

بإستاذ بشير زهدي

* تعريف علم المتاحف :

علم المتاحف هو العلم المتعلق بدراسة (تاريخ نشوء المتاحف وتطوره وتنظيمه ووظائفه والمحافظة على مجموعاته وعرضها وكسـل مايتعلق بنظريات المتحف ...) .

— تاريخ ظهور علم المتاحف :

ظهر علم المتاحف في القرن الثامن عشر . ويعتبر أقدم مؤلف في هذا الميدان وهو (كاسبرف . نايكل) الذي كان بائعا في هامبورغ، وتكونت لديه — بالممارسة — خبرة بكل مايتعلق بالمجموعات الفنية والطبيعية والعلمية ، وكيفية المحافظة عليها وحسن تصنيفها ..

فألف كتاب (ميزوغرافيا = علم المتاحف) باللغة اللاتينية عام (١٧٢٧) واشتهر بنصائحه الى زبائنه الهواة في كل مايتعلق بالمجموعات .

ولاشك ان الثورة الفرنسية ، أو المنهج العقلي في ألمانيا ، واهتمام الدول الاسكندنافية بمتاحف التقاليد الشعبية ، ورغبة بريطانيا — في الإفادة من المتاحف في قضايا التربية ، واعتماد الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة على المتاحف في نشر الثقافة وتعميم المعرفة ، وتعاون المتحفيين في اقطار العالم في ميادين البحوث العلمية ... كل ذلك أسهم في تقدم علم المتاحف وظهوره كعلم هام له مجلسه الدولي ولجانه الدولية والوطنية . وله مؤلفاته وبحوثه ومجلاته ومؤتمراته ومختصوه ... وهكذا نجد علم المتاحف — بفضل مثقفين مشهورين — باهتمامهم بالتراث الحضاري — قد انتقل الاهتمام به من النطاق الوطني الى المعيد الدولي والعالمي وقد تأسست الدائرة الدولية للمتاحف في باريس بعد الحرب العالمية الاولى كاحدى مؤسسات (عصبة الامم)

وفي عام (١٩٤٧) حل (المجلس الدولي للمتاحف - الايكوم) محل الدائرة الدولية للمتاحف وذلك بفضل جهود شخصيات مثل السيد (هاملان) مديسر متحف العلوم في بوفالو في الولايات المتحدة . وأصبح هذا المجلس الدولي للمتاحف برعاية منظمة اليونسكو ويصدر مجلة (اخبار الايكوم) ومجلة (ميوزيوم) .

وإذا كان تدريس (علم المتاحف) سابقا لم يستمر في كثير من المعاهد والجامعات ، فان (معهد اللوفر) أخذ على عاتقه تدريسه منذ عام (١٩٤١) وباستمرار . وبدأت الجامعات تدرس علم المتاحف وقررت جامعة دمشق أخيرا تدريس علم المتاحف في عصر ازدهرت فيه المتاحف وتسابقت أمم العالم الى زيادة عدد متاحفها ومتابعة اغناء مجموعاتنا وحسن عرضها والمحافظة عليها ورفع مستوى متاحفها . وتعاون مختصيها في سبيل التعريف بالمتاحف ونشأتها وتطورها وتنوعها والافادة منها في مختلف الميادين التربوية والتعليمية والثقافية والاجتماعية والسياحية والاقتصادية والفنية والجمالية .

المتحف :

إذا كان المتحف مؤسسة ثقافية تعرض مجموعاتنا باستمرار من الممتلكات الثقافية للمحافظة عليها والافادة منها في ميادين التربية والفنون والآداب والسياحة . فان هذه المؤسسة قريبة من قلوب المجتمع ومفتوحة أبوابها للجميع .

وفي زيارة المتحف مايسهم في توسيع آفاق الثقافة وحدود المعرفة وميادين الفكر ، وتنمية شعور الانتماء القومي وتوثيق العلاقات الاجتماعية والعالمية . وفي تأمل معروضاته ماثير الاعجاب والسرور الجمالي . وان الاعجاب بالشئ يحث على الابداع ، مما يجعل المتحف بمثابة (معبد جمال) و (مجمع فنون) و (ينبوع الهام) . يسهم في تنمية الاحساس الحضاري والجمالي .

تاريخ المتحف ونشأته :

عرف قدماء الاغريق لفظة (موزيون) الذي اطلقوه على معبد

الاستاذ بشير زهدي

على تل (هيليكون) قرب اكروبول اثينا ، كان خاصا بربات الفنون (الموز) . وربما كان في هذا المعبد كنوز وذكريات وهدايا ثمينة وكان الاغريق يحفظون رواشعهم الفنية في قاعة جميلة عرفت باسم (بيناكوتيك) . . .

ويعتبر (متحف الاسكندرية) اقدم المتاحف القديمة المعروفة فعلا في التاريخ . وفي العصر الروماني ظهرت فكرة المتحف بمفهوم مكسسان المجموعات الخاصة . وكان لهذه المجموعات الخاصة فيما بعد دور كبير في ظهور المتاحف الحديثة ولا سيما منذ عصر النهضة . وان شهرة مجموعات أسرة ميديتشي . وغيرها واهداء اصحاب هذه المجموعات مالدبيهم الى مدنهم لتشكل نواة متاحف تلك المدن جعل ايطاليا تعتبر الموطن الذي ظهر فيه مفهوم المتحف في عصر النهضة .

وتسابق ملوك وحكام اوروبا (فرنسا ، انكلترا ، المانيا ، النمسا ، سويسرا ، اسبانيا) في سبيل تشكيل مجموعات خاصة شكلت نواة متاحف بلادهم .

وظهر في البلاد الاسكاندينافية شوق الانسان الى الماضي وحنينه اليه وتمسكه بكل مايتعلق به من ذكريات شعبية وممتلكات ثقافية مما أسهم في ظهور وازدهار (متاحف التقاليد الشعبية والصناعات اليدوية التي تشكل احدى مفاخر البلاد الاسكاندينافية . ويعتبر (متحف سكانس) في ضاحية استوكهولم من أهم متاحف العالم لما يتميز به من حسن التعبير عن الحياة الشعبية والقومية .

وتحولت مساكن عظماء الفكر والفن والعلم والادب والنضال . الى متاحف يزورها المواطنون وقلوبهم مفعمة بالحب القومي والاحترام لاولئك الاعلام .

وظهرت متاحف الاطفال في انكلترا وغيرها مؤكدة وظيفة المتحالف التربوي . كما ظهرت المتاحف العلمية في العواصم الكبرى . ويعتبر (متحف غزو الفضاء) في الولايات المتحدة أهم متحف علمي يفتح أمام الزائر آفاق المعرفة .

ويعتبر عصرنا العصر الذهبي للسياحة المعتمدة على الآثار والمتاحف

مما أسهم في تعميم المتاحف وزيادة عددها واغناء مجموعاتهما وحسن عرضها وتأمين مختلف الخدمات والمتطلبات للزائرين الذين عبروا عن ملاحظاتهم ورغباتهم في مقالات نشرت لها لهم الصحف والمجلات مما أسهم في ظهور (النقد المتحفي) ودفع المتحفيين الى القيام بكل ما من شأنه تلبية متطلبات الزائر المعاصر .

وبعدما كانت المتاحف تؤسس في المباني التاريخية أخذ المسؤولون يهتمون بتشيد المباني الجديدة للمتاحف تتوفر فيها كل ما يتطلبه الزائر المعاصر . وصار هناك مختصون (بعمارة المتاحف) .

وحرص المتحفيون على تشويق الجماهير بزيارة المتاحف فتبادلوا إقامة المعارض مع المتاحف الاخرى الوطنية والاجنبية .

واذا كان من نتائج الحرب العالمية الثانية ظهور أزمات امتدت الى مختلف ميادين الحياة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية ، فإن عدد المتاحف مازال يتزايد مستمر ، وان عدد الزائرين للمتاحف يزداد باستمرار ، مما يبشر بمستقبل مشرق للمتاحف وعلم المتاحف في مختلف اقطار العالم واعتبار المتحف كمنبر للحضارة وملتقى سياحي ومعهد للبحوث العلمية وجامعة شعبية للجميع .

السفارات العربية عند العرب المسلمين

* انجاز جرجس مخبول

١- تمهيد :

الدبلوماسية أو السفارات^(١) في لغة السياسة الحديثة هي مجموعة العلاقات التي تربط دولة من الدول بالدول الأخرى ، أما لتوثيق العلاقات وتمتينها في حالة التحالف أو لتخفيف حدة التوتر وحل بعض المشكلات المعلقة بين الدولتين في حالة التنافس . وقطع العلاقات الدبلوماسية أو عدم وجود سفارات متبادلة يعني حالة من التوتر يعقبها في أكثر الأحيان إعلان الحرب . ولنستعرض تطور وتاريخ الدبلوماسية عند العرب المسلمين .

٢- السفارات العربية في العصر الإسلامي الأول :

لاريب أن الدبلوماسية لم تنم ولم تزدهر في العصر الإسلامي الأول ، وكان من أعظمها وأقدمها كتب النبي العربي الكريم الى ملوك العصر وأمرائه يدعوهم فيها الى الاسلام والايمان برسالته . والسفراء كما هو معروف لهم حصانات لا يستطيع أحد أن ينالهم بسوء مهمما كان مضمون الرسائل التي يحملونها . ويتم اختيار السفراء من بين الأشخاص الذين يتميزون بالعلم والذكاء وحسن السمعة ولياقة المظهر ولطف المنطق مما يساعدهم على القيام بمهمتهم على أكمل وجه . وممن وجهت اليهم أقدم رسائل الرسول الكريم (قيصر الروم والنجاشي) وقد جاء فيها^(٢) .

(١) : مواقف حاسمة في تاريخ الاسلام . محمد عبدالله عنان ص ٢٩

(٢) : سلسلة كتابك رقم (٩٦) د . مختار الوكيل دار المعارف .

بسم الله الرحمن الرحيم
من محمد بن عبدالله ورسوله
الى هرقل عظيم الروم
سلام على من اتبع الهدى ..

أما بعد :

فاني أدعوك بدعاية الاسلام . اسلم تسلم . يؤتيك الله أجرك مرتين
فان توليت فعليك أثم الاليسين (الفلاحين) قل (يا أهل الكتاب تعالوا
الى كلمة سواء بيننا وبينكم الا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا
ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله . فان تولوا فقولوا
أشهدوا بأنا مسلمون) .

أما رسالته الى النجاشي حاكم الحبشة فقد جاء فيها (١) .

بسم الله الرحمن الرحيم
من محمد رسول الله
النجاشي ملك الحبشة

أما بعد :

فاني أحمد اليك الله الذي لا اله الا هو الملك القدوس . السلام المؤمن
المهيمن ، وأشهد أن عيسى بن مريم روح الله وكلمته ألقاها الى مريم
البتول الطيبة الحصينة . فحملت بعيسى فخلقه من روحه ونفخه كما
نفخ آدم بيده ، واني ادعوك الى الله وحده لا شريك له والموالاة على
طاعته . وان تتبعني وتؤمن بالذي جاءني . فاني رسول الله
واني ادعوك وجنودك الى الله تعالى . وقد بلغت ونصحت فاقبلوا
نصيحتي .

وقد بعثت فيهم ابن عمي جعفرا ومعه نفر من المسلمين .

والسلام على من اتبع الهدى .

وقد أجاب النجاشي بالرسالة التالية :

(١) : سلسلة كتابك رقم (٩٦) د . مختار الوكيل دار المعارف .

بسم الله الرحمن الرحيم

الى محمد رسول الله من النجاشي :

سلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته . الله الذي لا اله الا هو
الذي هداني للاسلام .

أما بعد :

فقد بلغني كتابك يا رسول الله . فما ذكرت من أمر عيسى فـورب
السماء والارض ان عيسى لايزيد على ما ذكرت ،
وقد عرفنا ما بعثت به اليينا .

فاشهد أنك رسول الله صادقا ومصدقا وقد بايعتك وبايعت ابن عمك
وأسلمت على يديه لرب العالمين .

وقد بعثت بابني وان شئت أن آتيك بنفسي يا رسول الله فانني أشهد
أن ماتقوله حق .

والسلام عليك ورحمة الله وبركاته .

ولكن ابنه غرق ومن معه وهو في طريقه الى الرسول .

وقد حمل رسالة النبي الى كسرى عبد الله بن حنظله السهمي وجاء فيه :

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد رسول الله الى كسرى عظيم فارس . سلام على من اتبع الهدى
وآمن بالله ورسوله وشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وأن محمد
عبده ورسوله . وأدعوك بدعاية الله عز وجل . فاني رسول الله

الى الناس كلهم لينذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين .

أسلم تسلم فان توليت فعليك اثم المجوس .

أما رسالته الى المقوقس كيروس ، حاكم مصر ، فجاء فيها :

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد بن عبد الله ورسوله .

الى المقوقس عظيم القبط .

سلام على من اتبع الهدى . أما بعد فاني ادعوك بدعاية الاسلام

أسلم تسلم . يؤتيك الله أجرك مرتين . فان توليت فعليك اثم

القبط .

فقال ابن عباس :

أما ما لا قبل له - فالكعبة - وأما من لا عشيرة له - فآدم - وأما
من سار به قبره - فيونس - وأما ثلاثة أشياء لم تخلق من رحم
فكبتش ابراهيم - وناقاة ثمود - وحية موسى ، وأما شيء فالرجل
له عقل يعمل بعقله ، وأما نصف شيء فالرجل ليس له عقل ويعمل
برأى ذوي العقول . وأما لأشياء فالذي ليس له عقل يعمل به
ولا يستعين بعقل غيره . وملا القارورة ماء وقال هذا بذر كسل
شيء .

ويروى عن عبد الملك بن عمير انه قال :

رأيت في ديوان معاوية بعد موته كتابا من ملك الصين ممسكا
بشير الى اتصالات مع بلاد الشرق، وما ورد فيه (١) .

من ملك الصبر الذي على مربطه ألف فيل وبنيت داره بلبن الذهب
والفضة والذهب تخدمه بنات ألف ملك والذي له نهران يسقيان الاكسوة
(أي العود الذي يتبخر به) .

ب - في عهد عبد الملك بن مروان :

ارسل عبد الملك رسولا الى ملك الروم فلما رحع حمل رسالة خاصة
من قيصر الروم الى عبد الملك فيها :

" عجبت من قوم فيهم مثل هذا كيف ملكوا غيره (٢) " .

ح - في عهد الوليد بن عبد الملك ومن بعده :

تلقى الوليد رسالة ساخرة من ملك الروم لما هدم كنيسة دمشق
ليقيم الجامع الاموي الكبير فأحابه بنفس الاسلوب الساخر دون اكتراث
كما تلقى عمر بن عبدالعزيز رسالة من ملك الهند (٣) يطلب منه
رحلا يعلمه ويفهمه الاسلام .

(١) : الحيوان للحافظ ج ٧ ص ١١٣ .

(٢) : مروج الذهب للمسعودي ج ٣ ص ١٢٤ .

(٣) : العقد الجديد ج ٢ ص ٢٠٢ .

٤- السفارات العربية في العصر العباسي الاول :

ازدادت السفارات والمفاوضات بين العباسيين والبيزنطيين حسب الظروف . حيث اتجهت من الغرب الى الشرق القوي آنذاك ترمي السلام والمهادنة . ولكنها تحولت في عصور الضعف من الشرق الى الغرب حيث لجأت الدولة البيزنطية الى استغلال ضعف الخلافة العباسية والعمل على اشارة الشقاق والفتن داخل الدولة العباسية بين الامارات والدويلات التي قامت على انقاضها . وهذا ما فعلته اسبانيا بعد انهيار الخلافة الاموية في الاندلس وانتشار دول الطوائف .

آ- في عهد المنصور :

بدأت العلاقات الدبلوماسية في عهده مع دولة الفرنجة (١) فقدم بعث ملكها (بيپن) برسله الى بغداد في سفارة الى المنصور (٧٦٥م- ١٤٨هـ) عادوا بعد ثلاثة اعوام الى فرنسا بصحبة سفراء من قبل الخليفة ، استقبلوا بحفاوة من قبل ملك الفرنج وعادوا بعدها بتمتع وهدايا .

ب- في عهد الرشيد :

ازدادت الصلات ايام الرشيد وشارلمان قوة وتوثقا ولكن تنفرد المصادر الفرنجية بذكرها ، مع أن الظروف الدولية تساعد على حدوث مثل هذه العلاقات ، فوجود عدوين مشتركين لهما وعماد الدولة الاموية في الاندلس المعادية للعباسيين ولدولة الفرنجة وكذلك الدولة البيزنطية المعادية للعباسيين والمنافسة لدولة الفرنجة الناشئة حول زعامة أوروبا ومن المستغرب عدم الاشارة الى هذه العلاقات في المصادر العربية (٢) .

أما علاقات الرشيد مع الدولة البيزنطية فكانت تتناوب بين المهادنة

(١) : الاسم القديم للدولة الفرنسية آنذاك ، مواقف حاسمة .

محمد عبد الله عنان ص ٢١٠ .

(٢) : مواقف حاسمة . محمد عبد الله عنان ص ٢١٣ .

الاستاذ جرجس مخول

والتوتر والحروب فقد طلبت الامبراطورة (ايريني) من الرشيد التماس الصلح وبعثت رسلها لهذه الغاية فأجابها اليه على أن تدفع جزية سنوية مقدارها (٧٠) ألف دينار . فقبلت وتم الصلح . لكن الامبراطور (نقفور) نقض المعاهدة وأرسل سفرا ٦١هـ يطالب بما دفع سابقا فسي خطاب شديد اللهجة ، فرد الرشيد على الكتاب بما يلي (١) :

بسم الله الرحمن الرحيم

من هارون الرشيد أمير المؤمنين الى نقفور كلب الروم
وكانت الحرب التي أجبرت نقفور على تجديد المعاهدة واصلاح الحصون المخربة ودفع جزية عنه وعن ولده (٢) .

ح - في عهد المأمون :

تروي المصادر الفرنجية استمرار العلاقات بين المأمون ولويس بن شارلمان ، وقد استمر التنافس بين بيزنطة والفرنجة فأرسل الامبراطور (تيوفيل) الى أمير الاندلس عبدالرحمن سفرا ٦١هـ مع هدية فخمة ورسالة يدعو به الى التحالف ، فرد عليه بسفارة يرأسها يحيى الغزال .

وقد امتازت علاقة المأمون بالروم بالسلام الذي غلب عليها أول عهده بالخلافة وهذا طبيعي بسبب الحرب الاخوية والاضطراب الذي اعقبها ثم امتازت بالاعمال الحربية التي شغلت القسم الاخير من خلافته حتى وفاته . ولقد دارت رسائل بينه وبين تيوفيل ملك الروم وحاول تيوفيل الحصول على صلح من المأمون ولكنه لم يطلبه طلب المهزوم الدائم ، وانما أرسل الى المأمون رسالة يشير فيها الى فوائد السلم والاتفاق بين الخصمين ويعرض عليه الصلح على ذلك المبدأ ، كما عمد تيوفيل الى تشجيع ومساندة الثائرين على المأمون (كبابك

(١) : الوثائق الادارية والسياسية . د . ماهر حمادة ج ٢ ص ٥٢-٥٣ .

(٢) : مواقف حاسمة ص ٢١٣ مأخوذة عن ابن الاثير ج ٦ ص ٦١

وصبح الاعشى ج ٦ ص ٤٥٧ .

السفارات العربية عند العرب المسلمين

الخرمي) . فرد عليه المأمون بتشجيع ومساندة بعض المتمردين على
الامبراطورية البيزنطية .

د - في عهد المعتصم :

أرسل إليه الامبراطور (تيوفيل) سفارة على رأسها (يوحنا
النحوي)^(١) وكانت ذات هدف مزدوج :

١- عقد معاهدة سلام دائم .

٢- اتناع قائد بيزنطي اسمه (مانويل) بالعودة إلى
القسطنطينية .

وقد نجح في المهمة الثانية فقط . وبسبب هذا فشل غزا الامبراطور
البيزنطي (زبطرة) وخربها فانتقم المعتصم بفتح عمورية التي
خلدها الشاعر ابو تمام بأعظم قصائده .

هـ السفارات العربية في العهد العباسي الثاني والدول المنفصلة عن

بغداد :

آ- في عهد الخلفاء العباسيين في بغداد :

وصلت في عهد المقتدر بالله سفارة الى بغداد من الامبراطورة
(كاربونينا) تطلب تنظيم الفداء والمهادنة^(٢) . وقد استقبلها
بحفاوة ووافق الخليفة على طلبها .

وفي عهد الراضي بالله وصلت من ملك الروم رسالة مكتوبة بالذهب
وترجمتها بالفضة وكان عنوان الكتاب^(٣) :

من رومانوس وقسطنطين واسطفانس عظماء الروم الى الشريف البهي
ضابط سلطان المسلمين .

وكانت الرسالة تطلب الهدنة : فاحابهم الخليفة لما طلبوا .

(١) : مراقف حاسمة - د . محمد عبدالله عنان ص ٢٠٥ وما بعد .

(٢) : مواقف حاسمة - د . محمد عبدالله عنان ص ٢٠٥ وما بعد .

(٣) : الوثائق د . محمد ماهر حماده ج ٣ ص ٢٩١ عن النجوم الزاهرة

ابن نهار بردى ج ٣ ص ٢٦٢ ٢٦٣ .

ب - في عهد الامويين في الاندلس :

بدأت العلاقات في بداية عهد الامويين في الاندلس ، وبلغت ذروتها في عهد عبد الرحمن الناصر الذي تبادل السفارات مع الامبراطورية البيزنطية ، وكان سفيره الى هناك هشام بن هتيل (١) كما استقبل سفارات ملك الصقالية ورسل امبراطور المانييـا (اوتو الكبير) ورسل ملك فرنسا ورسل البابا يوحنا الثاني .

ج - في عهد الفاطميين :

ارسلت الامبراطورة (كاربونينا) سفارة الى الخليفة الفاطمي عبيد الله وعقدت بينهما معاهدة ، كما ارسلت (ست الملك) اخت الحاكم بأمر الله سفيرا الى باسيل الثاني امبراطور بيزنطة وهو نقفور اسقف القدس ليعمل على عقد معاهدة صداقة . ثم اضطربت احوال الغرب والشرق فترة الحروب الصليبية حتى ظهور صلاح الدين وازدادت بعدها العلاقات مع المدن الايطالية وخاصة البندقية وجنوة وبيسزا وكذلك مع فرنسا واسبانيا وبقية الدول الاوربية .

٦- العنصر السري في الدبلوماسية العربية الاسلامية :

لم تغفل الدبلوماسية العربية الاسلامية العنصر السري الذي يعتبر من ابرز مظاهر الدبلوماسية الحديثة . فقد كانت للخليفة طائفة كبيرة من الرسل السريين ينفذهم الى القصور والحكومات الاجنبية ليزودوه بالمعلومات التي تقع هناك وما يحاك ضد بلاده خيسرا كان أم شرا . والظاهر أن بني العباس كانوا أول من نظم هذه الطائفة السرية من الدبلوماسية فقد كان للمهدي والرشيد والمأمون والمعتصم اعوان سريون في القسطنطينية ، وفي غيرها من العواصم الكبرى ليطلع الخليفة على كل حركة يأتيتها الامبراطور البيزنطي وولاته وكان هؤلاء الرسل والمخبرون يختارون من جميع الطبقات وخصوصا من التجار وأحياناً من النساء البارعات في الجمال والدهاء ، وكانوا يؤدون مهمتهم بمهارة فائقة .

(١) : مواقف حاسمة . د . عنان ص ٢١٣ وما بعد .

اسرائيل وليمة السياسة الامبريالية

بقلم الاستاذ منذر حمودي

وردت خطأ باسم منذر حموي فالمرجو ملاحظة

ذلك حيثما وجد

إسرائيل

دولة إسرائيل

الأستاذ منذر الحموي

غدت الدولة العثمانية محتلة معظم الوطن العربي منذ مطلع القرن السادس عشر ، وعاشت دولة اوتوقراطية عسكرية ، تعتمد على التنظيم الاقتصادي في بنائها الاجتماعي ، ولم تتقدم حركة التصنيع فيها بالشكل الذي يتيح لها مواكبة التطور الصناعي في الغرب ، اذ ظلت التجارة محدودة أيضا رغم الظروف التاريخية - من حيث عراقة النشاط التجاري في المنطقة - والموقع الاستراتيجي المواتي ، فقد كان التجار في اراضي الدولة العثمانية ، مهددين بالنهب أو بفرض الضرائب القسرية والتعسفية عليهم ، علما بأن معظم هؤلاء التجار لم يكونوا ينتمسون في اصولهم الى الاتراك بل كانوا من الرعايا العثمانيين ، من غير الاتراك ، ومن غير التجار الاوربيين .

ومنذ عرفت الامتيازات الاجنبية في الدولة العثمانية عام ١٥٣٥ م بدأ عدد التجار الاوربيين بالازدياد ، وأخذت اهميتهم الاقتصادية والسياسية تفرض نفسها على الدولة العثمانية ورعاياها ... فاضطلع الارمن واليونانيون والعرب الى حد ما بدور الوسيط والمقاول ، وقاموا في الواقع بالنسبة للتجار الاوربيين دور الوكيل^(١) غير النادر على الخلاص من التبعية ، لان الاوربي كان يدفع رسما مقداره (٣٪) ثلاثة في المائة من قيمة البضاعة المماثلة ، فضلا عن أن انتاجر الاوربي كان يدفع مرة واحدة رسما عن بضاعته العابرة ، لاراضي الدولة العثمانية ، بخلاف انتاجر المحلي الذي كان مضطرا الى دفع رسوم عديدة بعدد الاقصاعات التي يجتاز اراضيها ببضاعته ، كما لو أن هذه

اسرائيل وليدة سياسة الامبريالية العالمية

الاقطاعات كانت دولا مستقلة لاتربط فيما بينها رابطة التبعية... للقيادة الواحدة ، وربما كان ذلك أحد أسباب عدم قيام البورجوازية التجارية .. بالمعنى الرأسمالي .. باكرا في مراحل الدولة العثمانية ، وقد ظهر ذلك جليا بعد قيام اسر اقطاعية مغتصبة للسلطة الحقيقية ... مع ابقاء السلطة الاسمية للدولة العثمانية .. في الحجاز والعـراق ومصر وطرابلس الغرب وتونس والجزائر ... ومن الامور التي ساعدت هذه الاسر على تحقيق مظامعها تحول الدولة العثمانية من موقف الهجوم اتجاه الدول المجاورة لها ، الى موقف الدفاع والتقهر وعلى الخصوص ، اثر هزيمة الدولة العثمانية أمام تحالف روسيا والنمسا وبولندا والبندقية عام ١٦٩٩ وبالتالي اضطرارها الى توقيع معاهدة كرلوفيا (كرلوفتز) . غير أنه في بعض الاحيان كان ولاية الدولة العثمانية يضطرون للاعتراف بسلطتها عليهم ، عندما يجدون في ذلك خدمة لاغراضهم ، كادعاء عبد الله باشا والي عكا بأن رعايا السلطان يستطيعون التنقل دون قيود في اراضي الدولة ، عندما طالبه محمد علي والي مصر باعادة المصريين الفارين الى بلادهم لسبب أو لآخر .

ومع اطلالة القرن الثامن عشر ، زاد ضعف الدولة العثمانية وكثرت المفسد فيها ، وبالتالي أخذت الدول الاستعمارية تصرح عن وجود مظامع لها في الدولة العثمانية ، باعتبار الدولة قد شارفت على نهايتها ، ولكي تتمكن الدول الاستعمارية من تحقيق أغراضها لجأت الى مساندة الزعامات المحلية ، بشكل يكفل لها ترسيخ قدم النفوذ الاستعماري في المشرق العربي . وحول هذا الموضوع كتب نابليون بونابرت الى حكومة الديركتوار ، يصف لها وضع الدولة العثمانية بقوله زان الامبراطورية العثمانية على شفا الهاوية ، وليس ثمرة مايدعونا الى اسنادها (٢) . وبعد ذلك رغم هزيمة الامبراطورية الفرنسية أمام الحكومات الاوربية عامة ، وبريطانية خاصة ، - فسي الحروب البونابرتية - ظلت فرنسا تتطلع الى شرق البحر الابيض المتوسط

الاستاذ منذر الحموي

والى جنوبه أيضا ، مترقبة الظروف المناسبة لوضع قدمها في المنطقة ، فعمدت الى تمكين والي مصر محمد علي من الظهور على مسرح الأحداث المنطقة ، الى الدرجة التي وصف فيها بأنه (الشخص الوحيد الذي كان بوسعه أن يتوصل الى استبدال العمامة المفتخرة - اي عقلية تركيها في عصر انحطاطها - برأس حقيقي^(٣)) . ولكن تخوف بريطانيا من امتداد نفوذ فرنسا في حوض البحر الابيض المتوسط ، عن طريق محمد علي ، وكذلك خوف بعض الدول الاوربية من عواقب سقوط الدولة العثمانية الضعيفة على يدي محمد علي ، وظهور دولة عربية قوية ، مكان الدولة العثمانية في المنطقة العربية ، كل ذلك عجل في اتمام اتفاقية لندن عام ١٨٤٠ ، بحيث سارعت الى توقيعها كل من (انكلترا والنمسا وروسيا وبروسيا وكذلك تركيا) . وبذلك كان عقد هذه الاتفاقية نصرا كبيرا للدبلوماسية الانكليزية ، وبها اقتربت انكلترا من تحقيق هدفها المنشود - حماية طريق الهند وضمها مصالحها الاستعمارية - اذ استندت الى دعم ثلاث دول لها وقادتها الكفاح ضد محمد علي^(٤) لانها كانت منذ عام ١٨٢٥ تتبنى رسميا مشروع قيام الدولة اليهودية في فلسطين ، يوم كان عدد اليهود فيها أقل من ستة آلاف نسمة^(٥) ، واستمرار هذا المسعى فقد أقدم شفتسبري رئيس وزراء بريطانيا على القول : (بأنه يجب أن تكون الارض التي بغير شعب الى شعب بغير أرض) . وقدم بعده كل من غولر والقنصل البريطاني في القدس (جيمس فن) جملة من المشاريع باسكان اليهود في فلسطين .

وبعيد توقيع اتفاقية لندن ، تمكنت بريطانيا من شل السراش الحقيقي (محمد علي) الذي كان يؤمل بزعامة الوطن العربي وتحقيق وحدة عربية تمتد على أوسع رقعة من أرض الامة العربية حيث (استطاعت انزال ضربة قاضية ببرامج الاستقلال المصري^(٦) ، وفي ١٧ آب عام ١٨٤٠ كتبت جريدة التايمس اللندنية قائلة : (ان اقتراح اسكان

اليهود في بلد اجدادهم . . لم يعد مسألة للمجادلات الفارغة بل أصبح على الاكثر مادة للمناقشة الجدية (٧) كما ظهرت لدى الانكليز فكرة انشاء دولة يهودية في فلسطين ، مرتبطة بالامبريالية وغيـــــر مرتبطة بالعرب بأية رابطة ، قد تضع العرب وفقراء اليهود في خندق واحد ازاء التآمر الامبريالي ، ولهذا السبب طلب بالمرستيون عام ١٨٤٠ أيضا بشكل سري الى (قنصل بريطانيا في فلسطين (يونغ) عدم التشجيع على تنصير يهود فلسطين (٨) .

بينما كانت فكرة انشاء الدولة اليهودية في فلسطين ، يروج لها في الغرب منذ عهد كيرومويل (عهد ولادة الرأسمالية الاوروبية) عام ١٦٤٦ حيث تسترت الرأسمالية بذريعة دينية تقول بأن قيام الدولة اليهودية ، يعجل في قدوم المسيح المنتظر ، كما كان يعتقد البروتستانت الاطهار انشد على الاقل . غير أن هذه الذريعة لم تعد موجودة في عصر الامبريالية التي صارت أكثر صراحة في طرح مشاريعها الرامية الى انشاء الدولة اليهودية ، لتكون تحت الحماية البريطانية فحظيت الفكرة بعطف بالمرستون المشار اليه آنفا ، ورأى فيها ضمانا لأمن مواصلات الامبراطورية كما لقيت سندا من قبل مونتغيــــــــــــــــوري (رأسمالي يهودي يمت بصلة الى اسرة روتشيلد المصرفية) الذي قام بزيارة الشرق ، بضع مرات ، وابتاع في احدى هذه الزيارات عام ١٨٥٥ بستان برتقال بالقرب من يافا ، الا أنه لم يستطيع استثماره في أي مستوطن يهودي ، يشاركه في تحقيق تطلعاته (٩) .

ان ماسيق ذكره ان دل على شيء فانه يدل على أن فكرة الميعاد بالمفهوم الصهيوني المعاصر لم تكن محبة وغير خاطرة على البال لدى يهود العالم بمن فيهم يهود الدولة العثمانية الذين كانوا (١٠) يتمتعون بحرية تامة ، في دخولهم الى فلسطين وخروجهم منها . وكانوا يتنقلون بدون عقبات في جميع أرجاء اراضــــــــــــــــي الامبراطورية الممتدة من افريقية الشمالية حتى البلقان . . . وكانت

السلطات الامبراطورية أكثر ترحيبا ازاء النازحين من أوروبا . . لا
آن المهاجرين الاوربيين والرعايا اليهود ، كانت تجذبهم تلك المناطق
من الامبراطورية ، حيث الظروف الاقتصادية والسياسية في استانبول
ودمشق والقاهرة تلائمهم أكثر من فلسطين .

وهكذا كان اقدام الدول الرأسمالية والامبريالية على العمل
لتكوين دولة يهودية في فلسطين ، غير متأثر بدوافع انسانية
وعقائدية بمقدار ما كان وليد حاجة الاستعمار الى حلفاء وسماسرة
يسهلون مهماتهم ، ويحققون اغراضه ، بدليل أن الانكليز احتجوا على
رواية (هارنجتون) عام ١٨١٧ لانها تحدثت عن - شخصية يهودية
طيبة - خلافا لما هو معروف عن اليهود في الغرب كما أنه لأول مرة
تمكن اليهود من شغل مناصب سياسية في الغرب عام ١٨٥٨ (بينما كان
يعطي لهم هذا الحق في دول الشرق الاسلامي والعربي منذ زمن بعيد) ،
عندما صار ليونيل روتشيلد عضوا في البرلمان البريطاني ، ومنسند
ذلك الوقت أخذت البورجوازيات الاوربية تتحالف مع البورجوازية
اليهودية ، لانجاز مشروع الدولة اليهودية كحليف من أجل استثمار
أراضي الشرق واستغلال شعوبه . اذ وفق سياسة التحالف هذه ، تلوثت
أصابع البورجوازية اليهودية بدم الشعب الجزائري الذي احتلت بسلامه
وذبح ابناؤه ، بدءا من عام ١٨٣٠ من قبل القوات الفرنسية المحتلة
بذريعة مالية مدبرة ، وكذلك حال الشعب المصري الذي احتلت بلاده عام
١٨٨٢ بذريعة مالية أيضا عن طريق المصارف والبيوتات المالية
اليهودية - داعية الحركة الصهيونية - ولم تقف هذه البورجوازية عند
هذا الحد ، بل شاركت السلطات الرجعية الاوربية في سحق ثورات عوام
١٨٤٨ في اوروبا نفسها (١١) . ولكشف مزيد من خيوط الارتباط بين
الصهيونية والاستعمار لابد لنا من معرفة كيف ساهم سلاح الهندسة
الملكي البريطاني وضباط آخرون في العمل لبعث فكرة فلسطين الصهيونية
قبل أن تتبلور الفكرة الصهيونية ، مما يدعو الي انجزم بأن الاستعمار
الغربي كان له الدور الاساسي في خلق الصهيونية ، بدوافع استعمارية

اسرائيل وليدة سياسة الامبريالية العالمية

متسترة بالاغراض العقائدية التاريخية ، والتي لم تصمد حتى الان أمام النقد التاريخي النزيه ، الذي دحض ادعاءاتها الواحدة تلو الاخرى . وانسياقا مع هذه الادعاءات قام الكولونيل كوندرا منذ عام ١٨٧٣ - بزيارة فلسطين وأجرى بعض الدراسات عن تاريخ فلسطين لصالح الفكر اليهودي التوراتي . وزار أيضا فلسطين الكولونيل البرت غولدسبيد عام ١٨٨٤ ثم أصبح فيما بعد أحد المنظمين العسكريين للصهيونية . كذلك شارك بتثنية الاستعماري (البريطاني) والمعروف جيدا في فلسطين بلدان العالم الثالث عام ١٨٨٤ في عمليات الاستكشاف في فلسطين والاردن لصالح الانكليز (١٢) .

وعلى هذا الاساس استطاع اليهود الصهاينة ، أن يلعبوا في بريطانيا دورا بارزا ، في الحياة السياسية والاقتصادية والفكرية ، وخاصة في عهد الملكة فكتوريا بوساطة درزائيلي النائب في مجلس العموم والذي أصبح فيما بعد رئيسا لمجلس الوزراء البريطاني ذلك الرجل الذي اعترف خطيا عام ١٨٩٧ بحق اليهود في تأسيس كيان خاص بهم ووطن خاص لهم (١٣) .

وفي عام ١٩٠٧ كلف رئيس وزراء بريطانيا كامبل بنرمان ، لجنة مكونة من علماء تاريخ واجتماع وسياسة ، وطلب اليها القيام بدراسة شاملة للاستعمار البريطاني ، وعلى الفور قامت اللجنة المذكورة بدراسة مستفيضة ، لمناطق من العالم ، ثم قدمت اللجنة تقريرا عن اعمالها الى الحكومة البريطانية ، ينصح هذا التقرير بتثنية النضال ضد اتحاد الجماهير الشعبية في المنطقة العربية - أو اقامة أي نوع من انواع الاتصال الثقافي أو الروحي أو التاريخي بينها . واقترحت اقامة حاجز بشري قوي ، وأن يكون أجنبيا - بالاضافة الى كل عوامل الفرقة الاخرى (١٤) .

وفي نفس العام المذكور آنفا دعا بنرمان الى عقد مؤتمر دولي لمناقشة المقترحات المتعلقة بالوطن العربي ، دعيت الى هذا

الاستاذ منذر حموي

المؤتمر الدول الاستعمارية التالية : بريطانيا - فرنسا - بلجيكا - هولندا - البرتغال - ايطاليا - اسبانيا ، وبعد الدراسة المتفحصة والشاملة لمجموع الامور المطروحة على المؤتمرين ، انتهت الوفود المؤتمرة الى وضع توجيهات تحذر من خطر الامة العربية على مصالح الدول الاستعمارية في قارتي آسية وأفريقية ، وبالطبع لسم تكن هذه التوجيهات جديدة كل الجدة ، من حيث الممارسة والتدخل الاستعماري في شؤون الامة العربية ، ولكنها كانت خطوة وسابقة أكثر جدية وخطورة على مستقبل الامة العربية من سابقتها .

وفي عام ١٩١٣ - قبيل الحرب العالمية الاولى - نشط ضابط الاستخبارات البريطاني ، لورانس في فلسطين والمنطقة العربية المجاورة بحجة البحث عن الاثار ، ولمعرفة موقع كركميش التاريخي ، بينما كان في الحقيقة يستطلع المنطقة لاحتلالها من قبل بريطانيا وحلفائها متى تسمح الظروف بذلك (١٥) .

ان التحركات والنشاطات الانكليزية السابقة ، تظهر لمن يرى وبالتالي يعني ، مدى ترابط الحركة الصهيونية بالهجمة الاستعمارية على الوطن العربي ، ولولا ذلك لما كان بمقدور القائد الانكليزي (النبلي) أن يشارك في حفل افتتاح الجامعة العبرية في القدس ، قبل أن تنتهي الحرب العالمية الاولى مع الالمان والأتراك ، ولما منع نشر بيان الشريف حسين ، قائد الثورة العربية الكبرى الا بقصد خنثي صوت حركة التحرر العربية ، وبغية تمرير المخطط الاستعماري الصهيوني علما بأن بريطانيا قامت اثناء الحرب العالمية المذكورة باسـم الحلفاء بمفاوضة الشريف حسين ، واتفقت معه : على قيام العرب بثورة ضد الاتراك ، يدعمها الحلفاء ويعترفون باستقلال العرب عن الاتراك ، وفي نفس الوقت كانت فرنسا وبريطانيا من وراء ظهر الحلفاء تتفاوضان فنجم عن هذه المفاوضات اتفاق ، على صيغة معاهدة سايكس بيكو فيما بينهما بحيث تتقاسمان مناطق الاحتلال والنفوذ في بلاد الشام والعراق .

وفي عام ١٩١٧ اقدمت بريطانيا على اقتتراف عملية غدر ثنائية بحق العرب ، عندما اصدرت وعد بلفور القاضي بأن تعمل على إنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين ، وفق اتفاق حاييم وايزمن مع آرثر بلفور عام ١٩٠٦ يوم كان يصرح بأن الصهيونية السياسية تعني (جعل المسألة اليهودية عالمية ، وانها تعني الذهاب الى الامم والقول لهم : (اننا - اليهود - نحتاج مساعدتكم للوصول الى هدفنا (٩)) وتوضيحا لدور حاييم وايزمن في الاتصال بالقادة البريطانيين والتفاهم معهم نذكر مقاله آرثر بلفور عن وايزمن (انه الرجل الذي جعلنا صهيونيا (١٦) ولم يقتصر الامر على بلفور ، لكنه تعداه الى الرئيس الامريكي ويلسن ، صاحب النقاط الاربعة عشرة الذي هو الآخر اضطر الى التحالف مع الصهيونية ، واستلم توصية من المخابرات الامريكية مرفوعة الى مؤتمر السلام تقول ينبغي : (بأن يدعى اليهود للعودة الى فلسطين للاستقرار هناك ، على أن يضمن لهم المؤتمر بهذا الصدد كل مساعدة ممكنة تكون منسجمة مع حماية الحقوق الشخصية - وخاصة الدينية - وحقوق الملكية للسكان غير اليهود وأن يؤكد لهم فضلا عن ذلك ، أن سياسة عصبة الامم ستكون : الاعتراف بفلسطين كدولة يهودية حالما تصبح دولة يهودية في الواقع (١٧)) وفعلًا كانت تلك التوصية منسجمة مع ما أشار اليه رئيس المؤتمر الصهيوني حاييم وايزمن من قبل في محاضرة القاها عام ١٩١٧ جاء فيها : (ان الكثيرين يتطلعون الى اقامة الدولة اليهودية حالا ولكن المطلعين على سير الامور يعلمون أن تنفيذ مثل هذا المشروع يتعذر في الوقت الحاضر) نعم أن هدفنا هو الدولة اليهودية ولكن بلوغ هذا الهدف لا يأتي دفعة واحدة بل يجري على مراحل متعددة أولاها : أن توضع فلسطين تحت حماية دولة صديقة كبريطانيا مثلا ، تسهل الهجرة والسكن لتمكيننا من تحضير الجهاز الاداري اللازم لبلوغ هدفنا ، واستطيع أن اصرح بأن الحكومة البريطانية موافقة على هذه الخطة ومستعدة لتسهيل

اسرائيل وليدة سياسة الامبريالية العالمية

الشرق الاوسط ، مع اتصال سهل بالبحرين الاحمر والمتوسط ، وقاعدة استراتيجية واسعة النطاق مع ميناء حيفا الممتاز ، الذي سنستعمله بموافقة اليهود ، وان من حسنات هذا الضم ، احباط أية محاولة مصرية لاغلاق القناة في وجهنا كما سيمكننا من حفر قناة اخرى تربط بين البحرين المتوسط والاحمر (١٩) .

ان المتتبع لما جاء في مذكرات ماينز المذكور آنفا ، يضع كالتالي يديه ، على ما ترمي اليه الصهيونية بالتعاون مع الامبريالية العالمية ويرى التخطيط الواضح لاجراج الاتراك من المنطقة العربية ، والسعي لمنع العرب بالتالي ، من احراز استقلالهم وذلك من خلال تقسيم بلادهم ، الى مناطق نفوذ وكوئونات مستضعفة ، تذكرنا بذول الطوائف ، في الاندلس وفي خطوات تالية ، تبرز امكانية خلق دولة يهودية صهيونية ، ومن ثم تمكن هذه الدول الصهيونية والحليفة للامبريالية ، من التوسع وفق مخطط مرسوم ، ينفذ على مراحل حسب ما يستجد من ظروف ، لظهور دول جديدة أو بروز دور حركات تحرر وطني على الساحة العربية ، أو قيام سلطات جديدة مرتبطة بشكل أو آخر باذرع الاخطبوط الامبريالي في الوطن العربي ، تجعل هذه وتلك اداة أو دريئة لتمرير كافة المخططات المرسومة .

وزاد في الطين بلة ، انه منذ أن ازداد نفوذ الرأسماليين اليهود في امريكا الشمالية ، بدأت الولايات المتحدة الامريكية ، تميل اكثر فأكثر ، الى التطلع نحو منطقة حوض البحر الابيض المتوسط ، متحالفة مع الحركة الصهيونية العالمية ، وبذلك توفرت ظروف ادخال الثقل الامريكي الى جانب الموقف البريطني المعادي للامة العربية منذ زمن بعيد ، وهكذا تضافرت جهود الدولتين معا للتأثير في نصوص صك الانتداب المفعول على بلاد الشام والعراق ، بحيث جاء (صك الانتداب - متضاربا مع معاهدة فرساي وميثاق عصبة الامم ... فقد اشترط انشاء وطن قومي في فلسطين لشعب غريب عنها ، بينما غاية الانتداب

كما عرفتة نصوص ميشاق عصبة الامم - هي خدمة مصالح البلدان الخاضعة لهذا النظام وتسديد خطاها والسير بها نحو الاستقلال التام (٢٠) ولكن مافعلته بريطانيا ، كان حقاً عكس نصوص صك الانتداب ، الذي هو في الاصل جائر بحق العرب ، اذ منذ وصل هربرت صموئيل - الذي سـاهم في تعيينه حاييم وايزمن - الى فلسطين مفوضاً سامياً ، لجأ الـى تـيـثـيـس العرب وثنيهم عن مطالبة بريطانيا ، بتعديل سياستـها الفلسطينية بقوله : (لم يطرأ ولن يطرأ أي تغيير على سياسة حكومة صاحب الحلالة (٢١)) وتبعاً لذلك اذا كان عزرا الاول قد حاور بتأييد من كورش ، بنساء الهيكل ، واحبط زعيم العرب چشم مشروعه ، فان عزرا الثاني - اي هربرت صموئيل - قد استفاد من تجربة سمية ، فـسـيـي الاعتماد على الاجنبي ، وبدأ بارساء اسس الدولة اليهودية الصهيونية أولاً ثم قد يتمكن هو أو غيره من ترميم الهيكل ثانياً كما كان في الازهان آنذاك (٥٧) ولهذا عمدت بريطانيا في فلسطين ، وبغية تحقيق أهدافها ، الى تعيين الموظفين والمسؤولين من الانكليز المواليين للصهيونية ومن اليهود الصهاينة ، في المناصب الهامة ، كالمندوب السامي واعضاء المجلس الاستشاري والنائب العام وسكرتيريا المالية ومديري الهجرة والتجارة ومستشاري الدوائر المختلفة ، كما أنها منذ احتلت فلسطين ، لم تـكـثـر لاحتجاجات العرب عليها لتفريطها بالاراضـي العربية ، التي توجد فيها أماكن مقدسة - اسلامية ومسيحية عـلى السواء - بل وزادت في تماديها ، عندما لجأت الى خنق اصـوات المحتـن عن طريق مراقبة الصحف ومنعها من اشارة وعد بلفور .

وحين وقعت حوادث عام ١٩٢٠ وارتفعت صيحات الاحتجاج ضـد الانتداب تكونت لجنة عسكرية للتحقيق ، جاء في تقريرها ، ما يوضح سبب مخاوف العرب من الانتداب مثل (يأس العرب من تحقيق الوعد المقطوعة لهم في اثناء الحرب بالاعتراف باستقلالهم واعتقادهم أن تصريح بلفور يتضمن عدواناً على حقوقهم في تقرير مصيرهم

وخشيتهم أن يؤدي انشاء الوطن القومي اليهودي الى تضخم الهجـرة اليهودية تضخما سيسفر عن استعبادهم اقتصاديا وسياسيا من قبل اليهود ، وما أدت اليه تصرفات اللجنة الصهيونية في فلسطين من استفزاز وماسبه تتويج فيصل بن الحسين في دمشق ملكاً على سورية المتحدة بما فيها فلسطين من حماسة (٢٢) ، نعم كل ذلك ساعد العرب مندفعين للتعبير عن اصرارهم على رفض الصهيونية ، والقيام بعقد سلسلة من المؤتمرات في سنوات ١٩١٩ - ١٩٢١ حيث أرسل وفد عربي الى لندن ، اتصل بمجلس اللوردات البريطاني وعمل على حمله على رفض صك الانتداب والمطالبة بتنفيذ الوعود المقطوعة للعرب من قبل ، الا أن الحكومة البريطانية تجاوزت في تصرفاتها مجلس اللوردات ، باعتمادها على قرارات مجلس العموم البريطاني تجاه المسألة الفلسطينية . وكيرد فعل على الممارسات البريطانية صار عرب فلسطين يشعرون بالمرارة والظلم الذي تحدث عنه جانب من تقرير لجنة هايكرافت عام ١٩٢١ حين وصف بريطانيا ، الدولة المنتدبة على فلسطين بقوله : (عملت على تجاهل العرب بصفتهـن عنصراً يحسب له أكبر الحساب . وفي بعض الاحيان وقفت في طريق مصالحها ، ابتغاء فائدة اليهود وان تصرفاتهم تثير هياج العرب سكان فلسطين ، بدلاً من تهدئة خواطرهم وانها بذلك تعد سبباً من أسباب الاضطراب (٢٣) . كيف يستطيع العرب التزام الصمت وهم يسمعون حايم وايزمن يقول عن تشرشل . وبأنه الرجل الذي يفي بوعوده للصهيونية (٢٤) . ثم يسمعون تشرشل نفسه - وزير المستعمرات - ثم رئيس الوزراء في بريطانيا يقول بدوره : (اذا استطعنا وأسعفنا الحظ ، فحضرنا في حياتنا ميـلاد دولة يهودية ، ليس في فلسطين وحدها ولكن على ضفتي نهر الاردن ، فاننا سنرى ولادة حدث يتلاءم اطلاقاً مع المصالح الامبريالية الحقيقية (٢٥) . ولما اشتد غضب الجماهير العربية ، وكثرت الاضطرابات هنا وهناك نجأت بريطانيا الى اسلوب التهذئة ، التي اعتادت هـا

الاستاذ منذر حموي

سياسة معتمدة مع الشعوب وكأسلوب لتخدير أعصاب الجماهير ، من أجل صرفها عن النضال الوطني المعادي للامبريالية والصهيونية ، وتبعاً لذلك ، فقد اصدر تشرشل وزير المستعمرات البريطاني آنذاك ، الكتاب الابيض - حزيران ١٩٢٢ - المتضمن أن (الحكومة البريطانية تؤكد ثانية تصريح بلفور الذي لايقبل التغيير وسيؤسس في فلسطين وطن قومي لليهود ، ولكن ذلك لايعني أن تكون فلسطين برمتها وطناً قومياً لهم وسيكون الشعب اليهودي موجوداً في فلسطين كحق من حقوقه ، لاكمناً ولكن حكومة جلالتة ، لا ترمي الى جعل فلسطين يهودية كما أن بريطانيا انكليزية ، وهي لا تفكر في افناء الشعب العربي أو اللغة أو الثقافة العربيتين أو جعلهما في مرتبة ثانوية ، وان حكومة جلالتة تريد أن تعطي قسماً كاملاً من الحكم الذاتي في فلسطين وستكون خطوتهم التالية تأسيس مجلس تشريعي في الحال ، تكون أكثرية اعضائه من المنتخبين وأن المركز الخاص الممنوح للجنة التنفيذية الصهيونية لا يخلو لها الاشتراك في ادارة البلاد . أما بشأن الهجرة اليهودية ، فالحكومة ترى من الضروري زيادة عدد اليهود بالمهاجرة على شرط ألا تزيد على مقدار ماتستطيع مقدرة البلاد الاقتصادية استيعابه من المهاجرين الجدد (٢٦) . من خلال النص السابق يتبين لنا ماكانت بريطانيا تنويه ، إزاء تجزئة فلسطين واقامة دولة يهودية ، كما أنه كان بالتأكيد أن بريطانيا هي التي ستقرر قدرة البلاد على الاسيعاب حسب ماتمليه عليها مصالحها وارتباطاتها الاستعمارية المتحالفة مع الصهيونية العالمية .

ومع مرور الزمن انضمت الولايات المتحدة الامريكية بقوة الى بريطانيا ، في تبني قضية مناصرة الصهيونية بشكل سافر ، لافسي مؤتمرات الصلح فحسب ، بل في داخل الولايات المتحدة نفسها بدليل (أن الرئيس الامريكي ويلسن في تشرين الاول من عام ١٩١٧ قد وافق على تصريح بلفور (٢٧) ، وفي آب من عام ١٩١٨ قال الرئيس ولسن

اسرائيل وليدة سياسة الامبريالية العالمية

نفسه : (اعتقد أن الامم الحليفة قررت وضع حجر الاساس للدولة اليهودية في فلسطين بتأييد تام من حكومتنا وشعبنا (٢٨) .

ومن ناحية أخرى كانت الولايات المتحدة الامريكية مطلعة على كافة الوثائق السرية الخاصة بالحلفاء ومافيها من غدر وتآمر على العرب وتؤكد هذه الحقيقة رسالة وزير خارجية بريطانيا الى الرئيس ويلسن بتاريخ ١٩١٧/٥/١٨ مرفقة بصورة عن نصوص المعاهدات ، وقد جاء في الرسالة : (لاأعتقد بأن هذه الوثائق ستضيف شيئاً جديداً الى ما هو معروف لديكم بخصوص هذه المسألة (٢٩) .

وفي حزيران ٣٠ منه من عام ١٩٢٢ وافق الكونغرس الامريكي بمجلسيه على انشاء وطن قومي لليهود في فلسطين ، على أن لايلحق ضرراً بالحقوق المدنية للنصارى والجماعات غير اليهودية (٣٠) ومنذ بداية القرن العشرين أصبحت الولايات المتحدة الامريكية كبشاً بقرنين غليظين ، وبهما فرضت على بريطانيا عام ١٩٢٤ معاهدة تنص على تمتع الاميركان بحقوق فتح مختلف المؤسسات والجمعيات التعليمية والخيرية والدينية في فلسطين (٣١) .

نظراً للمواقف الامريكية الداعمة للصهيونية وباعتبارها السراسر الحقيقي للامبريالية العالمية ، فقد أثنى عليها حاييم وايزمن بقوله : (كان هذا من أهم العوامل التي شجعت الحكومة الانكليزية على الموافقة على هذا التصريح)ويقصد بالطبع تصريح بلفور . وبعد هذا وذاك لانستغرب مواقف الولايات المتحدة الامريكية ، وتصرفها العدواني المتكرر ، إزاء الأمة العربية ، في كل مكان خصوصاً اذا عرفنا انه منذ مطلع القرن العشرين ، طوق المستشارون اليهود الصهاينة ، عنق رؤساء جمهورية الولايات المتحدة ، بسلاسل اعدتها قيادات المنظمة الصهيونية العالمية ، بالتعاون مع اصحاب الاحتكارات العالمية . فعلى سبيل المثال لالحصر ، فقد كان الى جانب الرئيس امريكي ويلسن براندسن ، والى جانب الرئيس روزفلت - لوريس آرنست ، والى جانب

الرئيس ثرومان جوقة من المستشارين منهم - برنار باروخ ودافيد نايلز وادوارد جاكسون وسام روزتمان والحاخام سلفر ، وروبينسرت ناتان وهربزت بلبارد سواب ، وفرانك غولدمان ، وكلاكرك كليفورد (٣٢)

مما سبق نلاحظ زيادة نفوذ الصهيونية في الولايات المتحدة كنتيجة للتحالف العضوي بينهما من ناحية ولازدياد سيطرة الولايات المتحدة على البلدان الامبريالية الاخرى من ناحية أخرى ، مما يضطر الصهاينة للمراهنة على الولايات المتحدة أكثر من سواها .

وفي الثلاثينات من القرن العشرين كان الموظفون الانكليز أكثر حماسة من ذي قبل ، فقد قال وزير المستعمرات الانكليزي ، مالكولم مكدونالد ، في حفل استقبال المندوب السامي الانكليزي : (انني فرح جدا ان افتراح هجرة اليهود الى كيباقد اخف . وبصفني وريرا للمستعمرات أكثر الدين رفضوا افتراح كيبا ، فنبوءة وايزمن قد تحققت ، وعاد اليهود الى بلادهم ، لو لم يعط وعد بلعور منذ ١٨ سنة لاعطيناهم السوم - أي في عام ١٩٣٥ (٣٣) . وعلى الأثر نهض المندوب السامي واكهرب وطلب من الحضور أن يشربوا نخب الصهيونية . وبمثل هذه انتصروا . كانت أجهزة - الدولة البريطانية تظهر على حقيقتها ، راعية وحامية للمخططات الامبريالية - الصهيونية .

كما أننا نستطيع مما سبق تبين الخط العام للسياسة البريطانية ، التي كانت دائما تتجاهل الحقوق العربية ويؤكد لنا ذلك حايم وايزمن من خلال كلامه الاتي :

(كان بيننا - نحن اليهود الصهيونيين - وبين كبار المسؤولين الانكليز ، أمثال بلعور ولويد جورج اتفاقاً سرياً ، يقضي بنسليمنا فلسطين خالية من السكان تماماً سنة ١٩٣٤ (٣٤) .

ونتيجة لهذا التواطؤ ، لم يقتصر القلق والتذمر على العرب وحدهم ، بل تعداهم الى بعض الموظفين الانكليز ، فقد وصف المدير العام في

اسرائيل وليدة سياسة الامبريالية العالمية

فلسطين الجنرال بولز ، اللجنة الصهيونية ، في تقرير له قائلا :
(كما انها تدعي لنفسها سلطتي وسلطة كل دائرة من دوائر الحكومة
وتعتدي عليها وعبثا نقول : للمسلمين والنصارى اننا قائلون بما
صرحنا به من المحافظة على القديم مما عهدوه وعهدناه يوم دخول
القدس ، فالحقائق تشهد بخلاف ذلك ، فمن ادخال اللسان العبري كلفسة
رسمية الى اقامة قضاء يهودي الى تلك التشكيلات الحكومية التي تتألف
منها اللجنة الصهيونية وتلك الامتيازات الخاصة الممنوحة لاعضاء هذه
اللجنة في السفر والانتقال كل ذلك حمل العناصر غير اليهودية على
الاعتقاد الثابت باننا اهل محاباة (٣٥) . كما كانت بريطانيا ،
تمشيا مع سياسة محاباة الصهيونية وتقويتها ، تحمي صناعات اليهود
من المنافسة ، مثل صناعة الاسمنت والسمن النباتي ، على غير عادة
الاستعمار ، كذلك مكنت اليهود من استثمار البحر الميت وبعض الأراضي
المجاورة له ، فضلا عن أراضي سهل الحولة ، التي شاركت في تهجير
سكانها وسهلت أيضا السيطرة الصهيونية على صناعة الكهرباء ،
والكيماويات وبنفس الوقت لجأت الى ضرب أسعار السلع العربية ، وعلى
سبيل المثال لالحصر ، فقد خفضت أسعار السمسم ومنتجات عربية أخرى ،
وكانت بريطانيا طيلة مرحلة الانتداب ، قد مارست سياسة تضليلية
لتعمية الجماهير العربية عما يجري وراء الأحداث ، خاصة عندما
سافر وفد فلسطيني الى لندن عام ١٩٣٠م عقب مجيء لجنة شو السلي
فلسطين ، وفي لندن طالب الوفد الفلسطيني حكومة بريطانيا بالعمل
على وقف الهجرة اليهودية ، ومنع انتقال الاراضي ، وتأليف حكومة
عربية مسؤولة أمام مجلس نيابي ، يشارك السكان في هذه الحكومة
بحسب نسبتهم العددية ، ولكن بريطانيا رفضت هذه المطالب بحجة
مخالفتها لما جاء في صك الانتداب ، وعلى اثر هذا الموقف ، ابصر
الوفد العربي الى فلسطين ومصر موضحاً سياسة بريطانيا بقوله : **إننا نرى**
أننا (ابادتنا كأمة وجلاؤنا عن بلادنا وان المسألة عندنا مسألة حياة
أو موت ، وبما أن أهل البلاد العربية والاسلامية شركاء في فلسطين

الاستاذ منذر حموي

بات واجبا علينا أن نخطرهم بالحالة الخطيرة التي تهدد كيان بلادهم المقدسة واخوانهم الساكنين فيها (٣٦) .

ورغم كل المواقف الاعلامية والنضالية العربية ، ورغم وضوح عدالة قضيتهم ، فقد ظلت بريطانيا ماضية في غيها ، متبعة سياسة التعاون مع الصهيونية ، بحيث ثبت صدق ماتوقعته اللجنة التنفيذية العربية ، في كتاب الرد على الكتاب الابيض الثاني لعام ١٩٣٠ م .

وقد وضع ذلك من خلال اقدام رئيس وزراء بريطانيا المستر مكدونالد ، على ارسال رسالة الى الدكتور حاييم وايزمن ، يفسر فيها الكتاب الابيض الثاني ، بالشكل الذي لا يتعارض مع وعد بلفور ومطامع الحركة الصهيونية ، ولهذا السبب أطلق العرب ، على هذه الرسالة التفسيرية اسم الكتاب الاسود ، نظرا لما ورد فيها من : (ان الالتزام القائل بوجوب تسهيل الهجرة اليهودية وتشجيع حشد اليهود في اراضي البلاد ، يبقى التزاما ايجابيا من التزامات الانتداب ، وفي الاستطاعة تنفيذه من دون الحاق ضرر بحقوق ووضع الفئات الاخرى من سكان فلسطين (٣٧)) . ان البيان لا يتضمن منع اليهود من احتلال اراضي اضافية وليس في النية تقرير هذا وكل مافي الامر فرض مراقبة مؤقتة على معاملات التصرف في الاراضي وفراغها على وجه يكفل عدم الاضرار بانتظام مشروع استثمار الاراضي الذي ننوي القيام به ، وأما الهجرة اليهودية ، فحكومة جلالتها لم توقفها على اختلاف اصنافها كما أنها لا تفكر في وقفها ومنعها وستستمر العادة المتبعة الان من حيث الموافقة على جدول العمال المهاجرين الذين يدخلون البلاد للاكتساب بواسطة العمل كما أن الحكومة البريطانية تعتصم بحق المنظمات اليهودية في الا تستخدم سوى العمال اليهود) ، وعلى أثر انتفاضات اعوام ١٩٣٦ - ١٩٣٩ تعاونت المنظمات العسكرية الصهيونية مع القوات البريطانية في ملاحقة الثوار والانتقام من السكان العرب ، علما بأن بريطانيا استخدمت قوات عسكرية لسحق

الثورة الفلسطينية تقدر بحوالي الخمسين ألفا ، وكانت تزج في بعض المعارك بحوالي ثلاثة آلاف لمواجهة بسالة الثوار الذين اتقنوا حرب العصابات وقتال الشوارع (٣٨) ، ووضعت آنذاك في المعتقلات أكثر من خمسين ألفا ، كما أنها قتلت أكثر من ثلاثة آلاف عسكرا الالاف الاخرى من الجرحى ، وارتكبت مالا يحصى من حوادث التخريب والتدمير والاعتداء على كرامات الناس واموالهم ، وعملت على منعهم من التجول عدة شهور كما (كانت المحاكم العسكرية البريطانية تحكم على أي عربي يقبض عليه ومعه أسلحة ولو كانت طلقة أو سلاحا مهجورا بالموت أو السجن مدى الحياة وكانت هذه الاجراءات واجراءات أخرى عديدة مشابهة تتخذ من قبل السلطات بقصد كبح جماح العرب وابقائهم عزلا من السلاح ومن وسائل الدفاع لتجعل منهم بذلك فريسة سهلة للصهاينة (٣٩) .

وعلى اثر هذه الاجراءات كانت تقوم وحدات خاصة من الهاجانا بقيادة الكابتن أودوينجيت عام ١٩٣٩م بغزو القرى العربية وتصفية العناصر التي تحذرهما متذرة بفكرة الدفاع الوقائي ، في حين كانت مهمتها الاساسية هي حراسة أنابيب شركة بترول العراق (٤٠) ، وباعتبار أن وينجيت قد قام بأعماله المشار اليها ، بإذن رسمي من السلطات البريطانية ، فقد أعطى اليهود الصهاينة ثقة بأنفسهم ، واقنعهم بجدوى هذه الاساليب الارهابية - التي مازالوا يمارسونها حتى الان كما كانت العصابات الصهيونية ترتكب جرائمها ضد عرب فلسطين بينما كانت القوات البريطانية لاتحرك ساكنا ، مع أنها مكلفة رسميا بالمحافظة على الامن ، ولكنها بالعكس (كانت متنبهة وقت ذاك لانقاذ القوافل اليهودية والمستعمرات اليهودية من هجمات العرب حالما تتلقى الاشارة منها ، وان تحركت لنجدة العرب فالويل لمن يبقى منهم في مكان الاعتداء لان رصاص الانكليز يتناولهم بحجسة أن البادية بالاعتداء لم يعرف ، حتى أنه في كل حادثة أو موقعة

الاستاذ منذر حموي

يظهر فيها تفوق عرب فلسطين ، كانت قوات الانكليز تتدخل لتفسد النجاح أو لتضعفه (٤١).

وعن هذا الموضوع كتب أحد المندوبين السامين البريطانيين في أحد تقاريره ، يصف امكانيات بريطانيا في الرد على الارهاب الصهيوني قائلًا : (لو سمح للقوات الانكليزية على اختلافها بالتدخل ، لامكن القضاء على الارهاب اليهودي في ساعات) (٤٢) ، وفي اثناء الحرب العالمية الثانية عام (١٩٤٠) تحدث حاييم وايزمن الى وينستون تشرشل بقوله : (بعد الحرب نود أن نقيم دولة تضم بين (٣-٤) ملايين يهودي في فلسطين) (٤٣) ، فأجابه تشرشل : (حقا انني موافق على ذلك) (٤٤) ، وهكذا كان بامكانهما بحجة مقاومة الغزو الالمانى المحتل لمنادى شرق البحر الابيض المتوسط ، ان يجعلوا القوات العسكرية البريطانية المتواجدة في فلسطين تقدم على التعاون مع الهاجاناه والارغون والمخابرات الصهيونية ، وكان لانجاز هذه المهمة ، وفق المخططات المرسومة قد قدم الانكليز الى القوات الارهابية الصهيونية ، السلاح والمدربين والمعلومات الاستخبارية والاموال اللازمة ، بل ونفذت عمليات مشتركة خارج فلسطين كمحاولة نسف مصفاة البترول في طرابلس - لبنان - وخطف الحاج أمين الحسيني من بغداد (٤٥) ، وعندما غزا الانكليز سورية ولبنان في شهر (يوليو) تموز عام (١٩٤١) م ساهمت بعض قوات الهاجاناه بأعمال الاستطلاع والتخريب مع طلائع الجيش الغازي . كذلك سمحت بريطانيا لأكثر من ثلاثة وعشرين ألفاً من جندي صهيوني بالانخراط في قواتها ، اثناء الحرب العالمية الثانية فكانوا منذ ذلك الوقت ، نواة الجيش الاسرائيلي ، بالإضافة إلى قوات العصابات الارهابية الاخرى بعد الحرب العالمية الثانية ، وان ذلك الامر لم يكن بخاف على مخططي السياسات البريطانية والصهيونية في المنطقة ، وتمشيا مع هذا الاتجاه ، شارك اليهود في الحرب العالمية الثانية بقوات عرفت باسم (البالماخ) للمساندة في الجبهة الافريقية ، عدا عن تعهد اليهود الصهاينة لبريطانيا بشن

حرب عصابات وقطع الطرق وانشاء اذاعة سرية وشبكة تجسس (٤٦). كذلك تعهدوا بالاتصال بيهود الوطن العربي ، بغية الافادة منهم فسي الحرب ضد الالمان وحلفائهم ، في المنطقة العربية ، كما شنسارك الصهاينة في الحرب المذكورة ، بفرقة يهودية أخرى عرفت باسم (هايل) أي القوى اليهودية المقاتلة ، وقد كان لهذه الفرقة علمها ذو اللونين الابيض والازرق تتخلله نجمة داود ، فضلا عن ارسال اليهود الى البلدان التي هاجروا منها كآلمانيا وبولونيا أو الى مقربة من الجيوش النازية للقيام بأعمال تخريب وتجسس ، وكسمل ذلك ، لقاء الوعود المقطوعة لليهود الصهاينة بأنه سيصار الى مساعدتهم على انشاء دولة يهودية صهيونية في فلسطين (وكانت هذه الوعود كما أثبتت الايام صادقة مع الصهاينة بعكس الوعود التي قطعت الى العرب في أكثر من مرة) ولكسب تأييد اليهود بالفعل عبر السياسة الانكلو صهيونية ، صرح حزب العمال البريطاني في مؤتمر بلاك بول ، قبل الانتخابات ؛ (بأنه ينوي تحقيق دولة يهودية في فلسطين (اسرائيل) بمجرد استلامه الحكم) وكان اتلسي زعيم حزب العمال ، في الواقع قد ذهب الى أبعد من ذلك ، ببيان وعد بنقل السكان العرب من فلسطين لاحلال اليهود محلهم ، واعترف الجنرال دارسي بأن خروج الانكليز من فلسطين يعني تسلم اليهود لها (٤٧).

ولا يقتصر أمر مساعدة الصهاينة على اغتصاب فلسطين على الانكليز وحدهم ، بل يبدو لنا أن الولايات المتحدة ليست أقل تورطا ، ففي نيسان عام (١٩٣٨) ، احتجت رسميا لدى بريطانيا على محسناوات الانكليز تحديد الهجرة اليهودية الى فلسطين (٤٨). وفي نفس العام دعت الى عقد مؤتمر أوربي امريكي لنصرة الهجرة اليهودية ، حضرت المؤتمر وفود احدى وثلاثين دولة ، كما تكونت لجنة فلسطين الامركية عام (١٩٤٢) تلك اللجنة التي أقدمت على استنكار الكتساب الابيض (الصادر عن بريطانيا) باسم ثمانية وستين عضوا من

الاستاذ منذر حموي

مجلس الشيوخ ومائتين من مجلس النواب الامريكيين ، كما أنه خلال الحرب العالمية الثانية ، كان الرئيس الامريكي روزفلت ، يمسارس سياسة تظمين العرب على ضمان حقوقهم ، بينما كان يعمل بجد على تمكين الصهيونية من دفع الامور وفق رغباتها ، وفي رسالة تحمل تاريخ (٥ أيار من عام ١٩٤٣) بعث بها باتريك هيرلي الممثل الشخصي للرئيس الامريكي روزفلت جاء فيها (أشارت المنظمة الصهيونية في فلسطين الى التزامها ببرنامج موسع يشمل :

- ١- قيام دولة يهودية ذات سيادة تضم فلسطين وشرق الاردن .
- ٢- اخراج السكان العرب من فلسطين الى العراق .
- ٣- أن يصبح الشرق الاوسط بكامله خاضعا للقيادة اليهودية في اقتصادياته وتنميته (٤٩) .

وفي هذا الاتجاه نشط الصهاينة ، في الدول الامبريالية لمساعدة حركتهم وانجاح اهدافها في محاولة لدفع الكونغرس الامريكي ، نحو اتخاذ قرار باطلاق الهجرة واقامة دولة يهودية صهيونية ، وقصد حملوا فعلا على اذاعة بيان للرئيس ترومان عام (١٩٤٤) يدعو فيه الى فتح فلسطين للهجرة المطلقة . ومنذ (١٩٤٤)م واقترب الحسب العالمية الثانية من نهايتها ، بدأت الصهيونية تمارس ضغطا متزايدا في انتخابات الرئاسة الامريكية ، وبدأ المرشحون للرئاسة الامريكية يقدقون الوعود للصهاينة ، ويتملقونهم ، مقابل الحصول على اصوات اليهود في الانتخابات ، وبواسطة هذه اللعبة التي لاينبغي أن نبالغ في أهميتها لوحدها وبالتحالف المبرم بين الصهيونية والتروستات الاحتكارية في امريكا وغيرها ، تمكنت الصهيونية من دفع الولايات المتحدة الاميركية أكثر فأكثر الى التورط في سياسة ، تتبنى قيام دولة اسرايل الصهيونية وتتكفل بالتالي بحمايتها ، بما يتفق وينسجم بالتاكيد مع مصالح الاحتكارات الامريكية ، التي تضغط بدورها ، على حكومة الولايات المتحدة والتي هي أصلا من صنع الاحتكارات وتمثل مصالح المحتكرين لتقوم بدور القيم والشرطي في منطقة منابع

النفط والمواد الاولية الاخرى وطرق المواصلات العالمية هنا وهنساك ومن ناحية أخرى لضمان استمرار تصريف البضائع الاميركية ، ومن أجل كل ذلك كانت الولايات المتحدة وماتزال ، تقدم مختلف أشكال الدعم والمساعدات لاسرائيل بينما تمارس سياسة مخادعة العرب ومغالطتهم ، على فرار ماكانت تفعله بريطانيا نحوهم ، ولكن بشكل أكثر دهاء وبأساليب أمضى بلاء ، ويؤكد هذه الحقيقة ماكتبه الرئيسان الامريكيان روزفلت وترومان ، الى ملك العربية السعودية يعد أنه بعدم اتخاذ أي اجراء بشأن فلسطين دون الرجوع الى العرب ، حرصا على مصالحهم :

- ١- الرسالة الاولى مؤرخة في ٥/٤/١٩٤٥ .
- ٢- الرسالة الثانية مؤرخة في ٢٨/١٠/١٩٤٦ (٥٠) .

الا أن المتتبع لاحداث القضية الفلسطينية ، سيجد أنه لا يحتاج الى الكد والعناء لايجاد دليل على تبليان الكذب والرياء في السياسات الاميركية ازاء العرب ، فقد جعل الرئيس الامريكي روزفلت نفسه وسيطا لدى الصهيونية ، لعقد صفقة شراء الحجاز من ملك العربية السعودية (وهذا الموقف بذاته هو دليل قاطع على النوايا المشتركة بين أمريكا والصهيونية ازاء العدوان المبين منهما تجاه شعب الجزيرة العربية) غير أن ملك العربية السعودية ، رفض هذه الفكرة بقوة واباء عام (١٩٤٥) ، وفي نفس الفترة ، وتمشيا مع مخطط دعم الحركة الصهيونية ، فقد شكلت اللجنة الانكلو اميركية عام (١٩٤٥) لتتمكن الدولتان من حل مشكلة فلسطين بطريقة علمية ، تخمس مصالحهما (٥١) في الشرق الاوسط ، وعلى هذا الاساس اجمعت على ضرورة دعم الحركة الصهيونية ، جميع الاحزاب الرئيسية البورجوازية في كل من بريطانيا والولايات المتحدة الاميركية ، علما بأن كبار موظفي الولايات المتحدة ، يشتركون بصورة فعالة في نشاط المنظمات الصهيونية ، العاملة في الولايات المتحدة ، بل وفي خارجها ، كما أنهم غالباً ماكانوا من المساهمين في أسهم التروستات الاحتكارية

الاستاذ منذر حموي

بشكل أو بآخر ، وتبعاً لذلك فقد أقدمت الولايات المتحدة على مساندة المطالب الصهيونية ، في مؤتمر بوتسدام وأكد الرئيس الأمريكي ترومان هذه المساندة في مؤتمر صحفي ، عقد في آب ١٩٤٥ قال فيه (انه يدافع عن استيطان حر ومفتوح لليهود في فلسطين الى النقطة التي تتفق مع حفظ السلام والامن) (٥٢) .

وهنا لاندري أي أمن يعني ، ولا أي سلام يقصد ، سوى المحافظة على المصالح الامبريالية والصهيونية في المنطقة العربية .

وفي الوقت الذي وزعت فيه الوكالة اليهودية مذكرة على أعضاء مؤتمر سان فرانسيسكو عام (١٩٤٥) ، عندما كان ممثلو دول العالم يحضرون لانشاء هيئة الامم المتحدة ، طلبت المذكرة من الاعضاء عدم اتخاذ أي عمل ، لايتفق ومطالب اليهود الصهاينة ، حسب وعد بلفسور وصك الانتداب . كما كانت الولايات المتحدة ، قد طلبت من المؤتمر اليهودي الأمريكي واللجنة اليهودية الاميركية ، ارسال ممثليهم عنهما ليعملوا كمستشارين لدى الوفد الاميركي الى مؤتمر سسسان فرانسيسكو وبهذا الاجراء ، ومنو راح من الاجراءات الكثيرة ، نرى أن التصرف الاميركي ، كان يبغى تأمين مصالح الصهيونية ومساعدتها في أروقة الامم المتحدة عن طريق الوفود الرسمية الاميركية ، علماً بأن أكثرية الاعضاء في مجلس الشيوخ والنواب الاميركيين ، قد ساءوا بتأسيس دولة يهودية في فلسطين منذ (١٩٤٥/٧/٢) وانسجاماً مع هذا المخطط الاميركي والصهيوني فقد أعلن وزير الخارجية البريطانية بيغن ، في تشرين الثاني (١٩٤٥) مامعناه :

ان بريطانيا لاتستطيع وحدها ، حل القضية الفلسطينية لذلك ترى بريطانيا لزاماً عليها اشراك الولايات المتحدة في ايجاد حل لهذه القضية (٥٣) . ومن خلال هذا التصريح ، يتضح كيف تخلست بريطانيا للولايات المتحدة الاميركية ، عن دور الحليف الاول للحركة الصهيونية (مكتفية بدور الرديف المتحمس) التي اعتادت دائماً أي الحركة الصهيونية التفتيش باستمرار عن الحليف الاقوى والافضل

والاكثر نفعا لها ، والاقسى سدر على تقديم العون المطلسوب .
وكان لابد لبريطانيا عندئذ من القيام بعمل ظاهرة يوحى باسترضاء
العرب ، للحفاظ على بعض ماء الوجه ، بينما كانت هي في الواقع
مستمرة في تمرير المخططات الصهيونية الهادفة الى بناء دولة عنصرية
توسعية ، تتعاون مع الامبريالية في نهب ثروات المنطقة الشررق
أوسطية ، ذلك أن التناقضات القائمة بين مصالح بريطانيا ومصالح
الولايات المتحدة ، لم تصل بعد الى تفجير المواقف والخروج الى النزاع السافر
فيما بينهما ، لكنها وصلت الى مرحلة اكراه بريطانيا ، على
قبول حصة أقل من اسلاب الشعوب ، ذلك أمر متفقا مع واقعها
كدولة امبريالية ، بدأت مرحلة التقهقر ، وبالتالي بدأت الشمس
تغرب عن مستعمراتها في العالم ، شيئا فشيئا ، بل وبالرغم من
ذلك ، فقد بقيت تتشبث بسياساتها الاستعمارية ، وعليه فقد كلفت
الجنرال ويتجيت على تدريب الصهاينة على فنون الحروب الحديثة وكذلك
شجع ضابط المخابرات العامة في القدس ، اليهود على مهاجمة العرب
المجاورين للمستعمرات اليهودية ، وحين انسحب الانكليز من فلسطين
قاموا وعلى عجل بحملات تجريد السلاح من أيدي العرب لتركهم فريسة
سهلة الاقتناص من قبل العصابات الصهيونية المسلحة تسليحا حسنا (٥٤)
وتبعاً لذلك تداعى عرب فلسطين الى تكوين لجنة مقاطعة عربية
تمثل المستهلكين العرب ، وعملت على مقاطعة التجار الصهاينة والبضائع
اليهودية الصهيونية ، ولكن من أجل فشل المقاطعة هذه ، لجأت
السلطات البريطانية الى اعتقال أعضاء اللجنة المذكورة ، في نفس
الوقت الذي كان فيه الصهاينة يقومون بأبشع جرائم الارهاب ضد العرب
وفي عام (١٩٤٥) عينت بريطانيا في فلسطين مندوبا ساميا عسكريا
لمساعدة الصهيونية على اقامة دولتها ، التي تدعو الى تأسيسها
وفق مبادئها ، فعمل ذلك المندوب السامي على السماح لاعداد كبيرة
من اليهود بدخول فلسطين ، كما أنه هادن الوكالة اليهودية وتعامل
مع قادتها ، كزعماء دولة وخاصة حاييم وايزمن الذي جاء الى فلسطين

زائرا وبمناسبة هذه الزيارة فقد (أجمعت الصحف العبرية على الاعراب عن حبها له في عبارات تنطوي على كثير من الاحترام واحاطة اليهود بالشعارات والاحتفالات التي تقدم عادة لرئيس الدولة المحبوب منهم . ولم يكن في وسع أحد ممن قرأوا الصحف في تلك الايام ، أن يصدق اليوم أن الدولة اليهودية لم تكن قد قامت برئاسة الدكتور وايزمن . وتبودلت الزيارات الرسمية بينه وبين المندوب السامي للوردجورت . ووقف طلاب المدارس على جوانب الشوارع لتحيته وعرض مزارعو الجليل منتجات حقولهم ، ومراعيهم ، وحياء علماء مركز البحوث في رحابوت من زملائه بالاجلال . وجاءت حمولة قطار كامل من الجنود اليهود ، من أفراد الفيلق اليهودي الذي قضى هو وشاربيت الكثير في اعداده ، الى رحابوت ، لتؤدي له التحية العسكرية أمام منصة العرض التي وقف عليها ، وقد تأثر وايزمن تأثرا عميقا لهذا الاستقبال (٥٥) .

مما سبق نتبين مدى متانة الترابط في وحدة الاهداف والمصالح بين الامبريالية البريطانية وبين الحركة الصهيونية العالمية ، مسن أجل خلق دولة اسرائيل التوسعية على حساب العرب ، كما أنه في تلك الظروف قد ازداد الارهاب الصهيوني في فلسطين ، فتعاقدت (الهيئة العربية مع الضابط المصري المتقاعد محمود لبيب ليتولى تدريب شبان المنظمة واعدادهم للطوارئ ، لكن الحكومة المنتدبة ببريطانيا سارعت الى طرده من فلسطين في آب عام (١٩٤٧) وذلك رغم شرعية اقامته ، ورغم علمها / أي بريطانيا / بمئات الضباط المدربين الصهاينة ، الذين دخلوا البلاد خلسة أو فروا من جيوش الحلفاء (٥٦) .

فمن خلال مراقبة مواقف بريطانيا ازاء العرب تبدو لنا بريطانيا على حقيقتها ، من حيث انحيازها الى الجانب الصهيوني بشكل لا يقبل أي عناء في البحث عن تقديم الاعذار عن سوء تصرفها مع العرب سوى التصميم على تنفيذ السياسات المرسومة عن عمد من قبل ، ممسكا

اسرائيل وليدة سياسة الامبريالية العالمية

حدا بالمؤرخ البريطاني المنصف ، ارثولد تويني ، ان يفند سياسة بريطانيا المخادعة ، التي تعطي العرب من خلالها الوعود المعسولة فقط بينما تعطي الصهاينة كل مايشاؤون ، وعبر عن ذلك بقوله : (لسم يكن هنالك مثار شك في أن الثلاثمائة ألف يهودي من المهاجرين الذين تم جلبهم وادخالهم الى فلسطين ، خلال الثلاثين سنة من حكم الانتداب انهم دخلوا فلسطين بقوة بريطانيا وسلطتها و ضد رغبات العرب الذين كانوا مقتنعين تماما بأن اولئك المهاجرين قد جاؤوا ليخنقوهم ولينشبو اظافرهم في حلاقيهم ، والحق ان الحوادث التي تلت قد أثبتت أن عمل البريطانيين كان في الحقيقة يعني القضاء على عرب فلسطين ان آجلا أو عاجلا (٥٧) . . . وان السلوك السياسي البريطاني في عامي (١٩٤٧ و ١٩٤٨) كان مؤذيا للعرب أيضا . فقد كان العسرب في فلسطين يتوقعون من السلطة المنتدبة أن تحمي على الاقل الجزء المخصص للعرب في مشروع التقسيم من عدوان اليهود . وكان من حقهم أن يطلبوا اليها أن تسلمهم هذا الجزء كاملا وآمنا ومستقرا ، ولكن السياسة البريطانية حرمتهم من ذلك ومهدت الجو لقيام حالة من الفوضى والاضطراب في البلاد (٥٨) .

وهنا أيضا لايمكننا تفسير تلك التصرفات بغير تصميم بريطانيا على تسليم فلسطين للصهاينة لقيموا فيها دولة عنصرية ، تتشابه مصالحها مع المصالح الامبريالية ضد مصالح وحقوق الامة العربية لذا عملت بريطانيا وفق خطة على مساعدة الصهاينة في توفير الجو المناسب لتأمين الكوادر اللازمة لاقامة الدولة وتسلم السلطات عندئذ كما عملت الدول الامبريالية على محاربة عدالة القضية العربية الفلسطينية داخل الامم المتحدة بزعماءة كل من الولايات المتحدة وبريطانيا وبخاصة عندما طالب المندوب العربي هيئة الامم المتحدة أن تعطي اللجنة المكلفة (اونسكوب) التحقيق في اسباب المشكلة الفلسطينية حق اعلان استقلال فلسطين كأحد مهامها ، عارضه مندوبو الولايات المتحدة الامريكية وبريطانيا وفرنسا . وفي تلك الاونة تشددت

الاستاذ منذر حمـوى

وسائل اعلام الحلفاء كثيرا بالكلام المعسول عن التضحيات الجسيمة التي تبذل من أجل انتصار الحرية والديمقراطية ، اللتين توفران الكرامة للإنسان ، ولكن وسائل الاعلام هذه نفسها تجاهلت حق الشعب العربي الفلسطيني ، ولم تفعل شيئا لموسى لاعادة توطين اليهود المهجرين ، في البلدان التي هاجروا منها ، بشكل يتفق وشعارات الاعلام البوزجوازي التي ثبت كذبها وخداعها لكل ذي عقل ووجدان تلك الشعارات البراقة والمسخرة لخدمة الاغراض الاستعمارية بشكل فظ ، لايسمح باستخدام منطق واحد ومقياس واحد لبحث مشاكل الشعوب بهما عبر التاريخ .

أما بالنسبة الى فكرة التقسيم ، فان الولايات المتحدة ، لم تقدم على رفض مشاريع التقسيم الا بالظاهر ، للعب بعواطف بعض العرب لارتباط مصالحهم الطبقية والسلطوية بالامبريالية. وللتمويه على بعض الجماهير العربية ، التي لاحول لها ولا قوة آنذاك ، بينما كانت في نفس الوقت تطمئن المنظمات الصهيونية بأن معارضتها للتقسيم سوف لاتضر بمخططات هذه المنظمات في حقيقة الامر . كما أنه لم يكن الموقف الانكليزي بأفضل في هذا المجال . غير أنه لما تأكدت الدول الامبريالية بزعامة الولايات المتحدة من امكانية الحصول على اكثرية الاصوات الى جانب قرار التقسيم تحولت الى دعم المطامع الصهيونية ضاربة عرض الحائط بتهديدات الدول العربية باستخدام سلاح النفط وذلك لقناعتها بقدرتها على تضليل أو تكبيل الشعوب العربية من جهة وفرض الرضوخ على معظم الحكام العرب من ناحية أخرى ، لان مسلسل هؤلاء البعض لايملكون القدرة الجادة على التصرف .

وبعد تأجيل اجتماعات الجمعية العمومية مرتين ، تمكنت الولايات المتحدة من الضغط على وفود بعض الدول للتصويت ضد العرب مثل وفسود (هاييتي وليبيريا والفلبين) وبذلك تم اقرار التقسيم في هيئة الامم المتحدة ، غير أن هذا القرار قوبل بالرفض من جانب العرب

واليهود على حد سواء رفضه العرب ، لانه انتزع منهم حقا من حقوقهم ورفضه الصهاينة عن طريق الوكالة اليهودية أو المجلس (الملّي) الغادلومي لشعورهم بأن الامبريالييتين البريطانية والاميركية ، لن تتخليسا في المستقبل عن دعم المشاريع والمخططات الصهيونية لاقامة دولسة يهودية صهيونية توسعية في فلسطين وما جاورها من الاراضيسي العربية ، ويؤكد هذه الحقيقة بعض ماورد في قرار حزب العمال البريطاني القائل(وعلينا ان نشجع العرب على الخروج من البلاد، ففي الوقت الذي نشجع فيه اليهود على دخولها .. وعلينا في الواقع أن نعيد النظر في احتمال توسيع الحدود الفلسطينية الراهنة عن طريق الاتفاق مع مصر وسورية وشرق الاردن (٥٩) .

وهكذا جاء انسحاب بريطانيا من فلسطين متفقا مع وجهة نظر حزب العمال البريطاني وسياسات بريطانيا وامريكا والصهيويينسة فقد غادرت الجيوش الانكليزية فلسطين عام (١٩٤٨) في (١٥ آيسار) تاركة للصهاينة معداتها وتجهيزاتها بالاضافة الى المواقع التسي انسحب منها ، لمنع العرب من اقامة الدولة الفلسطينية .

وفي نفس اليوم الذي أعلن فيه الصهاينة عن قيام دولة اسرائيل سارعت الولايات المتحدة الاميركية للاعتراف بها منذ الساعات الاولى لقيامها وقبل أن يغادر حاييم وايزمن الولايات المتحدة الى فلسطين ليتسلم مهام مسؤولياته كرئيس دولة ، قام قبيل المغادرة بمقابلة الرئيس الامريكي ترومان وفي هذه المقابلة وعده الرئيس الاميركسي بتقديم (كل المساعدات السياسية والاقتصادية التي تحتاج اليهسسا اسرائيل في الشهور العصيبة الاولى (٦٠)) لولادتها بين يسيدي الامبريالية العالمية بزعامة الولايات المتحدة الاميركية ، غير أن هذه المساعدات التي وعد بها الرئيس الاميركي فقد قدمت بالفعل وما تزال تقدم الى اليوم ، لان الولادة كانت غير نبيعيةسنة لان المولود كان وما يزال يعاني من الاحتضار واقترب الموت رغم مهارة المداوي وفعالية العلاج .

* مراجع البحث *

- ١- تاريخ الاقطار العربية الحديث . دار التقدم . موسكو . لوتسكي ص ٢٠
- ٢- = = = = = = = = =
- ٣- = = = = = = = = =
- ٤- = = = = = = = = =
- ٥- اسرائيل بنت بريطانيا البكر . محمد علي الزعبي . ص ١٦٥ .
- ٦- تاريخ الاقطار العربية الحديث . دار التقدم . موسكو . لوتسكي ص ١٤٤
- ٧+٨ = = = = = = = = =
- ٩- = = = = = = = = =
- ١٠- دراسات يسارية جلال صادق العظم ص ٢٩ .
- ١١- دراسات يسارية جلال صادق العظم ص ٣٠ .
- + اسرائيل بنت بريطانيا البكر ، محمد علي الزعبي ص ١٦٣ .
- ١٢- المذهب العسكري الاسرائيلي . هيثم الكيلاني ص ٢٩٤ .
- ١٣- اسرائيل بن بريطانيا البكر ، محمد علي الزعبي ص ١٣٨ .
- ١٤- مع الكلمة الصافية . قاسم الشواف ص ٣٨٧ .
- ١٥- اسرائيل بنت بريطانيا البكر . محمد علي الزعبي ص ١٤٢ .
- ١٦- تاريخ الحركة الصهيونية . الدكتور الن تايلور ص ٢٢ .
- ١٧- شؤون فلسطينية عدد (١٥) سنة (١٩٧٢) ص ١٤٢ .
- ١٨- نشرة ادارة الشؤون العامة والتوجيه المعنوي للجيش العربي السوري ص ٦٢ .
- ١٩- مشروع القناة الاسرائيلية بين العقبة والمتوسط . مكتب دراسات رئاسة الدولة السورية ص ٧ .
- ٢٠- قضية فلسطين . الدكتور احمد طربين ص ١٧١ .
- ٢١- شؤون فلسطينية عدد (١٢) سنة (١٩٧٢) ص ٨٢ .
- ٢٢- القضية الفلسطينية . اكرم زعبيتر ص ٦٢ .
- ٢٣- قضية فلسطين . الدكتور احمد طربين ص ١٥٨ .

- ٢٤- تاريخ الحركة الصهيونية • الدكتور آلن تايلور ص ٢٢ •
- ٢٥- مع الكلمة الصافية • قاسم الشواف ص ٣٨٦ •
- ٢٦- القضية الفلسطينية • اكرم زعيتر ص ٧٠ •
- ٢٧- سياستان ازاء العالم العربي • دار التقدم • موسكو •
بونداريفسكي ص ٢٢٩ •
- ٢٨- = = = = = = = ص ٢٣٠ •
- أيضا دولة اسرائيل • جالينا نيكييتينا ص ٢٨ •
- ٢٩- سياستان ازاء العالم العربي • دار التقدم • موسكو •
بونداريفسكي ص ٢٣٣ •
- ٣٠- سياستان ازاء العالم العربي • دار التقدم • موسكو •
بونداريفسكي ص ٢٣٨ • أيضا قضية فلسطين • الدكتور احمد
طربين ص ١٦٩ •
- ٣١- سياستان ازاء العالم العربي • دار التقدم • موسكو • بونداريفسكي
ص ٢٤٣ •
- ٣٢- الصهيونية أعلى مراحل الاستعمار • فتحي الرملي ص ١١٠ •
- ٣٣- القضية الفلسطينية • اكرم زعيتر ص ٩٥ و ٩٧ •
- ٣٤- الصهيونية أعلى مراحل الاستعمار • فتحي الرملي ص ١١٥ •
- ٣٥- القضية الفلسطينية • اكرم زعيتر ص ٦٢ •
- ٣٦- محاضرات عن الحركة الصهيونية في معهد الاعداد النقابسي
العمالي بحمص (منذر حمودي) •
- ٣٧- = = = = = = =
- ٣٨- قضية فلسطين الدكتور احمد طربين ص ٣٤٢ و ٣٤٣ و ٣٥٢ •
- ٣٩- فلسطين مشكلة ماثلة : نادي كتاب الساعة بالهند ترجمة
محمد جديد ص ١٢ •
- ٤٠- شؤون عربية عدد (١٥) عام (١٩٧٢) ص ١٧٣ •
- ٤١- قضية فلسطين • الدكتور احمد طربين ص ٩١٤ •
- ٤٢- القضية الفلسطينية • اكرم زعيتر ص ١٩٠ •

- ٤٣- القضية الفلسطينية • اكرم زعيتر ص ٤٢٧ •
- ٤٤- = = = = ص ١٩٠ •
- ٤٥- قضية فلسطين الدكتور احمد طربين ص ٤٤٩ •
- ٤٦- المذهب العسكري الاسرائيلي - هيثم كيلاني ص ٧٥ •
- ٤٧- مجلة المعرفة السورية عدد (٤٩) عام (١٩٦٦) وعدد (١٤٤) عام (١٩٧٤) ص ٤٠١ •
- ٤٨- سياستان ازاء العالم العربي • دار التقدم • موسكو •
- بوند اريفسكي ص ٢٥٥ •
- ٤٩- شؤون فلسطينية عدد ٢٥ ص ٣٩ •
- ٥٠- اسرائيل بنت بريطانيا البكر • محمد علي الزعبي ص ١٣١ •
- ٥١- دولة اسرائيل (جالينا نيكييتينا) ص ٤٠ •
- ٥٢- قضية فلسطين الدكتور احمد طربين ص ٦٤٠ •
- ٥٣- القضية الفلسطينية اكرم زعيتر ص ١٦٠ •
- ٥٤- المذهب العسكري الاسرائيلي • هيثم كيلاني ص ٦٩ •
- ٥٥- مفارق الطرق الى اسرائيل • ترجمة خيرى حماد ص ٤٢٣ •
- ٥٦- قضية فلسطين الدكتور احمد طربين ص ٨٥٤ •
- ٥٧- فلسطين جريمة ودفاع • ارنولد توينبي ص ٥٦ •
- ٥٨- محاضرات عن الحرية الصهيونية في معهد الاعداد النقابسي العمالي بـحمص (منذر حمودي) •
- ٥٩- مفارق الطرق الى فلسطين • ترجمة خيرى حماد ص ٤٢٦ •
- ٦٠- دولة اسرائيل • جالينا نيكييتينا ص ٤٥ •

— مصادر أخرى رافسدة —

- ١- ضد اسرائيل (بيير ديمبيرون) •
- ٢- الهجرة اليهودية الى فلسطين (الياس سعد) •
- ٣- الصهيونية في المجال الدولي (محمد عبدالمعز نصر) •
- ٤- اسرائيل والشرق الاوسط (علي محمد علي) •
- ٥- التحدي الصهيوني (جاك دومال) •
- ٦- المسألة اليهودية (كارل ماركس) •
- ٧- اسرائيل واقع استعماري (مكسيم رودنسون) •

تاريخ التنقيب عن الآثار

المؤلف: ماجد الموصلي

يعتبر علم الآثار من العلوم الحديثة نسبيا ، إذ لم يمض على ظهور التنقيب الاثري المنهجي الا قرن واحد تقريبا ، وما زال علم الآثار والتنقيب الاثري في طور النمو ، والمجال الذي يتطور فيه هو التنقيب الاثري المنهجي (Archaeological excavation) .

للتنقيب عن الآثار تاريخ طويل يصل الى الزمن الذي سبق تشييد اهرامات الجيزة وقد امتازت بعض اعمال التنقيب خلال اربعة آلاف عام بأنها كانت عشوائية وقد نفذت كيف ما اتفق ، الا أن البعض منها كان وفي حالات نادرة ، منتظما وهادفا ، وقام بتنفيذها أفراد أو جماعات وذلك اعتبارا من القرن الرابع عشر م .

كانت سرقة القبور والسطو على محتوياتها من أثار جنائزية شمين من الامثلة المعروفة للتنقيب عبر التاريخ الحضاري للبشرية . فقد أغرى الاثار الجنائزية الذي كان يشتمل على حلي ومجوهرات وادوات مختلفة كلا من لصود الاثار والاثريين في آن واحد . واخبار وقصص سرقة القبور المصرية معروفة في التراث الشفوي الشعبي المتناقل كما وأن بعضا من الوثائق المصرية القديمة تنوه الى تلك الاعمال البرصية . ولم يقتصر نهب القبور على السطو على الاثار الجنائزية المدفون في القبور المصرية القديمة ، بل شمل ايضا قبور شانغ (Shang) في الصين ، فقد نهبت هي الاخرى منذ أزمنة بعيدة عن التاريخ المعاصر . نهبت قديما أيضا قبور الملكة اوزيبرغ ملكة الفاكيينغ وبعض القبور الملكية في اور (بلاد ما بين النهرين) .

جرت أعمال التنقيب عن الآثار خاصة في الاوابد والمدن اليونانية والرومانية حيث حاول بعض المهتمين العثور على قطع فنية أثرية

أو نقود قديمة . وكانت لأعمال البحث والتنقيب تلك صفة تحقيق أهداف الشخصية ومنتعة الاكتشاف ، وخلصت من أهداف تحقيق المعرفة العلمية والعامّة الهادفة .

كان نابونيدس (Sabonidus) آخر ملوك بابل الذي حكم بين عامي (٥٥٥ و ٥٣٨) ق.م ، أول أثري في التاريخ ، فقد كان معجبا بالتاريخ الحضاري لبابل ومولعا في البحث وجمع المعلومات عنها ، وقام بأول أعمال التنقيب عن آثار الأبنية البابلية القديمة وجمع ماعشر عليه وحفظه في متحف يعتبر من أبكر المتاحف في التاريخ .

وفي زمن الرومان ذكر المؤرخ الشهير سترابو (Strabo) أنه عندما أنشأ الامبراطور يوليوس قيصر إحدى مستعمراته فوق أوابد مدينة كورينث (Corinth) عثر بعض العمال على قبور مدينة قديمة حيث وجدوا فيها آنية معدنية ، بيعت حينها الى مقتنين رومان .

كان أول عمل قام به الغزاة الاسبان بعد انتصارهم على ممالك الهندو الحمر في المسكيك والبيرو وباناما نهب القبور بحثا عن الذهب والمجوهرات . وكتب فريننديزو أوفيدو أبكر وصف معروف حتى الان لعملية حفر القبور في مدافن حضارات العالم الجديد وخاصة حول تلك التي جرت في دارين (Darien) وأرخ الوصف في عام (١٥٢٢) . ووصف دواؤفيد وهو أول تقرير يتضمن معلومات مدونة حول عملية تنقيب عن الآثار .

بدأت في القرن الخامس عشر م ، أي بعد مرور حوالي ألفي عام على تاريخ انشاء متحف نابونيدوس ، أولى مجموعات المقتنيات الاثرية بالظهور في ايطاليا ، وهي المجموعات التي وردت عن طريق التنقيب الاثري . ونشطت بعدها صرعة اقتناء الآثار في روما ، وكان البابا الاسكندر السادس الذي جلس على كرسي البابوية في روما بين عامي (١٤٧١ و ١٤٨٤) قد أمر بالقيام بأعمال التنقيب الاشسري بغية اغناء مجموعة الفاتيكان من القطع والمقتنيات الاثرية . نشطت ونمت تقليعة اقتناء الآثار مع بداية القرن السادس عشر

وقد اشتغلت بها شخصيات من روما . عرفت باسم (Dilettani) أي المشغوفين بالفنون الجميلة ، وكانت الغاية من اقتناء الآثار تزيين القصور الضخمة والحدائق والساحات ، ولم يقتصر الشغف بتقليعة اقتناء الآثار على هواة من العاصمة الإيطالية ، بل شمل أيضا هواة من مختلف المدن الأوروبية . وقد شكلت تلك القطع المقناة النواة التي نمت فيما بعد وأضحت مجموعات كبيرة حفظتها وعرفتة المتاحف الأوروبية الكبرى .

زار توماس هوارد ايطاليا واليونان وتركيا عند بداية القرن السابع عشر وجمع أثناء جولته قطعاً أثرية هامة ، واشتملت المجموعة التي حصل عليها على روائع من الآثار الرخامية الكلاسيكية . ومع حلول السنوات الأولى من القرن التاسع عشر بدأ مقتنوا الآثار يقصدون أوابد المدن الأثرية الموجودة في وديان نهري العالم القديم (النيل والفرات ودجلة) . لم تعرف أوربا عند نهاية القرن الثامن عشر عن غنى بلاد العالم القديم بالآثار إلا النذر القليل ومع افتتاح القنصلية البريطانية في بغداد عام (١٨٠٢) بدأت مرحلة الاهتمام بآثار بلاد ما بين النهرين موطن الحضارات القديمة . وكان كلاوديوس ريش أحد الرواد الأوروبيين الذين أولوا جل اهتمامهم لكشف الغموض الذي كان يكتنف تاريخ الحضارات القديمة وآثارها . كان كلاوديوس ريش طالبا يدرس اللغات القديمة ، وقد زار العراق بهدف الحصول على كتابات ووثائق مدونة بالاقلام القديمة وتحري واستطلع المواقع الأثرية في بلاد ما بين النهرين وتمكن من اقتناء رقم طينية مدون عليها نصوص بالقلم المسماري ومخطوطات مكتوبة بالقلم الشطرنجيلي (السرياني القديم) ونقوداً أثرية وأختاماً اسطوانية وغيرها . ووصلت مجموعة ريش بعد ذلك إلى المتحف البريطاني الذي اقتناها وجعل منها إحدى مجموعاته .

كانت باكورة أعمال التنقيب الأثري في بلاد ما بين النهرين بعيدة عن الدقة العلمية ، وفقدت خلال تنفيذها معلومات كثيرة

كما وكانت تهدف لسرقة الآثار ، ورافقها تضحيات كثيرة ، وكان حجم الاموال التي مولت بها ضئيلا جدا . توفي خلال تنفيذها س . بيلينو (S. Bellino) و . ك . ريش (C. Rich) و . ج . سميث (G. Smith) وكانت أسباب وفاة هؤلاء الرواد مرضهم بالابوبئة التي كانت منتشرة في منطقة الحفريات .

عاصر هنري راولينسون (H. Raeolinson) كلاوديوس ريش وهو من أصل هندي امتاز راولينسون بهمة وطاقة عالية ودأب فريسد زار هذا الضباب الخيال والمغامر عدة مواقع أثرية في ايران وكان جل اهتمامه ينصب في دراسة النقوش القديمة . نسخ راولينسون عددا كبيرا من النقوش المدونة بأقلام قديمة كانت عبارة عن طلاسم وترجم تلك النقوش ونشر مؤلفه حول اللغات القديمة (الكتابات المسمارية في عام ١٨٣٧) ، وقد منح هذا المؤلف صاحبه لقب رائد فك رموز القلم المسماري (Father Of Cuneiform) .

كان أول المغامرين الاوربيين الذين وصلوا الى بلاد اليمسـنـنـ الدانماركي كارستن نيبور (Carsten nibahr) . حط رحال ذلك المغامر في بلاد العرب السعيدة في خريف عام (١٧٦٢) ، وبدأت مع وصوله مرحلة البحث العلمي الحديث لبلاد العرب وتاريخها ، وكانت معلومات البعثة التي ترأسها نيبور قبل المباشرة باجراء أبحاثها مقتصورة على ماورد من وصف لبلاد العرب لدى المؤرخين اليونان والرومـسـانـ (منذ أكثر من ألف وخمسمائة عام) ، فمنذ بطليموس الذي وصف البلاد المعروفة في زمنه (القرن الثاني م .) لم ترد الى أوربـسـاـ المركز الفكري الناشئ ، أية معلومات جديدة عن بلاد العرب ، مع استثناء النذر القليل والنادر .

وكان من النتائج الاساسية لاعمال بعثة نيبور التنبيه السـسـيـ الالهية الحضارية لبلاد العرب وازالة الغموض الذي كان يكتنف تاريخ الحضارات العربية . زار اليمن بعد نيبور الدكتور سيتزن (Seetzan) وكانت غايته الاساسية زيارة مأرب العظيمة عاصمة سبأ أشهر

الممالك العربية القديمة .

بدأ بجمع الاثار المصرية واقتنائها في القرن الخامس عشر، وكان جل مقتني تلك الاثار من الايطاليين المهتمين بجمع النصوص الدينية للرومان . رافق تلك النشاطات نهب للمواقع الاثرية ، وللمدافن ، وجاء اكتشاف حجر رشيد (Rosettastona) في عام (١٧٩٩) ليتسبب في الاهتمام باللغة المصرية القديمة . اكتشف حجر رشيد احد الضباط نابليون بونابرت ، وقد شجع ذلك الاكتشاف اندري يوسف بوسارد (A.J.Boussard) على التنقيب في قلعة رشيد .

نقل حجر رشيد بعد صراع بين الجنرالات الانكليز والفرنسيين دام حوالي ثلاثة سنوات ، وعرض في المتحف البريطاني عام (١٨٠٢) . نقش على الحجر البازلتي نص بثلاثة أقلام مختلفة هي اليوناني والدمياطي (Demotic) والهيريوغليفي ، ويعود تاريخ النص الى عام (١٩٦ ق . م) زمن حكم بطليموس الخامس . وقد ساعد تدوين نقش رشيد بالقلم اليوناني القديم اضافة الى القلمين الديمياطي والهيريوغليفي شامليون (Champollion) على فك رموز طلاس القلم الهيريوغليفي وبالتالي فقد فتح هذا الكشف الطريق أمام البحث في المصريات (أو علم الاثار المصرية واللغة المصرية القديمة) (Egyptology) .

لم يكن الاثريون الاوربيون حتى منتصف القرن التاسع عشر محترفين لمهنة التنقيب الاثري ، بل كان العمل الاساسي لجلهم شتى الحرف والمهن . وابتداءً من النصف الثاني من القرن التاسع عشر ظهر آثريون امتهنوا التنقيب الاثري ، كان منهم اوستين هنري لايارد (Austen henry Layard) الذي نقب في موقع نمرود احدى عواصم الممالك الاشورية الشهيرة . اكتشف لايارد في نمرود قصريين ظن أنهما من قصور نينوى عاصمة الاشوريين ، لكن المكتشفات التي تلت مرحلة لايارد أثبتت خطأ النظرية بتوقيع نينوى في موقع نمرود . ومع ذلك فقد أحدث اكتشاف القصرين من قبل لايارد ضجة في الاوساط العلمية الاوربية وخاصة الفرنسية منها مما دفع

بالفرنسيين تحت تأثير الغيرة الى المبادرة للظهور على مسرح التنقيب الاثري ، وخاصة أن حمى البحث عن الكنوز الذهبية كانت ماتزال المرض والشغل شاغل للاثريين وللمهتمين بالتنقيب عن الاثار . كما وأن تجارة الاثار كانت هي الاخرى في أوج ازدهارها وقد شجع هيام تجار الاثار للحصول على الاثار النفيسة وبالتالى جنى الارباح الطائلة ، المنقبين الى مزيد من العمل والكشف الاثري .

كان هرمز رسام من رواد التنقيب الاثري في بلاد ما بين النهرين بعد ليارد . نقيب رسام في موقع نينوى واكتشف خلال تنقيباته ركنًا من قصر آشور بانيبال الشهير الذي يعود تاريخه الى ما بين عامي (٦٦٩ و ٦٣٣) ق.م . وقد حالف الحظ رسام باكتشاف مئات من اللوح الطينية المنقوش عليها نصوص بالقلم المسماري ، كما واكتشف رسام مساحات كبيرة من المنحوتات الجدارية التي تعتبر من روائع فنون النحت الاشورية .

لم يكن رسام يعرف طريقة حفظ اللوح الطينية بواسطة شيهسا بالنار ، لكنه تعلم ذلك لاحقا فقد كتب يقول (استمرت تنقيباتنا قرابة ثمانية عشر شهرا من دون انقطاع ، وعثرنا خلال تلك المدة على ما يقرب من سبعين ألف من اللوح الطينية المنقوش عليها نصوص بالقلم المسماري ، لكنه تحطم معظمها الى قطع صغيرة قبل أن نتمكن من شيها بالنار) .

ولقد أثار الاهتمام بدراسة النصوص المسمارية الحافز والرغبة بالحصول عليها وجمعها عن طريق التنقيب الاثري ، وكانت النتيجة أن اندفع العديد من سكان بلاد ما بين النهرين الى التنقيب سرا . نتج عن تلك التنقيبات السرية التي خلت من العلمية والمنهجية العبث بالآوابد الحضارية وتدمير العديد من المواقع الاثرية الهامة وبيعت اللوح الطينية المكتشفة في اسواق بغداد لتجار الاشعار الذين كانوا يبيعونها بدورهم الى الاثريين وموظفي المتاحف .

كان من أشهر من اقتنى اللوح الطينية ج. سميث (G. Smith)

الذي اشترى ألفي لوح في عام (١٨٧٦) . واشترى بودجي (Budge) في عام (١٨٩٠) ما يقرب من تسعة آلاف وخمسمائة لوح كانت قد اكتشفت جميعها خلال الحفريات السرية التي جرت في موقع دير .

وكانت حادثة اكتشاف ما يقرب من خمسة وثلاثين ألف من اللوح الطينية في موقع تيللو (Tello) من الحوادث الفريدة في تاريخ التنقيب الاثري السري . فقد قام المنقبون السريون ولصوص الاثار في عام (١٩٠٠) بالسطو على الموقع الاثري تيللو بعد أن هجر بسبب خيبة أمل المنقب سارزيك (Sarzec) . اكتشف لصوص الاثار فسي تيللو غرفة أرشيف القصر الملكي صدفة وهي الغرفة التي أودعت فيها اللوح الطينية ، وقد وجدت معظم اللوح في حالة جيدة . استمرت اعمال التنقيب السري في الموقع بعدها لفترة طويلة .

وصف لوفتوس (Loftus) في عام (١٨٥٨) إحدى عمليات التنقيب السري التي كانت تجري في موقع الوركاء (اوروك ، جنوب بلاد ما بين النهرين) على الشكل التالي : (كان هدفي خلال زيارتي الثانية الى الوركاء جمع النوابيت الخزفية (الفخارية) وارسالها الى المتحف البريطاني . لقد تبين لي أن طريقي في الحفر لبست مجدبة واستخدام الادوات والعدة التي بحوذني للوصول الى ما أنعمه عميل شاق . أما المنقبون السريون من أهل المنطقة فيستخدمون طريقة أفضل لاكتشاف التوايت وهي غز سيخ معدني طويل في النربة الهشة فاذا ما اصطدم بكتلة قاسية عندها يبادر المنقب الى حفر المكان) (١) .

تضررت من التنقيبات السرية مواقع عديدة كان منها أيضا الموقع الاثري في جفاجي (بلاد ما بين النهرين) وعدة مواقع أثرية هامة في جنوب غرب ايران ، حيث تجاوز عدد القبور التي فتحها لصوص الاثار الالف .

(١) يوضح الكتاب أن هدف المنقب الاوربي لم يختلف عن
الهدف السريين عند منتصف القرن التاسع عشر .

عادة نهب القبور قديمة ، وهي معروفة منذ آلاف السنين . واخبار نهب وسرقة القبور مثبتة في الكتابات الجنائزية التي تلحن من يمسس القبر بسوء . والغاية من نبش القبر العشور على مادفن مع الميت من مجوهرات وغيرها من اثار جنائزي ثمين . وقد ولع بعض الاوربيين منذ القرن الخامس عشر باقتناء المومياء المصرية ، فكانت المومياء هدفا من اهداف لصوص الاثار . ويذكر لنا تاريخ التنقيب السري اسم أحد الذين شغفوا بسرقة الاثار المصرية وهو جيوفانبيلي باتيستابيلزوني (G .B .Belzoni) .

عمل بيلزوني في القاهرة عام (١٨٠٠) تحت اشراف القنصل البريطاني ومدعيا أنه مهندس للري . بدأ بيلزوني بسرقة قبور طينية ، ثم انتقل بعدها الى أبي سبيل حيث استطاع الدخول الى الهرم الثاني واكتشف فيه رأس تمثال رعمسيس الثاني الذي يزن ثمانية اطنان . ويعتقد أنه هو الذي خطط لعملية نقل رأس التمثال الساسي خارج مصر .

كان هوارد كارتير (H . Carter) أيضا من لصوص الاثار المصرية وقد ارتبطت باسمه عملية اكتشاف قبر توت عنخ آمون الشهير في عام (١٩٢٣) .

ومع نهاية القرن التاسع عشر وبعد أن تكشفت النصوص والنقوش القديمة عن معلومات مدونة حول التاريخ الحضاري لمناطق الشرق القديم ، بدأ التنقيب عن الاثار ينحو نحو منهجيا علميا غايتسه اكتشاف الكتابات القديمة . وهكذا تغيرت اهداف التنقيب من بحث عن محتويات القبور وسرقتها الى بحث عن الوثائق المدونة لدراساتها بغية ازالة الغموض الذي يكتنف تاريخ الحضارات القديمة .

أما بالنسبة الى دراسة تاريخ الانسان في العصور الحجرية أي منذ الربع الاخير من العصر الجيولوجي البلايستوسين أو مايعرف بالعصر الجليدي ، فقد بدأ الاهتمام بها في أوربا مع نهاية القرن الماضي . تمثل الاهتمام بالبحث عن المخلوقات الحجرية للانسان

مثل الادوات الصوانية وتلك المهيئة من العظام وغيرها من قطع مميّزة في طابعها الفني . وقد ظهر اثنريون تركّز جل اهتمامهم في الكشف عن حضارات عصر ما قبل التاريخ الاوربي .

لم تكن اللقى الاثرية الحجرية في يوم من الايام من أهداف لصوص الاثار ومنقبي القبور ، ولقد أغرى ركام التنقيب الذي يرميها المنقبون السريون المنهجيين الجدد للبحث فيه عن الادوات الحجرية بقصد جمعها وتصنيفها ودراستها . علما أنه من الصعب الربط فيما بينها وبين مصادر الطبقات والمواقع الاصلية التي عثر عليها فيها أولا . كان السويسري اوتوهاوسر (O . Hauser) من أشهر من اقتنى القطع الاثرية المكتشفة في اوربا ، فقد باع للمتحف الاثنولوجي في برلين في عام (١٩٠٨) جمجمة من موقع عصر ما قبل التاريخ في لوموستير (Lemoustier) بقيمة (١٠٠٠٠٠) مارك ذهبي .

ومارس هواة اوربيون كثيرون اعمال التنقيب الاثري في مواقع اثرية عبر القارة الاوربية ، لكن تلك التنقيبات سرعان ما توقفت عندما تكتشف اهمية التاريخية العلمية لا المادية للقطع الاثرية الحجرية .

كانت التنقيبات الاثرية التي قام بها كل من الانجليزي هنسري كريستي (H . Christy) والفرنسي ادوارد لارتيت عند عام (١٨٦٣) منهجية ورائدة في تاريخ التنقيب عن الاثار . نعب الاثنان فسي الموقع الفرنسي الشهير آثار العصر الحجري القديم والمعروف باسم (لامادلين Lamadeein) وهو الموقع الذي اكتشفت فيه الحضارة المعروفة باسم الحضارة المجدلانية (Magdalenien) .

ونقبا أيضا في الموقع لاموستير (حضارة موستيريان Mousterien) وفي مواقع اخرى لآثار العصور الحجرية . توصل المنقبان كريستي ولارتيت الى نتائج علمية هامة وخاصة في تحديد السويات الحضارية للعصرين الحجريين القديم والاعلى ، كما وكشفا عن الفنون التسي عرفها انسان العصور الحجرية القديمة .

بدأ الاهتمام بالكشف عن الاثار الامريكية عند عام (١٨٤٠) ،
فقد اشترى الضابط في الجيش الامريكي ج.ل. ستيفنز (J .L.Stephens)
الموقع الاثري الكلاسيكي للمايا في بالينك (Palenque) واهتم
فريدريك تشاتفيلد (F . Chatefield) بالموقع الاثري الشهير
لحضارة المايا والمعروف باسم كوبان (Copan) . لكنه ولحسن
الحظ لم يستطع ستيفنز وتشاتفيلد نقل اثار المايا من موقعيهما
الشهيرين بالينك وكوبان .

في الولايات المتحدة الامريكية أدى غزو الغرب الامريكي من قبل
الكاوبوي الى الانتباه والاهتمام بأرض الغرب وبما دفن فيها من
آثار . كما وأن الحرب المكسيكية ووصول ضباط من الجيش الامريكسي
الى المواقع الاثرية في بلاد المكسيك كان قد أدى الى اشارة موضوع
البحث عن المواقع الاثرية والكشف عنها .

وقبل أن نختم هذا الموجز حول تاريخ التنقيب عن الاثار لابد
لنا من أن نذكر أهمية اكتشاف قطع أثرية يعود عصرها الى ما قبل
التاريخ في موقع ميسافيردي (Mesaverde) .

ثم الاكتشاف في عام (١٨٠٠) ، وكان المنقبون أفراد عائلة
ويتريل (Wetherill) التي استوطنت في اقليم كولورادو من
الغرب الامريكي . وفي بلاد الانكا والازتيك والمايا (البيسرو
والمكسيك ودول امريكا الوسطى) اكتشفت آثار رائعة وهامة ، كانت
منها قطع يعود عصرها الى ما قبل الفترة الكولومبية ، وقد نقلت
معظم تلك الاثار من موطنها الأصلي الى بلاد المقتنين ومولعي جمع
الاثار سواء في امريكا الشمالية أو في أوروبا .

مصادر البحث :

- 1-Frank Hole and Robert F. Heizer
An Introduction to Prehistoric Archeology ,
Newyork chicago (1973) . Page ,40-53
- 2- Evagelach,
Sand ubev den tempeln Arabiens ,Leipzig(1967)
- (٣) - ماجد الموصلي ، ملاحظات حول أهمية العلوم الانسانية كعلم
الاثار والانتروبولوجيا ، مجلة البحث
التاريخي ، العدد الاول ، حمص (١٩٧٧) ،
ص (٦٧ - ٦٩) .

البرطلان في مصر في الحقبة النبطية

✽ ————— ✽
الأستاذ عبد الرحمن أيوب

✽ مقدمة : ————— ✽

اتفقت كلمة المؤرخين على أن مهد الحضارات الانسانية بزغــــــــت وتآلقت في وديان الانهار الثلاثة .. النيل والفرات والغانج - وعندما شب الانسان عن طوق الطفولة البشرية ودخل مرحلة النضج الحضاري ، حسن كثيرا من أدوات انتاحه وأوجد المعاملات المالية لتنظيم التجارة ، فأوجد الشرائع لخدمة علاقاته الاجتماعية ... ان الحضارة ليست وقفا على شعب دون آخر . فكافة الامم اشتركت في نسج البســــــــاط الحضاري .

ان افتراق الانسان بالتخصص المهني لهو أعظم تطور في تاريخ البشر ، ونشوء أرباب المهن منذ القدم دليل أكيد على أن الانسان غير قادر أن يعيش منفردا عن الآخرين .. ولا بد له من التعاون وهذا احساس عميق في الذات البشرية مادام الانسان اجتماعيا بالفطرة .

ان ما نشاهده من المخلفات الانسانية في المتاحف دليل على عبقرية الانسان ، واذا رجعنا القهقري الى الوراد ونستشف حجب التاريخ البشري على مداره الطويل ، واجهتنا عدة أسئلة :

فهذه المصوغة الذهبية المصنوعة في وادي النيل ما سبب وجودها في سورية وتلك الانية الفخارية اليونانية كيف وجدت فوق الارض الايطالية ؟ .. فيبرز الينا ذلك الكائن البشري الذي غمط حقه المؤرخون ، حيث خصصوا صفحاتهم المفرطة للملوك والقادة ...
انه التاجــــــــــــــــر .

الانطلاقة العربية في الحقل التجاري

ان التاريخ حفظ كثيرا من أخبار شخصيات القرون الخوالي ...
ولكن مانصيب التجار والجهابذة والصرافيين ؟ ،وقوافلهم التجارية في
البر والبحر .. ؟ ان قاع انبحار والمحيطات لايزال يحتفظ بسر بعض
الشحنات من الانتاج الاقتصادي وقد كشف عن بعضها في السنوات الاخيرة
كما جرى في بحر ايجيه وغيره مثلا ... وحديثا قرب ساحل جزيرة
ارواد في سورية ... فطالب الجامعة يدرس سير الفاتحين والحفصيات
في الطب والهندسة والعلوم ... ولكنه لايدوق طعم الأبحاث التي صاغها
التجار فكأن الشعوب كلها ملوك وقادة .. أما نافخ الكير وصانع
المحراث والنساج فهم بريئون من طينة الانسان .

* التجارة في القسديم :

بعد هذه المقدمة التي فرضت نفسها ،دعونا نلج الى بحثنا ولنلحق نظرة ممهدة لهذا البحث حول التجارة في العصور السابقة لميلاد المسيح عليه السلام ولنأخذ نموذجا من الواقع :

ففي بلاد الرافدين حيث الابحاث الحضارية استقرت على ارضية الحقيقة التاريخية بعد قراءة الرقم الفخارية. المسمارية . . كيف كانت تجارتهم قوانينها ،نقدها ؟ فبقصد المتاجرة مع مدينة نائية أو إحدى البلدان الأجنبية . كان التاجر البابلي يؤسس نوعا من الشراكة المساهمة مع تاجر متجول . فيسلمه اما دراهم أو بضاعة يسعى الى بيعها بأعلى الاسعار ،ولم يكن هذا التاجر المتجول ليضع في الشركة سوى مايملك من خبرة ومهارة وثقة عند الناس . ويمكن اعتبار عهد حمورابي من أزهى العصور التي شهدتها بلاد الرافدين بنهضة التجارة الرائعة. وقوانينه شاهدة على ذلك ،وكان القرض بالفائدة معروف في تلك العهود (١) .

هذا ولم يكن للبابليين دراية بالعملة ومعناها الصحيح ،فكان الشعير هو المادة الأساسية للتبادل التجاري ،وبعد عثور الانسـان على معدني الذهب والفضة الحق البابليون هذه السبائك وذلك قبل بزوغ فجر الالف الثالث قبل الميلاد . . . وبمرور الزمن أصبح الشعير والفضة اساس التبادل الاقتصادي ،والجدير بالذكر أن رواتب رجال الدولة واجور العمال الزراعيين كانت تؤدى لهم شعيرا . . . أما اصحاب الحرف وعمال الأجر فكانت تدفع رواتبهم بالفضة وكما تحدث مضاربـات في الاسواق المالية وتهبط العملة ،فالشعير ايضا كان يتغير سعره حسب الفصول (٢) .

- أما في بلاد اليونان :

فقد سئم الناس العملية المملة حيث كانت المقايضة كالتالي :

الانطلاقة العربية في الحقل التجاري

الخادمة بثور الحراثة أو لامة من السلاح . ومع تقدم الزمن وتحضر البشر وزنوا كتلا من الذهب والفضة ، بقييم معترف بها وطرحت للاستعمال في المعاملات اليومية ، وهكذا يكون الفرد الانساني قد اختار المعادن قصدا لاصدار اول نقود في التاريخ .

ان اليوناني الذي ظل يستعمل اسياخ الحديد لفترة طويلة من الزمن في اسيرطة الى جانب آثينا ، اعتبر ستة اسياخ من الحديد تعادل حفنة أو دراهمة - هذا وقد عثر الاثريون على حزم من الحديد طول الحزمة حوالي أربعة أقدام . ومربوطة بحزامين من الحديد في هيرايسوم وهذا ما يؤيد الاستعمال الاشتقاقي القديم لكامة حفنة من ستة أسياخ ويؤيد أيضا اسطورة النقود الحديدية المستعملة في اسيرطة^(٣) . ولايستطيع أحدنا أن يدرك كيف سارت المدنيات الكبيرة وازدهرت في العصور الاولى للانسانية قبل اختراع العملة . فكما اسلفنا ان جميع المعاملات التجارية كان قوامها المبادلة ، أو حمل سبائك الذهب والفضة ولا بد من ميزان خفيف ، وكثيرا ما اتخذ العبيد أو المواشي وحدات للقيمة . في جزيرة كريت اكتشف الاثريون أن الغرامات قد حسبت بعدد القدور والكراسي المثلثة الشكل ، واستقر الرأي حاليا على اعتبار ملك ليديا كروسوس في آسيا الصغرى ، أو فيدون صاحب أرجوس هما أول من سك عملة في التاريخ . . . وهذا الاختراع يرجع الى القرن السابع قبل الميلاد على الأرجح^(٤) .

* طريقة صنع العملة :

وتكون بتجهيز طابع من المعدن ثم يحفر عليه حفرا غائر كـمـا في اصحاب الاختام ، ثم يثبت هذا الطابع في سندان ويؤتى بقطعة مصبوبة من الذهب والفضة أو أي معدن آخر وتكون هذه القطع فـيـد وزنت وتكون مستديرة ومقعرة الوجهين . ثم تدق هذه القطع فـي الطوابع بواسطة مطرقة ومنقش ، وكان يحفر على النقش رسم آخر . وهكذا كانوا يحصلون على العملة قديما^(٥) .

وهناك أيضا وضع للسكة لا يخرج عن هذه الخطوط الرئيسية في مقدمة ابن خلدون /ص ٢٦٠/ وباختراع العملة أوجد الانسان مادة سببها للمعاملة دلت على تطوره الاقتصادي .

* العرب قبل الاسلام والتجارة :

اشتهر العرب بالتجارة منذ القدم . فاعظم شعب تجاري خرج من جوف جزيرة العرب هم الفينيقيين / يهود العالم القديم / . وقد قامت محطات تجارية على طرق القوافل في بلاد العرب أصبحت مع تقدم الزمن مدنا عامرة كالبتراء وتدمر . . أما في الجنوب فحدث ولا حرج . . . وقد وجدت في جزيرة ديلوس في ارخبيل اليوناني نقوش عليها كتابة يونانية وبالخط المسند لتاجرين عربيين من جنوب اليمن . . وهذا دليل على مدى اتساع الصلات التجارية لعرب الجزيرة قبل الاسلام (٦) .

وقد حاول الرومان كسر الاحتكار اليمني للتجارة الدولية فسي الجزيرة وخاصة التوابل والعطور ولكنهم فشلوا ، هذا وقد أصبحت التجارة تتعرض لمصاعب جمة حيث انقسم العالم قديما الى معسكرين متحاربين - روم و فرس - فتحولت بعض الطرق التجارية كطريق الحرير القادم من الصين وقل الامن . . . وهكذا نمضي السنين والمعسكران يتصارعان على مناطق النفوذ . والضعف يدب في اوصالهم . . . والجزيرة العربية تكتل قواها تحت قيادة امعلم الاكبر محمد بن عبد الله /ص/ وبعد انتقاله الى الرفيق الاعلى وبعد ثلاثين سنة انحسر المد الرومي والفارسي عن الوطن العربي وظهر على مسرح التاريخ العرب المسلمون الذين طوروا التجارة الدولية آنذاك ، ووضعوا لها الاسس المثبتة المستمدة من الشرع الاسلامي .

* التجارة في عهد الرسول الكريم /ص/ والعهد الاموي :

ان التجارة في عهدي الرسول (ص) والدولة الاموية كانت متواضعة

الانطلاقة العربية في الحقل التجاري

وعلى وتيرة واحدة صيفية وشتوية ، كما جاء في سورة الايلاف حيث عمل العرب المسلمون على توطيد اسس الدولة بالدرجة الاولى وهداية الناس الى الدين الجديد ، ولكن عندما هدأت موجة الفتوح ومصرت الامصار وبنيت المدن الاسلامية ، وامتدت الدولة من جبال هندوكوش شرقا الى سواحل المحيط الاطلسي غربا ومن نهر الفولجا شمالا حتى مجاهل القارة الافريقية جنوبا شاملة الاندلس والساحل الفرنسي ... بدأ التجار العرب ينظرون على المسرح التجاري ... (وسيطر التجار في هذه الفترة على الطرق البرية والبحرية المؤدية الى روسيا والصين والهند وكوريا) (٧) واصبح للتجار المسلمين وكلاء في المراكز التجارية الكبرى في مختلف الجهات . وما ظهور العملات الاسلامية في اقاصي السويد وروسيا الا دليلا على ما نقول ...

✽ التجارة والتمويل في العهد العباسي الاول :

كان العهد العباسي عهد الازدهار التجاري للدولة الاسلامية ، حيث بنى ابو جعفر المنصور مدينة بغداد في عقدة مواصلات هامة ... وكانت هي والاسكندرية تتنافسان الزعامة التجارية وتقرر ان اسسها السلع في ذلك الحين .

وقد كان التجار الغرباء ينامون في فنادق ذات طابقين ، الطابق الارضي مخصص لخزن السلع ويقفل عليه باقفال رومية .. اما الطابق الاعلى فهو للنوم واذا علمنا ان التاجر يحمل معه الاراء والافكار ادر كنا سبب انتشار الاسلام في سواحل افريقية الشرقية والشرق الاقصى (اندونيسيا والفلبين) ففي العهد الساماني ظهر بين الترك في صحراء باكستان - مستعمرات اسلامية لم يكن السامانيون يد في ظهورها ولكن للحكام المحليين من الاثراك (٨) .

واما نصيب دمشق من التجارة الاسلامية في العهد العباسي فقد كانت ملتقى الحجاج قبل ذهابهم الى مكة لأداء فريضة الحج وبعد اياهم . مما ساعد على غمر الاسواق الدمشقية بالسلع

والطرق التي كان يستعملها التجار في البيع والشراء لاتزال بقاياتها ماثلة في اسواق الماشية والحبوب في الريف العربي . فقد كان البيع والشراء يتمان بالمقايضة ، وذلك حسب الشرع على أن الفقهاء والمحدثين ، من يرى أن البيع لا يكون صحيحا الا اذا كان مصحوبا بقول علني من الطرفين ، ففي اثناء المساومة بين الطرفين يضع احدهما يمينه بيمين الاخر فاذا قال البائع (بعث) وقال الشاري (اشتريت) ترك كلٌ يدا صاحبه وتم البيع والشراء (٩) . وكانت السلع تقيم حسب اصول ، فالامور منتظمة بدقة وليس هنالك سبيل للشطط في ميدان التجارة . واذا وصلت السلع الى الميناء ونقلت الى الفندق أو الوكالة حيث يجري تجميعها بواسطة سمسرة تعينهم الدولة التي تستولي على ماتحتاج اليه من الخشب والحديد وحتى القطران (١٠) .

وكانت الدولة حريصة على تشجيع التجار الأجانب للمتاجرة في العالم الاسلامي خاصة اذا كانت شحناتهم مما يحتاج اليه الجيش والاسطول من اي المواد الاستراتيجية لذلك العصر .

هذا وقد اندثر نوع من التجارة ، هو النوع الصامت كان يجري في غانه . . . ويدل هذا النوع من التجارة على الثقة المتبادلة بين الطرفين وخلاصته : يقوم التجار بوضع سلعهم على احد شواطئ الانهار فيقوم اصحاب التبر من الغابة ويضعون بحوار هذه السلع قيمتها تبعا ، بعد أن يكون الاولون قد انسحبوا . . . وتستمر العملية حتى يرضى أهل السلع . . . ولله في خلقه شؤون (١١) .

* الاسواق :

وقد قامت الدولة بجعل الاسواق خاصة للتجار اثناء تخطيط المدن وكان لها تنظيم مدهش ، يبعث على الاعجاب . . . وكانت كل طائفة من التجار يجلسون في صف واحد . . . أما الدوام الوقتي فهو من الصباح الى ما بعد الظهر . . ثم يأكلون في احد المطابخ ويستحضرون شيئا الى

الانطلاقة العربية في الحقل التجاري

دكاكينهم ولا يذهبون الى بيوتهم الا في المساء (١٢). واسواق المـسـدـن عامة كانت اسبوعية تقام في ايام معينة من الاسبوع ولاتزال هـسـدـه الظاهرة في بعض الاقطار العربية وكان الناس لا يستأجرون في المـسـدـن المساكن فقط . . . بل كانوا يستأجرون الاثاث أيضا ، ويحكى أنه كان بمصر امرأة تملك خمسة الاف قدر من النحاس وكانت تؤجرها كل قدر بدرهم في الشهر (١٣). وهذا ان دل على شيء فانما يدل على ازدهار رائع أو فقر مدقع .

* النـقـود :

ولكن ماهي قصة النقود التي كان يتداولها التجار والشعب فـسـي الامبراطورية الاسلامية المترامية الاطراف . . . ويمكن تقسيم عهودها اصطلاحا الى العهود الزمنية الاتية :

أ- كان العرب في الجاهلية وفي عهد الرسول (ص) يتعاملون بنقود الدول المحاورة .- الفرس والروم .- التي يجلبها التجار من داخل شبه الجزيرة العربية .

ب- في عهد الخلفاء الراشدين : يقال بأن خالد بن الوليد ضرب عملة في طبرية في السنة الخامسة عشرة للهجرة . على رسم .١. نـسـار البـيـزـنـطي وعـلى أحد وجهيها اسم خالد بالاحـسـرف اليونانية (Xaved) وهذه الاحرف (Bou) ويظن الدكتور مولر المؤرخ الالماني ناقل هذا الرسم انها مقتطعة من (ابو سليمان) كنية خالد بن الوليد .

وقطعة : ضربت لعمر بن الخطاب (رض) بسكة كسروية (طابع فارسي) عليها صورة الملك مكنوب بالفارسية (نوش خور) أي كل هنيئا ولكن المتريزي يقول : وأول المعاملة في الاسلام ضربها عمر بن الخطاب في سنة ثمانى عشر للهجرة على نقش كسروي وزاد فيها (الحمد لله محمد رسول الله) .

وقطعة : ضربها معاوية بن أبي سفيان على مثال دنانير الفرس (١٤)

وبقي الحال على هذا الوضع حتى مجيء الخليفة الاموي عبد الملك ابن مروان الذي استطاع أن يدعم اقتصاد الدولة بضرب عملة معتبرة ليحررها اقتصاديا من سيطرة الدولة البيزنطية ، ورغم التهديدات من البيزنطيين فقد سار عبد الملك في مشروعه للأسباب التالية :

* أولا : توحيد العالم العربي الاسلامي تحت زعامة واحدة هي زعامة الخليفة عبد الملك بعد قضائه على الثورات المناوئة .

* ثانيا : ضرورة الاستقرار الاقتصادي للدولة الناشئة .

* ثالثا : الخلاف العربي - البيزنطي عندما ازاح المسلمون عقيدة الدين المسيحي من ورق البردي .

* رابعا : تهديد ملك القسطنطين بسك نقود عليها عبارات شتم للدعوة الاسلامية .

* خامسا : فشل المعاهدة بين العرب المسلمين والروم البيزنطيين - ومدتها عشر سنوات . ومفادها دفع اتاوة اسلامية للبيزنطيين مقابل عدم عبورهم للحدود العربية عندما كان عبد الملك يقوم بقمع الثورات في الحجاز والعراق (١٥) .

هذا وقد عربت الدواوين مع النقد عام ٧٧ هـ وكانت مراكز سك النقود في مصر وسورية ، وكان الوزن الشرعي للدينار هو (٢٥ر٤غ) من الذهب . عملة الدينار مشتقة من كلمة ديناروس اليونانية ، ولذلك عـم الدينار الذهبي الاقطار الاسلامية مع العملة الاخرى كالدرهم التـمي هي مشتقة من الكلمة اليونانية دراخمة أيضا

وهذا ابن فضلان يحدثنا عن اصناف النقود التي صادفها في الجـزء الشرقي من الدولة اثناء سفره الى بلاد بلخار - الفولجا (ورأى الدرهم ببخارا ألوانا شتى منها دراهم يقال لها الفطريفية - ضربها

الانطلاقة العربية في الحقل التجاري

الفطريق بن عطاء - عامل هارون الرشيد وهي نحاس وشبه يأخذونها
ووزن مائة منها بدرهم من الفضة (١٦).

وهذا يدل على ثقة الخلفاء بالعمال أو تسلط الولاة على الخلفاء
العباسيين في بعض الادوار ... مما جعل حرية اصدار النقود ترجع
الى عامل الولاية هذا ؛ وقد عني صغار الملوك الناشئين الذين ضربوا
العملة لانفسهم تحت رئاسة الخليفة أو مستقلين عنه أن يخرجوا
للتعامل أكبر عدد ممكن من أصناف العملة وكان الدينار يساوي
اربعة عشرة درهما ، ونظرا لوجود ثلاث خلفاء في العالم الاسلامي
بوقت واحد ، العباسي - الفاطمي - الاندلسي .

شاع استعمال الدينار الذهبي في الشطر الغربي من العالم الاسلامي
وهو الذي كان يحتكر خزانة الذهب مما جعل سعر الذهب يرتفع فـ
المشرق ارتفاعا هائلا ... وقد حاول الخليفة العباسي تلافى هذه
الازمة واصر أمرا لترك التعامل بالدنانير المصرية والمغربية فعدل
الناس عنها الى الدراهم الفضية ، التي خف وزنها واصبح الخمسة والعشرون
بل المائة أحيانا بدينار ...

ولانسى أن العملة كانت ولا تزال هدفا للتزييف ، وقصة سـ
الطاغية الاسباني الادفونش الى المعتمد بن عباد أمير الاندلس لقبض
الاتاوة وكان يهوديا ، معروفة وعالقة بالاذهان ... فقد اراد
الدنانير مشجرة / ذهب صاف : فاودى المعتمد بحياته وكانت هـ
الحادثة من أسباب دعوة المعتمد يوسف بن أمير المرابطين وحادث
معركة الزلاقة الشهيرة في التاريخ وانهزام الاسبان وتأجيل سقوط
القواعد الاندلسية الى حين .

ففي عهد الدولة العباسية أيضا شاع تزييف العملة على مقياس
واسع (وقد شارح حرس الديم عام (٣٩٠ هـ ١٠٠٠ م) وقصدوا دار الوزير
ثاثرين على فساد العملة الذهبية ، وكان للعملة المزيفة قيمتها

جهارا ٠٠٠.٠ وان كان زهيدا كما هو الحال اليوم وكانت الدراهم المزيقة تسمى مزبقة = وكان المزيقون لا يبردون العملة لانها توزن بل يقومون بعملية ذكية في غاية البراعة وذلك بطرح عملة لهـ وزن صحيح مستفيدون بما يأخذونه من ذهب العملة الرسمية باستعمال الزئبق أو الانتيموان (١٧).

الحوالة والسفتجة والرفعة :

مما لا جدال فيه أن اجدادنا العرب المسلمين هم ابا^مء رجسـال البنوك الحديثة ، ان حمل النقود كثيرا ما يعرض حاملها لقطاع الطرق أو السرقة وخاصة المبالغ الطائلة كواردات الولايات والصفقات الكبرى ، ولذلك فقد كانت الانواع المذكورة وهي الحوالة والسفتجة ... هي الحل الملائم للامان التجاري ...

الحوالة : جاء في كتاب أبي شجاع مؤرخ القرن الحادي عشر أن الحوالة التي يعطيها التاجر كانت آسـهل صرفاً من الحوالة التي تعطيها الدولة . ولما كان انتجار انفرس أكثر عددا من غيرهم فقد شاعت كلمة (جـك) بصيغتها الفارسية لـبـصـيغـتها العربية (صـك) ثم انتقلت الى اوربا (١٨) . واذا كان الصـك في الاساس سند بدين وكان الرجل اذا اشترى عقارا كتب صـكاً بشرائه ويحدثنا ابن حوقل انه رأى باودغشت صـكاً بمائتين واربعين ألف دينار كتب بدين علي محمد بن ابي سعدون من أهل سلجـماسة لرجل من أهلها وقد شهد عليه العدول (١٩) . وهذا يدل على الحرص الشديد . وكان الصـك بالعراق شبيه بالشيك الرسمي في هذه الايام . ومما يدل على سعة استخدام الحوالات المالية في العالم الاسلامي (ان الملاحين الذين نقلو ملكـشاه السلجوقي هو وجيشه عبر نهر جيحون تسلموا من وزيره نظام الملـسـنـك حوالات قبضوا قيمتها من العامل السلجوقي بأنطاكية ليدركوا مـسـدى اتساع املاك هذا السلطان (٢٠) .

الانطلاقة العربية في الحقل التجاري

الرقعة : نظر الازدهار الاقتصادي وتوسع التجارة فقد قامــت البيوتات المالية والمصرفية بايجاد الرقاع . فكل رجل معه مالا يعطيه للصراف ويأخذ منه رقاعاً مـدفتر شيكات - ثم يشتري مايلزمه ويحول قيمته على الصراف ولا يعطون غير رقاع الصراف طالما كانسوا بالمدينة وهذا هو ارقى ماوصل اليه التعامل بين البيوتات المالية والافراد في المملكة الاسلامية (٢١) .

السفـاتج : كانت المعاملات الضخمة تستدعي وسائل للدفع مأمونة وخفيفة الحمل بعيدة عن متناول اللصوص فأوجدت السفـتجة للدفع فـي البلاد الاخرى . . . ويقول الدكتور عبد العزيز : ان هذه السفاتج كانت تقبل خارج الحدود الاسلامية ، ويذكر عن أحد العلماء انه سافر الى الاندلس ومعه سفـتجة وخمسة آلاف درهم نقدا وقد ارسل كافور الاخشبي صاحب مصر الى نائبه في بغداد سفاتج بثلاثين ألف درهم ليسلمها الى الوزير بن مقله . الخطاط الشهير أيام أن كان مصروفا (٢٢) .

التحويل في العهد العباسي :

قام الصراف والتجار بدور واسع في تسهيل المعاملات المالية عن طريق الاقراض . . . وخاصة ماكان يقوم به الجهابذة الذين كانوا بالاصل تجارا ثم أصبحوا يملكون بيوتا مالية ، ووسعوا اعمالهم فصاروا يشتغلون بالتسليف ، وكثير منهم كانوا كتابا للخراج ويمكن حصر أعمالهم التحويلية بما يلي :

١- اقراض الدولة :

ويمكن القرض على النحو التالي :

تعطى ضرائب بعض المقاطعات بالضمان الى جهبذ يستفيد من مساعدة الدولة له . فيحصل دينه مع الفائدة فعندما اقترض علي بن عيسى وزير المقتدر بالله من اليهوديين يوسف بن فنحاس وهارون بن عمران كان الضمان خراج الاهواز ، واذا حل المال ولم تجب الضرائب

استلف علي بن عيسى من التجار على سفاتج ودفعها الى الجهبذين ٠٠٠

للمزارعين :-

وقد ساهم الصيارفة في عمليات تسليف المزارعين ولكن عن طريق الدولة (لضمان رجوع المال) ولهذا فعندما اراد الحسن بن مقلد صاحب ديوان الخراج معونة الفلاحين ٠٠٠ قبل اوان الحصاد كلف رجسلا بالاستدانة من التجار .

للتجار :-

كان تمويل التجار في العهد العباسي الاول ، يتم بأن يودع كـ من كانت له نفائس عند الصراف ويأخذ منه وصلاً بها وعندما يشترى التاجر يعطي حوالة على الصراف ، وهذا يصرفها ، فقد كان التجار طيلة اقامتهم في البصرة يتعاملون بالحوالات المالية .

للمصادريين :-

وهي صورة من الربا قبيحة ذلك لان القرض في هذه الحالة يُقْدَمُ وصاحبه تحت الوان شتى من العذاب وفي هذا الموقف الحرج كان المرافون ينالون عشرة في الواحد أو مائة قدرها ١٠٠٠٪ وهذا رب مفضوح .

لرجال الدين :-

وقد اوردت المصادر التاريخية أن اليهود امدوا بطريق الاسكندرية بالمال اللازم لدفع الجزية في أواخر القرن الثاني الهجري ، وكانست جزيته باهظة فاضطر الى رهن أملاك الكنيسة وباع جزءاً منها (٢٣) . هذا وكان للجهبذ شأن في الحياة الاجتماعية . ففي القرن الرابع الهجري صك بعض الرؤساء للشاعر جحظة (المتوفي ٣٣٤هـ) صكاً فدفعه هذا للجهبذ الذي دافعه حتى ضجر الشاعر فكتب لذلك الرئيس :

الانطلاقة العربية في الحقل التجاري

اذا كانت صلاتكم رِقَاعاً
ولم تكن الرِّقَاعُ تَجِيءُ نَفْعاً

تُخَطُّ بِالْأَنَامِلِ وَالْأَكْفِ
فَهَا خَطِيئَتُهُ بِأَلْفِ أَلْفِ

• (٢٤)

ويحدثنا ناصر خسرو الرحالة الفارسي الشهير أنه كان بمدينة اصفهان بسوق الصرافين مائة منهم وكانوا جميعهم يجلسون في سوق واحدة تسمى سوق الصرافين وكانوا بعد الظهر يجتمعون من الساعة الثالثة حتى المساء لتصفية الحسابات بينهم .

وكثيرا مادفع الجهابذا حياتهم . ثمنا لجشعهم ونتيجة لنمو الصيرفة
وازدهار صناعة الاقراض ان قال الكندي (لحفظ المال بنيت الحيطان ،
وغلقت الابواب ، واتخذت الصناديق وعملت الصيانات والاقفال ونقشت
الرسوم وانخروا تميم وتعلمت الناس الكتابة والحساب فلم يتخذوا هـ...هـ
الوقايات دون المال) (٢٥) .

أبعد هذا التطور في المحال التحاري، نحب لماذا تحتضن مكاتب العالم المتمدن ستة ملايين مخطوطة تبحث في الحضارة العربية الإسلامية وهي أعظم كنز وعبرة لقوم يدركون .

✻ المراجعة ✻

二五五五五五五五五五五五五五五五

- ١- بلاد الرافدين - ديلا بورت ص ١٣٢
- ٢- نفس المصدر ص ٢٥٠ .
- ٣- الحياة العامة اليونانية - الفرد زيمرن ص ٣٦٣
- ٤- علم الآثار ص ١٣٥ غاردني
- ٥- نفس المصدر ص ١٣٩
- ٦- مجلة العربي الكويتية العدد ٥٩
- ٧- مجلة العربي الكويتية العدد ١٥٥
- ٨- تاريخ اتراك اسيا الوسطى ص ١٣٠
- ٩- الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري لادم ج ٢ ص ٣٨٩
- ١٠- تاريخ الاسلام السياسي : د حسن ابراهيم ج ٢٠ ص ٤١٢
- ١١- نفس المصدر ص ٤١١
- ١٢- آدم ج ٢٠ ص ٣٨٤
- ١٣- نفس المصدر ص ٣٨٩
- ١٤- تاريخ التمدن الاسلامي زيدان ج ١٠ ص ١٤٣
- ١٥- مجلة الثقافة العربية الليبية ص ٥٧
- ١٦- رحلة بن فضلان ص ٨٢
- ١٧- آدم ج ٢ ص ٣٨٧
- ١٨- يارتولد ص ١٣٠
- ١٩- يارتولد ج ٢ ص ٣٨٩
- ٢٠- د حسن ابراهيم حسن ج ٤ ص ٤١٩
- ٢١- مجلة العلوم البيروتية - العدد ٨ السنة ١٩٦٤
- ٢٢- ج ٢ ص ٣٧٨
- ٢٣- مجلة العلوم نفس العدد
- ٢٤- آدم ج ٢ .
- ٢٥- الاشارة الى محاسن التجارة . جعفر بن علي الدمشقي .

تابع الخطأ والمصواب

فانتتهـره	فانتتهز	٣	٨٩
يكون القادة	يكون	الحاشية (١)	١٠١
ذلك	وذلك	السطر الاخير	١٠٤
بعد سنة (١٣) هـ الكلام متصل	(وجود فراغ)	١٣	١٠٧
وزعم ان فحلا	وزعم ان مخلا	١٥	١٠٨
باب الفراديس	باب الفرادين	في المصور	١١١
كبر وبيرة	كبرو وبيرة	٤	١١٤
الكثرة	لكثرة	١١	١١٤
سواكف	سواشف	١٥	١١٦
برمك	يرمك	١٨	١٣٠
في الخاف ، في الوسط	في الخلف ؛ في الوسط ؛	٧	١٣٣
وبعلوها (العبارة الامسام المنتصرة)	سقطت العبارة التالية	١٢	١٣٨
الايكوم	الايكوه	٤	١٤٢
الشرق	السرق	٤	١٥٠
منذر حمودي	منذر الحموي	٢	١٥٥
بسدور	دور	١٥	١٥٥
تجـاه	اتجـاه	٩	١٥٦
كظهور	لظهور	١٥	١٦٤
حاول	حاور	٩	١٦٥
المحتمل	المحتل	١١	١٧٣

تابع الخطأ والصواب

المبيت	المبين	١٨	١٧٦
واحد	واحد	١٥	١٧٧
بفسن	بيفن	٢٢	١٧٧
انسحبت	انسحب	١٥	١٨٢
الحركة	الحرية	١٩	١٨٥
بقوله : انها ترمي الى	بقوله : —	٢٥	١٧٠
واحدنا	اجلونا	٢٦	١٧٠
مقتنوا	مقتنوا	١١	١٨٩
الوراء	الوراد	١٥	١٩٩
الاجرة	الاجر	٢١	٢٠١
لكلمة	لكامه	٩	٢٠٢
تركستان	باكستان	٢٢	٢٠٤
للساميين	للسامانيين	٢٢	٢٠٤
القسطنطينية	القسطنطين	١١	٢٠٧
تحويل	تمويل	٨	٢١١

